السنة الرابعة عشرة من سلطنة الملك الظاهر جقمق

على مصر

وهى سنة خمس وخمسين وثمانمائة :

وفيها كان تزايد الغلاء حتى خرج عن الحدّ ، وبيع القمح بنحو ألف وخمسمائة درهم الإردب ، والفول والشعير بألف درهم الإردب ، ثم تزايد بعد ذلك على ما حرّرناه فى الحوادث[1] .

وفيها تُوُفِّىَ الخليفةُ أمير المؤمنين المستكفى بالله أبو الرّبيع سليمان ابن الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بالقاهرة ، فى يوم الجمعة ثانى المحرم ، وقد تقدّم ذِكرُ نسبه إلى العباس فى ترجمة أخيه المعتضد داود من هذا الكتاب .

وتولى الخلافةَ بعده أخوه حمزة بغير عَهْدٍ منه ، ولُقِّب بالقائم بأمر الله .

ونزل السلطانُ الملكُ الظاهرُ للصلاة عليه بمصلاة المؤمنى[2] ، ومشى فى جنازته إلى أن شهد دفنه ، وربما أراد حمل نعشه فى طريقه ، ومات المستكفى وهو فى عشر الستين ، بعد أن أقام فى الخلافة تسع سنين ونحو عشرة أشهر . وكان ديِّناً خيِّراً ، مُنْجَمِعا عن الناس بالكُلِّيَّة ، كثير الصَّمت ، قليل الكلام ، ذكر عنه أخوه أمير المؤمنين المعتضد داود — وكان شقيقه — عند ماعهد له بالخلافة فى مرض موته ، أنه لا يعرف عليه كبيرةً فى مدة[3] عمره — رحمه الله تعالى .

---

(١) يقصد المؤلف بذلك كتابه الذى عنوانه «حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور» ، وهو يشير هنا إلى ذلك الكتاب بهذا اللفظ الواحد فى كثير من المواضع فيما يلى ، وقد رمز إليه المستشرق وليم پوپر فى تحقيق الجزء السابع من النجوم الزاهرة طبعة كاليفورنيا بحرف H . معتبرا إياه نسخة أخرى من كتاب النجوم الزاهرة ، كما يكثر كذلك من الإشارة إلى كتابه الآخر الذى عنوانه المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى باللفظين الأولين من هذا العنوان .

(٢) مصلاة المؤمنى : تنسب إلى الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمنى فقد أنشأها وأنشأ بجوارها سبيلا حوالى سنة ٧٦٥ هـ (على مبارك الخطط ٥ : ١٢٣) .

(٣) فى جميع الأصول « منذ » والصواب ما أثبتناه .

وتُوُفِّىَ القاضى جمالُ الدين عبد الله بن هشام[١] الحنبلى الفقيه ، أحد نوّاب الحكم بالقاهرة ، فى العشر الأخير من المحرم ، وكان فقيهاً فاضلا مشكورَ السّيرة فى أحكامه — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الرئيسُ مجد الدين عبد الرحمن بن الجيعان[٢] ، ناظرُ الخزانة الشّريفة السّلطانية وكاتبُها ، فى يوم الخميس تاسع عشرين المحرم ، بعد قدومه من الحجاز متمرّضاً ، وخلّف عدّة أولاد ، أمّهاتُهم أمهاتُ[٣] أولادٍ جوارٍ بيضٌ مسلمات .

وتُوُفِّىَ القاضى شمسُ الدين محمد المعروف بابن زُبَالة[٤] الشّافعى المصرى الأصل والمولد ، قاضى قضاة مدينة اليَنْبع ، بها فى هذه السنة . وكان مولده بباب البحر خارج القاهرة ، ثم انتقل إلى الينبع بعد أمور ، وولى قضاءها إلى أن مات ، وكان له سمعة وصيت بتلك البلاد .

وتُوُفِّىَ السلطانُ خوَنْدكَار مُراد[٥] بَك ابن السلطان محمد بَك كِرْشَجِى بن أبى يزيد ابن عثمان ، متملِّك بُرصا[٦] وأدِرْنابولى[٧] ، وما والاهما من ممالك الرُّوم ، فى سابع المحرم بمملكة الروم .

وتولّى المُلْكَ من بعده ولدُه السلطان محمدُ بنُ مُراد بَك ، واقتدى بسُنَّة أبيه فى الجهاد والغزو ، ونكاية العدوِّ ، وأخذ البلاد والقلاع من يد الفرنج ، ومات السلطان مراد

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن هشام — الجمال أبو محمد ، ولد بعد التسعين وسبعمائة بالقاهرة (السخاوى — الضوء اللامع ٥ : ٥٦) .

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الغنى بن شاكر بن ماجد بن عبد الوهاب بن يعقوب بن الجيعان . أنظر (السخاوى — الضوء اللامع ٤ : ٨٥) وقد ذكر وفاته فى ٢٣ المحرم .

(٣) فى الأصول « أم »

(٤) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١١ : ٢٤٩) والضبط فيه «زبالة» بضم ثم موحدة خفيفة ولام — وهو الشمس محمد بن أحمد بن محمد .

(٥) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ١٥٢) وكرشجى معناه الوترى نسبة للوتر ؛ لكون أبيه مازحه يوما قائلا له : ما حالك مع إخوتك بعدى ؟ فقال : أخنقهم بالوتر ، فضحك وأعجبه ، وقال : عافية كرشجى .

(٦) برصا : مدينة كبيرة فى شمال بلاد الروم وهى قصر مملكة أولاد عثمان جق — وانظر (ج ١٣ : ٣٢ من هذا الكتاب ط. الهيئة العامة للتأليف والنشر) .

(٧) أدرنابولى : تقع على مرتفع من الأرض عند ملتقى الأنهار مريج ، وآردا ، وطونجه . وسط سهل خصب وكانت العاصمة الثانية لآل عثمان (دائرة المعارف الإسلامية ترجمة خورشيد وآخرين) .

بَك وهو فى أوائل الكهولية ، وكان خير ملوك زمانه شَرْقًا وغَرْبًا ، مما اشتمل عليه من العقل والحزم والعزم والكرم والشجاعة والسؤدد . وأفنى عُمْرَه فى الجهاد فى سبيل الله تعالى ، وغزا عدَّةَ غزوات ، وفتح عدَّة فتوحات ، وملَكَ الحصونَ المنيعة ، والقلاعَ والمدنَ من العدوِّ المخذول . على أنه كان مُنْهمكًا فى اللذات التى تهواها النفوس ، ولعل حاله كقول بعض الأخيار — وقد سئل عن دينه — فقال : أُمَزِّقه بالمعاصى ، وأُرَقِّعُه بالاستغفار . فهو أحقُّ بعفو الله وكرمه ، فإن له المواقف المشهورة ، وله اليد البيضاء فى الإسلام ونِكاية العدوّ ، حتى قيل عنه إنه كان سِيَاجًا للإسلام والمسلمين — عفا الله عنه ، وعوّض شبابه الجنة — فلقد كان بوجوده [1] غاية التجمل فى جنس بنى آدم — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الشيخ شمسُ الدين محمد بن حسَّان [2] ، الفقيه الشافعى ، شيخ خانقاه سعيد السعداء [3] ، فى يوم السبت أول شهر ربيع الأول ، وكان فقيهًا دينًا مشكورَ السّيرة ، وتولّى مشيخة سعيد السُّعداء من بعده الشيخ خالد .

وتُوُفِّىَ الشيخُ شمسُ الدين محمد الحلبى [4] ، المعروف بالحجازى ، ابن أخت السخاوى ، فى يوم الخميس ثالث عشر ربيع الأول ، وكان أديبًا ، وهو ممن عُرِف فى هذه الدولة بخاله خليل السخاوى [5] ، وعُدَّ من بياض الناس ، على أنه كان قليل البضاعة من العلوم والفضيلة .

---

(١) كذا فى نسخة ص ، وفى ط كاليفورنيا «بجوده» .

(٢) هو محمد بن محمد بن على بن محمد بن حسان الموصلى الأصل ، المقدسى ثم القاهرى الشافعى — ويعرف بابن حسان ، ولد سنة ٨٠٠ هـ تقريبا (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ١٥٢—١٥٤) .

(٣) انظر فى التعريف بالخانقاه ، وخانقاه سعيد السعداء هامش (ج ٨ : ١٤٨ ، ج ٩ : ١٤٤ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

(٤) هو محمد بن محمد بن إسماعيل بن يوسف بن عثمان بن عماد — الحلبى الأصل — الحجازى المدنى المولد ، ويعرف بابن الحلبى ، وبابن أخت الفرس خليل السخاوى ، ولد سنة ٧٩٩ هـ بالمدينة — وانظر (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ٥٤) .

(٥) فى ص « السخاوى خليل » .

وتُوُفِّىَ الشيخُ شمسُ الدين محمد الحنفى الرومى [١] الأصل والمولد، المصرى الدّار والوفاة، المعروف بالكاتب، فى يوم الأحد ثالث عشرين شهر ربيع الأوّل، بعد أن نال حظًّا من ملوك مصر، لا سيما من الملك الظاهر جَقْمَق؛ فإنه عظم فى دولته إلى الغاية ونالته السعادة، وعُدَّ من الرؤساء، ولم يكن لذلك أهلا، غير أن ملوك زماننا كالعميان، يضع الواحدُ يده على كتف الواحد، فمهما تحرَّك الأوّل بحركةٍ تحرّك الثانى بمثله. فأول من قرّب شمسَ الدين هذا الظاهرُ طَطَر، فاقتدى جميعُ مَنْ جاء بعده من السلاطين به من تقريب شمس الدين هذا، ولا يَعْرِفُ أحدُهم لِمَ قرَّبه واختصَّ به غيرُ الظاهر طَطَر، فإنه كان له مقاصد لا يعرفها هؤلاء، ثم انحطّ قدرُه، ونُكب وصودِر، وادُّعى عليه عند القضاة بدعاوى اقتضت تعزيره وحبسه بسجن الرَّحْبَة، وقاسى أهوالا، كلُّ ذلك بأمر السلطان الملك الظاهر جَقْمَق لَمَّا تغيّر عليه، نكالاً من الله، فإنه كان واسطة سوء مع دهاء ومكرٍ، وعقلٍ تام، فإنه اتصل لما اتصل، ولم يَقْتَنِ دابةً يركبها، بل كان كلما أراد أن يطلع القلعة ركب من الشيخونية [٢] حماراً مكارياً بالكرى، وطلع إلى القلعة، واجتمع بالسلطان ثم نزل وعاد على الحمار المذكور إلى داره بالشيخونية، فى كل يوم على ذلك.

وكان قليل العلم، إلا أنه كان له مشاركة ومحاضرة ومعرفة بمداخلة الملوك، محظوظًا عندهم.

كان مُرَتَّبه فى اليوم على الجوالى [٣] فقط دينارَيْن، وله أشياء غير ذلك، وكان شكلا مهولا، طوالا، ذا لحية كبيرة، وعلى رأْسه عمامة هائلة، وقُبَّعٌ

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ١١٢).

(٢) الشيخونية: هى خانقاه الأمير الكبير شيخون العمرى. انظر هامش (ج ٧، ص ١٣١، ج ١٠ ص ٣٠٣-٣٠٤، ج ١٢ ص ١٢).

(٣) الجوالى هنا أموال الضرائب التى كانت تجبى من أهل الذمة، ولمعرفة المعانى المختلفة لهذا المصطلح راجع (محيط المحيط).

جوخ كبير جداً ، ويَلُفُّ عليه أزيد من ثوب بعلبكى رفيع ، وقيل ثوبان عوضًا من الشاش .

ومع تقربه من الملوك كان عنده عفّة عن أموال الناس ، وعدم طمع بالنسبة إلى غيره — رحمه الله .

وتُوُفِّيَ الشيخُ المعتقدُ محمد السفارى ، نزيل جامع عمرو بن العاص ، فى يوم الجمعة حادى عشر جمادى الأولى وقد ذكرنا واقعته مع الملك الظاهر جَقْمَق فى الحوادث ، وملخصها أنه كان وقع من بعض فقرائه ما أوجب إحضاره ، فامتنع ، فألحّ السلطانُ على الوالى بإحضار الشيخ محمد المذكور ، فلما حضر إليه ثانياً أفحش فى الجواب للوالى ، ثم تكلم فى الملأ بكلام يدل على موت السلطان فى سابع عشر جمادى الأولى ، وشاع ذلك بين الناس ، فمات الشيخ قبل ذلك اليوم ، أعنى يوم سابع عشر جمادى الأولى بستة أيام ، فتعجَّب الناسُ من ذلك .

والذى أظنُّه أن الشيخَ ما قال إلا عن نفسه، فتوهمت العامةُ أن الشيخ يشير بذلك عن السلطان ، والله أعلم ، وعلى كل حال واقعة غريبة — رحمه الله .

وتُوُفِّيَ السيّدُ الشريفُ هَلْمان بن وَبير بن نَخبار[1] أمير مدينة الينبع بها فى أواخر جمادى الأولى ، وهو فى أوائل الكهولية ، وكان شابا مليح الوجه ، مشكور السّيرة ، لولا أنه على مذهب القوم — عفا الله عنه .

وتولى بعده إمْرَةَ اليَنْبُع أخوه سُنْقُر ، وكانت ولاية هَلْمان المذكور ، بعد عزل ابن أخية مَعز بن هجّان بن وبير بن نخبار فى سنة تسع وأربعين وثمانمائه — اهـ .

وتُوُفِّيَ السيدُ الشريفُ أميّان بن مانع الحسينى[2] المدنى ، أمير المدينة الشريفة

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٢٠٩) ويقال مخبار بالميم بدل النون . وكان على مذهب قومه ، عنده أدب وتواضع وبشاشه وكلام حلو .

(٢) هو أميان بن مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيخة الحسينى — وسماه المقريزى « وميان بالواو » (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٣٢١) .

النبوية — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — فى جمادى الآخرة بها ، وتولى إمْرَةَ المدينة من بعده زُبَيْر بنُ قَيْس بن ثابت .

وتُوُفِّىَ الأميرُ ناصرُ الدين محمد الحلبى الحاجب الثانى بحلب المعروف بابن أَلْتُغَا ، فى يوم السبت سابع عشرين شهر رمضان بالقاهرة ، غريبًا عن أهله وعياله ، وكان أصله من بعض قرى حلب ، وتَرَقَّى فى الخِدَم حتى لبس زىَّ الجند ، وخدم أستادارا عند بعض أعيان حلب ، وتموّل ، وتَرَقَّى بالبذْل حتى صار حاجبًا ثانيًا بحلب ، وهو لا يعرف كلمة مركَّبة باللغة التركية ، ويتلفظ فى كلامه بألفاظ فلاحى القُرى إلى أن مات ، غير أنه كان مشكورَ السيرة ، كريمَ النفس — رحمه الله .

وتُوُفِّىَ القاضى تاجُ الدين محمدُ ابن[١] قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلْقِينى الشافعى فى يوم السبت سابع عشرين[٢] شهر رمضان ودُفن من الغد عن ثمانٍ وستين سنة ، وخلّف مالا كثيراً ، وكان مسيكاً بخيلاً ، وإليه أشار الحافظُ بنُ حَجَر بقوله [السريع]

مات جلالُ الدين ، قالوا : ابنُه يَخْلُفُه ، أو فالأخُ الراجحُ
فقلتُ : تاجُ الدين لا لائقٌ لمنصبِ الحُكْم ، ولا صالحُ

أراد[٣] بتاج الدين هذا فى الأول ثم بالتورية[٤] قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِنى[٣] .

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن رسلان . التاج أبو سلمة بن الجلال أبى الفضل بن السراج أبى حفص البلقينى القاهرى الشافعى — ولد فى نصف ذى القعدة سنة ٧٨٧ هـ بالقاهرة . انظر (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ٢٩٤ ترجمة ٧٦٢) .

(٢) فى ص « سابع عشر » وهو خطأ والمثبت عن ط كاليفورنيا .

(٣—٣) ما بين الرقمين ساقط من ص ، والإثبات عن ط كاليفورنيا .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين يَشْبُك بنُ عبد الله السيفى [١] سُودُون الحمزاوى نائب صَفَد بها فى ليلة السبت تاسع عشرين شهر رمضان ، وكان يَشْبُك المذكور وَلِىَ [٢] دوادارية السلطان بحلب سنين ، ثم ولى نيابة غَزَّة ؛ ثم نُقل إلى نيابة صَفَد إلى أن مات بها ، وكان مشكورَ السّيرة ، لم تسبق له رئاسة بالديار المصرية ، وتولّى الأمير بَيْغُوت المؤيَّدى بعده نيابةَ صَفَد ثانى مرّة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ شهابُ الدين أحمد بن أمير على بن إينال اليوسفى الأتابَكى ، أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية ، فى ليلة الثلاثاء سابع عشرين ذى القعدة ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه بمصلاة المُؤمنى ، ودفن بتربة جَدِّه الأتابَك إينال ، ومات وسِنُّه نحو خمسين سنة — تخميناً — وإلى والده أمير على ينتسب الملكُ الظاهرُ جَقْمَق بالعلائى وقد تقدّم ذكر ذلك كله فى أوّل ترجمة الملك الظاهر جَقْمَق ، وكيف أخذه الملكُ الظاهرُ بَرْقُوق منه .

وكان أحمد المذكور أميراً ضخماً عاقلاً ، رئيساً دَيِّناً خَيِّراً ، متواضعاً ، عارفاً بأنواع الفروسية ، وعنده محبة للفقراء وأرباب الصلاح ، وكان سميناً جداً ، لا يحمله إلا الجياد من الخيل ، وكان ممَّن رقّاه الملك الظاهر جَقْمَق ، وأمَّره عَشْرَة فى أوائل سلطنته ، ثم ولّاه نيابةَ الإسكندرية ، وزاده عدّة زيادات على إقْطَاعِه ، ثم أنعم عليه بإمْرَة مائة وتَقْدِمةِ ألْف ، عِوَضاً عن الأمير إينال العَلَائى بحكم انتقاله إلى الأتابَكِيّة بعد موت

---

(١) السيفى صيغة مختولة من « سيف الدين » مع ياء النسبة ، وهى صيغة للتعظيم أو المبالغة فى مكانة أصحاب هذا اللقب بين كبار الأمراء المماليك ، وكانت غالبيتهم تتخذ هذا اللقب دون غيره من ألقاب الشجاعة ، مثل حسام الدين ، وفارس الدين ومبارز الدين . ولذا يرد لفظ السيفى فى المصادر أحيانا قبل اسم الأمير من الأمراء المماليك مثل السيفى سودون الوارد هنا ، أى سيف الدين سودون ، كما يرد أحيانا أخرى بعد الاسم مثل سودون السيفى ، أى سودون الذى مات عنه استاذ اشتراه وينتسب إليه ، وصار بعد ذلك من فرقة المماليك السيفية ، وهى إحدى الفرق التابعة مباشرة للسلطان . ويرد لفظ السيفى كذلك بين اسمين مثل سودون السيفى دمرداش ، ومعناه سودون مملوك سيف الدين دمرداش أى سودون الدمرداشى . انظر معجم الألفاظ الاصطلاحية فى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، طبعة كاليفورنيا ج ٦ ص ٣٥ ، وكذلك القلقشندى : صبح الأعشى ؛ ج ٥ ص ٤٨٨ و٥٠٤ و (العرينى — الفارس المملوكى ، ص ٤٧ ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، ١٩٥٦) .

يَشْبُكَ السُّودُونى المُشِدّ ، فدام على ذلك إلى أن مات ، وتأسّف الناس عليه لحسن سيرته بالنسبة إلى أخيه محمد ؛ وإلى الشهابى أحمد بن نَوْرُوز ، شَادّ الأغنام ، فإنهما كانا أسوأ حواشى الملك الظاهر جَقْمَق سيرةً ، بخلاف الشِّهَابى أحمد فإنه لم يكن له كلمة فى الدولة إلا بخير — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ السيّد الشريف إبراهيم بن حسن بن عَجْلان الحَسَنى ، المقبوض عليه مع أخيه على بن حسن قبل تاريخه بمكة ، وحُمل إلى القاهرة ، وحُبس بالبُرج من القلعة مدّةً طويلة ، ثم أُخرج مع أخيه إلى ثغر دِمْياط ، فَدَامَ به بعد موت أخيه علىّ إلى أن مات فى هذا التاريخ .

وتوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين تِمْراز بن عبد الله من بَكْتَمُرْ المؤيدى ، المصارع شادّ بَنْدَر جدَّة قتيلًا بالُحدَيْدَة من بلاد اليمن ، فى خامس عشرين[1] شهر رمضان ، بعد أن فرّ من جُدّة بمال السلطان عاصياً عليه ، فلم يحصل له ما قصد ، وقد أوضحنا أمره وما وقع له من يوم خروجه من جدة إلى يوم موته فى أصل هذه الترجمة ، سِيَاقاً فى أواخر ترجمة الملك الظاهر هذا .

وتُوُفِّىَ قاضى القضاة شيخ الإسلام بدر الدين أبو الثناء ، وقيل أبو محمد بدرُ الدين محمود ابن القاضى شهاب الدين أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العَيْنتابى[2] الحنفى ، قاضى قضاة الديار المصرية ، وعالمها ومؤرخها ، فى ليلة الثلاثاء رابع ذى الحجة ، ودُفن من الغد بمدرسته التى أنشأها تجاه داره بالقرب من جامع الأزهر ، ومولده بِعَيْنتاب فى سنة اثنتين وستين وسبعمائة ، ونشأ بها ، وتفقَّه بوالده بعد حفظه القرآن الكريم ، وكان أبوه قاضى عَيْنتاب ، وتُوُفِّىَ بها فى شهر رجب سنة أربع وثمانين

(١) فى ص « خامس عشر » والمثبت عن ط كاليفورنيا .

(٢) هذه ترجمة قيمة للعينى أستاذ المؤلف وأحد كبار مؤرخى مصر فى القرن التاسع الهجرى ، راجع ترجمته كذلك فى المنهل الصافى للمؤلف وفى الضوء اللامع للسخاوى ، وفى نظم العقيان فى أعيان الأعيان للسيوطى (نشر فيليب حتى ، نيويورك ١٩٢٧ ص ١٧٢) ، وفى بغية الوعاة للسيوطى .

وسبعمائة ، ثم رحل ولده القاضى بدر الدين هذا بعد موته إلى حلب ، وتفقَّه بها ، وأخذ عن العلامة جمال الدين يوسف بن موسى المَلَطى الحنفى وغيره ، ثم قدم لزيارة بيت المقدس فلقى به العلامة علاء الدين العلاء بن أحمد بن محمد السيرامى الحنفى شيخ المدرسة الظاهرية — بَرْقُوق — وكان أيضاً توجّه لزيارة بيت المقدس ، فاستقدمه معه إلى القاهرة فى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، ونزّله فى جملة الصوفية بالمدرسة الظاهرية — بَرْقُوق — ثم قرّره خادماً بها ، ثم وقع له بعد ذلك أمور حكيناها فى ترجمته فى المنهل الصافى ، إلى أن عُرف بين الطلبة ، وفَضُل فى علوم ، وصحب الأمير جَـكَم من عوض [1] ، والأمير قَلَمْطَاى العثمانى الدّوَادار ، وتَغْرِى بَرْدِى القَرْدَمى إلى أن تُوُفِّىَ الملك الظاهر بَرْقوق فى سنة إحدى وثمانمائة ، فولى حسبةَ القاهرة فى مستهل ذى الحجة من السنة ، بسفارة هؤلاء الأمراء عوضاً عن الشيخ تقى الدين أحمد المقريزى ، فمن يومئذ وقعت العداوة بينهما[2] إلى أن ماتا ، ثم صُرف بعد أشهر ، وتولى حسبة القاهرة غير مرّة ، وآخرُ ولايته للحسبة فى سنة ست وأربعين وثمانمائة عوضاً عن يَرْعَلى الخُرَاسَانى — انتهى .

فنعود إلى ما كنا بصدده : ثم ولى القاضى بدرُ الدين هذا نظرَ الأحباس فى الدولة المؤيَّدية ، ولما تَسَلطنَ الملك الأشرف بَرْسِبَاى صَحِبه وَعَظُمَ عنده إلى الغاية ، وصار ينادمه ، ويقرأ له التواريخ من أيام السلف من الوقائع والأخبار ، ويعلمه دينَه ، كان يقرأ له

(١) يجد الباحث فى المصادر التاريخية كثيرا من الأسماء المملوكية الأجنبية متبوعا بحرف الجر « من » يتلوه اسم من الأسماء العربية فى أغلب الأحيان ، كالوارد بالمتن هنا وفيما يلى . وهذه صيغة من صنع المصطلح المملوكى للدلالة على المملوك المجهول أستاذه بسبب من الأسباب ، أى المملوك الذى لم يحدث له أن تولاه أمير من أمراء المماليك بشراء أو تربية أو نسبه إلى اسمه كالمعتاد . ولذا يظل هذا المملوك منسوبا إلى تاجره الذى جاء به إلى مصر أو الشام لبيعه ، كما يظل معروفا بهذه التسمية فى ديوان الاقطاع وغيره من دواوين الحكم . انظر طبعة كاليفورنيا ، معجم الألفاظ الاصطلاحية ، وكذلك السخاوى : الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ٣٤ ، ٤٤ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٧٠ ، وكذلك السخاوى : التبر المسبوك ، ص ١٧٤ ، ١٨٩ .

(٢) هنا إشارة لأسباب الخصومة بين المؤرخين : العينى والمقريزى . راجع كذلك « المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى » للدكتور محمد مصطفى زيادة .

التاريخ باللغة العربية ثم يفسره له باللغة التركية ، وكان فصيحاً فى اللغتين[١] ، وكان الملك الأشرف يسأله كثيراً عن دينه وعما يحتاج إليه من العبادات وغيرها ، فيجيبه القاضى بدر الدين المذكور بعبارة تقرب من فهمه ، حتى لقد سمعت الأشرف يقول غير مره : « لولا العَيْنتَابى لكان فى إسلامنا شىء » .

وولّاه قضاء الحنفية مرّتين ، ومات الأشرفُ وهو قاضٍ ، فعُزل فى الدولة العزيزية بالشيخ سعد الدين سعد الدَّيْرِى ، ولزم داره على نظر الأحباس مدة سنين إلى أن سعى علاء الدين علىُّ بن آقْبَرْسَ فيها ووليها ، فاستقبح الناسُ عليه ذلك من وجوهٍ عديدة ، ثم مات بعد ذلك بمدةٍ يسيرة .

وكان إماماً فقيهاً أصولياً ، نحوياً ، لغوياً ، بارعاً فى علوم كثيرة ، وأفتى ودرّس سنين ، وصنّف التصانيف المفيدة النافعة ، وكتب التاريخ ، وصنّف فيه مصنفات كثيرة[٢] ذكرناها مع جملة مصنفاته فى المنهل الصافى ، يطول الشرح فى ذكرها هنا .

ولما انتهينا من الصلاة على قاضى القضاة بدر الدين هذا بجامع الأزهر ، وخرجنا إلى مشاهدة دفنه ، قال لى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن عبد المنعم البغدادى الحنبلى . « خلا لَكَ البرُّ فَبِيضْ وأصفر[٣] » فلم أُرُدَّ عليه ، وأرسلتُ إليه بعد عَوْدى إلى منزلى ورقةً بخط العَيْنى هذا يسألنى فيه عن شىء سُئل عنه فى التاريخ من بعض الأعيان ، ويعتذر عن الإجابة بكبرسنه وتشتت ذهنه ، ثم أبسط القول فى الشكر والمدح والثناء إلى أن قال : « وقد صار المعوّلُ عليك الآن فى هذا الشأن ، وأنت فارسُ ميدانه ، وأستاذُ زمانه ، فاشكر الله على ذلك » .

---

(١) كان العينى من العلماء القليلين الذين يتقنون اللغة التركية إلى جانب اللغة العربية ، انظر المرجع السابق .
(٢) فى ط كاليفورنيا «وصنف التصانيف فى التاريخ». وانظر مصنفاته فى مقدمة السيف المهند تحقيق فهيم شلتوت
(٣) كذا فى الأصول — وهو يشير إلى قول طرفة بن العبد — وقد صار مثلا :

يالك من قبرة بمعمــــر خلا لك الجو فبيضى وأصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقــرى قد رحل الصياد عنك فأبشرى

(مجمع الأمثال للميدانى ١ : ١٦١ ط مصر) .

وكان تاريخ كتابة الورقة المذكورة فى سنة تسع وأربعين وثمانمائة — انتهى .

وتُوُفِّىَ السيدُ الشريفُ عفيفُ الدين أبو بكر محمد الأيْكى العَجَمى الشافعى نزيلُ مكة المشرفة بِمِنًى فى ثانى يوم من التَّشريق ، وحُمل إلى مكة ، ودُفن بها ، وكانت جنازتُه مشهودة ، وكان الناس فى أمره وصلاحه على أقسام ، رأيتُه بمكة واجتمعتُ به مجلساً خفيفا — رحمه الله .

وتُوُفِّىَ الشيخُ المعتقد الصالح أحمد التُّرابى [1] المصرى فجأة ، فى يوم الجمعة حادى عشر ذى الحجة ، ودُفن بزاويته من الغد ، بالقرب من تربة الشيخ جَوْشَن خارج باب النصر .

وكان رجلا صالحاً ديناً خيراً معتقداً ، وكنت أصحبه ، وكان لى فيه اعتقاد ومحبة — رحمه الله تعالى .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم أربعة أذرع وخمسة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وثمانية أصابع .

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٢٦١) .

السنة الخامسة عشرة من سلطنة الملك الظاهر جقمق على مصر

وهى سنة ست وخمسين وثمانمائة .

فيها أخذ الغَلاء فى انحطاط من الديار المصرية وأعمالها .

وفيها تُوُفِّىَ الشيخُ الإمامُ العـلّامة علاء الدين علىٌّ ابن الشيخ قُطْب الدين أحمد القَلْقَشَنْدى(١) الشافعى ، أحد فقهاء الشافعية ، فى يوم الاثنين مستهل المحرم ، ودُفن من الغد فى يوم الثلاثاء خارج القاهرة ، ومولده بالقاهرة فى ذى الحجة سـنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، ونشأ بها ، وحفظ عِدَّة متون فى مذهبه ، وتفقَّه بعلماء عصره ، مثل شيخ الإسلام السِّرَاج البُلْقينى ، وولده قاضى القضاة جلال الدين ، والعلّامة عز الدين بن جَماعَة ، أخذ عنه المعقول ، وعن الشيخ الإمام العلّامة فريد عصره علاء الدين محمد البُخَارى الحنفى ، وقاضى القضاة شمس الدين محمد البُسَاطى(٢) المالكى ، وغيرهم ، وبرع فى عدة علوم(٢) وأفتى ودرَّس،وتولّى عِدَّةَ تداريس ، ورُشِّح لقضاء الديار المصرية غير مرّة ، وسُئل بقضاء دمشق فامتنع ، وتصدَّى للاشتغال سنين ، وانتفع به جماعة من الطلبة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الإمامُ المقرئُ ناصر الدين محمد بن كُزُل بُغا(٣) الحنفى ، إمام المدرسة الأشرفية(٤) بالعَنْبَرِيِّين(٥) ، فى يوم الأحـد تاسع عشر صفر ، وهو فى عشر الخمسين ،

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٥ : ١٦١—١٦٣) وولد سنة ٧٨٨ ﻫ .

(٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن محمد بن عليم — القاضى شمس الدين أبو عبيد الله البساطى نسبة لقرية تسمى بالبساط من قرى الغربية ، ويقال لها بساط الروض . وسماها ياقوت فى المشترك «بسوط» ولد سنة ٧٦٠ ﻫ وتوفى سنة ٨٤٢ ﻫ (السخاوى — الذيل على رفع الإصر ٢٢٠) وله ترجمة فى الضوء اللامع للسخاوى أيضا (١١ : ١٩٠) .

(٣) له ترجمة فى (السخاوى— الضوء اللامع ٨ : ٢٩٤—٢٩٥) ، وولد فى أوائل القرن .

(٤) وهى مدرسة الملك الأشرف برسباى ، وقد بناها أثناء توليه السلطنة فى الفترة من سنة ٨٢٥—٨٤١ ﻫ (على مبارك — الخطط ١ : ٤٤ ، ٤٥ ، ج ٢ : ٢٣) .

(٥) سوق العنبريين : هذا السوق فيما بين الحريريين وبين قيسارية العصفر . وهى تجاه الخراطين . وكان فى الدولة الفاطمية يعرف بسجن المعونة . ثم هدمه المنصور قلاوون وبناه سوقا أسكنها بياعى العنبر . (المقريزى — الخطط ٢ : ٤٧٤) .

ومات ولم يخلف بعده مثله فى القراءات وحسن التأدّى ، لاسيما فى قراءة المحراب فإنه كان من الأفراد فى ذلك ، وكان أبوه من مماليك الأمير أُلْطُنْبُغَا الجوبَانى نائب دمشق — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ عظيمُ الديار المصرية وعالمها ورئيسها كمال الدين أبو المعالى محمد ابن العلّامة القاضى ناصر الدين أبى المعالى محمد ابن القاضى كمال الدين محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله البَارِزِى[1] الحموِى الجُهَنى الشافعى ، كاتب السرّ الشريف بالديار المصرية ، وابن كاتب سِرّها ، وصِهر السلطان الملك الظاهر جَقْمَق ، بداره بخط الخرّاطين[2] من القاهرة ، فى يوم الأحد سادس عشرين صفر ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه بمصلاة المُؤمنى ، ودُفن عند والده بالقَرَافة الصُّغْرى تجاه شباك الإمام الشافعى — رضى الله عنه .

سألته عن مولده ، فقال : بحَمَاة فى ذى الحجة سنة ستّ وتسعين وسبعمائة .

قلتُ : ونشأ بها تحت كَنَف والده ، وحفظ القرآن العزيز ، وصلى التراويح بالناس فى الدّيار المصرية لما قدم مع والده سنة تسع وثمانمائة ، ثم عاد مع والده إلى حَمَاة ، وحفظ التميز[3] فى الفقه ، وقَرَأهُ على الحافظ برهان الدين إبراهيم الحلبى المعروف بالقوف[4] .

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ٢٣٦) وقد ولد سنة ٧٩٦ هـ .

(٢) خط الخراطين : يسلك فيه من سوق المهاميز إلى الجامع الأزهر وغيره ، وكان قديما يعرف بعقبة الصباغين ، ثم عرف بسوق التشاشين ، وكان فيما بين دار الضرب والوكالة الآمرية وبين المارستان ، ثم عرف بالخراطين ، واغتصب بعضه جمال الدين الاستادار — فى عصر الناصر فرج بن برقوق — وشرع فى عمارته ولكنه عوجل بالقتل قبل أن يكمله. (المقريزى — الخطط ٢ : ٤٧ ط الشعب بمصر) ومكانه حاليا شارع الصنادقية وما جاوره من الجانبين (على مبارك — الخطط ٢ : ٢٦) .

(٣) كتاب التمييز فى فقه الشافعية . ألفه شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزى الحموى الشافعى المتوفى سنة ٧٣٨ هـ وعليه شرح لبهاء الدين محمد بن على الأنصارى المتوفى سنة ٧٥٣ هـ (حاجى خليفة — كشف الظنون ١ : ٤٨٥) .

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن خليل — البرهان أبو الوفاء الطرابلسى الأصل — طرابلس الشام — الحلبى المولد والدار الشافعى — سبط ابن العجمى — ويعرف البرهان بالقوف لقبه به بعض أعدائه ، وكان يغضب منه . ولد سنة ٧٥٣ هـ . وتوفى سنة ٨٤١ هـ. (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ١٣٨—١٤٥) .

ثم قدم إلى الديار المصرية مع والده أيضاً بعد قتل الملك الناصر فَرَج فى سنة خمس عشرة وثمانمائة ، وتفقَّه بقاضى القضاة ولى الدين أحمد العِرَاقى[1] ، وأخـذ المعقول عن العلّامة عز الدين بن جَمَاعَة[2] ، وعن تلميذه ابن الأديب ، وأخـذ أيضاً عن قاضى القضاة شمس الدين البُسَاطى المالـكى ، وعن العـلّامة البارع الزاهد علاء الدين محمد البُخَارى الحنفى ، ولازمه كثيراً وانتفع بدروسه ، وأخذ النحو فى مبادئ أمره عن الشيخ يحيى العجيسى المغربى[3] وغيره ، وسمع البخارى من عائشة بنت عبد الهادى[4] ، واجتهد فى طلب العلم وساعده فى ذلك الذكاء المفرط ، والذهن المستقيم والتصور الصحيح ، حتى برع فى المنطوق والمفهوم ، وصارت له اليد الطولى فى المنثور والمنظوم ، لاسيا فى الترسل والإنشاء والمكاتبات ، فإنه كان إمام عصره فى ذلك ، هذا مع ما اشتمل عليه من العقل والعراقة والسكون والسؤدد والـكرم والإكرام وسياسة الخلق وحسن الخلق ، والرئاسة الضخمة ، والفضل الغزير .

وباشر كتابة السّر فى أيام والده نيابة عنه ، وعمره نيف على عشرين سنة .

ثم استقل بالوظيفة نيفاً على ثلاثين سـنة ، على أنه صرف عنها غير مرة المُدّة الطويلة .

---

(١) هو أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبى بكر بن إبراهيم — ولى الدين أبو زرعة بن الزين المهرانى الناهرى — المعرف كأبيه بابن العراقى ،ولد سنة ٧٦٢ هـ . وتوفى سنة ٨٢٦ هـ. (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ٣٣٦-٣٤٤) .

(٢) هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة من صخر الكنانى الشافعى ، ولد سنة ٦٩٤هـ. وتوفى سنة ٧٦٧ هـ. (السبكى — طبقات الشافعية ط الحسينية) .

(٣) هو يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن صالح بن على بن عمر بن عقيل بن رزمان بن عجنق بن يحيى ابن أبى القسم — الشرف الكندى العقيلى وينسب إلى جده العجيسى . المنسوب إلى عجيس بن امرىء القيس ابن معبد بن المقداد — أو لأرض عجيسة . ولد سنة ٧٧٧ هـ. وتوفى سنة ٨٦٢ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٢٣١-٢٣٣) .

(٤) فى ص بنت المهادى . وما أثبتناه عن ط كاليفورنيا — وهى عائشة بنت محمد بن عبد الهادى ابن عبدالحميد بن عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة بن مقدام — أم محمد القرشى العمرى المقدسى — ولدت سنة ٧٢٣ هـ . وتوفيت سنة ٨١٦ هـ . (السخاوى — الضوء اللامع ١٢ : ٨١) .

وأول ولايته لكتابة السرّ فى يوم السبت خامس عشرين شوال سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة فى الدولة المؤيَّديّة شَيْخ ؛ تلقَّاها عن والده القاضى ناصر الدين بعد موته ، واستمرّ فى الوظيفة إلى أن صُرِف عنها بصهره علم الدين داود بن الكُوَيْز ناظر الجيوش بالديار المصرية ، واستقرّ القاضى كال الدين هذا فى الوظيفة ونظر الجيش عوضاً عن علم الدين المذكور — أعنى أن كلاًّ منهما أخذ وظيفة الآخر — وذلك فى محرم سنة أربع وعشرين ، فباشر وظيفةَ نَظَر الجيش إلى أن صُرِف عنها بعبد الباسط بن خليل الدمشقى فى يوم الاثنين سابع ذى القعدة من سنة أربع وعشرين المذكورة ، فلزم القاضى كالُ الدين هذا دارَه على هيئة عمله من الحَشَم والخَدَم والإحسان لمن يَرِدُ عليه من كلّ طائفة ، وأكبّ على الاشتغال وطلب العلوم مدّة سنين إلى أن طلبه الملكُ الأشرف بَرْسِباى فى يوم سابع شهر رجب سنة إحدى وثلاثين ، وخلع عليه باستقراره فى كتابة سرّ دمشق بعد موت بدر الدين حسين ، فتوجه إلى دمشق وباشر كتابةَ سِرِّها مدّة إلى أن قَدِم القاهرة صُحْبَةَ الأمير سُودون مِنْ عبد الرحمن نائب دمشق ، وعُزِل سُودون وتولّى جَار قُطْلُو نيابةَ دمشق ، فَخَلَعَ السلطانُ عليه بقضاء دمشق مضافاً لكتابة سرّها ، وكان ذلك فى يوم الأربعاء مستهل شعبان سنة خمس وثلاثين ، فباشر الوظيفتيْن معاً ، وحَسُنَتْ سيرتُه وأحبّه أهل دمشق .

ومن غريب ما اتفق فى ولايته لقضاء دمشق أن العلّامة علاء الدين البخارى(١) كان إذا ولى أحدٌ من طلبتِهِ القضاء أو الحِسْبَةَ يغضبُ عنه ويمنعهُ من دروسه ، فلمّا بلغه ولايةُ القاضى كال الدين هذا فَرِحَ ، وقال : « الآن أَمِنَ الناسُ على أموالهم ونفوسهم » ، وناهيك بقول الشيخ علاء الدين هذا فى حقّه .

واستمر على وظيفتيْه بدمشق إلى أن طُلب إلى الديار المصرية ، وولى كتابةَ سِرِّها بعد عزل الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المَنَاخ فى يوم السبت العشرين

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد العلاء أبو عبد الله البخارى العجمى الحنفى ولد سنة ٧٧٩ هـ . وتوفى سنة ٨٤١ هـ . انظر (السخاوى – الضوء اللامع ٩ : ٢٩١–٢٩٤) .

من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وثمانمائة[1] ، فباشر الوظيفةَ مدَّةً إلى أن صُرِفَ عنها بالشيخ محبِّ الدين بن الأشْقَر فى يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع وثلاثين . .

ولزم المقرُّ الكَمالى دارَه إلى أن أُعيـد إلى قضاء دمشق مسئولا فى ذلك فى يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب سـنة أربعين وثمانمائة ، فباشر قضاء دمشق ثانياً ، وخَطَبَ بالجامع الأموى ، وكتب إليه الشَّرَفِى يحيى بنُ العطَّار[2] وهو بدمشق : [البسيط]

ياسَيِّدًا جَـدَّ بالنَّوَى لى   وطال ما جاد بالنَّوالِ
مِنْ مُنْذُ سافرتَ زاد نقصى   يا طولَ شَوْقى إلى الـكَمال

فأجابه القاضى كمال الدين المذكور وأنشدنيها من لفظه لنفسه — رحمه الله تعالى . [الطويل]

خيَالُكَ فى عَيْنَىَّ يؤنِسُ وحدَتى   على أنَّ داءَ الشوْقِ فى مهجتى أعْيَا
فإن مات من فَرْطِ اشتياقى تَصَبُّرى   أُعلله بالوَصْلِ من سـيدى يحيى

ومن شعره — رحمه الله — أيضاً ما كتبه على سيرة ابن ناهض بعد كتابة والده القاضى ناصر الدين [الرجز]

مَرَّتْ على فهمى ، وحلو لفظها   مكرَّرٌ ، فـما عسى أنْ أصْنَعَا
ووالدى دَامَ بقَا سؤدُده   لم يُبْقِ فيها للـكمال مَوْضِعَا

وله أشياء غير ذلك ذكرناها فى غير هذا المحل .

واسـتمر [القاضى كمال الدين][3] على قضاء دمشق إلى أن طُلب من دمشق إلى

(١) فى ص « ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة» والمثبت من ط كاليفورنيا .
(٢) هو يحيى بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبدالرحمن بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر . الشرف التنوخى الحموى . القاهرى الشافعى ، ولد سنة ٧٨٩ هـ . وتوفى سنة ٨٥٣ هـ . (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٢١٧ — ٢٢١) .
(٣) إضافة للتوضيح .

الدّيار المصرية فى الدّولة العزيزية — يوسُف — لحضر بعد سلطنة صِهْرِه الملكِ الظاهرِ جَقْمَق ، وطلع إلى القلعة بعد أن احتفل وجوه الدولة إلى ملاقاته ، وخُلع عليه باستقراره فى كتابة السرّ على عادته بعد عزل الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ، وذلك فى يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين ، وهـذه ولايته الثالثة لـكتابة السرّ .

واستمر فى الوظيفة على[١] أمور وقعت له — ذكرناها فى الحوادث — إلى أن مات فى التاريخ المقدم ذكره بعد أن باشر الوظيفة[١] على طريق وزراء السّلف من الملوك فى الإنعام والعطايا والبرّ والصدقات والرواتب والإحسان للفقهاء والفقراء ، بل وإلى غالب مَنْ ورد عليه وتردّد إلى بابه كبيراً كان أو صغيراً ، غنيًّا كان أو فقيراً ، حتى شاع ذكرُه وبَعُدَ صيتهُ ، وقَصَدَهُ الناسُ من الأقطار ، وهو مع ذلك لا يَكِلُّ ولا يَملُّ ، بل يجود بما هو فى حاصله ، وبما عساه يدخل إليه .

ولقد حدّثنى غير مرّة أنه لم يُستَحَقّ عليه منذ حياته زكاة عَيْن ، قلت : « فلله دَرُّه ، لقد استحق قول الشيخ جمال الدين بن نُبَاتة فى ممدوحه الملك المؤيَّد إسماعيل صاحب حماة حيث قال : [الرجز]

لا ظلمَ يُلْفَى فى حِماه العالى ... إلا على العداة والأموال

ولما حجّ فى سنة خمسين وثمانمائة ، وحجت فى تلك السنة أيضاً كريمته خَوَنْد زوجة السلطان الملك الظّاهر جَقْمَق ، وسافرا معاً فى الرّكب الأوّل ، فظهر للناس من علوّ همّته ، وغزير مروءته ، وعظيم إحسانه ، ما لعلَّه يُذكر إلى الأبد ، ولقد حدثنى بعضُ أعيان مكة أنه كان إذا وقف على أخبار البرَامكةِ وغيرهم ينكر ذلك بقلبه ، حتى رأى مافعله القاضى كمال الدين هذا من الإحسان إلى أهل مكة وغيرهم ، فعند ذلك تحقّق ما قِيل فى سالف

(١-١) ما بين الرقمين ساقط من «ص» والإثبات عن ط كاليفورنيا .

الأعصار ، قلت : « وهو أعظم مَنْ رأينا وأدركنا ، ولله الحمد والمنّة على إدراكنا لمثل هذا الرّجل الذى مات ولم يخلف بعده مثله — رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وتُوُفِّىَ الشيخُ الإمامُ العالم زين الدين طاهر بن محمد بن على النُّوَيْرِىّ[١] المالكى أحد فقهاء المالكية بالقاهرة ، فى يوم الاثنين خامس شهر ربيع الأول ، وسِنُّه نيِّف على ستّين سنة تقريباً ، وكان إماماً عالماً فقيهاً ديِّناً صالحاً — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الملكُ الكاملُ[٢] خليل بن الملك الأشرف أحمد بن الملك العادل سليمان ، صاحب حصن كَيْفا[٣] من ديار بكر ، قتيلاً بيد ولده فى شهر ربيع الأول .

وتولى ولدُه المذكور المُلْكَ من بعده ، ولُقِّب بالملك الناصر[٤] ، ودام فى مملكة الحصن إلى شهر رمضان من السنة المذكورة ، فوثبَ عليه ابنُ عمه الملك حسن وقتله ، وسلطن أخاه أحمد ، ولقَّبه بلقب أبيه المقتول الملك الكامل .

وكان الملك الكامل خليل — صاحب الترجمة — مَلَكَ الحِصْنَ بعد قتل أبيه الملك الأشرف فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، وقد ذكرنا واقعةَ أبيه الأشرف فى ترجمة الملك الأشرف بَرْسِبَاى لما أرادَ القدوم عليه ، وقُتل بيد أعوان قَرايُلُك — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين[٥] أُلْطُنْبُغَا بن عبد الله الظاهرى المعلم اللفَّاف ، أحد أُمراء الألوف بالدّيار المصرية — بَطَّالاً — فى يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الآخر ، وكان أصلُه من صغار مماليك الملك الظاهر بَرْقُوق ، وطالت أيّامه فى الجنديَّة إلى أن

(١) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٤ : ٥–٦) . وولد سنة ٧٩٠ هـ .
(٢) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٣ : ١٩١–١٩٢) .
(٣) حصن كيفا : قلعة حصينة شاهقة بين جزيرة ابن عمر وميافارقين ، وانظر (ج ٥ : ٣٢٨ ، ج ١٢ : ١٦٢ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .
(٤) انظر ترجمة الأميرين الأيوبيين فى (الحنبلى – شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب – صور شمسية بمكتبة جامعة القاهرة) .
(٥) له ترجمة فى (السخاوى . الضوء اللامع ٢ : ٣٢٠) .

عُمَرٍ وتسلطن الملك الظاهر جَقْمَق ، فقرَّبه وأنعم عليه بإقطاعٍ هائل ، بعد مسك قَلَمْطَاى الإسْحَاقِى[1] ، ثم بعد مدة يسيرة أمَّره عَشرَة ، ثم زاده زيادات كثيرة ، وولّاه[2] نيابة الإسكندرية ، ثم عزله بعد مدّة ، وجعله من جملة مقدّمى الألوف بالديار المصرية ، فباشر ذلك إلى أن عجز عن الحركة لـكبر سِنّه واستعفى ، فأخرج السلطانُ إقطاعَه لولده المَقَام الفَخْرى عثمان زيادةً على ما بيده ، فلم تَطُلْ مدّةُ ألْطُنْبُغَا هذا بعد ذلك ومات ، وكان عاقلا ديِّناً خبيراً عارفاً بأنواع الفروسيّة[3] ، رأسا فى لعب الرُّمْح مُعَلِّما فيه ، ولهذا كان شهرته بالمُعَلِّم — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين بَرْسِبَاى بن عبد الله السّاق المؤيّدى أحد أمراء العشرات ، فى يوم الجمعة سابع عشرين جمادى الأولى ، وأنعم السلطان بإمْرَتِهِ على الأمير جانَم الظاهرىّ السّاقى[4] ، وكان بَرْسِبَاى رجلا عاقلا ساكنا حَشِماً وَقُوراً[5] — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأمير جمال الدين يوسف بن يَغْمُور[6] نائب قلعة صَفَد بها فى أوائل شعبان ، وكان مولدُه بالقاهرة[7] ، وتشتّت بالبلاد إلى أن قَدِمَ القاهرة بعد موت الملك المؤيّد

---

(١) هو قلمطاوى الإسحاقى الأشرفى برسباى ، صهر الجمال يوسف بن تغرى بردى (المؤلف) وأحد أمراء العشرات ، مات فى عاشر محرم سنة ٨٧٧ هـ. (السخاوى – الضوء اللامع ٦ : ٢٢٤) .

(٢) أشار و. پوپر فى ط كاليفورنيا ٧ : ٣٧٤ أن كتاب الحوادث أضاف «زيادة على ما بيده عوضا عن سودون المغربى الظاهرى– برقوق – بعد نفيه ، ثم بعد يسير أنعم عليه بإمرة طبلخاناه زيادة على ما بيده عوضا عن أقطوه الموساوى الظاهرى – برقوق – بعد نفيه أيضا . ثم ولاه – الخ – » .

(٣) أضاف و. پوپر فى ط كاليفورنيا عن كتاب الحوادث « عفيفا عن المنكرات والفروج ، وعنده سلامة باطن ، وقلة معرفة فى كل شىء حتى إنه كان يضعف رأيه عن مباشرة إقطاعه» .

(٤) أشار پوپر فى ط كاليفورنيا ٧ : ٣٧ إلى أن كتاب الحوادث أضاف «وكان أصله من مماليك المؤيد ، وصار خاصكيا فى الدولة الأشرفية ، ثم ساقيا فى الظاهرية ، ثم أنعم عليه الظاهر أيضا بإمرة عشرة بعد موت إينال الكمالى الناصرى . فاستمر حتى مات» .

(٥) أضاف و. پوپر عن كتاب الحوادث «دينا نادرة فى أبناء جنسه» .

(٦) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ١٠ : ٣٣٨) .

(٧) أضاف و . پوپر عن كتاب الحوادث « فى حدود التسعين وسبعمائة – تخمينا – ونشأ بها . وقاسى خطوب الدهر ألوانا فى الدولة الناصرية فرج » .

شَيْخ ، وترقَّى إلى أن وَلِىَ نيابة قلعة صَفَد ، ثم نُقل إلى أتَابَكية صَفَد ، ثم[١] أُعيد إلى نيابة قلعتها[٢] ثانيا ، إلى أن مات ، وكان عارفا مدبِّرا سَيُوساً عاقلا — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الإمام العالم العلاَّمة زينُ الدين عمر ابن الأمير سيف الدين قُدَيْد القَلَمْطَاوِى[٣] بمكّة المشرّفة فى مجاورته فى ثامن[٤] عشر شهر رمضان ، وسنُّه ثمان وستون سنة ، وكان إمامَ عصره فى النحو والعربيّة والتَّصريف ، وله مشاركة كبيرة فى فنون كثيرة ، وكان يتزَّيا بزِىِّ الأجناد ، ويتقلَّلُ فى ملبسه ، ولا يتعاظم فى أحواله ، ويركب الحمار مع عراقته فى الرِّياسة وتَبَحُّرِهِ فى العلوم ، حتى إنه مات ولم يخلف بعده مثله فى علم العربيّة والتَّصريف .

وتُوُفِّىَ الأميرُ الطَوَاشِى زينُ الدين خُشْقَدم الرُّومى اليَشْبُكى[٥] ، مُقَدم المماليك السّلطانيّة — بطَّالاً — بداره التى أنشأها بالقرب من قنطرة[٦] طُقُزْ دَمُر خارج القاهرة ، فى ليلة الأربعاء ثامن عشر شوال ، وسنُّه نيف على سبعين سنة ، وكان أصلُه من خُدَّام الوالد[٧] ، وقدَّمه فى سنة تسع وتسعين إلى الملك الظّاهر بَرْقُوق فى جملة خُدَّام ومماليك ، فأنعم به الظاهر على فارس الحاجب ، ثم ملكه بعد فارس الأمير يَشْبُك الشَّعْبَانى الأَتابكى وأعتقه ، ثم اتَّصل بعد موت أستاذه بخدمة السلطان ، وصار من جملة الجمدَارِيَّة الخاص ، ثم نقل إلى نيابة المقدم[٨] ، ودام بها سنين إلى أن ولى تقدمة

(١) أضاف و. پوپر فى ط كاليفورنيا ٧ : ٣٧٦ عن كتاب الحوادث « تولى عوضه بيسق اليشبكى إلى أن قدم الجمالى يوسف المذكور إلى القاهرة وهو يتفق مع ما فى ترجمته فى الضوء اللامع .

(٢) أى نيابة قلعة صفد كما فى الضوء اللامع .

(٣) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٦ : ١١٣–١١٤) ولد سنة ٧٨٥ هـ .

(٤) فى ص «ثانى عشر» .

(٥) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٣ : ١٧٤) وينسب إلى يشبك الشعبانى الأتابكى .

(٦) قنطرة طقز دمر : انظر فى التعريف بها (ج ٩ : ١٩٥ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

(٧) أضاف و. پوپر فى ط كاليفورنيا ٧ : ٣٧٦ عن الحوادث «المقر الأتابكى تغرى بردى ، واشتراه فى نيابته لحلب قبل الثمانى مائة » .

(٨) أى نيابة تقدمة المماليك فى عصر الظاهر (السخاوى – الضوء اللامع ٣ : ١٧٤) .

المماليك السلطانية بعد موت الافتخارى ياقوت الأرْغُونْ شَاوِى ، فى سنة ثلاث وثلاثين [١] ، فدام على ذلك الى أن قبض عليه الأتابك جَقْمَق العلائى ، وحبسه بثغر الإسكندرية مع من حبس من الأمراء الأشرفية وغيرهم .

ثم أطلق ، وتوجَّه الى دِمْياط ، فدام بها مدّة ، ثم نُقل إلى المدينة الشريفة ، وبعد مدّة قدم إلى القاهرة فدام بطَّالا إلى أن مات .

وكان طوالا حَشِماً متعاظما ، صاحب سطوة ومهابة وحُرْمة زائدة ، مع طمع كان فيه وشمم ، مع عدم فضيلة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين طُوغان[٢] السَّيْفى آقْبَرْدِى المِنْقَار نائب الكَرَك قتيلا بيد العُرْيان فى هذه السّنة ، وهو من الأصاغر الذين أنشأهم الملك الظاهر جَقْمَق فى أوائل دولته ، ولم أعرفه قبل ذلك ولا أعرف مُعْتِقَه ، بل قيل إنه من مماليك آقْبَرْدِى المِنْقَار ، وقيل نَوْرُوز الحافظىّ ، والأوّل أقرب .

وتُوُفِّىَ القاضى جمالُ الدين يوسفُ بن الصَّفِىّ الكَرَكِىّ المالكى القِبْطى[٣] بطَّالا بدمشق فى هذه السّنة ، عن سنٍّ عالٍ ، بعد أن ولى نظر جيش طرَابُلُس وكتابة سرّ مصر فى بعض الأحيان بعد موت عَلَم الدين داود بن الكُوَيْز ، ثم عُزِل عنها لعدم أهليّته ، وولى عدة وظائف بالبلاد الشّاميّة إلى أن كَبِرَ سِنُّه وعجز عن المباشرة ، فتعطَّل إلى أن مات ، وقد قدَّمنا من ذكره نبذةً عند ولايته كتابة السِّرّ بمصر فى ترجمة الملك الأشرف بَرْسِبَاى ، فلينظر هناك .

(١) أى فى عهد الأشرف برسباى – المرجع السابق – وفى نفس الوظيفة السابقة
(٢) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٤ : ١٢) .
(٣) كذا فى ص «المالكى القبطى» وفى ط كاليفورنيا «الملكى» ، وله ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ١٠ : ٣٠٠) ، ونسبته إلى الصف من الأعمال الأطفيحية – ثم القاهرى المالكى .

وفرغت هذه السّنة والملك الظاهر جَقْمَق مريضٌ مَرَضَهُ الذى مات منه بعد خَلْعِهِ فى صفر حسبما تقدّم ذكرُه، رحمه الله تعالى ، وتَسَلْطَنَ ولدُه الملكُ المنصورُ عثمان فى حياته .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم خمسة أذرع وأربعة وعشرون إصْبعا ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا .

ذكر سلطنة الملك المنصور عثمان
على مصر

السّلطان الملك المنصور أبو السّعادات فخر الدين عثمان ابن السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبى سعيد جَقْمَق العلائى الظاهرىّ .

وهو الخامس والثلاثون من ملوك مصر الأتراك ، والحادى عشر من الجرَاكسةِ .

تسلطن بعد أن خلع أبوه الملك الظاهر جَقْمَق نفسَه عن المُلْك ، وحضر الخليفةُ القائم بأمر الله حمزةُ ، والقضاةُ الأربعة ، وجميعُ الأمراء ، وأعيانُ الدولة بقاعة الدّهيشَة[١] من قلعة الجبل ، وبايعوه بالسلطنة فى الثانية من نهار الخميس الحادى والعشرين من محرم سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، وكانت البيعة له بالسلطنة فى الثانية من نهار الخميس بعد طلوع الشمس بخمس وعشرين درجة ، ولبس الخلعة على العادة ، وركب من الدهيشة وعليه السواد الخَليفَتِى بشعار المُلْك وأبهة السلطنة على نحو ثلاثين درجة من طلوع الشمس[٢] .

وسار وبين يديه الأمراء وأعيان المملكة[٢] إلى أن نزل بالقصر السلطانى ، وحمل الأمير الكبير إينَال العَلائى الناصرى القبَّةَ والطَّيْرعلى رأسه ، إلى أن جلس على تخت الملك ، وقبَّل الأمراء الأرضَ بين يَدَيْه ، وخلع على الخليفة القائم بأمر الله حمزة ، وعلى الأمير الكبير إينَال المذكور ، على كل منهما أطْلَسَيْن مُتَمَّرا[٣] ، وفرسا بسرج ذهب ، وكُنْبُوش[٤] زَرْكَش ، وأنعم على الخليفة بألف دينار ، وبإقطاع هائل زيادة على ما بيده .

(١) قاعة الدهيشة : قاعة كبيرة مرتفعة البناء تدهش الناظر إليها ، عمرها الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن محمد بن قلاوون ، وكانت تقع فى الجهة الشرقية من جامع القلعة (ج ١٠ : ٨٩–٩٠ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

(٢–٢) ما بين الرقمين ساقط من ص والإثبات عن ط كاليفورنيا .

(٣) المتمر : هو شاش حرير من عمل الإسكندرية مموج بالذهب ، وسماه المقريزى بالمثمر بالثاء (المقريزى– الخطط ٢ : ٢٢٧ – ٢٢٨) .

(٤) الكنبوش هو البرذعة تجعل تحت سرج الفرس (محيط المحيط) ، ومن معانيه أيضا اللثام الذى يستعمله أهل بلاد المغرب لتغطية الوجه من الذقن إلى الخيشوم ، اتقاء لبرودة هواء الصباح ورطوبته . انظر (Dozy : Seeff Dict. arab)

وتمَّ أمرُه فى السلطنة ، ولُقِّب بالملك المنصور ، وعمرهُ يومئذ نحو الثمانى عشرة سنة تخمينا .

وكان الطالعُ عند بيعته بالسلطنة سبعاً وعشرين درجة من بُرْج الحُوت ، والغارب بُرْج السّنبلة ، والمتوسطُ بُرْجُ القَوْس ، والسّاعة ساعة المرِّيخ ، والقمرُ بالوجه الثالث من بُرج العَقْرَب .

واستمرّ الملك المنصور بالقصر السلطانى ساعة ، ثم عاد إلى منزله بالحُوش السلطانى من قلعة الجبل ، وهذا بخلاف عادة الملوك ، لأن العادة جَرَتْ أنّ السّلطان إذا تسلطن يمكثُ بالقصر ثلاثة أيام بلياليها ، وعنده أعيان الأمراء والخَاصِّكيَّة ، فأبطل ذلك كلَّه الملكُ المنصور ، وعاد من يومه ، لكون والده على خطة وهو حاضر الحس ، وفعل ذلك مراعاة لخاطره .

ثم فى يوم السبت ثالث عشرين[1] المحرم جلس الملكُ المنصور على الدِكَّة بالحُوش السلطانى[2] ، وحضر الأمير دُولاَتْ بَاى المحمودى[3] الدَّوَادَار الكبير أمير حاج المحمل إلى بين يديه ، وقبَّل الأرض ، وخُلع عليه ، ونزل إلى داره[4] .

ثم أصبح يوم الأحد طلع المَقَامُ الغَرْسِى خليلُ ابن السلطان الملك الناصر فرج[5] إلى القلعة ، وقد حضر أيضا من الحج ، وسلَّم على الملك المنصور ، فأقبل عليه المنصورُ ، وخلع عليه كَامِلِيَّة صوف بنفسجى بمقلب بفروسَمُّور[6] ، ثم خرج من عنده ودخل إلى

---

(١) فى ص «ثالث عشر» وهو خطأ — والإثبات عن ط كاليفورنيا .

(٢) أضاف و. پوپر فى ط كاليفورنيا ٧—٣٨٠ عن كتاب الحوادث «الملاصقة لباب البحرة من الحوش»

(٣) فى ص «المجمدى» .

(٤) أضاف و . پوپر فى ط كاليفورنيا ٧ : ٣٨٠ عن كتاب الحوادث « وعلى ولديه كل منهما كاملية ، ثم خلع على عيسى بن عمر الهوارى أمير عربان الوجه القبلى وعلى جماعة من مشايخ العربان باستمرارهم على عوائدهم» .

(٥) أضاف و. پوپر عن كتاب الحوادث «من تربة جده الظاهر برقوق» .

(٦) فرو سمور : السمور حيوان ثديى ليلى من آكلات اللحوم ويتخذ من جلده فراء ثمين ، ويعيش شمالى آسيا (معجم الوسيط) .

الملك الظاهر جَقْمَق ، وعاده وسَلَّم عليه بقاعة الدّهيشَة[1] ، وقبل أن ينزل رسم له الملكُ المنصورُ بالتَّوَجّه من يومه إلى ثغر دِمْياط .

وكان الملك الظاهر جَقْمَق لما استقدمه من الإسكندرية للحج أطمعه بالسُّكنى فى القاهرة ، فنزل خليل المذكور إلى تُرْبَة جَدِّه الملك الظاهر بَرْقُوق بالصحراء ، وسافر منها ليلته إلى دِمْياط .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشرين المحرّم أنعم السّلطان الملك المنصور بإقطاعه الذى كان بيده أيام أبيه على الأمير تَنَمْ من عبد الرزّاق أمير مجلس .

وأنعم بإقطاع تَنَمْ — وهو أيضا تقدمة ألف — على الأمير يونس الأَقْبَائى شاد الشَّرَاب خَانَاه .

وأنعم بإقطاع يونس على الأمير جَانِبَك القَرَمَانِى — الظاهرىّ بَرْقُوق — ثانى رأس نوبة ، والإقطاع إمْرَة أربعين طَبْلَخَانَاه .

وأنعم بإقطاع جَانِبَك القَرَمَانِى على الأمير يَشْبُك الناصرى[2] ، وهو أيضا إمْرَة أَرْبعين .

وأنعم بإقطاع يَشْبُك الناصرى — وهو إمْرَة عَشَرَة — على الأمير كُزُل السُودُونى المُعَلِّم ، وكان بَطَّالا .

ثم فى يوم الثلاثاء سادس عشرينه حضر الملك المنصور خِدْمَة القصر على العادة قديما ، لأن والده الملك الظاهر كان أبطل خِدْمَتَىْ السبت والثلاثاء من القصر .

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ط كاليفورنيا ٧ : ٧٨١ عن كتاب الحوادث «كما فعل دولات باى بالأمس».

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ط كاليفورنيا ٧ : ٣٨١ — عن كتاب الحوادث «أحد أمراء العشرات ورأس نوبة» .

وخلع على الأمير لاجين الظاهرىّ الزَّرَدْكاش و لَالَاة[1] الملك المنصور باستقراره شَاد الشَّرَاب خاناه عوضا عن يونس المقدّم ذكره .

وخلع على جَانبَك قَرَا الظاهرىّ — جقْمَق — أحد أمراء العَشَرَات ورأس نوبة باستقرارة زَرَدْكاشًا عوضًا عن لاجين المذكور .

ثم توجّه الملك المنصور من القصر إلى البحرَة بالُحوش السلطانى ، وطلب به مُبَاشِرى الدولة ، وحضر الأمير قَانِى بَاى الجارْكَسى الأمير آخُور الكبير، والطَّوَاشى فَـيْرُوز الرُّومى النَّوْرُوزِى الزّمام والخازِنْدَار ، وكلَّمهم فى أمر المماليك السلطانيّة ، ومن أين تكون النفقة عليهم ، لأن الملك الظاهر لم يَدَعْ فى الخزائن شيئًا ، وطال جلوسهم عنده إلى قريب الظهر ، وانفضّ المجلس بعد كلام طويل ، واختلفت الأقوال فيما وقع فيه من الكلام ، ومحصول ذلك كله أن السلطان شكا للجماعة قِلَّةَ وجود المال بالخِزَانة السلطانية ، وسألهم فى المساعدة فى أمر النفقة ، فدار الكلام بينهم فى ذلك، إلى أن التزم كلٌّ منهم بحمل شىء مساعدةً له فى نفقة المماليك ، وانفضّ المجلس بعد أمور حكيناها فى الحوادث .

ثم فى يوم الخميس ثامن عشرين المحرّم خلَعَ السلطانُ على الأميرجَانبَك الظَّاهرىّ بالتكلم على بندر جدّة على عادته فى كل سنة ، وخلع على عدّة من الخاصِّكيّة بالتوجّه إلى البلاد الشامية بالبشارة بسلطنة الملك المنصور عثْمان[2] ، وهم :

جَانَم الأشْرَفىّ السّاقى البَهْلَوَان ، توجَّه الى نائب الشام الأمير جُلُبَّان .

وطُوخ النَّوْرُوزِى رأس نوبَة الجمدَارِيّة إلى نائب حلب الأمير قَانِى بَاى الحمْزاوى .

وبَرْسِبَاى الأشرفى الأمير آخُور إلى نائب طرابلس الأمير يَشْبُك النَّوْرُوزى .

(١) اللالا لفظ فارسى معناه المربى عامة أو مربى الأطفال بصفة خاصة .

(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ط كاليفورنيا ٧ : ٧٨ — عن كتاب الحوادث « وعلى أيديهم تقاليد النواب باستمرارهم » .

وقَايتبَاى الأشرفى الأمير آخور إلى نائب حماة الأمير حَاج إينَال اليَشْبُكى .

ودُولاتْ بَاى إلى نائب صَفَد الأمير بيَغُوت الأعْرَج المؤيّدى .

وتَمُر الأشْرَفى الخَاصِّكىّ إلى نائب قلعة دمشق وقُضاتها وغيرهم .

وسودُون يَكرْك[^1] إلى نائب غزة جَانِبَك التَاجىّ .

وخُشقَدَم مملوك قَرَاجَا الأشرفى إلى نائب الكَرَك والقدس .

وإينال الظاهرى — جقمق — إلى نائب الإسكندرية بَرْسِبَاى البَجَاسى .

ثم فى يوم السبت سلخ المحرم أعاد السلطانُ الجمع بقاعة البَحْرَة من قلعة الجبل بسبب نفقة المماليك[^2] السلطانية ، وأعاد على مباشرى الدولة الكلام فى أمر النفقة ، فكَثُرَ الكلامُ بسبب ذلك ، وكان زين الدين الأسْتَادَار قد تقرّب إلى الملك المنصور أيام والده ، وصار أُسْتَادَاره واختصّ به ، ومهّد أموره معه ، فلما تسلطن ظنّ أنه سيكون من أمره فى دولته أضعاف ما كان له فى دولة والده الملك الظاهر جَقْمَق ، وأخذ فى هذا الجمع يمتنع من حمل ما قُرِّر عليه من الذهب برسم نفقة المماليك ، وأنه فى[^3] حمله بوظيفة الا ستادارية ، وأوسع وصمّمَ على مقالته ، وكان فى المجلس الأمير جَانِبَك الظاهرى . نائب جدّة — والناصرى محمد بن أبى الفرج نقيب الجيش — وهو أعدى عدوٍّ لزين الدين الأس ادار — مع من حواه المجلسُ من الأمراء وأعيان المملكة ، وكثر الكلام بسبب امتناع زين الدين من حمل المال ، وتغيّر السلطانُ عليه بسبب ذلك ، فأمر بمسكه وعَزْلِه ، وتولية الأمير جَانِبَك الظاهرى نائب جدّة للاسْتَادَارِيَّة ، وأحضر فى الحال

[^1]: (١) أضاف و . پوپر فى هامش ط كاليفورنيا ٧ : ٣٨٣ — عن كتاب الحوادث « ومعناه باللغة التركية مجرى» ورسمه فى نسخة S « بكرك » — بالباء الموحدة .
[^2]: (٢) انظر : (Ayalon : The System of Payment in Mamluke Military Society. Journal of Economic and Social History of the Orient, vol. I, part I, August 1957, p . 37-65). لشرح النظم المتبعة لصرف نفقة المماليك .
[^3]: (٣) كذا فى الأصول والمعنى غير واضح .

خلعة الأستادارية وألبسها للأمير جانبك المذكور ، ونزل إلى داره وبين يديه وجوه الدولة ، وسُرّ الناس قاطبة بعزل زين الدين المذكور عن الأستادارية(١) ، فإنه كان طال واستطال ، وظلم وعسف ، وأخذ عدّة إقطاعات من أخباز(٢) المماليك السلطانية والأمراء ؛ استولى عليها بالشوكة ، وأضافها إلى الديوان المفرد(٣) ، وحجر على غالب الأشياء ، واستولى عليها من معايش الفقراء وأرباب التكسّب ، وصار هو يأخذها ثم يبيعها بأضعاف ما أخذها ، حتى جمع من هذا المال الخبيث أموالا كثيرة ، وعمّر منها الجوامع والمساجد والسُّبل ، فكان حاله فى ذلك كقول القائل : [الطويل]

بنى جامعاً لله مِنْ غَيْرِ مَالِهِ ... فكان بحمد الله غيرَ مُوَفَّقِ
كَمُطْعِمَةِ الأيْتام من كدِّ فَرْجِها ... لَكِ الويلُ ، لاتَزْنى ولا تَتصدّقى

وقد حرّرنا أحواله مِنَ ابتداء أمره إلى يوم عَزْلِهِ فى غير هذا المحل — والمقصود هنا الآن أخبار الملك المنصور — ثم رسم الملك المنصور بحبس زين الدين وإلزامه بخمسمائة ألف دينار .

ثم أنعم الملكُ المنصورُ على الأمير بُرْدبَك الظاهرى — جقْمَق — البَجْمَقْدار(٤) ، أحد أمراء الخمسَات بإمْرَة عَشرة من الديوان السلطانى ، وأنعم بإقطاع بُرْدبك على سودون من سلطان الظاهرى البَجْمَقْدار حساباً عن إمْرَة عشرة ضعيفة ، وأنعم على جانَبك القَجْمَاسِى الأشرفى المعروف بِدَوادَار سَيّدِى بإمْرَة عشرة أيضاً من الذخيرة من المتوفر(٥) .

---

(١) يوجد بالمرجع السابق شرح لوظيفة الأستادار ، وهى إحدى الوظائف المملوكية الكبرى ، وعملها توزيع الجوامك والعليق والكسوة وغيرها من الرواتب السلطانية الشهرية على مستحقيها من المماليك السلطانية .

(٢) انظر المرجع السابق :

(٣) انظر هامش (ج ١٣ : ٢٤ من هذا الكتاب ط الهيئة العامة للتأليف والنشر) .

(٤) البجمقدار : أو البشمقدار هو الذى يحمل نعل السلطان أو الأمير ، وتتركب هذه الكلمة من لفظين أحدهما تركى وهو بشمق ومعناه النعل ، والثانى فارسى وهو دار ومعناه ممسك (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٤٥٩) .

(٥) أضاف و . پوپر فى هامش ط كاليفورنيا ٧ : ٣٨٥ عن كتاب الحوادث « واستقر قانى باى المؤيدى أحد أمراء العشرات من جملة رءوس النوب ، وكذا جانبك» .

وفى عصر هذا النهار سلّم السلطانُ زينَ الدين يحيى الأستادار المنفصل إلى الأمير جاَنِبَك الظاهرى الأستادار المستقر فى الأستادارية ، وأمَرَهُ بمعاقبته[١] ، فنزل به من القلعة على أقبح وجه[٢] ، فنعوذ بالله من زوال النعم ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ، وٱزْدَحَم الناسُ تحت القلعة لرؤيته ، فما منهم إلا شامتٌ أو متهكّم ، فتفضّل عليه الأمير جاَنِبَك ، وتنزّه عن عقوبته ، رحمةً عليه لا خوفاً من عاقبته ، وأعاده إلى القلعة فى يوم الأربعاء ، وقد حرّرنا ذلك كلّه فى الحوادث .

ثم فى يوم الاثنين ثانى صفر خلع السلطان على الأمير فَيْرُوز النَّوْرُوزِيّ الزّمام الخازِنْدَار بإعادة الذخيرة[٣] إليه .

وخلع على الأمير قُشْتُم الناصريّ باستقراره فى نيابة البُحَيْرَة على عادته أوّلا على كُرْه منه ، وهو أيضاً أحد أعداء[٤] زين الدين الأستادار ، وكان قُشْتُم من محاسن الدهر .

وفيه أنعم الملك المنصور على السّيْفى قَانصُوَه المحمدى الساقى الأشرفى بإمْرَة عشرة من الذخيرة أيضًا ، وقَانصوه أيضاً من نوادر الدهر ومحاسنه .

ومات السلطان الملك الظاهر جقْمَق فى تلك الليلة حسبما ذكرناه فى خمس مواطن من مصنفاتنا ، لا حاجة فى ذكره هنا ثانيًا .

ثم فى يوم الأربعاء ثانى يوم دفن الملك الظاهر جقْمَق نُودِيَ بالقاهرة بالأمان والنَّفَقة فى المماليك السلطانِيَّة فى آخر صفر .

---

(١) أضاف و. پوپر عن كتاب الحوادث « حتى يقوم بنفقة المماليك مما يأخذه منه فى مصادرته » .

(٢) أضاف و. پوپر عن النسخة السابقة «وتسلم أيضا صهره التاج بن المقسى وحواشيه وأخذ الجميع إلى داره ، وأصبح جانبك من الغد فأخبر السلطان أن الزينى أقر بأن فى حاصله مائة ألف دينار ، وجد منها أربعة وأربعين ألف دينار ، وهو فى طلب الباقى» .

(٣) أضاف و. پوپر عن الكتاب السابق «ووجد للزين الاستادار — كان — بقاعة فى درب شمس الدولة من القاهرة سبعة وأربعين ألف دينار فصارت الجملة نيفا وتسعين ألف دينار» .

(٤) فى ص « من أعوان » والمثبت عن ط كاليفورنيا

وفيه نُقل زين الدين الأستادار إلى طبقة الخازِنْدار فَيْرُوز[١] على حمل ما قُرِّر عليه .

وفيه[٢] خلع السلطان على جاَنبَكَ الأشرفي[١] اليَشْبُكى والى القاهرة ، وعلى يرعلى محتسب القاهرة ، وعلى الناصرىّ محمد بن أبى الفرج نقيب الجيوش المنصورة باستمرارهم[٣] .

وخلع[٤] على الأمير قَرَاجاَ العُمَرِى الناصرىّ[٥] كاشف الشرقيّة بالوجه البحرى ، بعد عزل عبد الله عنها ، فتزايد سرور الناس بعزل هذا الظالم أيضًا .

ثم فى هذا اليوم عوقب زَيْنُ الدين الأســتادار بالعصىّ والمعاصير ، وضُرِبَ على سائر أعضائه ، وحضر الناصرىّ محمد بن أبى الفرج عقوبته ، وكان السلطان ألزمه باستخراج الخمسمائة ألف دينار منه .

ثم فى يوم الثلاثاء استقرّ الزينى فَرَج بنُ النحّال[٦] كاتب المماليك فى نظر الدولة[٧] وخلع السلطان على تَنَم[٨] الخاصِّكىّ الظاهرى المعروف برصاص باستقراره فى التَّكلم على بندر جدّة عِوَضًا عن الأمير جاَنِبَك الظاهرى الأستادار بسفارة جاَنِبَك .

ثم فى يوم الخميس ثانى عشر صفر أمسك السلطانُ الملكُ المنصور — برأى مماليك أبيه — جماعةً من الأمراء المؤيدية ، وهم : الأمير دُولات بَاى المحمودىّ المؤيدى

(١) أضاف و. پوپر عن كتاب الحودث – فى الهامش – «بالقلعة» .
(٢) أضاف و. پوپر فى الهامش عن نسخة كتاب الحوادث «على وظائفهم» .
(٣) أضاف و. پوپر عن كتاب الحوادث «وفى يوم السبت سابقه» .
(٤) أضاف و. پوپر عن كتاب الحوادث «فى يوم الاثنين تاسعه» .
(٥) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٦ : ٢١٥–٢١٦) .
(٦) فى ص «فرج النحال» والمثبت عن ط كاليفورنيا .
(٧) أضاف و. پوپر فى الهامش عن كتاب الحوادث « ديوان المفرد عوضا عن أبى الفضل بن الحكيم المستقر فيها قريبا » .
(٨) أضاف و. پوپر فى الهامش عن نسخة T « من بخشايش» وهو يوافق ما ورد فى ترجمته فى (السخاوى الضوء اللامع ٣ : ٤٣) .

الدَّوَادار الكبير، والأمير يَرْشِبَاى(١) الإينَالى المؤيدى أحد أمراء الطَّبْلَخَانات وأمير آخور ثانٍ، والأمير يَلَبَاى(٢) الإينالى أحد أمراء الطَّبْلَخَانَات ورأس نوبة؛ وكان القبض على دولات بَاى بقاعة الدُّهَيشة، وعلى يَرْشِبَاى بالإسطبل السلطانى، وعلى يَلَبَاى من سوق الخيل، وقُيِّدوا الجميع إلى بعد أذان الظهر، فأُنزلوا بالقيود على البغال إلى النِّيل، وحُملوا إلى الإسكندرية، فسجنوا بها، وكان مُسَفِّر دُولات بَاى الأمير جَانِبَكْ قَرَا الذى استقرّ زَرَدْكَاشًا، وقد توَلّى نيابةَ الإسكندرية فى الباطن عِوَضًا عن بَرْسِبَاى البَجاسى، وحُمل إليه التقليد بعد يومين(٣)، فاتَّضَعَ بمسك هؤلاء قَدْرُ المؤيدية، وارتفع أمر الأشرفية.

ثم فى يوم الاثنين سادس عشر صفر أنعم السلطانُ على الأمير قَرْقَمَاس الأشرفى الجَلَب، أحد أمراء الطَّبْلَخَانات وقريب الأشرف بَرْسِبَاى بإمْرَةِ مائة وتَقْدِمَةِ أَلْفٍ بالدّيار المصرية، عِوَضاً عن دُولاَت بَاى المحمودى بحكم حبسه، وأنعم بإمْرَةِ قَرْقَمَاس المذكور على الأمير جَانِبَكْ النَّوْرُوزى، المعروف بنائب بَعْلَبَك والقادم من مكة قبل تاريخه(٤).

وفيه استقرَّ الأمير تَمُرْبُغَا الظَّاهِرىّ الدَّوَادار الثانى وأحد أمراء العشرات دَوَادَاراً كبيراً، عِوَضاً عن دُولاَت بَاى، وأنعم عليه بإمْرَةِ أربعين، وهو إقطاع يَرْشِبَاى الإينَالى، وأنعم بإقطاعه على يَشْبُك الظاهرى بعد أيام.

وفيه أيضاً استقرّ الأميرُ أَسِنْبَاى الجمالى الظاهرى أحد أمراء العشرات دواداراً ثانياً،

(١) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ١٠ : ٢٦٩) توفى سنة ٨٦٤ هـ – ونسبته بالمؤيدى إلى المؤيد شيخ المحمودى.

(٢) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ١٠ : ٢٨٧) وقد تسلطن لمدة شهرين بعد موت الظاهر خشقدم، ومات سنة ٨٧٣ هـ.

(٣) أضاف و. پوپر فى الهامش عن كتاب الحوادث «وكان مسفر يرشباى سودون من سلطان الظاهرى، الذى استقر أمير عشرة بالأمس وتوجه أيضا معه من المماليك السلطانية نحو المائة».

(٤) أضاف و. پوپر فى الهامش عن كتاب الحوادث «وهى طبلخاناه».

عوضاً عن تَمُرْبُغَا على إقطاعه إمْرَة عشرة من غير زيادة ، واستقرّ[(١)] الأمير سُنْقُر العايق الأمير آخور الثالث أمير آخور ثانياً عوضاً عن يَرْشبَاى[(١)] ، واستقرّ الأمير يُرْدبَكْ البَجْمَقْدَار أمير آخور ثالثاً ، عوضاً عن سُنْقُر المذكور ، واستقرّ الأمير جَانِبَك اليَشْبُكى والى القاهرة زَرَدْكَاشاً عوضاً عن جَانِبَك قَرَا المتوجِّه إلى نيابة الإسكندرية ، مُضَافاً إلى ما بيده من الولاية والحجوبيّة وشَدِّ الدواوين ، فعظم ما وقع فى هذا اليوم من الولاية والتغايير على أعيان الأمراء ، ونفرت القلوب من الظاهريّة فى الباطن بسبب تولية تَمُرْبُغَا الدوادارية الكبرى ، وكان الأمير أُسَنْبُغَا الطَّيَّارى رأس نَوبَة النُّوَب رُشِّح لولايتها ، وأن يكون الأمير جَرِباش المحمدى كُرْد رأس نَوبَة النُّوَب عِوَضَهُ .

وبات الناس على ذلك ، فأصبح وَقَعَ ما حكيناه ، ومن يومئذ وقع الكلامُ فى الدّولة ووَجد من له غرضٌ فى إثَارة الفتنة مَدْخَلًا يَدْخل منه ، وترقّب الناس وقوعَ الفتنة ، غير أن الناس فى سكون ، والبواطن مشغولة إلى ما سيأتى ذكره .

ثم فى يوم الثلاثاء سَابِع عَشَرِه أنعم السلطان على الأمير سَوِنْجبُغَا اليُونسِى أحد أمراء العشرات ورأس نَوبَة بإقطاع[(٢)] الأمير يَلَبَاى الإينالى بحكم حبسه بالإسكندرية وأنعم[(٢)] بإقطاع سَوِنْجبُغَا المذكور وإقطاع جَانِبَكْ النَّوْروزِى نائب بَعْلَبَك على قَانِى بَكْ السَّيفى يَشْبُك بن أَزْدَمُر أحد الدوادارِية ، وعلى قُوزِى الظاهرى الساق ، واستقرَّ سنْطَبَاى الظاهرى ساقياً عوضاً عن قُوزِى ، وخَيربَك الأشرفى صاحب تِمرْاز المُصَارع دَوادَارا عوضاً عن قَانِى بَكْ .

وفيه أيضاً عُوقب زينُ الدين أشدّ عقوبة بحضرة الأمير جَانِبَك الظاهرى الأستادار وغيره ، وهو لا يُظْهِر ماله من الذخائر غير ما أُخذ له ، وهو دون المائة ألف دينار ، ذكرنا تفصيلها فى غير هذا المحل .

(١–١) هذه العبارة ساقطة من ص . والاثبات عن ط كاليفورنيا .
(٢–٢) هذه العبارة ساقطة من ص والإثبات عن ط كاليفورنيا .

وفي هذه الأيام أشيع بوقوع فتنة ، ووثوب المماليك السلطانية بسبب النفقة عليهم .

وفيه استعفى الأميرُ الوزيرُ تُغْرِى بَرْدِى القلاوى [1] الظاهرى من الوزر ، فأُعْفِيَ على أنّه يقوم بالكُلَفِ السلطانية في يومه ومن الغد .

ثم في يوم الأربعاء ثامن عشر صفر عُقد مجلس بين يَدَى السلطان بالقُضَاة الأربعة بسبب أمْلَاك زين الدين الأستادار الموقوفة عليه وعلى جوامعه ومساجده ، ووقع بسبب ذلك أمور آل الأمر إلى بيعها .

ثم في يوم الخميس تاسع عشره خلع السلطان على الصاحب أمين الدين بن الهَيْصم [2] باستقراره وزيراً على عادته ، قلتُ : إذاً أُعطِيَ القوسُ لراميه [3] .

ثم في يوم السبت حادى عشرينه عمل السلطانُ الخِدْمَةَ بالحوش السلطانى بسبب قُصَّاد ملك الحبشة ، وكان أشاع أهل الفتن في أمسه أن السلطان يريد يعمل الخِدْمَة بالحوش ليقبضَ على جماعة كبيرة من الأعيان ، فانفضَّ الموكب ، ولم يقع شيء من ذلك .

ثم في يوم الاثنين ثالث عشرين صفر المذكور رسم السلطانُ للأمير جَرِبَاش الكَرِيمى الظاهرى — بَرْقُوق — أمير سلاح بلزوم بيته بحكم كِبَرَ سِنّه وعجزه عن الحركة ، وكان جَرِبَاش من القبائح ، وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير قرَاجَا الظاهرى — جَقْمَق — الخَازِنْدَار ، وصار من جملة أمراء الألوف ، وقَرَاجَا المذكور من خِيَار أبناء جنسه ديناً وعِفَّةً وكَرَماً ، وأنعم بإقطاع قَرَاجَا ووظيفته عَلَى الأمير أُزْبُك من

(١) له ترجمة في (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٢٨) .

(٢) هو إبراهيم بن عبد الغنى بن إبراهيم القبطى — المعروف بالصاحب أمين الدين بن الهيصم ، ولد سنة ٨٠٠ هـ تقريبا ، وتوفى سنة ٨٥٩ هـ انظر (السخاوى الضوء اللامع ١ : ٦٧) و (ابن إياس — بدائع الزهور ٢ : ٤٨) .

(٣) أضاف و . پوپر في الهامش عن كتاب الحوادث « بإعادته للوزر عوضا عن تغرى بردى القلاوى بحكم استعفائه ، واستقر القلاوى في كشف الوجه القبلى » .

طَطَخ الظاهرى — جَقْمَق — الساقى أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة ، وأنعم بإقطاع أَزْبُك على الأمير بَتْخَاص العُثْمَانِى الظاهرى بَرْقوق ، وكان بَطَّالًا .

وفيه أيضًا استقر الأميرُ تَنَم من عبد الرَّزّاق المؤيدى أمير مجلس أميرَ سلاح عوضًا عن جَرِبَاش الكَرِيمى قاشَق (١) بحكم لزومه داره .

وفيــه خلع السلطان عَلَى الأمير تِمُرْبغَا الظاهرى (٢) الدَّوادار الكبير خلعة الأنظار المتعلقة بالدَّواداريَّة ، ونزل بخلعته فى موكب جليل ، ولسان حاله ينشد : —

[البسيط]

مَنْ راقبَ الناسَ مَاتَ غمًّا   وفاز باللَّذةِ الجسورُ

ثم فى يوم الثلاثاء رابع عشرينه خَلع السلطان عَلَى الأمير تَنِبَك البُرْدبَكى الظاهرى المعزول عن حجوبيّةِ الحجَّاب (٣) قبل تاريخه ، باستقراره أمير مجلس عوضا عن تَنَم المنتقل إلى إمْرَة سلاح ، ومن الغريب أنه لما ولى إمرة مجلس ، وطلع إلى القلعة بعد ذلك ، وجلس فى الموكب ، قعد قانِى بَاى الچاركسى الأمير آخور الكبير فوقه ، وهذا شىء لم يُعهد من أن أمير آخور يجلس فوق أمير مجلس ، فعُدَّ ذلك من جنون قانِى بَاى وقلّة أدبه ، إذ [أن] (٤) تَنِبك المذكور فى مقام أستاذه ، لأنه خُجْداش چاركَس ،

(١) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٣ : ٦٦) وفيها « يعرف بعاشق» بالعين لا بالقاف . ومات سنة ٨٦١ هـ .

(٢) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٣ : ٤٠–٤١) ومات سنة ٨٧٩ هـ .

(٣) اختصت وظيفة حاجب الحجاب بالفصل فى الخصومات بين مماليك الأمراء طبقا لأحكام قانون خاص . لا طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية ، وكان من اختصاصاه كذلك تقديم الضيوف والرسل إلى السلطان ، فضلا عن الإشراف على تنظيم مواكب الجيش . وكان من المعتاد أن يعين السلطان خمسة حجاب ، اثنان منهم (وهما حاجب الحجاب والحاجب الثانى) من أمراء الألوف ، وإن كانت وظيفة حاجب ثانى انحدرت فى أواخر العصر المملوكى فأصبح صاحبها يعين من أمراء العشرات ، وعند إنشاء هذه الوظيفة كان ثلاثة حجاب : حاجب الحجاب ، والحاجب ، والحاجب الثانى ، وأول من زاد عددهم إلى خمسة هو السلطان برقوق . راجع : (Ayalon : Op. cit.)

(٤) إضافة يقتضيها السياق .

وأيضا أنه كان فى الدّولة الأشرفيّة أمير مائة ومقدّم ألف ، وقَانِى بَاى جندى بِجِياصة ، فما ثمّ وجه من الوجوه لجلوسه فوقه .

وفيه أيضا عزَلَ السلطانُ جماعةً كبيرة من الخَاصَّـكِيَّة البوّابين من المؤيّديّة ، وولّى عوضهم جماعةً من حواشيه ، فزاد ما بالمؤيّديّة ، وأخذوا فى عمل الرّكوب فلم يكن لهم طاقة لذلك لِقِلَّتِهم ؛ فلم يجدوا بُدًّا من مصالحة الأشرفية ليكونوا معا ، فسموا فى ذلك فى الباطن إلى ما يأتى ذكره .

ثم فى يوم الأربعاء خامس عشرينه وصل إلى القاهرة مملوك الأمير قَانِى بَاى الحمزاوى نائب حلب ، ومملوك نائب قلعتها ، وحاجبها ، وقبّلوا الأرض ، وأخبر مملوكُ نائب حلب عن مخدومه أنه قبَّل الأرض ، وسُرّ بسلطنة الملك المنصور إلى الغاية ، فرحّب السلطان بهم وخلع عليهم .

ثم فى يوم الخميس سادس عشرين صفر قُرِى تقليدُ السلطان الملك المنصور بالسلطنة بالقصر الكبير السلطانى من قلعة الجبل ، فجلس السلطان على كرسى المُلْك ، وجلس الخليفة القائم بأمر الله حمزةُ على الأرض على يمينه ، فَعَظُمَ ذلك على الخليفة ، ولم يُبْدِه إلا بعد ركوب الأتابَك إينَال ، وحضر القضاةُ الأربعة[1] وتولّى قراءة التقليد القاضىَ محبُّ الدين بن الأشقر كاتب السِّرّ ، وبعد فراغ القراءة خلع السلطان الملك المنصور على الخليفة[2] وعلى كاتب السِّر ، وخلع على القضاة الأربعة[1] .

ثم فى يوم السبت ثامن عشرين صفر خلع السلطان على قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقِينى[3] الشافعى بإعادته إلى قضاء القضاة ، بعد عزل شرف الدين يحيى المُنَاوى[4]

(١–١) ما بين الرقمين ساقط من ص ، والإثبات عن ط كاليفورنيا ؛ وقد أضاف پوپر فى الهامش عن كتاب الحوادث « وكذا خلع على التقى عبد الرحمن بن نصر الله بنظر بندر جدة على عادته » .

(٢) أضاف پوپر فى الهامش عن كتاب الحوادث « كاملية خضراء بمقلب سمور ، ثم خلع عليه فوقانى بطرز زركش » .

(٣) هو صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقينى – ولد سنة ٧٩١ ﻫ وتوفى سنة ٨٦٨ ﻫ . وانظر (السخاوى – الضوء اللامع ٣ : ٣١٢ وما بعدها) .

(٤) هو يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن مخلوف بن عبد السلام – أبو زكريا ، ولد سنة ٧٩٨ ﻫ وتوفى سنة ٨٧١ ﻫ وانظر (السخاوى – الضوء اللامع ١٠ : ٢٥٤ وما بعدها) .

وفيه استقرّ السيفى يَشْبُك القِرْمِى الظاهرى والى القاهرة بحكم عزل جَانِبَك اليَشْبُكى ، بحكم انتقاله إلى الزَرَدْ كَاشِيّة ، حسبما تقدّم ذكره .

هذا وقد أخذت المؤيَّدية فى استمالة الأشرفيّة من يوم قبض الملك المنصور عَلَى خُچْدَاشِيتهم[1] دُولَات بَاى ورفقته[2] ، ولا زالوا بهم حتى وافقوهم لحزازة كانت فى نفوس الأشرفيّة أيضاً من الملك الظاهر جَقْمَق قديماً ، وقد تجدّد مع ذلك أيضاً قولُ بعض أمراء الظاهرية للأشرفيّة فى أخذ ابن أستاذهم الشّهابى أحمد ابن الملك الأشرف بَرْسِبَاى من عند عمّه زَوْجِ أُمّه الأمير قَرْقَمَاس الأشرفى ، وإرساله إلى ثغر الإسكندرية ليقيم بها عند أخيه الملك العزيز يوسف ، فعظم ذلك على أم الشّهابى أحمد ، وعَلَى زوجها الأمير قَرْقَمَاس ، فكان ذلك من أكبر الأسباب لموافقة الأشرفيّة للمؤيّدية ؛ ثم ساعدهم أيضاً مَنْ له غرض فى تغيير الدُّوَل ، لا رغبةً فى أحدٍ بعينه بل حتى يناله ما قد أمّل ، وقد صار ذلك عادةً عند موت كلِّ سلطان من عهد الملك المؤيد شَيْخ إلى يومنا هذا ، بل إلى يوم القيامة ؛ لعدم أهلية الملوك ، ولغفلتهم عن هذا المعنى فى أيام عِزِّهم ، وأعجب من هذا أنّ أحدهم لا يزال فى غفلة عن ذلك حتى يشرف على الموت ، فيعهد[3] لولده بالسلطنة مع معرفته وتحقُّقِه بما يفعلونه مع ولده من بعده ، كما فعل بأمثاله ، وقد قيل فى المثل : « إذا أردتَ أن تنظر الدنيا بعدك انظرها بعد غيرك » ؛ فلما انتظم الصلح بين الطائفتين سِرًّا تحالفوا واتفقوا عَلَى الركوب فى يومٍ بعينه .

كلُّ ذلك والمنصور ومماليك أبيه وحواشيه فى غفلةٍ عن ذلك ، وأكبرُ همِّهم فى تفرقه الإقطاعات والوظائف ، وفى ظَنِّهم أن دولتهم تدوم ، وأن المُلْكَ قد صار بيدهم ، هذا مع عدم التفاتهم لتقريب العقلاء ، ومشاورة ذوى التدبير وأرباب التجارب ممن مارس تغيير الدُّول والحروب والوقائع ، وصار أحدهم إذا لَوَّح له بعض أصحابه بشىء مما

(١) خچداش وخشداش وجمعها الاصطلاحى خوچداشية وخوشداشية هو معرب اللفظ الفارسى خواجاتاش أى الزميل فى الخدمة ، ومعناه فى مصطلح العصر المملوكى الأمراء الذين نشأوا مماليك عند سيد واحد فتامت بينهم رابطة الزمالة . انظر : (Steingass : Pers-Eng. Dict.)

(٣) فى الأصول «يعهد» .

يدلّ عَلَى ذلك يستخفّ عقله ويهزأ به ، حتى لقد بلغنى من بعض أصحابنا الثقات أنه قال للأمير تَمُرْبُغَا مشافهةً . « بلغنى أن الأشرفيّة فى عزم الركوب على السلطان » فضحك تَمُرْبُغَا وقال : « هم نقطوا بمقاهم » ؛ إزدراء بأمرهم واستخفافاً بشأنهم ، وليس هذا من شأن من قد صار أمور المملكة بيده فى سائر أحوالها ، وإنما شأن الذى يكون فى هذه الرتبة أن يفحص دائماً عن أخبار أصدقائه وأعدائه ، ولا يُكَذِّب مخبراً ولا ينهر منذراً ، بل يسمع كلام كلّ ناصحٍ نَصَحه ، فيأخذ ما صلح بباله ، ويترك مالم يعجبه ، من غير أن يُفْهِمَ عنه لأحد من نصحائه عدمُ قبول كلامه ، بل يشكره على ذلك ويثنى عليه ، ويُحَرِّضُه على ما هو فيه ، ويُصْغِى لكلام كلّ قائلٍ حتى يفهمه ، ثم يفعل ما بدا له ، هذا مع الاحتراز والتحرّى فى أموره ، واستجلاب الخواطر ، وتأليف القلوب له ولسلطانه ، ما دامت الدولة مضطربة كما هى عادة أوائل الدُّول ، فيصير بذلك فى غالب أموره على يقظة ، فإن كان خيراً فيحمدالله على التوفيق ، وإن كان شرًّا فيتأهب لذلك قبل وقوعه ، ثم يلقاه بعد استحكام واستعداد بقوة جنان ، وبذل النفوس والأموال ، وهيهات بعد ذلك إن تم الأمر أو لم يتم ، فإن كان النصر فهو من عند الله ، وإن كانت الأخرى فيكون لما سبق فى الأزل ، فيزول مُلْكُه ، وهو معذور مشكور ، لا ندمان مقهور ، فأين هذا مما كان فيه هؤلاء القوم ، وقد صار الناس عند الأمير الكبير إينال ، ولبسوا السلاح ، وأجمعوا على قتالهم ، وهم إلى الآن فى تكذيب الأخبار واستبعاد ما سيكون ، فمن أساء لايستوحش ، والمفرِّطُ أولى بالخسارة ، وعدم التدبير هو أصل التدمير ، وهو كما قيل : — [السريع]

ما يفعل الأعداءُ فى جاهلٍ ما يفعلُ الجاهلُ فى نفسه

وبات الملك المنصور وأمراؤه فى ليلة الاثنين مستهل شهر ربيع الأوّل على تفرقة النفقة على المماليك السلطانية فى غده ، وقد انبرم أمر القوم ، وتجهزوا لما عساه يكون .

ذكر(١ ابتداء الوقعة
بين السلطان الملك المنصور عثمان وبين الأتابك إينال العلائى١)

وأهلّ شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، وفيه كان ابتداء الوقعة بين السلطان الملك المنصور عثمان وبين الأتَابَك إينَال العلائى حسبما نذكره هنا على سبيل الاختصار ، وقد حرّرنا ذلك فى تاريخنا « حوادث الدهور » باستيعاب .

فلما كان وقت السَّحَر من يوم الاثنين مستهل شهر ربيع الأوّل من سنة سبع وخمسين وثمانمائة ركب جماعة كبيرة من أعيان[٢] المماليك الأشرفية ، ورافقهم جمعٌ كبيرٌ من المؤيّديّة والسّيفيّة وغيرهم من غير لبس سلاح ، ووقفوا بالرُّمَيْلَة[٣] من تحت القلعة لمنع الأمراء من طلوع الخِدْمَة ، وكان بالصُّدَف بات تلك الليلة جميعُ الأمراء فى بيوتهم ، لِكَوْنِ السلطان كان فى أمْسِه لم يتوجَّه إلى القصر ، وأمر بعمل الخِدْمَة من الغد بالحوش السّلطانىّ ، ليبدأ بنفقة المماليك[٤] فى اليوم المذكور ، فلم يكن إلّا ساعة يسيرة من وقوفهم ، وقدم الأمراء جميعاً إلى الرُّمَيْلَة[٥] يريدون طلوع القلعة ، فتكاثرت المماليكُ عليهم واحتاطوا بهم ، وأخذوهم غَصْباً بأجمعهم[٦] ، وعادوا بهم إلى بيت الأمير الكبير إينَال العلائى ، وهو من جماتهم ، وكان سكنه بالدّار التى على بِرْكَةِ الفيل الملاصقة لقصر بَكْتَمُر السّاقى تجاه الكَبْش ، وأخذوا من جملة الأمراء الأمير قَرَاجَا الخَازِنْدَار الظاهرىّ ، وقد صار من جملة أمراء مقدمى الألوف ، وهو أحد أركان

(١-١) هذا العنوان عن نسخة «ص» ولم يرد فى ط كاليفورنيا .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من «ص» والإثبات عن ط كاليفورنيا .

(٣) فى الأصول «الرملة» والرميلة ميدان واسع تحت قلعة الجبل بالقاهرة وتعرف حاليا بالمنشية ، وبها ميدان صلاح الدين الأيوبى . وانظر (ج ٩ : ١٧٩ ، ج ١٢ : ٥٣ ، من هذا الكتاب ط دار الكتب ، وج ١٣ : ٦٣ ط الهيئة العامة للتأليف والنشر) .

(٤) انظر : (Ayalon : Op. cit.) لشرح نظام نفقة المماليك .

(٥) فى الأصول « الرملة» وانظر ما سبق فى هامش ٣ .

(٦) أضاف پوپر فى الهامش عن كتاب الحوادث «فمنعوهم من الطلوع ما خلا تنم من عبد الرزاق أمير سلاح فإنه بدر بالطلوع وفاتهم» .

مملكة الملك المنصور عثمان ، وأخذوا معه أيضًا من الظّاهريّة الوزير تغري بردي القَلَاوي الظاهريّ ، وبُرْدبك البَجْمَقْدار(١) الأمير آخور الثالث .

وفات المماليك من أعيان الأمراء الأمير تَنَم من عبد الرزّاق أمير سلاح ، فإنه قد أحسّ بالأمر في أمسه ، فلم يحسن بباله إلّا مُوَافقة السّلطان ، لأمر يريدُه اللهُ عزّ وجلّ ، فركب سحرا ، وقصدَ القلعة ، ووافاه الأمير تَمُرْبُغَا الظاهريّ الدّوَادار الكبير في طريقه ، فطلعا معا إلى الملك المنصور ، واجتمع المماليك ومعهم الأمراء في بيت الأمير الكبير وقد كَثُرَ جمعهم ، وتزايد عددهم وهم بغير سلاح ، وصار جميع الأمراء معهم في صِفَةِ التّرْسيم(٢) ، ولم يبقَ عند الملك المنصور من أعيان الأمراء غير الأمير تَنَم أمير سلاح ، والأمير قاني بَاي الجاركَسيّ الأمير آخور الكبير ، والأمير تمرُبغا الدّوَادار الكبير (٣ الظاهري ، والأمير جَانِبَك الأستادار ؛ وكان أيضا من أمراء الظاهرية بالقلعة برد بك البجمقدار ٣) فهؤلاء مقدمو الألوف ، وإن كان تَمُرْبُغَا إقطاعه طَبَلْخَانَاة ، فمنزلته تقدمة ، (٤ وكذلك جَانِبك الظاهري ٤) .

وكان عند الملك المنصور من الأمراء غير مماليك أبيه جماعةٌ منهم يونُس العلائي الناصري نائب قلعة الجبل ، وكُزُل السُّودُوني المُعَلِّم ، ومُغُلْبَاي الشهابي أحد أمراء العشرات ، وقُطُّي الدُّوكَاري نائب البحيرة ، وعبد الله كاشف الشّرقية ، ومن مماليك أبيه الأمير لاجين شادّ الشراب خَانَاه ، وأسِنْبَاي الجمالي الدّوادار الثاني ، وأزْبُك من طَطَخ(٥) الخازندار الكبير ، وهو صهر الملك المنصور وزوج أخته ، وسُنْقُر العايق الأمير

(١) جاء في هامش ص «صوابه بردبك هجين» وأيضا أشار إلى ذلك و. پوپر في هامش ط كاليفورنيا ٧ : ٣٩٧ .

(٢) الترسيم : المراقبة وتحديد الإقامة (الدكتور زيادة — السلوك للمقريزي ١ : ١١٦٣) .

(٣-٣) ما بين الرقمين إضافة عن هامش ص . وقد أشار و. پوپر في ط كاليفورنيا ٧ : ٣٩٨ إلى ذلك .

(٤-٤) هذه العبارة من ص — وقد أشار إليها و . پوپر في الهامش وإنها زيادة في T ، R

(٥) له ترجمة في (السخاوي — الضوء اللامع ٢ : ٢٧٠) واللفظ ططخ بالجيم نسبة إلى جالبه الخواجا ططخ .

آخور الثانى ، وسُنْقُر أستادار الصُّحْبَة ، وجماعة أُخَر تأمَّروا فى الدولة المنصورية لا يُعتَدُّ بهم ؛ كونهم إلى الآن صفة الخاصّكيّة ، فهؤلاء [هم[1]] الأمراء .

وأما مَنْ كان عنده من مماليك أبيه الخاصّكيّة والجَمْدَارِيَّة وغيرهم فكثير جداً ، على أنه كان بالقلعة جماعة كثيرة غير الظاهرية [الجقمقية][2] من الظاهرية [البرقوقية][2] والناصرية والمؤيدية والأشرفيّة والسَّيفيَّة .

وأما من كان مع المماليك من أعيان الأمراء ببيت الأمير الكبير من المقدمين ، الأمير الكبير إينال ، وتَنِبَك أمير مجلس ، وأَسَنْبُغَا الطيَّارى رأس نَوبَة النُّوَب ، وخُشْقَدَم المؤيدى حاجب الحجاب ، وطُوخ من تِمْراز الناصرى ، وجَرِبَاش المحمدى الناصرى كُرْد ، ويونُس الأَقْبَائى ، وقَرْقَماس الأشرفى الجَلَب ، وأما من أمراء الطبلخانات والعشرات فكثير ذكرناهم فى غير هذا المحل ، يطول الشرح فى ذكرهم .

ولما اجتمع القوم فى بيت الأمير الكبير ،وعظم جمعهم ، أتاهم الأمراء والخاصّكيّة والأعيان من كل فجّ ، حتى بقوا فى جَمْعٍ مَوْفورٍ ، فأعلنوا عند ذلك بالخروج عن طاعة الملك المنصور ، والدّخول فى طاعة الأمير الكبير إينَال ، والأمير الكبير يَمْتَنِعُ من ذلك بلسانه ، فلم يلتفتوا لِتَمَنُّعه ، وأخذوا فى لبس السلاح ، فلبسوا فى الحال عن آخرهم ، وطلبوا الخليفة القائم بأمر الله حمزةَ ، فحضر قبل تمام لبسهم السلاح ، واحتفظوا بالأمير قَرَاجَا الظاهرىّ ، وتَغْرِى بَرْدِى القَلَاوِى ، وبُرْدبَكْ البَجْمَقْدار[3] ، كونهم ظاهرية جَقْمَقِيَّة .

ولما حضر الخليفة أظهر الميلَ الكلىّ للأتابَك إينَال ، وأظهر كَوَامِن كانت عنده من الملك المنصور وحواشيه ، منها : أنّ المنصور جلس يوم قُرِئ تقليدُه على الكرسىّ وجلس الخليفةُ مع القضاة أسفل ، وأشياء من هذا ، وقام مع الأمراء فى خلع

(١) إضافة للتوضيح .
(٢) هذان اللفظان إضافة عن هامش و . پوپر فى ط كاليفورنيا ٧ : ٣٩٨ ، وبه يستقيم السياق .
(٣) فى هامش ص «لعله برد بك هجين» .

المنصور أتمّ قيام ، كلُّ ذلك والمماليك فى احتراز عظيم على جماعةٍ من الأمراء ؛ خوفاً من فرارهم إلى الملك المنصور حتى على الأمير الكبير .

ولما تكامَل لبس المماليك والأمراء السلاح طلبوا من الأمير الكبير الرّكوبَ معهم والتوجُّهَ إلى بيت قَوْصون تجاه باب السلسلة ، فامتنع تَمَنُّعاً ليس بذاك ، ثم أجابهم فى الحال ، ورَكِبَ هو والأمراء وحولهم العساكر مُحْدِقَةٌ بهم إلى أن أوصلوهم إلى بيت قَوْصون المذكور ، ودخلوه من باب سرّه الذى بالشارع الأعظم ، ونزل الأمير الكبير بمن معه من الأمراء بالمقعد من الحوش ، وجلس الخليفة بالقصر الفوقانى بالبيت المذكور ، ورُسِم على قَرَاجَا وتَغْرِى بَرْدِى القَلاوى وبُرْدبَكْ بالقصر أيضاً ، كل ذلك والقومُ فى غير ثِقَةٍ من الأمير الكبير وغيره من الأمراء ، حتى كلَّم الأمير الكبير بعض أصحابه العقلاء بكلام معناه قول القائل : [البسيط]

إذا وترتَ امرءا فاحذرْ عَدَاوَتَهُ مَنْ يزرع الشوكَ لايحصدبه عِنَبا
إن العدوّ وإن أبدى مُسالَمَةً إذا رأى منك يوماً فرصةً وثَبَا

وأظن القائل له الأمير أَرَنْبُغَا الناصرى أحد أمراء الطبلخانات ، فإنه كان أمثل القوم وأقواهم بأساً وأفرطهم شجاعة .

وأما الملك المنصور لما بلغه ما وقع من القوم فى بيت الأمير الكبير تحقق مَنْ عنده من الأمراء والأعيان ركوب الأمير الكبير وخروجه عن الطاعة ، فأمروا فى الحال يَشْبُك القِرْمى والى القاهرة أن ينادى بطلوع المماليك السلطانية لأخذ النفقة ، وأن النفقة لكل واحد مائة دينار ، فنزل يَشْبُك من القلعة والمنادى بين يَدَيْه ينادى بذلك ، إلى أن وصل إلى الرُّمَيْلة[1] تجاه باب السلسلة ، فأخذته الدّبابيس من المماليك ، فتمزقوا ، وذهب القِرْمى إلى حال سبيله ، ثم أمر الملك المنصور لأمرائه وحَواشيه بلبس السلاح ، فلبسوا بأجمعهم ، ولبس هو أيضاً ، كل ذلك وآراؤهم مفلوكة ، وكلمتهم غير منضبطة[2] ،

(١) فى الأصول الرملة .
(٢) فى ص « غير منتظمة » والمثبت عن ط كاليفورنيا .

وصرتُ أنا أنظر إليهم من أسفل القلعة ، فلم أجد عندهم انزعاجا ولا هَرَجا مع جودة[١] حركاتهم ، ولم ينزل من القلعة أحد لحفظ المدرسة الحَسنيّة[٢] مع معرفتهم أنها مسلَّطة على القلعة غاية التسليط ، هذا مع كثرتهم وقوّة بأسهم بالقلعة والسلاح والرجال ، وعندهم السلطان وشوكته إلى الآن منقامة[٣] — فما شاء الله كان .

وأما الأمير الكبير فإنه حال ما استقرّ به الجلوس نَدَبَ دواداره وصهره بُرْدبَك ، ومعه الأمير سَوِنْجُبُغَا اليونسى رأس نَوبَة ، ونُوكَار الناصرى أحد أمراء العشرات وثانى حاجب إلى القلعة رسالةً إلى الملك المنصور يطلب منه إخماد الفتنة بإرسال جماعة من أمرائه ، وهم : تَمُرْبُغَا الدَّوادار الكبير ، ولاجين شادّ الشَّراب خَاناه ، وأسِنْبَاى الدوادار الثانى ، فطلعوا إلى الملك المنصور وكلّموه فى ذلك ، وعادوا إلى الأمير الكبير بأجوبة طويلة مضمونها أنه امتنع من تسليمهم ، فأرسلهم الأمير الكبير ثانياً ، وصحبتهم بُرْدبَك دواداره وصهره ، فتوجهوا إلى القلعة ، وطلعوا إلى المنصور ثانى مرّة ، وطلبوا منه ما ذكرناه ، فامتنع ، وعوّق عنده سَوِنْجُبُغَا ونُوكار ، وأرسل بُرْدبَك بالجواب .

وابتدأ القومُ فى القتال من يوم الاثنين المذكور ، واشتدّ الحرب ، وجرح من الطائفتين جماعةٌ ، ثم خرج جماعة من أصحاب الأمير الكبير ، لأخذ مدرسة السلطان حسن فامتنع مَنْ بها من فتح أبوابها ، فنقبوا حائطًا من جوارها مما يلى حِدْرَة البقر[٤]، ودخلوا منه إلى المدرسة المذكورة ، وعمَّروا سلالم سطحها ، وطلعوا منه إلى مآذنها ، ورموا منها بالمدافع على قلعة الجبل ، وقوى أمر أصحاب الأمير الكبير بأخذ المدرسة المذكورة إلى الغاية ، غير أن الأمير الكبير إلى الآن يقدِّم رجلاً ويؤخِّرُ أخرى فى الخلاف على

---

(١) فى ص « مع جمودة فى حركاتهم » والمثبت عن ط كاليفورنيا .

(٢) هى مدرسة السلطان حسن بن محمد بن قلاوون ، وانظر فى التعريف بها (ج ٩ : ١٢٣ من هذا الكتاب ط دار الكتب) ، (المقريزى — الخطط ٢ : ٣١٦) .

(٣) أى قائمة كما فى نسخة T . و. پوپر (ج ٧ : ٤٠٠ من هذا الكتاب ط كاليفورنيا) .

(٤) حدرة البقر : ومكانها حاليا شارع المظفر الذى يبدأ من السيوفية — وينتهى بحديقة مسجد السلطان حسن — (على مبارك — الخطط ٢ : ٤٣-٤٤) .

المنصور ، ويحسب العواقب ، وصار يظهر أنه مُكْرَهٌ على ذلك ، فلم يقبل المنصور منه ما أظهره ، وتحقّق كل أحد ما القصد بالركوب .

ثم نزل الملك المنصور من القصر السلطانى بأمرائه وعسكره إلى الإسطبل السلطانى ، وجلس بالمقعد المطل على الرُّمَيْلة[1] ، ونزل من عساكره جماعة مشاة من باب السلسلة إلى الرُّمَيْلة[1] ؛ لقلة وجود الخيل بالقلعة ، فإنه كان أيام الربيع والخيول غالبها مربوطة على القرط بالبرّ الغربى من الجيزة ، حتى إنه كان جميع ما بالقلعة من الخيول أقل من مائة فرس ، ومُنِعوا من إحضار خيولهم التى بالربيع ، وعزّ توصلهم إليها ، وقاتلوا القوم وهم مشاة غير مرّة .

وصار أمر الأمير الكبير فى نمو بمن يأتيه من المماليك السلطانيّة ، وجميعهم فرسان غير مشاة ، فإنه صار كل واحد منهم يرسل غلامه فيأتيه بفرسه من مربطه بالربيع بخلاف القلميين ، فإنهم ممنوعون من ذلك ؛ من حَجْر أصحاب الأمير الكبير عليهم لهذا السبب وغيره .

ولما رأى الملك المنصور أمر الأمير الكبير فى زيادة أراد النزول إليه بعساكره فى الحال من أوّل وهلة ، فمنعه قَانِى بَاى الچاركسى من ذلك بسوء تدبيره لأمرٍ سبق ، وكان فى نزوله غاية المصلحة من وجوه عديدة .

ومضى نهارُ الاثنين بعد قتال كبير وقع فيه ، وبات الفريقان فى ليلة الثلاثاء على أهبة القتال ، وأصبحا يوم الثلاثاء على ما هم عليه من القتال والرمى بالمدافع والنفوط والسهام من الجهتين ، والجراحات فاشية فى الفريقين ، إلا أن فيمن هو أسفل أكثر ، غير أنه لا يؤثّر فيهم لكثرتهم ، ولم يكن وقت الزّوال حتى كثر عسكر الأمير الكبير إينال بمن يأتيه أرسالاً من المماليك السلطانية ، واستفحل أمرُه ، لا سيما لما نزل الأمير جَانِبَك الظاهرى أستادار العالية إليه داخلاً فى طاعته ، ومعه خُجْدَاشُه الأمير بُرْدَبَك

(١) فى الأصول (الرملة)

البَجْمَقْدَار ، أحد أمراء العَشَرَات ، ورأس نُوبَة ، وسُرَّ الأمير الكبير بنزوله إلى الغاية ، وكان انزول جانبك المذكور من القلعة أسباب خفيّة[1] .

ثم فى هذا اليوم لهج الخليفةُ أميرُ المؤمنين القائمُ بأمر الله حمزةُ بخلع الملك المنصور عثمان من الملك غير مرّة فى الملأ ، فَقَوِىَ بذلك قلبُ [2] أصحاب الأمير الكبير وجدُّوا فى القتال ، وتفرّقوا على جهات القلعة ، وجدُّوا فى حصارها ، ومنعوا من يطلع إليها بالمِيرَة وغيرها ، وخفَّ التّرسيمُ عن جماعة من الأمراء من أصحاب الأمير الكبير مِمَّن كانت المماليك تخاف من ذهابهم إلى الملك المنصور ، وكانوا قبل ذلك يحتفظون بهم بطريق التحشم ، وهو أن الأمير منهم كان إذا ركب للقتال أو غيره دار حوله جماعةٌ من المماليك الأشرفيّة وغيرهم وساروا معه حيث سار كأنهم فى خدمته حتى يعود إلى مكانه ، فمن آخر يوم الثلاثاء هذا ومن صبيحة يوم الأربعاء تركوا ذلك لعلمهم أن جميع الأمراء والعساكر صاروا فى طاعة الأمير الكبير ، وشرع الجميع فى القتال بمماليكهم وحواشيهم ، وفى عمل التدبير فى أخذ الملك المنصور وخلعه من السلطنة ، وباتوا تلك الليلة على ما هم عليه .

وأصبحوا يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الأوّل والقتال عمّال ، وأصحاب الملك المنصور تنسلّ منه إلى الأمير الكبير واحدا بعد واحد ، ومن بقى منهم عند الملك المنصور لا يلتفت إلى من ذهب ، بل هو على ما هو عليه من القتال لكثرة عددهم ، وللقيام بنصرة ابن أستاذهم ، فكان فى يوم الأربعاء هذا وقعات بين الطائفتين بالمناوشات لا بالمقابلة وباتُوا على ذلك .

فلما كان يوم الخميس رابع شهر ربيع الأوّل أرسل الملك المنصور إلى الأمير الكبير بالأمير سَوِنْجبُغَا ، والأمير نُوكَار ، والزينى عبد الرحمن بن الكُوَيز ، وشهاب الدين

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٠٣ ط كاليفورنيا عن كتاب الحوادث «واستمر نزول الخاصكية والمماليك فى كل يوم من عنده إلى عند الأمير الكبير يدخلون تحت طاعته ، فقوى بذلك جيش الأمير الكبير ، وكثر حزبه بزائد عن الحد ، وصار بقدر من عند المنصور — فيما أظن — ثلاث مرار » .

(٢) فى ص «أمر» والمثبت عن ط كاليفورنيا .

الإمام الإخْميمى ، ومعهم منديلُ الأمان للأمير الكبير ومن معه من الأمراء ليطلعوا إلى طاعة السلطان ، وترددوا بين الملك المنصور والأتابَك إينَال غير مرّة فى عمل الصلح ، وكثر الكلام بينهم إلى أن انفضّ المجلس على غير طائل ، ولم ينبرم صلح ، ومنع الأمير الكبير سَوِنْجبُغَا ونُوكار من الطلوع إلى القلعة ، وعاد الإخْميمى بالجواب إلى السلطان ، وفى الحال عاد القتال على ما كان عليه ، فإنه كان بطل الرّمى من القلعة ومن المدرسة لعمل الصلح ، فلما انفضَّ الأمر على غير صلح عاد كلٌّ أحدٍ من الطائفتيْن إلى ما كان بصدده .

وأعلن الخليفة فى هذا اليوم أيضا بين الملأ بخلع الملك المنصور من السلطنة ، وسلطنة الأتابَك إينَال ، والأتابَك إينال يمتنع من ذلك فى ذلك الوقت حتى ينظر ما يكون من أمر االملك المنصور ومحاصرته[1] .

ثم تكلّم الخليفةُ فى اليوم أيضا بين الناس بأعلى كلامه : « قد خلعتُ الملك المنصور من الملك » ، هذا وقد ضعف أمر الملك المنصور واستفحل أمر الأتابَك إينَال ، غير أن الرّمى من القلعة بالمدافع وغيرها مستمرٌّ ، وهلك من ذلك جماعةٌ كبيرة من عساكر الأمير الكبير ومن الأجناد والعامة والمتفرجين .

وأصبح يومُ الجمعة خامسه حضر المقَرُّ الجمالى ناظر الجيش والخاص وعظيم الدّولة عند الأمير الكبير ، فقام له الأمير الكبير واعتنقه وأجلسه بإزائه فوق الأمير خُشْقَدَم حاجب الحجاب ، فعند قدومه تحقّق كل أحد بزوال دولة المنصور وإقبال دولة الأتابَك إينَال ، وتكلّم المقرُّ الصحابى مع الأتابَك كلاماً كثيراً لا يشاركهما فى ذلك أحد إلا فى النادر ، ثم رسم الأمير الكبير بطلب القاضى محب الدين بن الأشْقَر كاتب السِّرِّ والقضاة الأربعة ، فحضروا فى الحال وقد نزل الخليفة من القصر أيضاً ، وجلس عند الأمير

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٠٥ط كاليفورنيا عن كتاب الحوادث «فامتنع امتناعا هينا ثم أجاب بعد أن سأل الخليفة الأمراء والمماليك عن سلطنته فقال الجميع بلسان واحد : نحن راضون به وصرحوا بذلك غير مرة ، ويقال إن بعض الخاصكية قبل الأرض بين يديه» .

الـكبير هو والقضاة وشاهدوا المدافع التى ترمى عليهم من القلعة ، وكان أهل القلعة فى يومى الأربعاء والخميس قد أمعنوا فى الرمى [١] من القلعة على [٢] الأمير الـكبير وأصحابه حتى كان المدفع يصل إلى باب سرّ بيت قَوْصُون الذى فيه الأمير الـكبير ، وربما عدّى الباب ووقع بالشارع على المارّ إلى صَلِيبَة ابن طولون ، ولما حضرت القضاة عند الأمير الـكبير تـكلّموا مع الخليفة فى خلع الملك المنصور عثمان بكلام طويل ، ثم طلبوا بدر الدين ابن المصرى[٣] الموقّع فأملاهُ قاضى القضاة عَلَمُ الدين صالح البُلْقينى الشافعى ألفاظاً كتبها تتضمن القدح فى الملك المنصور وخلعه من السلطنة ، وكان ذلك فى أوائل الساعة الثالثة من نهار الجمعة . وخُلع الملك المنصور فى اليوم المذكور من الملك وحكم القضاة بذلك .

فـكانت مدة سلطنة الملك المنصور من يوم تسلطن بعد خلع أبيـه الملك الظاهر جَقْمَق فى يوم الخميس حادى عشرين المحرم من سنة سبع وخمسين هذه إلى يوم الجمعة هذا شهراً واحداً وثلاثة عشر يوماً ، ولا نعرف أن سلطاناً أقام هذه المدّة اليسيرة فى ملك مصر فى الدّولة التركية غيره ، هذا مع كثرة عساكره ومماليك أبيه وحاشيته ، وما أرى هذا إلا نوعاً من المجازاة — انتهى .

ولما فرغ بدر الدين المصرى من كتابة الورقة أمره قاضى القضاة عَلَمُ الدين صالح البُلْقينى أن يقرأ مافى الورقة على من حضر المجلس من الأمراء وغيرهم ، وقرئت عليهم إلى آخرها ، ثم سأل قاضى القضاة مَنْ حضر المجلس عن سلطنة الأمير الـكبير إينَال عليهم ، فصاحوا بأجمعهم : « نحن راضون بالأمير الـكبير » ، وكرّر القاضى عليهم القولَ غير مرّة ، وهم يردون الجواب كمقالتهم أوّلا ، وفرحوا بذلك ، وسرُّوا غاية السرور ، وانفضّ المجلس على خلع الملك المنصور وسلطنة الأتابَك إينَال ، غير أنه لم يلبس خِلْعَةَ

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٠٦ ط كاليفورنيا عن كتاب الحوادث «بالمدافع والنفوط والنشاب» .

(٢) وأضاف أيضا هنا «الخليفة و » .

(٣) فى ص «بدر الدين المصرى» .

السلطنة ، ولا ركب بشعار المُلْك ؛ ترك ذلك لوقته ، وصار الناس فى خطابه من يومئذ على أقسَام وألفاظ مختلفة ، فمن الناس من صار يقول له : « ياخَوَنْد » ومنهم من يقول : « أغاه » ، ومنهم من يقول : « الأمير الكبير » ، ومنهم من يقول : « السلطان » كلُّ ذلك وهو على حالة جلوسه كأوّل يوم دخل إلى بيت قَوْصُون المذكور ، أعنى من أوّل يوم الوَقْعَة ولم يتغيَّر عليه شيء مما كان عليه ، ولم يركب من المقعد المذكور من يوم قدم بيت قَوْصُون غير مرة واحدة فى يوم الثلاثاء ، وعاد من وسط الحوش قبل أن يصل إلى باب البيت النافذ إلى الرُّمَيْلَة (١) ، ردَّه أصحابُه إجلالا لقدره ، وإنما كان يجلس هو بالمقعد ، والأمراء عن يمينه ويساره جلوساً ووقوفًا بين يديه ، والمماليك والعساكر تخرج من بين يديه للقتال طائفة بعد أخرى باجتهاد وعمل جد فى مدة هذه الأيام من غير أن يستحثهم أحدٌ لذلك ، وهذا شيء عظيم إلى الغاية . [الخفيف]

وإذا سَخَّرَ الإلهُ أناسًا   لسعيدٍ فإنهم سعداء

وكنت أنظر فى تلك الأيام إلى وجه الأمير الكبير لأتحقَّقَ هل هو مسرور أم محزون ، فلا أعرف هذا منه لثباته فى سائر أحواله ، وسكونه وعقله ، فإنه كان ينفذ الأمور على أحسن وجه من غير اضطراب ولا هرج ، بتأنٍّ وتُؤَدَة ، وكلما وقع من أصحابه ما يخالف ذلك يأخذ فى تسكينهم وثباتهم عَلَى القتال من غير عجلة ، ثم يقول لهم : « القلاع ما تؤخذ إلا بالصبْر والثبات والتأنى » .

ثم إن الأمير الكبير أمر فى اليوم المذكور بعمل منبر ليخطب عليه قاضى القضاة بالبيت المذكور لصلاة الجمعة ، فصُنع ذلك فى الحال ، وتهيأ القوم لصلاة الجمعة ، فلما دخل وقتُ الصلاة خطب قاضى القضاة عَلَمُ الدين صالح البلقينى وصلّى بالأمير الكبير والخليفة وجميع العساكر بمقعد البيت المذكور ، ثم انصرف القضاة بعد الصلاة إلى منازلهم.

(١) فى الأصول «الرملة» .

هذا والقتال مستمرٌّ أشد ما يكون بين الطائفتين ، وقد تداول نزول الخاصكية والمماليك من عند الملك المنصور إلى الأتابك إينال ، وهم مع ذلك كل يوم فى زيادة فى القتال لا يلتفتون إلى من يذهب من عندهم ، ويقول بعضهم لبعض : « نحسبه أنه جُرح ومات ، وما علينا مِمّن يتوجّه من عندنا ، ونحن نقاتل إلى أن نموت ، والملك المنصور جالس بالقصر السلطانى ، وعنده من أكابر الأمراء الأمير تَنَم أمير سلاح ، والأمير قَانِى بَاى الچاركسى .

هذا مع مبالغة أصحاب الأمير الكبير فى القتال أيضاً لا سيما من يوم حضر المقرّ الجمالى ناظر الجيوش والخاص ، ثم حضر القضاةُ ، وخُلع الملك المنصور فى يوم الجمعة ، فمن يومئذ بذلوا نفوسهم لنصرة الأمير الكبير ، وخوفاً من أن يصير الملك المنصور عليهم دولة ، فسيكون فناؤهم على يديه ، وأيضا إنهم تحققوا سلطنة الأتابك إينال ، فاشتاقت نفوسهم لما عساه ينالهم من الإقطاعات والوظائف وغير ذلك ، فاقتحموا الأهوال لذلك من غير صبر ولا تأنٍّ : — [الوافر]

وأعظمُ ما يكون الشوقُ يوماً إذا دَنَت الخيامُ من الخيامِ

هذا والجراحات فاشية فى كلٍّ من الطائفتين ، ويُقْتَلُ أيضاً منهم فى اليوم الواحدُ والاثنان وأكثر وأقل .

ولما كان يوم الجمعة المذكور توعّك فيه الأمير أسَنْبُغَا الطيّارى رأس نَوْبَة النُّوَب ، ومات من ليلته شبه الفجاءة من غير سابق مرض ، وصُلِّى عليه من الغد بالمقعد من بيت قَوْصُون ، وحُمل ودفن بالصحراء ، وكان من محاسن الدنيا ، يأتى التعريف بحاله فى الوفيات كما هى عادة هذا الكتاب .

ثم أصبح يوم السبت سادس شهر ربيع الأول حضر المَقَرُّ الجمالى الصاحبى ناظر الجيش والخاص[1] عند الأمير الكبير ، وصحبته غالب مباشرى الدولة والقضاة ، وكتبوا محضراً

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤١٠ ط كاليفورنيا عن كتاب الحوادث «وكاتب السر وهو المحتسب ابن الأشقر» .

يتضمّن ما وقع فى أمسه من خلع الملك المنصور من السلطنة ومبايعة العساكر للأمير الكبير بالسلطنة ، وكَتَبَ فى المحضر جماعة كبيرة من أمراء الظاهرية وغيرهم ، وفيه قوادِحُ فى المَلِكِ المنصور . ذكرناها فى غير هذا المحل .

وجدَّ فى هذا اليوم كلٌّ من العسكريْن فى القتال ، ورتَّب الأمير الكبير جماعةً من أعيان الأمراء على المواضع التى يتوصل منها إلى القلعة ، وحَرَّض الوالى وغيره على مسك من يطلع إلى القلعة من الغلمان والخدم بالمآكل وغيرها ، ومُسِك بسبب ذلك جماعة وضُرب آخرون .

وفى هذا اليوم والذى قبله صارت أمراء الألوف تخاطب الأمير الكبير وهم وقوف ، وصار لا يقُومُ لأحدٍ منهم عند ذهابه وإيابه ، وكان الأمير أَسَنْبُغَا الطَّيَّارى رأس نَوبَة النُّوَب — رحمه الله — فى يوم الجمعة الذى مرض فيه رَمّل على كتابة الأمير الكبير على المراسيم وغيرها ، وناهيك بأَسَنْبُغَا ، فإنه كان يوم ذلك أَمْثَل الأمراء وأجلّهم ، رأيتُه أنا وهو يرمِّلُ عَلَى علامته من غير أن يحتشم معه الأمير الكبير فى ذلك ولا تجمّل معه ، بل صار كلما علّم العلامة ورمى بها أخذها أَسَنْبُغَا ورمّل عليها كما كان يفعله مع السلطان، فإن العادة لا يُرَمِّلُ عَلَى السلطان إلا رأس نوبَة النُّوَب(١) .

هذا وقد تحقَّق أهل القلعة زوال مُلْك الملك المنصور ، وهم عَلَى ما هم عليه من الشدَّة فى القتال ، والقيام بنصرة ابن أستاذهم ، غير أنهم كما قيل فى الأمثال : « سلاح حاضر وعقل غائب » ، لكونهم شباباً لم تمرّ بهم التجارب ، ولا لهم ممارسة بالحروب ، ولا يعرفون نوعاً من أنواع الخديعة والمكر بأخصامهم ، وأيضاً لم يكن عندهم من الأمراء وغيرهم ممن له خبرة بهذه الأنواع غير أمير واحد وجندى ، وكل منهما غير مقبول الكلمة عندهم . فالأمير كُزل المعلِّم ، والجندى السيفى كَمَشْبُغَا الظاهرى — برقوق — المعلم ، وأما من عداهما من الأمراء فحالهم معروفٌ لا يحتاج إلى بيان ، وأعظم من كان هناك من الأمراء

(١) رأس نوبة النوب : وظيفة موضوعها الحكم على المماليك السلطانية والإشراف على شئونهم كما يشرف على مواكب الجيش عند عرضها قبل الخروج للغزوات (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٨)

الأمير تَنَم أمير سلاح ، وقَانى بَاى الجاركسى الأمير آخور ، فأما تَـنَم فإنه لم يأتِ بشىء إما تقصيراً منه لمعنى من المعانى ، أو لقلة دُرْبَتِه بالحروب والخطوب ، وأما قَانى بَاى فحالُه معروف لا يحتاج للتعريف به .

وأصبح الناسُ فى يوم الأحد سابع شهر ربيع الأول والقتال مستمرٌ بين الفريقين ، وكلٌ منهم فى أشد ما يكون من القيام بنصرة صاحبهم إلى قريب الظُّهر ، فنزل من القلعة جماعةٌ كبيرة مشاة إلى عند سبيل المؤمنىّ ، فخرج إليهم جماعةٌ كبيرة من عسكر الأمير الكبير ، وتقاتلوا بالرّماح والسيوف والأطْبَار ، وافترقوا ثم التقوا غير مرّة حتى أردف عسكر الأمير الكبير طُوخ من تِمْراز الناصرى من مكانه الذى كان مقيما به عند زاوية قَانى بَاى الجاركسى بجماعته ، ثم أردفهم جماعة أخر من عند الأمير الكبير(١ ، والتحم القتال بينهم وقتل جماعة من عسكر الأمير الكبير ١) ، منهم : طُقْتَمُر الناصرى رأس نَوبَة الجمدَارِيَّة تهبيرا ، لأنه كان هرب من عند الملك المنصور و نزل إلى الأمير الكبير فى يومه ، فلما ظفروا به قتلوه ، لما كان فى نفوسهم منه ، ثم تَمْجَق اليَشْبُكى الخاصكى أُخذ سحباً إلى القلعة ، فمات من جراحه ، وأَيْتَمُش المؤيدى الخاصكى ، وقانى بَاى الأشرفى الخاصكى وغيرهم .

ودام القتال بينهم حتى ملك أصحابُ الأمير الكبير سبيلَ المؤمنى بعد أمور وحروب ، ثم أطلقت أصحاب الأمير الكبير النّار فى البيوت التى بجوار الميدان برأى تِمْرَاز الأشرفى الزَّرْدكَاش(٢) ، فتعلقت النار فيهم حتى وصلت إلى سقف المسجد من سبيل المؤمنى وأحرقته عن آخره ، وكان بسطحه جماعة كبيرة من السلطانية فنزلوا عنده ، فحينئذ وجد أصحاب الأمير الكبير طريقاً لهدم سور الميدان ، فهدموا جانباً منه ، ودخلوا منه إلى الميدان الذى تحت قاعة الجبل .

(١–١) هذه العبارة ساقطة من ص والإثبات عن ط كاليفورنيا .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤١٢ ط كاليفورنيا عن كتاب الحوادث « لكون عسكر السلطان كان غالبه على أسطحتها» .

هذا وقد انحاز السلطانيّة إلى باب السلسلة ، فكان فى هذا اليوم حرب بين الطائفتين لم يقع مثله فى الستة أيام الماضية .

فلما دخل القوم إلى الميدان ولّت المنصورية الأدبار ، وقام السلطان الملك المنصور عثمان من مجلسه بمقعد الإسطبل السلطانى ، وطلع إلى القصر الأَبْلَق من قلعة الجبل ، ومعه جماعة كبيرة من مماليك أبيه وغيرهم من الأمراء والخاصكيّة ، ودخل قَانى بَاى الچاركسى إلى مبيت الحرّاقة من الإسطبل ، ودام الأمير تَنَم بالمقعد مستعزًّا بخُچْداشِيّته المؤيديّة وغيرهم ، وتمزّقت عساكر المنصور فى الوقت كأنها لم تكن ، من غير أمرٍ أوجب ذلك ، وتركوا باب السلسلة وفرُّوا منه قبل أن يطلع إليه واحدٌ من أصحاب الأَتابَك إينال ، ثم فعلوا ذلك أيضاً بقلعة الجبل وتركوها وأبوابها مفتّحة ، ولم يقاتلوا بها ساعة واحدة ، وتمزّقوا كلّ مُمَزَّق .

وكان هذا بعكس ما كان منهم فى السبعة أيام الماضية من شدّة القتال وعظم الثّبات وقوّة البأس ، إلى أن كان من أمرهم ما كان فى هذا اليوم ، وتركوا باب السلسلة والقلعة وانصرفوا فى الحال على أقبح وجه ، وكان يمكنهم أن يقاتلوا القومَ بالميدان أيّامًا ؛ فإن الميدان لافرق بينه وبين الرُّمَيلة[1] ، وليس بينه وبين باب السلسلة تعلّق ، وأيضاً ولو ملكت أصحاب الأمير الكبير بابَ السلسلة والإسطبل السلطانى كان يمكنهم القتال من القلعة أياماً ، إذ ليس للقلعة تعلّق بالإسطبل ، وقد ملك المؤيَّد شيخ أيام إمرته الإسطبل من الأمير أرْغُون الأمير آخور نائب غَيْبَة الملك الناصر فرج ، ودام به أياماً ، ولم يَقْدِر على أخذ القلعة ولا توصل إليها بوجهٍ من الوجوه ، وكان مع الملك المؤيد أقوام هم هم ، وأيضاً لم يكن بالقلعة يوم ذاك بعض من كان بها الآن ، ووقع ذلك لخلائق من الملوك أنهم ملكوا بابَ السلسلة ولم يقدروا على أخذ القلعة .

والمقصود من هذا الكلام أن ليس للقلعة علاقة بباب السلسلة إلا فى الأمن والرخاء

(١) فى الأصول «الرملة» .

لا؟ير ، كل ذلك لما تقدم ذكره أنه ليس عندهم من يدبِّرُ أمورهم ، وإلا فكان يمكنهم أن يطلعوا إلى القلعة ويحصنوها ويقاتلوا بها أياماً حتى تعمل مصالحهم ، وإذا سلّموها يعطوها بالأمان والرّضا ، هذا إذا لم يكن لهم نهضة للهروب والخروج من الدِّيار المصرية ، والاختفاء فى مكان من الأمكنة من القاهرة ، كما فعل غيرهم من الملوك السالفة ، على أن أصحاب الأمير الكبير كان أخذ منهم التعبُ والجهدُ فى هذا اليوم والذى قبله أمراً كبيراً، وكَلّ أكثرُهُم من القتال ، فلو امتنعت السلطانيّة بباب السلسلة يوماً أو يومين لطال أمرُهم بعد ذلك ، ووقع لهم أمور ليس فى ذكرها الآن فائدة ، وكان أمر المماليك الظاهرية فى مبدأ الأمر عجيباً من شدَّة بأسهم أولا ، وفى تهاونهم آخراً ، وقد قيل فى الأمثال : « على قدر الصعود يكون الهبوط » .

ولما بلغ الأمير الكبير إينال طلوع الملك المنصور من الإسطبل السلطانى إلى القصر الأبلق نَدَبَ فى الحال الأميرَ جَرِبَاش المحمدى الناصرى المعروف بِكُرْد إلى الطلوع إلى باب السلسلة وتسليم الإسطبل السلطانى ، ولم يتحرك الأميرُ الكبيرُ من مكانه ، ولا ظهر عليه فرحٌ ولا كآبة ، فهذا أيضاً مما تعجبتُ منه ، وطلع الأمير جَرِبَاش إلى باب السلسلة بعد أن استولى أصحاب الأمير الكبير عليها .

وكان من خبر أخذهم لباب السلسلة أن الأمير تَنَم من عبد الرزَّاق المؤيدى أمير سلاح لما قام الملك المنصور وطلع إلى القصر ، وتشتت عساكره ثم دخل قَانى بَاى الجاركسى مبيت الحرّاقة من الإسطبل قام تَنَم المذكور ومشى إلى المقعد الذى كان يجلس به الملك المنصور فى أيام الوقعة ، وأشار إلى القوم بمنديل كان بيده كمن يطلب الأمان ، ثم ركب فى الحال وفى زعمه أن الجماعة تتلقاه بالرحب والقبول ، لأيادٍ كانت له ، وصحبة عند الأمير الكبير قديمًا وحديثًا ، وأيضا أن غالب مَنْ كان من أصحاب الأمير الكبير هو خُجْدَاشه أو صاحبه ، فركب فرسه ونزل حتى وقف عند باب السلسلة أسفل الحدرة ، وفتحت خوخَة باب السلسلة ودخل القوم ، فحال ما وقع بصرهم عليه تناولته الألسن والأيدى بالسب والضرب ، حتى أُخذ وأُنزل بغير تخفيفة على حالة غير مرضية ،

ولولا أن بعض خُجْدَاشِيّته المؤيدية حماهُ لكان أمرُه ربما وصل إلى التلاف ، وكذلك وقع للأمير كُزُل المَعَلِّم ، وأما عبد الله كاشف الشرقية فإنه أُخِذَ ورأسُه مكشوفة وشيبته قد تضمخت بالدماء السائلة على وجهه من الضرب بالدبابيس ، والقوم تهجم عليه كَرّة بعد أخرى لهلاكه ،لولا قائل كفَّهم عنه وهو يقول : « لا تقتلوه، يروح مال السلطان ، دعوه حتى يأخذ السلطانُ أَمْوَاله » ، ثم وقع ذلك بجماعة من الخاصكية يطول الشرح في ذكرهم من الأخذ والسلب مما عليهم والإخراق بهم .

وأما الأمير تَنَم فإنه لما أخذوه ودخلوا به إلى الأمير الكبير ، وعلى رأسه قُبّع[(١)] أخضر من غير تخفيفة ، ومعه كُزُل المعلِّم ، وعبد الله الكاشف ، فأوقف بين يدى الأمير الكبير على بُعْدٍ ، فكان أول ما تكلَّم به تَنَم أن قال : « بيني وبين الأمير الكبير عهود » أو معنى ذلك ، فقال الأمير الكبير : « أنت نقضتَ العهد » ، يعني بتركه وطلوعه إلى الملك المنصور ، ثم أمرَ به وبرفقته فحُبسوا بالقصر عند الأمير قَرَاجا وغيره، ثم نقلوا بعد ساعة إلى رَكْبَخَانَاة الإسطبل السلطاني ، وأضيف إليهم قاني بَاى الجاركسي وغيره ممن يأتي ذكرهم عند توجههم إلى سجن الإسكندرية .

ولما طلع الأمير جَرِباش إلى الإسطبل وملك باب السلسلة ، قام الأمير الكبير عند ذلك من مقعد بيت الأمير قَوْصُون ، وركبَ فرَسه ، وخرج منه في موكب عظيم إلى الغاية ، والخليفة عن يمينه ، وتَنِبَك البُرْدبَكى أمير مجلس عن يساره ، والعساكر بين يديه محدقة به ، وقد وقفت الخلائق دهليزاً لرؤيته ، حتى سار من بيت قَوْصُون تجاه باب السلسلة إلى أن طلع إليها ، وجلس بالحرّاقة من باب السلسلة ، فحال جلوسه تفرّقت العساكر[(٢)] في قبض أعيان الأمراء الظاهرية وغيرهم ، فقبضوا منهم على جماعة كثيرة يأتي ذكرهم بعد ذلك .

(١) قبع : قبع أمراء الأجناد طاقية تلبس تحت الخوذة ، وقبع رجال الدين طاقية صغيرة تلبس تحت العمامة . وربما لبس العامة القبع دون استعمال أى شيء آخر معها . (ماير – الملابس المملوكية ترجمة صالح الشيتى مخطوط ص ٩٥) .

(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٤١٧ ط. كاليفورنيا عن كتاب الحوادث «فى النهب والأخذ ، فنهبوا شيئا كثيرا من الأموال والقماش والمتاع وأخذوا» .

ثم أخذ قانى باى الجاركسى من مبيت الحرّاقة ، وأُنزل به عند رفقته المقبوض عليهم ، وقيّدُوا الجميع برَكْبخاناة الإسطبل ، ولم ينجُ أحد من أمراء الظاهرية غير أسِنْبَاى الجمالى الدّوادار الثانى فإنه فرّ من القامة ، واختفى على ما سيأتى ذكره .

ثم أمر السلطان فى الوقت بالإفراج عن الأمير قَرَاجَا الظاهرى ، وعن الأمير تَغْرِى بَرْدِى القَلاوى ، وعن الأمير بُرْدبَك الأمير آخور الثالث ، ورسم لهم بلبس الكَلَفْتاه[١] من الغد ، وحضور الخدمة السلطانية .

ثم رسم الأمير الكبير فى الحال بقلع السلاح ، وقَلَع هو قبلَ الناس ما كان عليه ، وكان لِبْسُه فى تلك الأيام كلها قَرْقل[٢] مُخْمَل أحمر بغير أكمام ، وقلعت العساكر فى الحال السلاح من عليهم ، وسكنت الفتنة كأنها لم تكن ، وبات الناس فى أمن وسلامة ، على أن القاهرة كانت فى مدّة هذه الأيام والقتال عمال فى كل يوم فى غاية الأمن ، والحوانيت مفتّحَة ، والناس فى بيعهم وشرائهم ، وأكثرهم جالس بالدكاكين للفرجة على من يمرّ عليهم من العساكر المُلَبَّسة ، بل كان يتوجه منهم أيضا جماعة كبيرة إلى الرُّمَيْلَة للفرجة على القتال كما كان يتوجه بعضهم للفرجة على المحمل وغيره ، ولم تقفل أبواب القاهرة فى هذه المدة ، ولا شَوَّشَت الزُّعْر[٣] على أحد ، بل كان كل واحد يمضى إلى حال سبيله ، والقتال عمّال بين الطائفتين لا يصيب من العامة إلا من توغّل منهم بين المقاتلة ، فهذا أيضا من الغرائب ، على أننا لا نعلم وقعةً كانت بمصر تطول هذه المدة ، ولا حوصرت قلعة الجبل سبعة أيام إلا فى هذه الواقعة .

وأما وقعة يَشْبُك الشعبانى ورفقته مع الملك الناصر المقدم ذكرها ليس هى كهذه الوقعة ، ومع هذا قفِّلت القاهرة [٤] فى تلك الكائنة أياماً ونهبت الزُّعْرُ عِدَّةَ أماكن ، فكانت هذه الوَقْعة بخلاف جميع الوقائع[٤] فى هذا المعنى — انتهى .

(١) الكلفتاه : ويقال كذلك كلفتة وكلوتة ، غطاء للرأس ، تلبس وحدها أو بعمامة .

(٢) القرقل (ج : قرقلات) نوع من الدروع يصنع من صفائح الحديد المغشاة بالديباج الأحمر والأصفر . انظر (صبح الأعشى ج ٤ ص ١١) .

(٣) الزعر : هم الشطار والعيارون وسيئو الخلق (المعجم الوسيط) .

(٤–٤) هذه العبارة ساقطة من ص والإثبات عن ط. كاليفورنيا .

وبات الأميرُ الكبيرُ إينال بمبيت الحرّاقة من الإسطبل السلطانى حتى أصبح وتسلطن منه على ما يأتى ذكره مُفَصلا فى ترجمته عقيب هذه الترجمة .

وزالت دولة الملك المنصور عثمان كأنها لم تكن ، فسبحان من لا يزول ملكه .

فكانت مدة سلطنة الملك المنصور من يوم تسلطن بعد خلع أبيه حسبما تقدّم ذكره إلى يوم خَلَعهُ الخليفة يوم الجمعة خامس شهر ربيع الأول شهراً واحداً وثلاثة عشر يوماً ، وإلى يوم تسلطن الملك الأشرف إينال فى صبيحة يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأول المذكور شهراً وستة عشر يوماً ، ولا نعلم أحداً من ملوك مصر من الأتراك كانت مدّتُه فى الملك أقصرَ من مدة الملك المنصور هذا ، مع عظم شوكته ، وثبات قدمه فى الملك ، فما شاء الله كان ، وما هذا إلا نوع من القصاص ، وقد ورد فى الإسرائيليات : يقول الله سبحانه وتعالى : « يا داود أنا الربُّ الودود ، أعامل الأبناء بما فعلت الجدود » وقد رأينا هذه المكافأة فى واحد بعد واحد من يوم خُلع الملك المنصور حاجى بالملك الظاهر بَرْقوق من السلطنة إلى يومنا هذا ، والجميع يشربون هذا الكأس من يد أتابكتهم ، ويرد عليهم هذا الشراب بتدبير مماليك أبيهم ، وقد تقدم ذكر هذا المعنى فى مواطن كثيرة ، والإضراب عن ذكر هذا أجمل .

ولما طلع الملك المنصور من الإسطبل إلى القصر ودّعه مماليكُ أبيه وفارقوه ، فلا قوة إلا بالله ، وتوجه هو إلى الحريم السلطانى عند والدته ، وأقام عندها إلى أن طلبه منها الملك الأشرف إينال ، فخرجت معه إلى قاعة البَحْرَة بالحوش السلطانى من قلعة الجبل ، فأقام الملك المنصور بالبَحْرَة من يوم خُلع هو ومن يخدمه مع والدته وأولاده والجميع فى التَّرْسيم إلى يوم الأحد ثامن عشرين شهر ربيع الأول ، فأُخذ منها بجميع خَدَمِه ووالدته وأولاده ، وأنزلوا الجميع فى حرّاقة إلى ثغر الإسكندرية ، وكانت هيئة نزول الملك المنصور من القلعة أنه أركب على فرس بوز بقيد ، من غير أن يركب أحد من الأوجاقيّة خلفه كما هى عادة الملوك من الأمراء ، ومضوا به من باب القرافة فى وقت القائلة ، وقد خرجوا الناس للفرجة عليه بخارج القاهرة ، وساروا به وحوله الخاصكية بالسيوف والرّماح ، وجماعة

كبيرة من أعيان الأمراء ، وقد ازدحم الناس بالسكيمان للفرجة عليه ، حتى اجتاز بقرافة مصر القديمة إلى أن وصل إلى نيل مصر ، وأنزل فى الحرّاقة ، وسافر من وقته فى بحر النيل إلى الإسكندرية ، [١] فسُجن بها ، وهذا أيضاً من الغرائب من أن ملك مصر يُخلع ويتوجّه مقيَّدًا إلى[١] الإسكندرية نهاراً ، ولم يقع ذلك لغيره فى السنين الخالية ، وكان مُسَفِّرُه خـيربك الأشقر المؤيّدى الأمير آخور الثانى .

واستمر الملك المنصور مسجوناً بثغر الإسكندرية وعنده والدته وجواريه وأولاده إلى ما يأتى ذكره — أحسن الله عاقبته بمحمد وآله[٢] .

(١–١) هذه العبارة ساقطة من ص . والإثبات عن ط. كاليفورنيا .

(٢) جاء فى هامش ص «آخر الجزء السابع من نسخة المصنف » .

ذكر سلطنة الملك الأشرف إينال العلائى

على مصر

(١ السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر إينال بن عبد الله العلائى الظاهرى ثم الناصرى ، مَلَكَ الدِّيارَ المصرية بعد انهزام الملك المنصور عثمان فى يوم الأحد سابع شهر ربيع الأوّل من سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، وطلع إلى باب السلسلة وبات بمبيت الحراقة حسبما ذكرنا إلى أن تسلطن من الغد ، وقد ذكرنا طلوعه وما وقع له فى حرب الملك المنصور فى ترجمته منصلا ، ويأتى ذكر سلطنته أيضاً فى أوّل ترجمته كما هى عادة هذا الكتاب .

والملك الأشرف هذا هو السلطان السادس والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، والثانى عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بها .

ولما كان صبيحة يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأول من سنة سبع وخمسين المذكورة طلع أعيان الدولة والعساكر إلى الإسطبل السلطانى بتماش الموكب وانضموا الجميع بالحَرّاقَة من باب السّلسلة ، وقد حضر الخليفة والقضاة الأربعة وسائر أمراء الدّولة ، وبويع الأمير الكبير إينال بالسلطنة ، ولقب بالملك الأشرف ، ولبس خلعة السلطنة من مبيت الحرّاقة بالإسطبل السلطانى فى أوّل ساعة من النهار المذكور ، بعد طلوع الشمس بنحو ست درجات ، فى ساعة القمر ، والطالع الحَمَل ، وكان بويع بالسلطنة حسبما تقدم ذكره فى بيت قَوْصُون قبل أن يملك قلعة الجبل فى يوم الأربعاء ثالثة ، ثم فى يوم الجمعة حسبما ذكرنا ذلك فى وقته ، ثم فى يوم السبت سادسه ، ثم فى عصر أمسه بعد طلوعه إلى باب السلسلة ، والعهدة فى سلطنته من وقت لبسه الخلعة السوداء الخليفتية وركوبه بشعار الملك ١) .

(١–١) ما بين الرقمين من نسخة كاليفورنيا — وما فى ص يختلف عنه صياغة وتقديما وتأخيرا ، ولكنه لا يخرج عن معناه .

ولما تمّ لبسه خامة السلطنة من المبيت المذكور خرج منه ، ومشى حتى ركب فرس النوبة ، بأبهة السلطنة وشعار الملك . وحمل ولدُه المقامُ الشهابىُّ أحمدُ القُبّة والطيْرَ على رأسه حتى طلع إلى القصر السلطانى ، والأمراء والعساكر مشاة بين يديه ، ماخلا الخليفة.

وسار على تلك الهيئة إلى أن وصل إلى باب القصر ، فنزل عن فرسه ، ودخل القصر الكبير ، وجلس بإيوانه على تَخْت الملك ، وقبّلت الأمراء الأرض بين يديه ، وخلع على الخليفة القائم بأمر الله فوقا نيا كَمْخاً حريرا بوجهين أخضر وأبيض ، بطُرُز يَلْبُغَاوى زَرْكَش ، وقدَّم له فرساً بسرج ذهب ، وكُنْبُوش زَرْكَش ، وتمَّ جلوسه بالقصر السلطانى إلى يوم الجمعة[1] على ما سنذكره بعد ذكر نسبه فنقول :

أصله جارْكَسِىّ الجنس ، أُخذ من بلاده ، فاشتراه خواجا علاء الدين ، وقدم به إلى القاهرة ، هو وأخيه طُوخ ، وطُوخ كان الأكبر ، وكان اسم إينَال غير إينال ، فاستقرّ إينال ، فاشتراهما الملك الظاهر برقوق — أعنى إينال وطوخ — من الخواجا علاء الدين المذكور فى حدود سنة تسع وتسعين [وسبعمائة][2] تخمينا ، فأعتق الظاهرُ أخاه طوخ المذكور ، ودام إينال هذا كتابيًّا بطبقة الزّمام ، إلى أن ملكه الملك الناصر فرج بن برقوق وأعتقه ، وأخرج له خيلا على العادة ، واستمرّ من جملة المماليك السلطانيّة ، إلى أن صار فى آخر الدّولة الناصريّة خاصكيًّا ، فدام على ذلك إلى أن أنعم عليه الأمير الكبير طَطَر فى الدّولة المظفرية [أحمد][2] بإمْرَة عشرة فى أوائل سنة أربع وعشرين ، ثم نقل إلى إمْرَة طبلخاناة فى أوائل دولة الأشرف بَرْسِبَاى فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة ، ثم صار بعد انتقال قَانِى بَاى الأبو بكرى البَهْلَوَان إلى تَقْدمَة ألف ، ثانى رأس نَوْبَةِ النُّوَب ، ثم نُقل إلى نيابة غزَّة بعد عزل الأمير تِمرَاز القرْمَشى وقدومه إلى الدّيار المصرية ، وذلك فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين شوال سنة إحدى وثلاثين

(١) فى ص «الخميس» والمثبت عن ط. كاليفورنيا .

(٢) الإضافة للتوضيح .

وثمانمائة ، فباشر نيابة غزّة إلى أن سافر[1] صحبة الملك الأشرف بَرْسِبَاى إلى آمِد فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة .

ولما عاد الأشرف من آمِد ونزل بمدينة الرُّها — وقد[2] استولى عليها وهى خراب — طلبه الملك الأشرف ليستقرّ فى نيابة الرُّها[2] فامتنع ، ورمى بسيفه وأغلظ للأشرف فى الكلام ، فاستشاط الأشرف غضباً ولم يسعه إلا أن طلب مملوكه قَرَاجا شادّ الشَّرَاب خَانَاه ، وخلع عليه بنيابة الرُّها ، وقال : « أنا مايمتثل أوامرى إلا مماليكى » .

وانفضّ الموكب ، وذهب إينال هذا إلى مُخَيَّمِهِ ، فندم على ما وقع منه ، وخُوِّف عواقب ذلك ، فأذعن ، وطلبه السلطان فى عصر النهار المذكور ، وخلع عليه أطلسين متمَّرا ، ووعده بأن يمده بالسلاح والعليق وغير ذلك ، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، زيادة على نيابة الرُّها ، عوضاً عن جَانِبَك الحمزاوى المستقر فى نيابة غزّة عوَضَه .

وخرج إينال وهو متغيِّرُ اللون -- رأيته لما سلمت عليه — ودام فى نيابة الرُّها ، إلى أن عزله الأشرف عنها بالأمير شَاد بَك الجَكَمِى ثانى رأس نَوْبَة فى يوم الثلاثاء سابع عشرين شوال سنة سبع وثلاثين ، واستقدمه إلى القاهرة على إمرة مائة وتقدمة ألف ، وهو الإقطاع الذى كان بيده زيادة على نيابة الرُّها .

فدام بمصر إلى أن خلع عليه الأشرف فى يوم الخميس عاشر رجب سنة أربعين وثمانمائة بنيابة صَفَد بعد عزل الأمير يونس الركنى الأرْغُونى الأعور عنها ، فاستمر فى صَفَد إلى أن طلبه الملك الظاهر جَقْمَق فى سنة ثلاث وأربعين ، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية فى صفر السنة المذكورة ، ووَلّى صَفَد عوضه قَانى بَاى البَهْلَوَان أتابك دمشق .

(١) فى ص «صار» .

(٢-٢) ما بين الرقمين وارد فى هامش ص .

وكان قدوم إينال هذا إلى القاهرة فى يوم السبت ثالث عشر صفر ، فدام بالقاهرة من جملة أمراء الألوف إلى أن نقله الملك الظاهر جَقْمَق إلى الدوادارية الكبرى بعد موت تَغْرِى بَرْدِى البَكْلَمُشِى المؤذى فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ، فباشر الدَّوَادَارِيَّة إلى أن نقله الظاهر إلى أتابَكِيّة العساكر بالديار المصرية دفعة واحدة بعد موت الأتابك يَشْبُك السُّودونى المشدّ فى سنة تسع وأربعين وثمانمائة ، فدام أتابَكاً إلى أن مات الظاهر جَقْمَق ، وملك بعده ابنه المنصور عثمان ، ووقع ما حكيناه من الفتنة بينه وبين المنصور حتى خُلع المنصور وتسلطن حسبما ذكرناه فى أول هذه الترجمة — انتهى ذكر نسبه .

ولنعد لما كنا فيه من جلوسه بعد قَلْعِهِ خِلْعَةَ السلطنة بالقصر فنقول :

ولما تمّ جلوسُه بالقصر طلب خُجْداشَه يُونُس العَلائى الناصرى نائب قلعة الجبل ، وخلع عليه باستقراره فى نيابة الإسكندرية بعد عزل يَشْبُك قَرا وحبسه ، وأمر السلطان الأمير قَانى بَاى الأَعْمَش الناصرى — أحد أمراء العشرات ورأس نَوبَة — أن يجلس مكان يونس المذكور .

ثم أصبح السلطان الملك الأشرف إينال هذا فى يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول خلع على جماعة كبيرة بعدّة وظائف :

فخلع على ولده المقام الشهابى أحمد باستقراره أتابَك العساكر عوضاً عن نفسه .

وعلى الأمير تَنِبَك البُرْدُبَكى الظاهرى أمير مجلس بإمرة سلاح عوضاً عن الأمير تَنَم من عبد الرزاق المؤيّدى بحكم القبض عليه وسجنه .

وخلع على الأمير طُوخ من تِمْرَاز الناصرى غليظ الرقبة بإمرة مجلس عوضاً عن تَنِبَك المذكور

وخلع على الأمير خُشْقَدَم الناصرى المؤيّدى حاجب الحجاب باستمراره على وظيفته .

وخلع على الأمير جَرِبَاش المحمدى الناصرى المعروف بكُرْد باستقراره أمير آخور كبيرا عوضاً عن قانِى بَاى الچاركسى بحكم القبض عليه.

وخلع على الأمير يونس الأَقْبَائى دواداراً كبيراً عوضاً عن تَمُرْ بُغَا الظاهرى بحكم القبض عليه، لكن يونس هذا ولى الدّوادارية على تقدمة، وكان تَمُرْ بُغَا وليها على إمرة طبلخاناه.

وخلع على الأمير قَرْقَمَاس الأشرفى الجَلَب باستقراره رأس نَوْبَة النُّوَب عوضاً عن الأمير أَسَنْبُغَا الطيّارى بحكم وفاته.

وخلع على الأمير جَانِبك الظاهرى نائب جدّة خلعة الاستمرار على وظيفته الأستادارية الكبرى.

(١ ثم أمر السلطان فى يوم الأربعاء عاشره بالمناداة فى المماليك السلطانية بأن النفقة فى يوم الاثنين ١).

ثم فى يوم الأربعاء هذا حُملت الأمراء المسجونون من القلعة على البغال إلى بحر النيل وسُفِّروا من وقتهم إلى الإسكندرية، وهم: الأمير تَنَم المُؤَيّدى أمير سلاح المقدَّم ذكره، وقانِى بَاى الچاركسى الأمير آخور الكبير، والأمير تَمُرْبُغَا الدوادار، والأمير لَاچِين شادّ الشرَاب خاناه، وأَزْبَك الساقى الخَازِنْدَار، وسُنْقُر العايق الأمير آخور الثانى، وجَانَم الساقى الظاهرى، وسودون الأَفْرَم الظاهرى، وجَانِبَك الظاهرى البوّاب — وهما ممن تأمّر فى الدولة المنصورية —، والجميع ظاهرية ما عدا تَنَم وقانِى بَاى.

وفى يوم الأربعاء هذا أشيع كلامٌ بسبب تولية السلطان ولده أحمد أتابَكاً عِوَضَه، وأن ذلك بخلاف العادة، فخارت طباع الأشرف من غير أمرٍ يوجب ذلك، وأصبح من

(١-١) أشار و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٢٥ إلى أن صياغة الخبر فى كتاب الحوادث كما يلى «ثم أمر السلطان فى يوم الأربعاء عاشره بالمناداة فى المماليك السلطانية بعد أن أشيع بالقاهرة إثارة فتنة بسبب النفقة، وبلغ السلطان أن المماليك السلطانية يقولون لا نأخذ إلا مائتى دينار، فنودى بأن الغرض بأن النفقة فى يوم السبت، ويوم الاثنين، وأن أحدا من المماليك السلطانية لا يعدى من الربيع بفرس إلى القاهرة».

الغد فى يوم الخميس خلع على الأمير تَنبك البُرْدبَكى الذى كان استقرّ فى إمرة سلاح باستقراره أتابك العساكر عوضاً عن ولده الشهابى أحمد ، وأنعم على ولده المذكور بإمرة مائة وتَقْدِمَة ألف — على عادة أولاد السلاطين — وجعله يجلس رأس الميسرة .

قلت : وهذا أول وَهَن وقع فى دولة الأشرف إينال من كونه يُوَلِّى ولده أتابكاً فى الأمس ، ثم يعزله فى الغد من غير أمر يقتضى ذلك ، ولو صمّم على بقاء ولاية ولده لتمّ له ذلك ولم ينتطح فى ذلك عنزان .

ثم خلع على الأمير خُشْقَدَم الناصرى حاجب الحجّاب باستقراره أمير سلاح عوضاً عن تَنبك المذكور .

وخلع على قَرَاجَا الخَازِنْدَار الظاهرى باستقراره حاجب حُجّاب عوضًا عن خُشْقَدَم المؤيّدى المذكور .

ثم استقرّ الأمير تِمْراز الإينالى الأشرفى[1] دواداراً ثانيًا عوضًا عن أُسِنْبَاى الجمالى بحكم تَسَحُّبه ، وأنعم عليه بإمرة عشرين .

ثم استقرّ جانِبَك من قَجْماس الأشرفى [2] شادُّ الشَّرَاب خَانَاه عوضاً عن لاَجِين بحكم حبسه .

واستقرّ خَير بَك الأشقَر المؤيّدى أمير آخور ثانيًا عوضًا عن سُنْقُر العايق بحكم سجنه .

وأنعم علَى خير بَك المذكور بإمْرَة عشرين ، وكانت العادة إمْرَة طبلخاناة .

واستقر قانى بَاى الأعمَش الناصرى نائب قلعة الجبل عوضًا عن يُونُس العلائى نائب الإسكندرية — كما تقدّم ذكره —

---

(١) الشهير بالزردكاش — وانظر هامش ٧ : ٤٢٦ ط . كاليفورنيا .

(٢) برسباى المعروف بدوادار سيدى (المرجع السابق) .

ثم أنعم السلطان على الأمير جانِبَك القَرَمانى الظاهرى[1] رأس نَوْبَة ثانى بإمْرَة مائة وتَقْدِمَة ألف بالديار المصرية عوضًا عن الأمير أسَنْبُغَا الطيَّارى بعد وفاته.

[2] واستقرَّ يَشْبُك الناصرى رأس نَوبَة ثانيًا عِوَضًا عن جانِبَك القَرَمَانى المذكور [2].

ثم أنعم علَى الأمير أرَنْبُغَا اليونسى الناصرى بإمْرَة مائة وتَقْدِمَة ألف بالديار المصرية عوضًا عن قانِى بَاى الچاركسى بحكم القبض عليه وحبسه.

وأنعم على بَرْسِبَاى البَجاسى المعزول عن نيابة الإسكندرية بإمْرَة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية عوضًا عن الأمير طوخ [3] بحكم انتقال طوخ إلى تقدمة أخرى أكثر خراجًا منها — وهو إقطاع تَنِبَك المنتقل إلى الأتابَكية —.

ثم أنعم السلطان على جماعة كثيرة بإمْرَة طبلخانات، وعشرات، باستحقاق وبغير استحقاق، كما هى عوائد أوائل الدّول، يطول الشرح فى تسميتهم.

ثم خلع السلطان على جماعة كبيرة بعدة وظائف، منهم: البدرى حسن بن الطولونى باستقراره معلِّم المعمارية[4]، وأميرزة بن حسن الدّوكارى[5] التُرْكُمانى بكشف الوجه القبلى على عادته، وعلى جماعة أُخَر.

ثم فى يوم السبت ثالث عشر ربيع الأول المذكور استقرَّ الأمير جانِبَك من أمير الأشرفى[6] الظريف أمير طبلخاناه خازنداراً كبيراً عوضًا عن الأمير أزْبك من ططخ الظاهرى بحكم سجنه بالإسكندرية.

( ) — برقوق — عن هامش ج ٧ : ٤٢٧ ط. كاليفورنيا.

(٢–٢) تختلف عبارة ص عن هذه بالتقديم التأخير.

(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٣٠ط. كاليفورنيا عن كتاب الحوادث «أمير مجلس».

(٤) أضاف و. پوپر فى هامش٧ : ٤٢٧ط. كاليفورنيا عن كتاب الحوادث «عوضا عن يوسف شاه، وأعيد عبد الله الكاشف إلى ولاية الشرقية على عادته بعد أن التزم بعمل الجراريف بأعمال الشرقية من هذه السنة».

(٥) واسمه فى هامش ٣ : ٤٢٧ ط. كاليفورنيا «وأميرزة بن حسن بك بن سالم الدوكارى».

(٦) وهو فى ص «جانبك الأشرفى الظريف».

واستقرّ بُرْدبَك دوادارُ السلطان قديمًا وزَوجُ ابنتهِ دوادارا ثالثًا بإمْرَة عشرة وهذا شيء لم نعهده كون الدوادار الثالث يكون أمير عشرة، وما عادته إلا خاصكيًّا، وكان حق بُرْدبَك هذا الدوادارّية الثانية لكونه مملوك السلطان ودواداره وزَوْج ابنته، غير أن السلطان لما رأى أن تِمْرَاز الأشرفى غرضه فى الدوادارية الثانية لم يسعه إلا الإنعام عليه بها، لعظم شوكة الأشرفية يَومئذ.

ثم استقرّ يَشْبُك الأشْقَر الخاصكى الأشرفى أستادار الصُّحْبَة بعد عزل سُنْقُر الظاهرى عنها من غير إمْرَة.

ثم فى يوم الاثنين خامس عشر ربيع الأول ابتدأ السلطانُ بالنفقة على المماليك السلطانية على أقسام متعددة نفقةً كاملة، وهى[1] مائة دينار، ونصف نفقة، وربع نفقة، وعشرة دنانير، وهذا لم يقع قبل فى الدّولة التركية، ولامَ السلطان بعض أعيان الأمراء على ذلك، فقال: «هذا الذى كان رتّبه تَمُرْبُغا للتفرقة فى الدولة المنصورية»، فكلّم ثانياً، فاعتذر بقلة المتحصل فى الخزانة السلطانية.

قلتُ: «والعذر الثالث أن كلمة الشُّحّ مطاعة».

قلت: «والذى فُرّق فى المماليك السلطانية إنما هو الذى جمعه الملك المنصور عثمان من السُّلَف والمصادرات فى أيّام سلطنته، وإلا فما ترك والده الملك الظاهر جَقْمَق فى الخزانة شيئاً يذكر، لكرم نفسه وكثرة عطاياه — رحمه الله تعالى —».

ثم فى يوم الثلاثاء سادس عشره خلع السلطان على جماعة[2] من الأمراء خلع الأنظار المتعلقة بالوظائف المقدم ذكرها[3].

ثم فى يوم الأربعاء سابع عشره وصل الأمير دُولات باى المحمودى الدّوادار من

---

(١) فى هامش ٧ : ٤٢٨ ط. كاليفورنيا أضاف «لكل مملوك».

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٢٩ ط. كاليفورنيا «من أصحاب الوظائف».

(٣) أضاف المرجع السابق «على عادتهم فى ذلك».

سجن الإسكندرية ، ووقع فى خروج دُولات بَاى المذكور ومجيئه من ثغر الإسكندرية غريبةٌ فيها عبرةٌ لمن اعتبر ، وهو أنّ الأمراء الذين قبض عليهم الملك الأشرف إينال هذا كان غالبهم هو الذى حسَّن للمنصور القبضَ على دولات باى هذا وسجنه بثغر الإسكندرية فلما أمسكهم الملك الأشرف وسيّرهم إلى الثغر ، رسم بإطلاق دُولات بَاى من السجن ، فتوافوا خارج الإسكندرية ، وقد أفرج عن دُولات بَاى ، ورُسم بحبسهم عوضه ، فانظر إلى هذا الدّهر وأفعاله بالمغرمين به ، لتعلم أن الله على كل شىء قدير .

وفى يوم الخميس ثامن عشره أنعم السلطان على الأمير يونُس العلائى نائب الإسكندرية بإقطاع الأمير جَانِبَك اليَشْبُكى الوالى ثم الزّرَدْكَاش بعد وفاته ، وأنعم بإقطاع يونُس المذكور على قانِى بَاى الأعْمَش الذى استقرّ عوضا عن يونُس فى نيابة القلعة .

وفى يوم الجمعة تاسع عشره أفرج السلطان عن الأمير زين الدين يحيى الأستادار من محبسه بالبُرْج من قلعة الجبل ، وخلع عليه كَامِليَّة[1] بمَقْلَب سَمُّور ، ونزل إلى داره .

وفى يوم السبت العشرين من ربيع الأول المذكور استقر نُوكَار الناصرى الحاجب الثانى زَرَدْكَاشًا بعد موت جَانِبَك اليَشْبُكى ، واستقرّ سمام الحسنى الظاهرى حاجبًا ثانيًا عوضًا عن نُوكَار .

وفى هذه الأيام خلع السلطان على جماعة كبيرة بعدّة وظائف حتى تجاوز عَدَد رءوس النُّوَب على خمسة وعشرين نفراً ، والدّوادارية صاروا عشرة نفر بعد ما كانوا خمسة ، وكذلك البَجْمَقْدَارية والبوّابون ، وقِسْ على ذلك .

ثم قبض السلطان على نيف وثلاثين مملوكا من مماليك الظاهرية ، وحبسوا بالبُرْج من القلعة ، وكان نَفَى قبل تاريخه جماعة أُخَر ، وشيَّع شاهين الفقيه الظاهرى ، وهو ممن لايلتفت إليه ، وسُنْقُر أستادار الصّحبة ، كلاهما إلى القدْس الشريف .

ثم أخرج أيضا يَشْبُك الظاهرى ، وكان تأَمَّرَ فى الدولة المنصورية عشرة ، ويَشْبُك

---

(١) الكاملية : ثوب ضيق الأكمام يلبس فوق القباء ، به فتحه من منتصف الظهر حتى أسفل حافة الذيل (ماير — الملابس المملوكية ص ١٥) ويبطن بفرو سمور وتعمل له قلابات من فرو السمور أيضا فيقال كاملية بفرو سمور بمقلب سمور .

الساق ، وسَنْطَبَاى رأس نَوْبَة الجمدارِيّة إلى طرابُلُس ، ثم أخرج بعدهم أيضا جماعة أُخَر .

وفى يوم الاثنين ثانى عشرينه استقرّ الأمير زين الدين يحيى أستادارا على عادته أوّلا ، بعد عزل الأمير جَانِبَك نائب جدّة عنها برغبة من جَانِبَك المذكور .

وفيه وصل الأمير يَرْشِبَاى الإينالى المؤيّدى الأمير آخور الثانى — كان — والأمير يَلْبَاى الإينالى المؤيدى من ثغر دِمْيَاط[١] ، بطلب من السلطان .

وفى يوم الخميس خامس عشرينه وصل الأمير سودون الإينالى المؤيّدى قَرَاقاش من القُدْس الشريف بطلب[٢] .

ثم فى يوم الثلاثاء سلخ ربيع الأوّل ظهر الأمير أَسِنْبَاى الجمالى الظاهرى الدّوادار الثانى — كان — وكان مختفيا من يوم ملك السلطانُ بابَ السلسلة فرسم له بالتوجه إلى القُدْس بطّالاً .

وفى يوم الخميس ثانى شهر ربيع الآخر وصل الأمير جَانَم الأمير آخور[٣] — كان — قريب الملك الأشرف بَرْسِبَاى من حبس قلعة صَفَد وخلع السلطان عليه[٣] كامِلِيَّة مُخْمَل أخضر بمَقْلَب سَمُّور ، ووعده بكل جميل ، نذكر ذلك فى تاريخنا الحوادث مفصلا هذا وغيره لكونه محلّ ضبط الحوادث ، وما نذكره هنا ليس هو إلا على سبيل الاستطراد والأمور المهمة لا غير ، وأما جميع الوقائع ففى الحوادث تطلب هناك — انتهى .

وفى يوم الجمعة أوّل جمادى الأولى قبض السلطان على الأمير قَرَاجَا الخازندار

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٣١ ط . كاليفورنيا عن كتاب الحوادث « وكانت إقامتهما به يوما واحدا » .

(٢) أضاف و. پوپر أيضا عن كتاب الحوادث « وكان له من حين نفى الظاهر نحو ثلاث سنين مقيما به ، فرحب به السلطان أيضا ووعده بالنظر فى حاله» .

(٣) هذه العبارة ساقطة من ص والإثبات عن ط . كاليفورنيا .

الظاهرى ، وهو يومئذ حاجب الحجّاب ، وحبسه بالبَحْرَة من قلعة الجبل من غير أمرٍ أوجب مَسْكَه ، وإنما هى مندوحة لأخذ إقطاعه[1] .

وفى يوم السبت ثانى جمادى الأولى أنعم السلطان بإقطاع قَرَاجَا المذكور وهو إمْرَة مائة وتَقْدِمَة ألف على الأمير جَانَم الأمير آخور الأشرفى ، وخلع على الأمير جانِبَك القَرَمَانى باستقراره حاجب الحجّاب عوضاً عن قَرَاجَا المذكور ، ورسم السلطان بتوجّه قَرَاجَا إلى القدس بطّالا ، فسافر يوم الاثنين رابعه .

وفى يوم الثلاثاء خامسه قرئ تقليد السلطان الملك الأشرف إينال بالقصر الكبير من قلعة الجبل ، وحضر الخليفة والقضاة الأربعة ، وجلس السلطان على الأرض من غير كرسىّ على مرتبة ، وجلس على يمينه الخليفة القـائم بأمر الله حمزة ، ثم جلست القضاة الأربعة كل واحد فى منزلته ، وقرأ القاضى محب الدين بن الأشقر كاتب السر التقليد إلى أن تمّت قراءته ، فخلع عليه السلطان ، وعلى الخليفة ، وانفضّ الموكب .

وفى يوم الجمعة ثامنه عقد السلطان عقد الأمير يونُس الأقبائى الدوادار الكبير على ابنته بجامع القلعة بحضرة السلطان .

وفى يوم السبت تاسع جمادى الأولى خلع السلطان على الشيخ عز الدين أحمد الحنبلى باستقراره قاضى قضاة الحنابلة بالديار المصرية ، بعـد وفاة قاضى القضاة بدر الدين بن عبد المنعم .

وفيه رسم السلطان أن يُحَطّ عن البلاد بالوجه القبلى والبحرى وسائر الأعمال ربع ما كان يطرح عليهم قبل ذلك من الأطرون ، وسُرّ الناس بذلك وتباشروا بزوال الظلم وإزالة المظالم .

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٣٢ ط . كاليفورنيا عن كتاب الحوادث «إلا أن جماعة الأشرفية صاروا يوغرون خاطر السلطان على الظاهرية ويخوفونه منهم طمعا فى أرزاقهم وأقاطيعهم ، ولم يزالوا به حتى وافقهم على هذا الفعل مع قراجا حتى كان ما سيأتى من تجهيزه للقدس بطالا» .

وفى يوم الأحد سابع عشره ورد الخبر على السلطان بقتل الأميرين سَوِنْجُبُغَا وتَغْرِى بَرْدى التَّلاوى المعزول عن الوزر قبل تاريخه ، قَتَلَ الواحدُ الآخر ، ثم قُتل الآخر فى الوقت ، ذكرنا أمرهما مفصلا فى تاريخنا الحوادث ، فأنعم السلطان بإقطاع تَغْرِى بَرْدى القَلاوى على الأمير يَرْشِبَاى الإينالى المؤيّدى ، وأنعم على الأمير يَلَبَاى الإينالى المؤيّدى بإقطاع سَوِنْجُبُغَا ، وكان إقطاعه قديمًا قبل أن يُمْسَك ، وأنعم بإقطاع عبد الله الكاشف على سودون الإينالى المؤيّدى قَرَاقَاش ، وأنعم على تَنَم الحسينى وعلى قَلَمْطَاى الإسحاقى الأشرَفِيَّيْن[1] بإقطاع يَابُغَا الجاركسى بحكم تَعَطُّلِهِ ولزومه داره ، لكل واحد منهما إمْرَة عشرة .

وفى يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة أنعم السلطان على خيرَبك الأجرود المؤيدى أتابَك دِمَشق — كان — بعد قدومه من السجن بإقطاع دُولات بَاى المحمودِىّ الدّوَادار — كان — بعد موته ، والإقطاع إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، وكان دُولات بَاى الدّوادار أخذ هذا الإقطاع بعد موت أَرَنْبُغَا، وأَرَنْبُغَا أخذه بعد قانى باى الجاركسى ، كلُّ ذلك فى دون ثلاثة أشهر[2] .

وفى يوم الأربعاء خامس جمادى الآخرة ورد الخبر من الشام بموت قَانْصُوَه النَّوْرُوزِىّ ، أحد أمراء دمشق ، فأنعم السلطان بتقدمته على الأمير قانى بَك المحمودى المؤيدى ، وكان قانى بَك بَطَّالاً بدمشق .

ثم فى يوم الاثنين رابع عشر[3] شهر رجب أدير المَحْمَل على العادة ، ولعبت الرمّاحة ، وكان الملك الظاهر جَقْمَق أبطل ذلك ، فأعاده الملك الأشرف هذا ، وسُرَّ الناس بعمله غاية السرور .

---

(١) نسبة إلى الأشرف برسباى هامش و. پوپر (٧ : ٤٣٣ ط . كاليفورنيا) .

(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٤٣٤ عن كتاب الحوادث « وأنعم بقرية منبابة – تجاه بولاق – على الخليفة ، وقرية أخرى بالوجه القبلى على جانى بلك شاد جدة» .

(٣) فى ط . كاليفورنيا ٧ : ٤٣٤ «سابع عشر» وهو لا يتفق مع تدرج التواريخ السابقة . والمثبت عن ص .

وفى يوم الخميس سابع عشر(١) رجب المذكور نَدَبَ السلطانُ الأميرَ قَانَم طَاز الأشرفى أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة بنقل الأمراء المسجونين من ثغر الإسكندرية إلى جيوش البلاد الشامية ، فتوجّه إليهم ، ونقل الجميع ما خلا الأميرين تَنَم المؤيّدى أمير سلاح ، وقانى بَاى الچاركسى ، فإنهما داما فى سجن الإسكندرية .

وفى يوم السبت رابع شهر رمضان استقرّ الزينى فرج بن ماجد بن النحّال كاتب المماليك السلطانية وزيراً بعد تَسَحُّب الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهَيْصَم(٢) .

وفى يوم الأربعاء ثامن شهر رمضان المذكور ورد الخبر على السلطان بموت الأمير بَيْغُوت الأعرج المؤيدى نائب صَفَد ، فرسم السلطان بانتقال الأمير إيَاس المحمّدى الناصرى(٣) أتابَك طرابُلُس إلى نيابة صَفَد دفعةً واحدة ، وحُمل إليه التقليد والتشريف على يد الأمير خُشْكَلْدى القوامى الناصرى أحد أمراء العشرات ، واستقرّ حَطَط الناصرى المعزول قبل تاريخه عن نيابة غزّة أتابَك طرابُلُس عوضًا عن إيَاس المذكور ، وأُنعم بإقطاع حَطَطْ — إمرة عشرين بطرابلس — (٤ على جَانِبَك المحمودى المؤيدى ، وكان بطّالا بطرابلس٤) .

ثم استهلّ شوال يوم الجمعة ، فصلى السلطان صلاة العيد بجامع القلعة الناصرى(٥) على العادة ، ثم صلّى من يومه أيضا الجمعة بالجامع المذكور ، فكان فى هذا اليوم خطبتان فى يوم واحد ، وكثر كلام الناس فى هذا الأمر ، فلم يقع إلا كل جميل من سائر الجهات ، وصار كلام الناس من جملة الهذيان ، وأنت تعلم مقدار ما أقام الأشرف بعد ذلك فى الملك .

(١) فى ط . كاليفورنيا ٧ : ٤٣٤ «تاسع عشر» وهو خطأ .
(٢) سبق التعريف به فى ص ٣٣ من هذا الجزء .
(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٣٥ ط . كاليفورنيا عن كتاب الحوادث «فرج » .
(٤–٤) هذه العبارة ساقطة من ص والإثبات عن ط . كاليفورنيا .
(٥) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٣٥ ط . كاليفورنيا عن كتاب الحوادث « ثم خلع على الأمراء وأرباب الوظائف» .

ثم فى يوم الاثنين حادى عشر شوال المذكور خلع السلطان على الأمير جَانِبَك الظاهرى المعزول قبل تاريخه عن الأستادارية باستقراره فى التكلم على بندر جدّة بعد أن أنعم عليه بزيادة على إقطاعه، وجعله من جملة أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، ثم رسم بنفى الأمير بُرْدبَك التاجى الأشرفى — الذى كان تكلم على بندر جدّة فى السنة الماضية — إلى القُدْس بطالا ، وأخرج السلطان إمْرَة بُرْدبَك المذكور إلى جَكَم الأشرفى خال الملك العزيز يوسف، والإقطاع إمْرَة عشرة .

وفى يوم الاثنين ثامن عشر شوال المذكور تسحّب الأمير زين الدين الأستادار ، واختفى ؛ بما حَمَلَ للديوان السلطانى من الكُلَف ، وبلغ السلطان ذلك ، فأرسل السلطان خَلَفَ على بن الأَهْنَاسى البُرْددَار بخدمةِ زينِ الدين المذكور [سابقا[1]] ، وهو يومذاك أستادار المقام الشهابى أحمد بن السلطان ، واستقرّ به أستاداراً عوضا عن زين الدين دفعة واحدة ، وعلم السلطان أن عليًّا هذا ليس هو فى هذه الرُّتبة ، ولا فيه أهلية لأن يكون من جملة كُتّاب ديوانالمُفْرَد ، فتكلم فى الملأ بكلام معناه أنالسلطان إذا أقام كائنا من كان من أقلِّ الناس فى أَى وظيفة شاء — وكان للسلطان به عناية — سدّ تلك الوظيفة على أحسن الوجوه ، فسكت كلُّ أحد ، لعلمهم أن السلطان يعلم حاله ، كما يعلمونه هم ، واختاره لهذه الرُّتبة .

ثم فى يوم السبت ثالث عشرين شوال ورَدَ إلى الدّيار المصرية قاصدُ خُوَنْدكار محمد بك ابن مراد بك بن عثمان ، متملِّك [٢] بلاد الرّوم [٢] ، لتهنئة السلطان بالمُلْك ، وأيضاً يخبره بما مَنّ الله عليه من فتح مدينة إسطنبول ، وقد أخذها[٣] عَنْوَة بعد قتال عظيم فى يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، بعد ما أقاموا على حصارها من يوم الجمعة سادس عشرين شهر ربيع الأوّل من هذه السنة — أعنى سنة سبع وخمسين المذكورة — إلى أن أخذها فى التاريخ المقدم ذكره .

(١) إضافة للتوضيح

(٢–٢) العبارة فى هامش ٧ : ٤٣٧ ط . كاليفورنيا «متملك برصا وغيرها من بلاد الروم» .

(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٣٧ ط كاليفورنيا عن كتاب الحوادث «من الفرنج» .

قلت : ولله الحمد والمنة على هذا الفتح العظيم .

وجاء القاصد المذكور ومعه أسيران من عظماء إسطنبول، وطلع بهما إلى السلطان وهما من أهل قسطنطينية، وهى الكنيسة العظمى بإسطنبول، فسُرّ السلطان والناس قاطبةً بهذا الفتح العظيم سروراً زائداً، ودُقّت البشائر لذلك، وزُيِّنت القاهرة بسبب ذلك أيامًا، ثم طلع القاصد المذكور وبين يديه الأسيران المذكوران إلى القلعة فى يوم الاثنين خامس عشرين شوال، بعد أن اجتاز القاصد المذكور ورفقته بشوارع القاهرة، وقد احتفلت الناس بزينة الحوانيت والأماكن، وأمعنوا فى ذلك إلى الغاية، وعمل السلطان الخدمةَ بالحوش السلطانى من قلعة الجبل، وقد استوعبنا طلوع القاصد المذكور فى غير هذا المحل من مصنفاتنا بأطول من هذا .

وبالجملة فكان لمجيء هذا القاصد بهذه البشارة الحسنة أمر كبير، وعيّن السلطان من يومه الأمير يَرْشِباى الإينالى المؤيَّدى الأمير آخور الثانى — كان — بالتوجُّه إلى ابن عثمان صحبة القاصد بالجواب السلطانى، وقد كتبنا صورة الكتاب الذى جاء من ابن عثمان على يد القاصد المذكور بفتح مدينة إسطنبول، والجواب الذى أرسله السلطان صحبة يَرْشِباى هذا، كلاهما مثبوت فى تاريخنا حوادث الدهور، إذ هو محل ضبط هذه الأمور — انتهى .

ثم رسم السلطان بالمناداة على زين الدّين يحيى الأستادار، وتهديد من أخفاه عنده بالشنق والتنكيل، ووعد من أحضره بألف دينار إن كان متعمما، (١ وبإقطاع إن كان جنديا ١) .

ثم فى يوم الاثنين ثالث ذى القعدة استقرّ القاضى محب الدين بن الشِّحْنَة الحنفى كاتب سِرّ مصر . بعد عزل القاضى محب الدين بن الأشقر (٢) .

(١–١) عبارة ص «أو جنديا بإقطاع جيد» والمثبت عن ط كاليفورنيا .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٣٨ عن كتاب الحوادث «ببذل عشرة آلاف دينار» .

ثم فى يوم الاثنين ثانى ذى الحجة خلع السلطان على الأمير جَانِبَك النَّوْرُوزِىّ نائب بَعْلَبَك باستقراره فى نيابة الإسكندرية بعد عزل يونس العلائى وقدومه إلى القاهرة من جملة أمراء الطبلخاناتِ .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع عشرين ذى الحجة ظهر الأمير زين الدين الأستادار من اختفائه ، وطلع إلى القلعة وعلى رأسه منديل الأمان ، صحبة عظيم الدولة الصاحب جمال الدين بن كاتب جَكَم ، وكان هو الساعى لزين الدين فى رضاء السلطان عليه ، وقبّل زينُ الدين الأرضَ بين يدىّ السلطان ، فرسم له السلطان أن يلزم داره ، ولا يجتمع بأحد ، ولا يكاتب أحداً من أعيان الدولة .

وفرغت سنة سبع وخمسين ، وما ذكرناه فيها إنما هو على سبيل الاختصار ؛ علم خبر لا غير .

واستهلت سنة ثمان وخمسين وثمانمائة .

وأول السنة يوم الثلاثاء(١) ، فأحببت أن أذكر فى أوّل هذه السنة أسماء أعيان أرباب الوظائف من الأعيان والأمراء والقضاة والمباشرين ، ليعلم الناظر فى هذه الترجمة كيف تكون تقلبات الدهر ، وتغيير الدولة بعد أن ينظر المتأمل فى ترجمة الملك المنصور عثمان فى السنة الخالية ، ولم يمضِ بين مَنْ سُمى فى تلك السنة وبين من سُمى فى هذه السنة إلا بعض أشهر ، لأن المنصور والأشرف هذا كلا منهما ولى فى هذه السنة ، أعنى سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، وما قلناه فى السنة الخالية معناه فى ترجمة المنصور عثمان ، على أنا لا نذكر إلا جماعة الأعيان لا غير ، ولو ذكرنا كلّ من تغير من أرباب الوظائف من الخاصكية والأجناد الذين أخذوا الإقطاعات والوظائف لطال الشرح فى ذلك ، وخرجنا عن المقصود ، ولنعد إلى ماهو المقصود فنقول :

---

(١) جاء فى هامش ص مقابل هذه الكلمة «ذكر أرباب الوظائف» .

أما الخليفة فهو القائم بأمر الله حمزة ، وهو المذكور أيضا في [السنة][1] الخالية .

وكذلك القضاة الأربعة فهم على حالهم كما ذكرناه في ترجمة المنصور أيضا[2]

وكذلك نواب البلاد الشاميّة ، فالجميع على حالهم كما ذكرناه في ترجمة المنصور أيضاً . وتغيّرَّ نائب الإسكندرية ، فإنه كان في تلك السنة بَرْسِبَاى البَجَاسى ، والآن هو جَانِبَك النَّوْرُوزِىّ .

وأما أرباب الوظائف من أمراء مائة[3] .

فالأمير الكبير تَنِبَك البُرْدبكى الظاهرى .

وأمير سلاح خُشقَدم الناصرى المؤيَّدى .

وأمير مجلس طوخ مِنْ تِمرَاز الناصرى غليظ الرّقبة .

والأمير آخور الكبير جَرِبَاش المحمدى الناصرى كُرْد .

والدّوادار الكبير يونس السيفى آقْبَاى نائب الشام .

ورأس نَوْبَة النُّوَب قَرْقَماس الأشرفى الجَلَب .

وحاجب الحُجّاب جَانِبَك القرَمَانى الظاهرى .

فهؤلاء هم أرباب الوظائف من مقدمى الألوف .

وبقية مقدمى الألوف هم :

المقام الشهابى أحمد بن السلطان ، وهو يجلس رأس مَيْسَرة فوق أمير سلاح .

---

(١) إضافة للتوضيح

(٢) أضاف و. پوپر في هامش ٧ : ٤٤٠ ط كاليفورنيا عن كتاب الحوادث « والقضاة الشافعى العلم البلقينى ، والحنفى السعد بن الديرى ، والمالكى الولوى السنباطى ، والحنبلى العز العسقلانى » .

(٣) فى ص «أمراء مصر» .

والأمير جانم الأمير آخور — كان — وهو يجلس تحت أمير سلاح فوق بقية الأمراء .

ثم خيربك الأجرود المؤيدى(١) .

ثم برسباى البجاسى .

فهؤلاء جميع مقدمى الألوف بالديار المصرية ، وهم أقل من النصف من أمراء الظاهر برقوق .

وأما أرباب الوظائف من أمراء الطبلخانات وغيرهم :

فشاد الشراب خاناه جانبك من قجماس الأشرفى المعروف بدوادار سيدى .

والخازندار(٢) جانبك من أمير الأشرفى الظريف .

ونائب القلعة قانى باى الناصرى الأعمش أمير عشرة .

والزردكاش نوكار الناصرى أمير عشرة والتجمل به هتكة(٣) .

والحاجب الثانى بتخاص العثمانى الظاهرى — برقوق — أمير عشرة .

وأستادار الصحبة يشبك الأشقر الأشرفى من جملة الأجناد .

وكانت هذه الوظائف المذكورة فى سالف الأعصار لا يليها إلا أمير مائة مقدم ألف ، ولهذا قدمنا ذكرها على غيرها مما سنذكره ، فتنازل ملوك زماننا هذا حتى ولى بعضها الأجناد ، وقد أبطل الملوك أيضاً عدة وظائف جليلة كان لا يليها إلا أمير مائة مقدم ألف ، مثل نيابة السلطنة ، لأن آخر من وليها من العظماء تمراز الناصرى الظاهرى فى دولة الناصر فرج .

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٤١ عن كتاب الحوادث» وقد ولاه السلطان كشف أقليم البهنسا» .

(٢) فى هامش و. پوپر ٧ : ٤٤١ «الخازندار الكبير» .

(٣) هذا حكم طريف من أحكام المؤلف على بعض الأمراء ، وقد أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٤١ عن كتاب الحوادث «وأمير آخور ثانى خير بك الأشقر ، ورأس نوبة ثانى يشبك الناصرى» .

ورأْس نَوْبَة الأمراء ، وآخر من وليها نَوْرُوز الحافظى فى دولة الناصر فرج أيضا ، وكانت هذه الوظيفة تضاهى الأَتَابَكِيَّة .

ومثل أمير جاندار ، فإن الأمير أَلْجاى اليوسفى صاحب الوَقْعَة مع الأشرف شعبان انتقل إليها من وظيفة رأْس نَوْبَة النُّوَب .

وأما ماذهب من الوظائف التى كان يليها أمراء الطبلخانات والعشرات مثل شاد الدواوين ، وأمير منزل ، وشادّ القصر السلطانى ، والمِهْمَنْدار ، ومقدَّم البريدية ، وشادّ العمائر — وإن كان بعض هذه الوظائف مستمرة — فإنه لايليها إلا الأحداث من الناس ، بحيث إنها صارت كلا شيء[1] ، وقد خرجنا عن المقصود فى نوع الاستطراد ، ولنعد إلى ما كنا فيه .

ورأْس نَوْبَة ثانٍ يَشْبُك الناصرى ، وتعد سبعة من طبلخانات رءوس النوب ، وأما العشرات من رءوس النُّوَب فكثيرٌ جداً ، وكان جميع رءوس النُّوَب فى أوائل سلطنة برقوق أربعة لاغير ، ثم صاروا فى دولة الناصر فرج بعد تجريدة الكَرَك سبعة ، فنقول : ما تجدَّد من كثرة رءوس النُّوَب يكون عوضاً عما ذهب من تلك الوظائف ، فيقول القائل لانُسلم ، وأين رَوْنَق تلك الوظائف المتعددة كثرة من [رونق][2] وظيفة واحدة ؟ ! وكذلك كانت الحجّاب ثلاثة : حاجب الحجّاب ، وحاجب ميسرة ، وهو أيضا مقدم ألف ، والحاجب الثالث . فأول من زادهم الظاهر بَرْقُوق ، وجعلهم خمسة حُجاب أمراء عشرات ، لا هذه الحرافيش الذين يلونها اليوم[3] الجهلة الفسقة [3] .

الدوَادَار الثانى تِمْرَاز الإينالى الأشرفى بإمرة عشرين ، وهو من مساوئ الدهر .

والأمير آخور الثانى خَيربك الأشقر المؤيدى أمير عشرين أيضاً .

---

(١) لهذه الفترة أهمية خاصة لأن المؤلف يصف فيها ما أصاب نظم الوظائف المملوكية من تغيير فى أواخر العصر المملوكى .

(٢) إضافة يقتضيها السياق

(٣) هذان اللفظان ساقطان من ص والإثبات عن ط كاليفورنيا .

والزّمام والخازندار الطواشى الرومى فَيْرُوز النّوْرُوزِى أمير طبلخاناه .

ومقدّم المماليك السلطانية الطّوَاشى لؤلؤ الرّومى الأشرفى أمير عشرة .

ونائبه عنبر ، عتيق التاجر نور الدين الطُّنْبُذى ، جندياً بغير إمرة .

ونقيب الجيش الأمير ناصر الدين محمد بن أبى فرج بعد أن ولى الأستادارية قبل تاريخه .

ووالى القاهرة على بن إسكندر ، ووليها بالبذل .

ذكر أعيان مباشرى الدولة من المتعممين

كاتب السِّرِّ محبُّ الدين بن الشِّحْنَة الحنفى .

وناظر الجيش والخاص معاً ، عظيم الدولة الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جَـكَم .

والوزير سعد الدين فرج بن النحّال .

والأستادار على البُرْددار بن الأَهْنَاسى

ووظيفة نظر الدولة ونظر المُفْرَد كل منهما تلاشى أمرها حتى صارت كلا شىء ، سكتنا عن ذكر ذلك لوضاعة قدر من يليها .

قلت : ولو سكتنا عن ذكر من يلى الوزَرَ [١] أيضا لكان أجمل ، غير أنه لا يسعنا إلا ذكرها لمحلها الرّفيع فى سائر الأقطار — فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وأما ذكر نظر الجوالى ، والإسطبل السلطانى ، والبيمارستان ، والكسوة ، وخزائن السلاح ، والخزانة الشريفة ، وأشباههم ليس لذكرهم هنا محل ، لكونهم فى غير هذه الرّتبـــة .

وفى مثل هذا المحل لا يُذكر إلا أعيان الوظائف المعدود أصحابها من ذوى الرياسات ، وقد ذكرنا تلك الوظائف كلها فى تاريخنا الحوادث ، إذ هو محل ضبط الولايات والعزل — انتهى .

وفى يوم الأحد سادس محرم سنة ثمان وخمسين وثمانمائة ورد الخبر على السلطان من حلب بوفاة الأمير على بَاى بن طَرَباى العجمى المؤيّدى أَتَابَك حلب ، فرسم السلطان باستقرار الأمير آقبَرْدِى السّاقى الظاهرى نائب قلعة حلب أتابَكاً بحلب عِوَضَه .

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٤٤٣ عن T « وكذلك الأستادارية » .

واستقرّ فى نيابة قلعة حلب الزّينى قاسم بن جمعة القسامى[(١)] ، وأنعم بتقدمة قاسم المذكور — وكان أخذها قبل ذلك عن سودون القرَمانى بمدة يسيرة — على الأمير يَشْبُك البَجاسى[(٢)] .

واستقرّ مكان يَشْبُك البجاسى فى دَوادارية السلطان بدمشق خُشْكَلْدى الزينى عبدُ الرحمن بن الكُوَيْز .

وفى يوم الاثنين حادى عشرين المحرم أيضا وصل إلى القاهرة تَقْدِمَةُ الأمير قانى باى الحمزاوى نائب حلب ، تشتمل على جماعة يسيرة من المماليك ومائة فرس لاغير[(٣)] .

قلت : وهذا كثير ممن أشيع عنه العصيان ثم أظهر الطاعة فى الظاهر ، والله متولى السّرائر ، وقد أوضحنا أمر قانى باى هذا فى غير هذا المحل مع السلطان الملك الأشرف إينال بأوسع من هذا .

ثم فى صفر رُسم بسفر الأمير زين الدين الأستادار إلى القُدْس بطالاً ، فلما خرج إلى ظاهر القاهرة قُبض عليه ، وأُخذ إلى القلعة ، وصودر ثانيا ، وعوقب ووقع له أمور ، آخرها أنه ولى الأستادارية — مسئولاً فى ذلك — فى يوم الثلاثاء رابع عشر صفر ، وعُزل علىٌّ بن الأهناسى.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرين شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان وخمسين المذكورة ركب السلطان الملك الأشرف إينال من قلعة الجبل بغير قُماش الخِدْمة[(٤)] ، ونزل إلى جهة

(١) له ترجمة بنفس الاسم فى (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ١٨٠) وتوفى فى رمضان سنة ٨٦٣ هـ .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٤٤ عن كتاب الحوادث « دوادار السلطان بدمشق وأحد أمراء الطبلخانات بها » .

(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٤٤ عن كتاب الحوادث « ولم تكن هذه عادة تقدمة نائب حلب ، وإنما الظاهر أنه استعجل بالإرسال ليعلم كل أحد أنه فى طاعة السلطان وينقطع الكلام ممن يثير الفتن ويشن الغارات » .

(٤) قماش الخدمة يراد به الزى الرسمى للسلطان أثناء الركوب فى المواكب . عن (ماير — الملابس المملوكية ، ترجمة صالح الشيتى) .

قُبَّة النصر خارج القاهرة ، ثم عادَ مِن باب النصر ، وشقّ القاهرة وخرج من باب زُوَيْلة حتى طلع إلى القلعة ، وهذا أوّل ركوبه من يوم تسلطن .

وفى يوم الاثنين سادس عشر[1] شهر ربيع الآخر ثارت فتنة بسوق الخيل بين المماليك الظاهرية — جَقْمَق — وبين المماليك الأشرفية — بَرْسِبَاى — بالدبابيس[2] ، وأصبح كل من الطائفتين مستعدة للأخرى ، فلم يقع شىء ولله الحمد ، وقد ذكرنا كيفية الفتنة المذكورة فى تاريخنا الحوادث .

وفى يوم الاثنين ثالث عشرينه عزل السلطان لؤلؤ الأشرفى عن تقدمة المماليك السلطانية ، وأعاد إليها الطواشى مرجانا المحمودى[3] بمال أخذه من مرجان ، وإلا فأَيْش هو الموجب لعزل الرئيس بالوضيع إلا هذا المعنى ؟ !

ثم فى يوم الأحد سادس جمادى الأولى عزل السلطان تِمرَاز الأشرفى عن الدّواداريّة الثانية لأمرٍ اقتضى ذلك ، وقد أراح الله الناس منه ؛ لسوء خلقه ، وحدّة مزاجه ، وقد ذكرنا من أحواله نبذة كبيرة فى غير هذا المحل .

وفى يوم الخميس سادس[4] عشر جمادى الأولى المذكورة وصل الأمير جُلُبَّان الأمير آخور نائب الشام إلى القاهرة بعد أن احتفل أربابُ الدّولة به ، وطلع إلى ملاقاته كلُّ أحد ، حتى المقام الشهابى أحمد ، وطلع إلى القلعة ودخل إلى السلطان بالقصر الأبْلَق المطلِّ على الرُّمَيْلة بالخرجة ، فلما رآه السلطان قام إليه واعتنقه ، بعد أن قبل جُلُبَّان الأرضَ بين يديه ، ثم أجلسه السلطان على ميسرته فوق ولده المقام الشهابى أحمد ، ولم يطل جلوسه حتى طلب السلطان خِلْعَتَه ، وخلع عليه خلعة الاستمرار بنيابة دِمَشْق على

---

(١) فى ص : سادس شهر ربيع الآخر .

(٢) الدبوس (والجمع : دبابيس) آلة حربية وصفها قاموس محيط المحيط بأنها هراوة مدملكة الرأس ، وكالإبرة من النحاس فى طرفها كتلة صغيرة . وانظر قاموس Dozy و (ابن واصل — مفرج الكروب ، نشر الشيال ج ١ ص ١١٧ هامش ٣) .

(٣) فى هامش و . پوپر ٧ : ٤٤٥ عن كتاب الحوادث « مرجانا العادلى المحمودى الحبشى » .

(٤) فى هامش و . پوپر ٧ : ٤٤٦ عن كتاب الحوادث « سابع عشر جمادى الأولى » .

عادته [١] فى مكان جلوسه بالخرجة المذكورة ، ولم يقع ذلك لأحد من النواب ، لأن العادة أنه لا يخلع السلطان على من يخلع عليه إلا بالقصر الأبْلَق من داخل الخَرْجَة .

ثم قام السلطان وخرج إلى القصر ، ولم يدع جُلُبَّان المذكور أن يقف ، بل أمره أن يتوجَّه إلى حيث أنزله السلطان ، فنزل محمولًا لضعف به ولكبر سنه أيضاً ، ونزل غالب الأمراء الأكابر وأرباب الدولة بين يديه إلى أن أوصلوه إلى الميدان الكبير بطريق بولاق تجاه بركة الناصرى ، ومدّ له مدّةً هائلة ، وترددت الناس إليه نهارَه كلّه ، واستمر إلى يوم الأحد عشرينه ، فقدّم إلى السلطان تقدمة ، وكانت تقدمة هائلة ، تشتمل على : عشرة مماليك ، ومائتى فرس ، منها اثنان بقماش ذهب ، والباقى على العادة ، وعدة حمالين ، منها ستون حمالا عليها قسِىّ ، كل حمال خمسة أقواس ، ومنها مائة وعشرون حمالا بعلبكيا ، على كل حمال خمسة أثواب ، النصف منها عالٍ موصلى ، وستون حمالا عليها أبدان سنجاب [٢] ، وعشرة حمالين وشق [٣] ، وعدّة حمالين عليها أثواب صوف مُلوَّنة ، وعدة حمالين عليها شقق حرير مُلوّن ، وأثواب مُخْمَل تزيد على مائة حمال ، وطبق مغطى فيه ذهب مبلغ عشرة آلاف دينار على ماقيل .

فقبل السلطان ذلك ، وخلع على أرباب وظائف جُلُبَّان المذكور خِلَعًا سنيّة ، وفرّق السلطان من الخيول على أمراء الألوف جميعهم على قدر مراتبهم .

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٤٦ عن T «ونزل من القلعة وبين يديه وجوه الدولة ، وهو مجبور الخاطر من كونه وقع له ثلاثة أشياء لم تقع لغيره من النواب . أولها : أن السلطان لما رآه قام له واعتنقه بعد أن قبل له جلبان الأرض . الثانى : أنه أجلسه فوق ابنه ، والثالث : أنه أخلع عليه بداخل الخرجة من القصر الأبلق ، والعادة التى جرت من الملوك أنهم يخلعون على النواب فى نفس القصر الأبلق» .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٤٧ عن كتاب الحوادث «وعشرة عليها فرو سمور» .

(٣) أضاف و. پوپر فى نفس الهامش عن كتاب الحوادث «وعدة حمالين فرو قاقم ، وستون حمالا عليها قرضيات كثيرة» .

وفى هذا اليوم أيضاً رسم السلطان لنقيب الجيش أن يُخرج الأمير تِمْرَاز الإينالى الأشرفى الدوادار الثانى إلى القُدْس بطّالا ، فنزل وتوجّه به من يومه إلى خانقاه سرياقوس ، قلت[١] : [السريع]

ما يفعل الأعداء فى جاهلٍ ما يفعلُ الجاهلُ فى نفسه

فإن تِمْراز هذا كان فى الدولة الظاهرية — جَقْمَق — من جملة الأمراء والعشرات وكان ممن لا يؤبه إليه ، حتى مات الظاهر ، وثار مع الملك الأشرف إينال لما وثب على الملك المنصور عثمان مع من انضم إليه من المماليك الظاهرية والأشرفية وغيرهم ، فلما تسلطن الأشرف قرّب تِمْراز هذا ، وجعله دَوَادَارا ثانيًا ، وأَنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، وصار له كلمة فى الدولة وحُرْمة وافرة ، وهابته الناس لشراسة خلقه وحدة مزاجه ، وباشر الدوادارية أَقبح مباشرة من الظلم والعسف والإخراق بالناس والبطش بحواشيه وأَرباب وظائفه ومماليكه ، حتى تجاوز الحد ، وما كفاه ذلك حتى صار يخاطب السلطان بما يكره ، وبقى فى كل قليل يغضب ويعزل نفسه ، ووقع ذلك غير مرّة ، فلما زاد وخرج عن الحد عزله السلطان ، ولزم داره أياماً ، ثم خرج إلى القدس بطّالًا[٢] .

وفى[٣] يوم الاثنين حادى عشرين جمادى الأولى خام السلطان على الصاحب

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٤٨ عن T «فى الظاهر ، وفى الباطن خلاف ذلك . وكان هذا اليوم يوم سرور كامل فى الناس قاطبة ؛ فإن السلطان سر بقدوم الأمير جلبان وتقدمته وطاعته له لكونه أكبر نواب البلاد الشامية ، وسر الأمراء بما فرق السلطان عليهم من الخيول والأقمشة ، وسر الناس بإخراج تمراز ، فشمل السرور الناس غالبا ولله الحمد ، وكان عزل تمراز هذا عن وظيفته ونفيه إلى القدس كل ذلك بما جره لنفسه بنفسه من سوء خلقه وأفعاله النبيحة وغضبه على السلطان وعزل نفسه فى كل قليل وإلا لو كان هو مشى فى وظيفته كما مشى غيره من خچداشيته ما كان السلطان يتعرض له بسوء قط ، ولله در القائل » .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٤٩ عن كتاب الحوادث «حسبما تقدم ، وأراح الله المسلمين منه ، وما ربك بظلام للعبيد ، وأنعم بإقطاعه على كزل السودونى المعلم وقلمطاى الإسحاقى الأشرفى بالسوية بينهما» .

(٣) الحوادث المذكورة هنا ابتداء من يوم الاثنين حادى عشرين من جمادى الأولى إلى يوم السبت حادى عشر ذى القعدة ساقطة من ص والأثبات عن ط كاليفورنيا .

أمين الدين بن الهَيْصَم باستقراره وزيراً على عادته أولا ، بعد عزل فرج بن النّحال ، وكان أحقّ بها وأهلا لها .

وفى يوم الاثنين هذا أيضًا خلع السلطان على مملوكه صهره الأمير بُرْدبَك الدوادار الثانى باستقراره فى الدوادارّية الثانية عوضا عن تِمْراز الأشرفى المقدّم ذكره .

وفى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الآخرة استقرّ القاضى تاج الدين عبد الله ابن المَقْسِى كاتب المماليك السلطانية عوضًا عن الصاحب سعد الدين فرج بن النّحال . قلت : وتاج الدين هذا مستحق لأعظم الوظائف ؛ لما اشتمل عليه من حسن الخَلْق والخُلُق .

وفى يوم الجمعة ثانى عشرين شهر رجب سافر الأمير بُرْدبَك الدوادار الثانى إلى القدس الشريف ، وصحبته كسوة مقام سيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام التى صنعها السلطان الملك الأشرف هذا ، وخرج بُرْدبك المذكور من القاهرة بتجمل زائد ، ومعه جماعة من الأعيان ، مثل القاضى شرف الدين الأنصارى ، ناظر الكسوة ووكيل بيت المال ، والسيفى شاهين الساقى وغيرهما .

وفى يوم الخميس سادس شعبان وصل إلى القاهرة الأمير بَرْسِباى الإينالى المؤيّدى ، أحد أمراء الطبلخانات المتوجّه قبل تاريخه فى الرسلية إلى ملك الروم السلطان محمد بن عثمان ، وعليه خلعة ابن عثمان المذكور ، وهو لابس لبس الأروام وخلعهم على العادة (١) .

وفيه رسم السلطان بتعويق جوامك أولاد الناس والمرتبين من الضعفاء والأيتام على ديوان السلطان ، وعرضهم السلطان وقطع جماعة كبيرة ، وبينما هو فى ذلك وصل

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٥٠ عن كتاب الحوادث «ولبسهم غير لبس المصريين ، فتقدم بتلك الهيئة على عادة من يتوجه إليهم ، وطلع القلعة وقبل الأرض ، وعرف السلطان أنه أحسن إليه غاية الإحسان ، ثم نزل إلى داره» .

الأمير بُرْدبَك من القدس ، وحذّر السلطان من الدعاء عليه ، ونهاه عن هذه الفَعْلَة فانفعل [١] له ، وترك كل واحد على حاله ، ونودى بذلك بشوارع القاهرة ، فعُدّ من محاسن بُرْدبَك المذكور .

وفى يوم السبت حادى عشر ذى القعدة اختفى الوزير أمين الدين بن الهَيْصَم ، لعجز متحصِّل الدولة عن القيام بالكُلَف السلطانية ، فتغيّر السلطانُ بسبب ذلك على جماعة [٢] ، وقبض على الأمير زين الدين الأستادار فى يوم الاثنين وحبسه بالقلعة ، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن أبى فرج نقيب الجيش [٣] باستقراره فى الأستادارية عوضاً عن زين الدين على كرهٍ منه فى الوظيفة ، مضافاً إلى نقابة الجيش ، وخلع على سعد الدين فرج بن النحال باستقراره وزيراً على عادته ، وهذه ولاية فرج الثانية للوَزَر ، وأنعم عليه بكتابة المماليك ، وعزل القاضى تاج الدين المَقْسى .

ثم فى يوم الأربعاء خامس ذى القعدة ضرب السلطانُ زَيْنَ الدين الأستادار ، وألزمه بجملة كبيرة من المال ، فأخذ زين الدين فى بيع قماش بدنه وأثاث بيته ، ثم أخذه الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص ، وتسلمه من السلطان ، ونزل به إلى بيته ، فدام عنده أيّاماً ، ثم رسم له بالتوجه إلى داره ، وأنه يسافر إلى القدس ، فتجهّز زين الدين وخرج إلى القدس فى يوم الجمعة ثانى ذى الحجة .

ثم فى يوم الاثنين خلع السلطان على شخص من الأقباط يُعرف بابن النجار [٤] ، واستقرّ به ناظر الدّولة [٥] بعد شغورها مدة [٦] طويلة ، وصار رفيقاً للوزير فرج [٦] .

---

(١) أى فاستبباب له .

(٢) المقصود جماعة المباشرين (هامش و. پوپر ٧ : ٤٥٠ . ط كاليفورنيا)

(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٥١ عن كتاب الحوادث «فى يوم الثلاثاء رابع عشره»

(٤) ويسمى شمس الدين نصر الله بن النجار (هامش و. پوپر ٧ : ٤٥١ ط كاليفورنيا) .

(٥) عبارة ص «واستقر به فى نظر الدولة » .

(٦–٦) ما بين الرقمين من ص — وقد أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٥١ عن كتاب الحوادث «فما أحلى هذا القران ليس لهذا الوزير إلا هذا الناظر ، ولو ولى التاج الخطير استيفاء الدولة لكمل الدست» .

وفى يوم الاثنين سادس عشرين ذى الحجة نزلت المماليك الجُلْبَان الأشرفية من الأطباق، وهجمت دار الأستادار الأمير ناصر الدين محمد بن أبى الفرج، ونهبوا جميع ما كان له فى داره [1] من غير أمر أوجب ذلك، فلم يسع الأستادار إلا الاستعفاء، فأُعفى بعد أمور.

وخلع السلطان على قاسم الكاشف بالغربيـة وغيرها بالأستادارية عوضاً عن ابن أبى الفرج المذكور. قلتُ: وهذا أول ظهور أمر [2] مماليك الأشرف الجُلْبَان [2]، وما سيأتى فأعظم.

وفى يوم الأحد ثانى محرم سـنة تسع وخمسين وثمانمائة أُشيع بين الناس وقوعُ فتنة، وكثر كلام الناس فى هذا المعنى حتى بلغ السلطان ذلك، فلم يلتفت السلطان لقول من قال.

وفى يوم الأربعاء رابع عشرين صفر من سنة تسع وخمسين المذكورة وصل مملوك الأمير جَانِبَك التاجى المؤيدى نائب غزّة يخبر بموت الأمير جُلُبَّان نائب الشام، ثم وصل بعد ذلك سيف جُلُبَّان المذكور على يد يَشْبُك المؤيّدى الحاجب الثانى.

ثم فى يوم الخميس خامس عشرين صفر رسم السلطان للأمير قانى بَاى الحمزاوى — نائب حلب — بأن يستقرّ فى نيابة الشّام عِوَضًا عن جُلُبَّان بحكم وفاته، وحَمَلَ إليه التقليدَ والتشريفَ الأمير يونس العلائى الناصرى، المعزول قبل تاريخه عن نيابة الإسكندرية.

وخلع السلطان فى اليوم المذكور على الأمير جَانم الأشرفى باستقراره فى نيابة

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٥١ عن كتاب الحوادث «من ذهب وقماش ومتاع وأوان وسلاح، وكان شيئا كثيرا إلى الغاية، يقال إن قيمة ما أخذ خمسة وعشرون ألف دينار. هذا بعد هتك حرمه والرعب الذى حصل عليهم».

(٢–٢) عبارة ص «المماليك الأجلاب» والمثبت عن ط كاليفورنيا.

حلب عوضًا عن قانى بَاى الحمزاوى على كرهٍ من جَانَم المذكور فى ذلك(١) ، واستقرّ مُسَفِّر جَانَم الأمير بُرْدبَك الدّوادار الثانى وصهر السلطان مع توجه بُرْدبَك أيضاً إلى تركة الأمير جُلُبَّان بدمشق .

وأنعم السلطان بإقطاع جَانَم المذكور على الأمير يونس العلائى المقدم ذكره ، وهو إمْرَة مائة وتَقْدمَة ألف .

وأنعم بإقطاع يونس المذكور على الأمير بُرْدبَك الدوادار ، وصار(٢) بُرْدبك أمير طبلخاناه ، وأنعم بإقطاع برْدبك المذكور عَلَى أرْغون شاه وتَنِبَك الأشرفيْن ، كل واحد منهما أمير خمسة .

وفى يوم الاثنين تاسع عشرين صفر من سنة تسع وخمسين وثمانمائة المذكورة استقرّ شمس الدين نصر الله بن النجار ناظر الدّولة وزيراً عوضًا عن سعد الدين فرج بن النحال بحكم عزله ، فلم ترَ عينى فيما رأيت ممن لبس خلع الوزارة أقبحَ زيًّا منه ، حتى إنه أذهب رَوْنَق الخلعة مع حسن زِىِّ خلعــة الوزارة وأُبَّهَة صفتها ، ولو مَنّ الله سبحانه وتعالى بأن يبطل اسم الوزير من الديار المصرية فى هذا الزمان كما أبطل أشياء كثيرة منها لـكان ذلك أجود وأجمل بالدولة ، ويصير الذى يلى هذه الوظيفة يسمى ناظر الدولة ، لأن هذا الاسم عظيم وقد سمى به جماعة كبيرة من أعيان الدنيا قديمًا وحديثًا فى سائر الممالك والأقطار ، مثل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى وغيره ، إلى الصاحب إسماعيل بن عبّاد ، وهلم جرا ، إلى القاضى الفاضل عبد الرحيم ، ثم بَنِى حِنَّاء وغيرهم من العلماء والأعيان ، إلى أن تنازلت ملوك مصر فى أواخر القرن الثامن حتى وليها فى أيامهم أوباشُ الناس وأسافل الـكتبة الأقباط ، وتغير رسومها ، وذهب بهم أُبَّهة هذه الوظيفة الجليلة التى لم يكن فى الإسلام بعد الخلافة أجل منها ولا أعظم ، وصارت بهؤلاء

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٥٣ عن كتاب الحوادث «وامتناع كبير . لكنه لبس ونزل إلى داره وهو يكثر من الإقاله والاستعفاء (لعلها الحوقلة والاستغفار) ويتعلل بالضعف والفقر إلى أن أرسل إليه السلطان بألفى دينار تقوية ، ووعده بكل جميل» .

(٢) كذا فى ط كاليفورنيا ، وفى ص « وكان » .

الأصاغر فى الوجود كلا شىء ، وليت مع ذلك كان يلى هذه الوظيفة من هؤلاء الأسافل من يقوم بما هو بصدده ، بل يباشر ذلك بعجزٍ وضعف وظلم وعسف ، مع ما يمدّه السلطان بالأموال [١] من الخزانة الشريفة [١] ، فليت شعرى لم لا كان ذلك مع من هو أهل للوزارة وغيرها — فلا قوة إلا بالله .

وباشر ابن النجّار الوَزَر أشرّ مباشرة ، وأقبح طريقة ، ولم تطل أيّامُه ، وعجز وبلغ السلطانَ عجزُه ، فلما كان يوم الخميس أول شهر ربيع الآخر طلب السلطان الوزراء الثلاثة ليختار منهم مَنْ يوليه ، وهم : ابن النجّار الذى عجز عن القيام بالكُلَف السلطانية ، والصاحب أمين الدين بن الهَيْصَم ، وسعد الدين فرج بن النحّال ، فوقع فى واقعة طريفة ، وهى أن السلطان لما أصبح وجلس على الدكّة من الحوش استدعى أوّلا ابن النجّار ، فقيل له : هرب واختفى ، فطلب أمين الدين بن الهَيْصَم ، فقيل له : مات فى هذه الليلة ، وإلى الآن لم يُدفن ، فطلب فرج بن النحّال ، فحضر ، وهو [الذى][٢] فضل من الثلاثة ، فكلّمه السلطان أن يستقرّ وزيراً على عادته ، فامتنع واعتذر بقلّة مُتَحَصِّل الدّولة ، وفى ظنّهِ أن السلطان قد احتاج إليه بموت ابن الهَيْصَم وتَسَحُّب ابن النجّار ، وشرع يكرِّر قوله بأن[٣] لحم المماليك السلطانية المرتب لهم فى كل يوم ثمانية عشر ألف رطل ، خلا تفرقة الصُّرَر التى تُعطى لبعض المماليك السلطانية وغيرهم ، عوضا عن مرتب اللحم ، فلما زاد تمنُّعُه أمر به السلطان فحُطَّ إلى الأرض وتناولته رءوس النُّوَب بالضرب المبرح[٤] إلى أن كاد يهلك ، ثم أقيم ورسم عليه بالقلعة عند الطواشى فَيْروز الزّمام والخازندار إلى أن عملت مصالحة وأعيد للوَزَر .

وفى يوم الخميس تاسع عشرين شهر ربيع الآخر أنعم السلطان على الأمير قَانَم من صَفَر خَجَا المؤيّدى المعروف بالتّاجر بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية بعد موت

(١–١) هذه العبارة ساقطة من ص .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٥٥ عن كتاب الحوادث «بلاد الوزر غالبها خرب وأن راتب» .

(٤) قيل ضرب نحو ثلاثمائة عصا (هامش و. پوپر ٧ : ٤٥٥ عن كتاب الحوادث)

خير بَك الأجْرود المؤيّدى ، وأضيف إقطاع المذكور وهو إمْرَة طبلخاناه إلى الدّولة .

ثم فى يوم الاثنين سلخ جمادى الآخرة كانت وقعة المماليك الظاهرية الجَقْمَقيَّة مع الملك الأشرف إينال ، وسبب هذه الفتنة ثورة المماليك الأجلاب أوّلا ، وأفعالهم القبيحة بالناس ، ثم عقب ذلك أن السلطان كان عيَّن تجريدة إلى البحيرة ، نحواً من خمسمائة مملوك ، وعليهم من أمراء الألوف الأمير خُشْقَدَم المؤيّدى أمير سلاح ، والأمير قَرْقَمَاس رأس نوبَة النُّوب ، وعدّة من أمراء الطبلخانات والعشرات ، ورسم لهم السلطان بالسفر فى يوم الاثنين ، هذا ولم يُفرّق السلطان على المماليك المكتوبة[1] للسفر الجِمَال على العادة ، فعظم ذلك عليهم ، وامتنعوا إلى أن أخذوا الجِمَال .

وسافر الأمير خُشْقَدَم فى صبيحة يوم الاثنين المذكور ، وتبعه الأمير قرْقَمَاس فى عصر نهاره ، وأقاما ببر مُنْبَابَة تجاه بولاق ، فلم يتبعهم أحدٌ من المماليك المعيَّنة معهم بل وقف غالبهم بسوق الخيل تحت القلعة ينتظرون تفرقة الجمال عليهم[2] ، إلى أن انفضّ الموكب السلطانى ، ونزلت الأمراء إلى جهة بيوتهم ، فلما صار الأمير يونس الدوادار بوسط الرُّمَيْلَة احتاطت به المماليك الأجلاب ، وعليه الكَلَفْتاة وقماش الخدمة ودَارُوا حوله وهم فى كثرة[3] ، وأرادوا الكلام معه بسبب زيادة جوامكهم ، وأنه يكلّم السلطان ، فتبين للمماليك يونس الغدر بأستاذهم ، فتحلّقوا عليه ومنعوهم من الوصول إليه ، فصار يونس فى حلقة من مماليكه ، ومماليكه فى حلقة كبيرة من المماليك الأجلاب ، وطال الأمر بينهم ، ويونس لا يستطيع الخروج ، وتحقق الغدر ، فأمر مماليكه بأشهار سيوفهم ففعلت ذلك ، ودافعت عنه ، وجُرح من المماليك الأجلاب جماعة ، وقطع أصابع بعضهم ، وشُقّ بطن آخر عَلَى ماقيل ، فعند ذلك انفرجت ليُونُس فرجة خرج منها غارةً إلى جهة داره ، ونزل بها ، ورمى عنه قماش الموكب ، ولبس قماش الرُّكوب ،

(١) أى المعينون للسفر .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٥٧ عن كتاب الحوادث «وجلس السلطان باكر يوم الاثنين المذكور بالقصر على العادة للخدمة » .

(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٥٧ عن كتاب الحوادث «بحيث تزيد عدتهم على خمسمائة نفر » .

وطلع من وقته إلى القلعة من أعلى الكَبْش ، ولم يشق الرُّمَيْلة ، وأعلم السلطانَ بخبره ، فقامت لذلك قيامةُ المماليك الأجلاب ، وقالوا : « نحن ضربناهم بالدبابيس فضربونا بالسيوف » ، وثاروا على أستاذهم ثورةً واحدة ، وساعدهم جماعة من المماليك القَرَانيص وغيرهم لما في نفوسهم من السلطان لعدم تفرقة الجِمَال وغيرها ، ووقفوا بسوق الخيل وأفحشوا في الكلام في حقِّ السلطان ، وهددوه إن لم يسلم لهم الأمير يونس ، والسلطان لا يتكلم إلى أن حرّكه بعضُهم ، فأرسل إليهم بالأمير جَانِبَك الناصرى المرتد ، والطواشى مُرْجان مقدّم المماليك السلطانية ، فسألاهم عن غرضهم ، فقالوا بلسان واحد : « نريد غريمنا الأمير يونس » ، وخشَّنوا في القول ، فعاد جَانِبَك بالجواب ، فأرسل السلطان إليهم ثانياً بنو كار الزَّرَدْ كاش ، فأعادوا له القول الأول ، ثم ساقوا غارةً إلى بيت يونُس الدَّوَادار[1] ، فمنعوهم مماليكه من الدخول إلى دار يونس ، فجاءوا بنار ليحرقوا الباب ، فمنعوهم من ذلك أيضاً ، فعادوا إلى سوق الخيل ، فوافوا المنادى ينادى من قبل السلطان بالأمان ، فمالوا على المنادى بالدبابيس ، فسكت من وقته ، وهرب إلى حال سبيله .

هذا وقد طلعت جميع أمراء الألوف إلى عند السلطان ، والسلطان على حالة السكوت غير أنه طلب بعض مماليكه الأجلاب الأعيان ، وكلمه بأنه يعطى من جُرح من الأجلاب ما يكفيه ، وأنه يعطى الذى قُطعت أصابعه إقطاعاً ومائة دينار[2] ، فلم يقع الصلح ، وانفضَّ الأمر على غير طائل لشدة حرِّ النهار .

ولما تفرّقت المماليك نزلت الأمراء إلى دورهم ، ماخلا الأمير يونس الدوادار ، فإنه بات في القلعة .

فلما أصبح يوم الثلاثاء أول شهر رجب ضرب السلطان الكرة مع الأمراء بالحوش السلطاني من القلعة ، وفرغ من ذلك ، وأراد كل أمير أن ينزل إلى داره ، فبلغهم أن

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٥٨ عن كتاب الحوادث « تجاه الكبش على بركة الفيل وأرادوا نهبه فجاء مماليكه » .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٥٩ عن كتاب الحوادث «فرضى المجروحون ، فنهاهم خشداشيتهم» .

المماليك الأجلاب وقوف على حالهم الأول بسوق الخيل[1] بغير سلاح كما كانوا فى أمسه[2]، فلما تضحّى النهارُ أرسل إليهم السلطانُ بأربعة أمراء، وهم : الأمير يونُس العلائى أحد مقدمى الألوف، وسودون الإينالى المؤيّدى قَرَاقاش رأس نَوْبَة ثان، ويَلَباى الإينالى المؤيَّدى أحد أمراء الطبلخانات، ورأس نَوْبَة، وبُرْد بَك البَجْمَقْدار أحد الطبلخانات أيضاً ورأس نَوبَة، فنزلوا إليهم من القلعة فما كان إلا أن وقع بصرُ المماليك الأجلاب على هؤلاء الأمراء احتاطوا بهم، وأخذوهم بعد كلام كثير، ودخلوا بهم إلى بيت الأمير خُشْقَدم أمير سلاح تجاه باب السلسلة، ورسَّمُوا عليهم بعضهم.

كل ذلك والمماليك الظاهرية الجقمقية وقوف على بعد، لا يختلطون بهم، لينظروا ما يصير من أمرهم، فلما وقع ما ذكرناه تحققوا خروجهم على أستاذهم، وثار ما عندهم من الكمائن التى كانت كامنة فى صدورهم من الملك الأشرف إينال لما فعل بابن أستاذهم الملك المنصور عثمان، وحبس خُجْداشيتهم، وتقريب أعدائهم الأشرفية مماليك الأشرف برسباى، فانتهزوا الفرصة، وانضافوا إلى المماليك الأجلاب، وعرّفوهم أن الأمر لا يتم إلا بحضرة الخليفة ولبس السلاح، فساق قانى باى المشطوب أحد المماليك الظاهرية من وقته إلى بيت الخليفة القائم بأمر الله حمزة، وكان فى الخليفة المذكور خفة وطيش، فمال إليهم، ظنا أنه يكون مع هؤلاء وينتصر أحدهم ويتسلطن، فيستفحل أمرُه ثانياً أعظم من الأوّل، وسببه أنه كان لما ولّاه الظاهر جَقْمَق الخلافة بعد أخيه المستكفى بالله سليمان صار تحت أوامر الظاهر، لأنه هو الذى استخاره وولاه الخلافة، فلما ثار إينال على المنصور عثمان وطلبه وجاء إلى عنده قوى أمر إينال بمجيء الخليفة عنده، فلما تسلطن عرف إينال له ذلك، ورفع محلّه أضعاف ما كان أوّلا، وزاده عدة إقطاعات، وصارت

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٥٩ عن كتاب الحوادث «من كل جهة فانثنى غرضهم عن النزول، وعادوا إلى القلعة، وكانت المماليك لما أصبحوا فى يوم الثلاثاء ركبوا».

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٥٩ عن كتاب الحوادث «على أن فى الأمس لبس بعضهم السلاح ثم قلعه بسرعة، ووقفوا على خيولهم بدون سلاح ولا سيوف فى انتظار الأمراء، وكنت أنا حاضرهم، فلم يتكلم أحد منهم بكلمة فى حق السلطان ولا غيره، غير أنهم فى أمر مهم فى الباطن، واستمروا على ذلك».

له حُرْمَة وافرة فى الدولة إلى الغاية ، فلما كانت هذه الفتنة ظن فى نفسه أنه يوافقهم ، فإذا تسلطن أحد منهم رفع محلّه زيادة على ما فعل إينال ، ويصير الأمر كلُّه بيده ، وما يدرى بأن لسان الحال يقول له :

[الرجز]

خيرُ الأمــور الوسط حُــبُّ التناهى غَلَط
ما طار طيرٌ وارتفع إلا كما طار وقع

ولما حضر الخليفة عندهم تكامل لبسهم السلاح ، وانضافت إليهم خلائق من المماليك السيفية ، وأوباش الأشرفية ، وغيرهم من الجياع الحرافيش ، فلما رأت الأجلاب أمر الظاهريّة حسبوا العواقب ، وخافوا زوال ملك أستاذهم ، فتخلوا عن الظاهريّة قليلا بتمليل ، وتوجّه كل واحد إلى حال سبيله ، فقامت الظاهرية بالأمر وحدهم ، وما عسى يكون قيامهم من غير مساعدة ، وقد تخلّى عنهم جماعة من أعيانهم وخافوا عاقبة هذه الفتنة ؟ ! .

هذا وقد تعبأ السلطانُ لحربهم ، ونزل من القلعة إلى باب السّلسلة من الإسطبل السلطانى ، وتناوش القومُ بالسهام ، وأرادوا المصافقة ، فتكاثر عليهم السلطانية ، وصدموهم صدمةً واحدة بددوا شملهم ، بل كانوا تشتتوا قبل الصدمة أيضا ، وهجموا السلطانية فى الحال إلى بيت الأمير خُشقدم أمير سلاح ، وأخذوا الأمراء المرسَّم عليهم ، وأخذوا فيمن أخذوا الخليفة معهم ، وطلعوا بهم إلى السلطان .

فلما رأى السلطان الخليفة وبخه بالكلام الخشن ، وأمر بحبسه بالبحرة من قلعة الجبل ، وخلعه من الخلافة بأخيه يوسف فى يوم الخميس ثالث شهر رجب المذكور ، ثم سُفِّر الخليفة القائم بأمر الله المذكور فى يوم الاثنين سابع رجب إلى سجن الإسكندرية فسجن بها مدة سنين ، ثم أطلق من السجن ، وسكن بالإسكندرية إلى أن مات بها فى أواخر سنة اثنتين وستين وثمانمائة .

ولما بلغ الأمير خُشْقَدَم أمر هذه الفتنة عاد من برّ منبابة، وطلع إلى القلعة، ومعه رفيقه قَرْقَماس رأس نوبة النوب في يوم الأربعاء، وحضرا الموكب في باكر يوم الخميس، ثم عادا إلى برّ مُنبابة بمخيّمهما، ثم فرّق السلطان الجمال على المماليك السلطانيّة، وسافروا صحبة الأميرين المذكورين(١) إلى ما عُيِّنوا إليه، وتفرقت من يوم ذاك أجلاب السلطان فرقتين: فرقة وهم الذين اشتراهم من كتابية الظاهر جَقْمَق وابنه، وفرقة اشتراهم هو في أيام سلطنته.

وقويت الفرقة الذين اشتراهم على الفرقة الظاهرية، ومنعوهم من الطلوع إلى القلعة، والسكنى بالأطباق، وقالوا ما معناه: إنكم سوّدتم وجوهنا عند أستاذنا، وأظن ذلك كلّه زورا وبهتاناً مع أن الأشرف كان هو لا يقطع فيهم قربته بهذا ولا بغيره، وهو مستمر على محبتهم كما كان أولا، فلعمري إذا كان هذا فعلهم به وهو راض، فما عساه يرجعهم عن ظلم غيره؟! فهذا مستحيل.

ولما انتهت الوقعة وخلع السلطانُ الخليفةَ أمسك جماعةً من المماليك الظاهرية وحبسهم بالبُرْج من قلعة الجبل، ونفى بعضَهم واختفى بعضُهم، وأخرج قوزى الساقي الظاهري — وكان تأمر عشرة — ومعه عشرين مملوكا من المماليك الظاهرية إلى البلاد الشامية، مع أن قُوزِى المذكور لا في العير ولا في النّفير، وسافروا في يوم الجمعة تاسع شهر شعبان، وسكن الأمر كأنه لم يكن، لحسن سياسة السلطان في تسكين أخلاط الفتن — انتهى.

وفي يوم الأربعاء حادى عشرين شعبان ورد الخبر على السلطان بمسك الأمير يَشْبُك النَّوْرُوزِى نائب طَرَابُلُس بأمر السلطان، لأن السلطان كان قبل تاريخه أرسل إينال الجُلُبّانى التَّجَقى الخاصكى إلى طرابلس، وعلى يده ملطفات في الباطن،

(١) في ص «الأميرين خشقدم وقرقماس».

بمسك يَشْبُك المذكور وحبسه بالمرقب[1] ، وتولى عوضه نيابة طرابُلُس الأمير حاج إينال اليَشْبُكى نائب حماة ، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير يشبك الفقيه المؤيدى ، واستقر فى نيابة حماة عوضه الأمير إياسُ المحمدى الناصرى نائب صَفَد ، وحمل إليه التقليد والتشريف الأميرُ قانصُوَه المحمدى الأشرفى ، واستقر فى نيابة صفد عوضا عن إياس الأمير جانبك التاجى المؤيدى نائب غزة ، وحمل إليه التقليد تَمُربای من حمزة المعروف بططَر الناصرى[2] ، واستقر فى نيابة غزة عوضا عن جَانِبَك التاجى خيربك النوروزى أحد أمراء صَفَد ، ومُسَفِّرُه سنقر قرق شبق الأشرفى الخاصكى .

ثم رسم السلطان أيضا بنقل الأمير آقْبَرْدِى الساقى الظاهرى من أتابَكية حَلَب إلى نيابة مَلَطْيَة ، بعد عزل قانى باى الناصرى ، واستقر فى أتابكية حلب عوضا عن آقبردى سودون من سيدى بك الناصرى القرمانى أتابك طرابلس ، وصار مُغُلْباى البجاسى أحد أمراء طرابُلُس وحاجب حجابها أتابك طرابلس عوضا عن سودون القَرَمانى المذكور ، وولى حجوبية طرابُلُس يَشْبُك دوادار قانى بَاى البهلوان — وهو رجل من الأوباش ، لم تسبق له رئاسة — بالبذل ، انتقل إليها من نيابة المَرْقَب ، ثم أخرج السلطانُ سَنْطَباى الظاهرى رأس نَوبَة الجَمَدارِيَّة — كان — منفيًّا إلى طرابلس فى أوائل شهر رمضان[3] .

ثم فى يوم الأحد عاشر شهر رمضان المذكور ورد الخبر على السلطان من مكة بموت الشريف بركات بن حسن بن عَجْلان أمير مكة ، فأقرَّ السلطانُ ولدَه الشريف محمداً فى

---

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٤٦٣ عن كتاب الحوادث « فقبض عليه من دار السعادة وأخرج ماشيا مع الحاجب والأمراء إلى بيت مغلباى البجاسى حاجب حجاب طرابلس بعد أن امتنع مماليكه عن تسليمه حتى نهرهم أستاذهم المذكور لعلمه أن ذلك لا فائدة فيه ؛ وقيد وحمل الى سجن المرقب » .

(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٤٦٤ عن كتاب الحوادث « وهوأحد من بقى من أمراء الأتراك فى زماننا هذا لا غير »

(٣) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٤٦٤ عن كتاب الحوادث « وهذه هى النفية الثانية بعد موت أستاذه الظاهر » .

إمرة مكة عوضه ، بسفارة الأمير جانِبَك الظاهرى نائب جدّة بمكاتبته ، ثم وصل نائب جدّة بعد ذلك إلى القاهرة ، وتم أمر ولاية محمد بتدومه بخمسين ألف دينار ، يحمل منها عاجلا عشرين ألف دينار ، وما بقى آجلا على نقدات[1] متفرقة ، هكذا حكى لى الأمير جانِبَك من لفظه ، هذا غير مايدفعه الشريف محمد المذكور لأرباب الدّولة بالدّيار المصرية ولولد السلطان وزوجته ، فإن زوجة السلطان وولده صار لهما نصيب وافر مع السلطان فى كل هدية ورشوة .

ثم رسم السلطانُ أيضاً بعزل أبى السعادات قاضى مكّة[2] ، وولاية الإمام محب الدين الطبرى [3] إمام مقام إبراهيم عليه السلام بغير سَعْى .

ورسم أيضاً باستقرار الشيخ برهان الدين إبراهيم بن ظَهيرة [4] فى نظر حرم مكّة ، بعد عزل الشيخ طوغان الأشرفى [5] عنها ، وخرج إليهما الأمرُ صحبة الحاج فى الموسم .

وكان أمير حاج المحمل فى هذه السنة الأمير بُرْدبك البَجْمَقْدار الظاهرى ، أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبَة ، وأمير الرّكب الأول الناصرى محمد ابن الأمير جَرِباش المحمدى الأمير آخور الكبير ، وصحبته والدته خوَنْد شقراء بنت الناصر فرج بن بَرْقُوق ،

---

(١) كذا فى ص . وفى ط كاليفورنيا ٧ : ٤٦٥ « نفذات» .

(٢) هو محمد – الجلال أبو السعادات – بن ظهيرة ، ولد فى سنة ٧٩٥ هـ بمكة ومات سنة ٨٦١ هـ . (السخاوى – الضوء اللامع ٩ : ٢١٤–٢١٦) .

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم ابن أبى بكر ، المحب أبو المعالى بن أبى السعادات بن المحب أخى أبى اليمن بن أبى الشهاب بن الرضى الطبرى المكى الشافعى ، ويعرف بالمحب الطبرى الإمام ، ولد سنة ٨٠٧ هـ بمكة ومات سنة ٨٩٤ هـ (السخاوى – الضوء اللامع ٩ : ١٩١–١٩٤) .

(٤) هو إبراهيم بن على بن محمد بن محمد بن حسين بن على بن أحمد بن عطية بن ظهيرة بن مرزوق ابن محمد بن على . البرهان المخزومى المكى الشافعى . ولد سنة ٨٢٥ هـ وتوفى سنة ٨٩١ (السخاوى – الضوء اللامع ١٠ : ٨٨–٨٩) .

(٥) هو طوغان شيخ الأحمدى – مات سنة ٨٨١ هـ (السخاوى – الضوء اللامع ٤ : ١٠) .

وسافر أيضاً فى هذه السنة إلى الحجاز الأمير بيبَرْس الأشرفى — خال العزيز يوسف — باشا [ليكون مقدماً][(١)] للمماليك السلطانية المجاورين بمكة المشرفة .

وفى أوائل ذى القعدة رسم السلطانُ بهدم[(٢)] تربته التى كان أنشأها أيّام إمرته[(٣)] وإعادتها مدرسة ، وخلع على الصاحب جمال الدين يوسف ناظر الجيش والخاص بالنظر على عمارتها .

وفى عشر ذى الحجة — وهو يوم عيد الأضحى — صلى السلطان صلاة العيد بالجامع الناصرى بقلعة الجبل ، ثم خرج من الجامع بسرعة ، وذهب إلى الحوش السلطانى ، ونحر ضحاياه به .

وكانت العادة أن السلطان إذا خرج من صلاة العيد جلس بالإيوان ومعه الأمراء وذبح به ، ثم [(٤)] يتوجَّه من الإيوان إلى باب الستارة وينحر به أيضاً ويفرِّق ما يذبحه[(٤)] ثم بعد ذلك يتوجه إلى الحوش ويذبح به ، فلم يفعل السلطان شيئاً من ذلك ، خوفاً من مماليكه الأجْلاب ، فإنهم رجموه فى العام الماضى وأخرقوا به وبأمرائه غاية الإخراق ، ورجموه وهجموا عليه حيث كان ينحر الضحايا حتى إنه قام من مقامه فَزِعاً بعد أن أصاب جماعةً من الأعيان الرجمُ .

وفرغت هذه السنة وقد قوى أمر المماليك الأجْلاب .

واستهلت سنة ستين وثمانمائة .

فلما كان يوم الاثنين خامس المحرم نزلت المماليك الأجْلاب من الأطباق ، وقصدوا بيت الوزير فرج بن النحال لينهبوا ما فيه ، وكأنه أحسَّ بذلك وشال ما كان فى بيته ،

---

(١) إضافة عن هامش و . پوپر ٧ : ٤٦٦ عن كتاب الحوادث .

(٢) فى هامش و. پوپر ٧ : ٤٦٦ عن كتاب الحوادث « بهدم الإيوان القبلى من » .

(٣) من هوامش و. پوپر ٧ : ٤٦٦ يستفاد أن هذه التربة بنيت فى الصحراء خارج باب النصر بالقرب من تربة كركاى ، وقد أمر أن عمر مدرسة بأربعة أواوين وأن تجعل خانقاه .

(٤–٤) ما بين الرقمين ساقط من ص .

فلما دخلوا البيت لم يجدوا فيه مايأخذونه ، قالوا على من هو ساكن بجوار بيت فرج المذكور فنهبوهم بحيث إنهم أخذوا غالب متاع الناس ، ولا قوة إلا بالله .

وفى يوم الأربعاء حادى عشرين المحرم ورد الخبر على السلطان بموت الأمير آقْبَرْدى الساقى نائب مَلَطْيَةَ بها ، فرسم السلطان لجانِبَك الجَكَمى المعزول عن نيابة مَلَطْيَة قبل ذلك بنيابة مَلَطْيَةَ على عادته أولا ، ورسم بأن يستقرّ فى نيابة طَرَسُوس عوضا عن جانِبَك الجَكَمى آقْبَاى السيفى جَار قُطْلو ، وكان آقْبَاى أيضاً وَلِىَ نيابة طَرَسُوس قبل ذلك .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشر صفر من سنة ستين المذكورة أخرق المماليك الأجْلاب بعظيم الدولة الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص بغير سبب أوجب ذلك ، وشقّ ذلك على كل أحد ، ولم تنتطح فى ذلك شاتان .

وفى يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى من سنة ستين أيضاً وصل قاصد السلطان محمد بن مراد بك بن عثمان متملِّك بلاد الرّوم ، وهو جمال الدين عبد الله القابونى ، وطلع إلى السلطان فى يوم الثلاثاء وعلى يده كتاب مُرْسِلِهِ ، يتضمن البشارة بفتح قُسْطَنْطِينِيّة ، والكتاب نظم ونثر ، وقفتُ عليه وعلى جوابه من السلطان من إنشاء القاضى معين الدين عبد اللطيف بن العجمى [1] نائب كاتب السِّرّ ، وأثبتُّ الكتاب الوارد والجواب كليهما فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » إذ هو محل ضبط هذه الأشياء .

وفى يوم الخميس خامس عشر جمادى الآخرة من السنة أمسك السلطان الأمير زين الدين الأستادار ، ووضع فى عنقه الجَنْزير ، وحطّه إلى الأرض ليضربه ، ثم رُفع من عَلَى الأرض بغير ضرب ، وحُبس عند الطواشى فَيْروز الزّمّام

(١) هو عبد اللطيف بن أبى بكر بن سليمان بن إسماعيل بن يوسف بن عثمان بن عماد ، المعين أبو اللطائف ابن الشرف بن العلم الحلبى الأصل الظاهرى والشافعى سبط بنى العجمى أحد البيوت المشهورين بحلب ، ولد سنة ٨١٢ هـ ومات سنة ٨٦٣ هـ (السخاوى – الضوء اللامع ٤ : ٣٢٥–٣٢٦) .

والخازندار ، واستقرّ عوضه فى الأستادارية سعد الدين فرج بن النحّال الوزير ، واستقرّ علىّ بن الأهْناسى البُرْدُدَار وَزيراً عوضاً عن فرج المذكور ، فلما سمعت المماليك الأجْلاب بهذا العزل والولاية نزلوا من وقتهم غارةً إلى بيت الأستادار لينهبوه ، فمنعهم مماليك زين الدين ، وقاتلوهم وأغلقوا الدروب ، فلما عجزوا عن نهب بيت زين الدين نهبوا بيوت الناس من عند بيت زين الدين إلى قنطرة أمير حسين[1] ، فأخذوا مالا يدخل تحت حصر كثرةً .

واستمروا فى النهب من باكر النّهار إلى قريب العصر ، وفعلوا بالمسلمين أفعالا لا تفعلها الكفرة ولا الخوارج مبالغة ، وهذا أعظم مما كان وَقع منهم من نهب جوار بيت الوزير فرج ، فكانت هذه الحادثة من أقبح الحوادث الشنيعة التى لم نسمع بأقبح منها فى سالف الأعصار .

ومن ثم دخل فى قلوب الناس من المماليك الأجْلاب من الرجيف والرّعب أمر لا مزيد عليه ، لعلمهم أنه مهما فعلوا جاز لهم ، وأن السلطان لا يقوم بناصر من قُهر منهم .

ووقعت حادثة عجيبة مضحكة ، وهى أنه لما عظم رجيف الناس والعامة من هذه المماليك الأجلاب اتفق أن جهاز بنت الناصرى محمد بن الثّلاّج الأمير آخور خرج من بيت أبيها إلى بيت زوْجها الأمير جانِبَك قَرا الأشرفى ، وحُمل ذلك عَلَى رءوس الحمّالين والبغال كما هى عادة المصريين ، وَسارت الحمالون بالمتاع فوقع مِن عَلَى رأس بعضهم قطعة نحاس ، فجفل من ذلك فرس بعض الأجناد ، فخنق الجندى من فرسه وضَربه ، ثم ساقه ، فلم تشُك العامة أن المماليك نزلوا إلى نهب

---

(١) قنطرة أمير حسين ، وتقع على الخليج الكبير ، ويتوصل منها إلى بر الخليج الغربى ، أنشأها الأمير سيف الدين حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن حيدر الرومى ليصل من فوقها إلى مسجده الذى بناه فى حكر جوهر النوبى ، وكانت تقع بين قنطرة باب الخرق وقنطرة عزالدين موسك (المقريزى الخطط ٢ : ١٤٦) وما زال هناك شارع يحمل اسم الأمير حسين يصل ما بين شارع القلعة وشارع بور سعيد فى المسافة بين دار الكتب وشارع الأزهر ويطلق على نهايته قنطرة الأمير حسين .

حوانيت القاهرة ، فأُغلقت القاهرة فى الحـال ، وماجت الناس ، وتعطلت المعايش ، وحصل عَلَى الرعية من الانزعاج أمر كبير من غير موجب — انتهى .

وفى هذه الأيام كان الفراغ من مدرسة السلطان التى هدمها وبناها بالصحراء ، وقرئ بها خَتْمةٌ شريفة ، وحضرت الأعيان من الأمراء وغيرهم ماخلا السلطان .

ثم فى يوم الاثنين ثالث شهر رجب من سنة ستين المذكورة أفرج السلطان عن زين الدين [يحيى][1] الأستادار ، ورسم له بأن ينزل إلى بيت الصّاحب جمال الدين ليحمل ما تقرّر عليه إلى الخزانة الشريفة — وهو مبلغ عشرة آلاف دينار — ثم ينفى بعد تغليقه المـــال إلى حيث يأمر به السلطان ، ولمـا غلّق ما أُلزِمَ به من المال ، سافر فى يوم الاثنين أول شعبان إلى المدينة الشريفة من عَلَى طريق الطّور .

ثم سافر قاصد ابن عثمان إلى جهة مُرْسِله فى يوم الجمعة خامس شعبان ، وتبعه قاصد السلطان إلى ابن عثمان المذكور ، وهو السّيفى قانى بَاى اليوسفى المِهْمَنْدَار .

وفيه ورد الخبر على السلطان بأن السلطان إبراهيم بن قَرَمان صاحب لارِنْدَة[2] وغيرها من بلاد الرّوم طرق معاملة السلطان ، واستولى على مدينة طَرَسُوس وأذنه[3] وكولك[4] ، فغضب السلطان من ذلك ، وأمر بخروج تجريدة من الدّيار المصريّة لقتال ابن قَرَمان المذكور ، وعيّن جماعة من الأمراء والمماليك يأتى ذكرهم عند سفرهم من القاهرة .

---

(١) إضافة عن هامش و . پوپر ٧ : ٤٧٠ .

(٢) لا رندة : قاعدة إمارة قرمان من بلاد الروم . وإلى جنوبها مدينة أرمناك (لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية ١٨٠) .

(٣) أذنه بلد من الثغور قرب المصيصة ، بناها أبو سليم فرج الخادم وحصنها وذلك بأمر الخليفة محمد الأمين بن هارون الرشيد (ياقوت — معجم البلدان) .

(٤) كولك : وترسم كولاك : قلعة مدورة على رأس جبل فى الشمال من طرسوس على نحو مرحلة ، يسكنها طائفة من التركمان (القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٣٥) .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرين شهر رمضان نُودِىَ بالقاهرة من قِبَل السلطان بعدم تعرّض المماليك الأَجْلاب إلى الناس والباعة والتجار ، فكانت هذه المناداة كضرب رباب أو كطنين ذُبَاب ، واستمرّوا على ما هم عليه من أخذ أموال الناس والظلم والعنف حتى غلَت الأسعار فى سائر الأشياء من المأكول والملبوس والغلال والعلوفات ، وصاروا يخرجون إلى ظواهر القاهرة ، ويأخذون ما يجدون من الشعّير والتِّبن والدّريس بأبخس الأثمان إن أعطوا ثمنا ، وإن شاءوا أخذوه بلا ثمن ، وكلٌّ من وقع له ذلك معهم لم يعد ثانياً إلى بيع ذلك الصنف إلا أن يكون محتاجاً لبيعه ، فعزّت لذلك هذه الأصناف بحيث إنها صارت أقل وجوداً من أيّام الغلاء ، فصار هذا هو الغلاء بعينه ، وزيادة على الغلاء عدم الشىء .

ثم شرعوا فى نهب حواصل البطيخ الصيفى وغيره ، ثم تزايد أمرُهم ، وشرعوا يفعلون ذلك مع تجار القماش وغيره ، فغلت جميع الأسعار مع كثرتها عند أربابها ، فضرّ ذلك بحال الناس قاطبة ، رئيسها وخسيسها ، وهذا أول أمرهم[١] ، وما سيأتى فأهول .

وفى يوم الاثنين تاسع عشر شوال خرج أمير حاج المحمل بالمحمل من بركة الحاج[٢] ، وهو الأمير قانم من صفر خَجا أحد مقدّمى الألوف ، وسار إلى البركة دفعة واحدة ، فكان عادة أمراء المحمل النزول بالمحمل إلى الريدانية ، فبطل ذلك ، وصاروا يتوجهون إلى البركة فى مسير واحد ، وأمير الرّكب الأوّل عبد العزيز بن محمد الصغير أحد الأجناد .

وفى هذه الأيّام كانت عافية الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص من مرض

---

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٤١ عن كتاب الحوادث « والسلطان مع ذلك لا يزداد فى مماليكه المذكورين إلا محبة وقياما فى نصرتهم بكل ما تصل إليه قدرته . فلا قوة إلا بالله » .

(٢) وصف المقريزى (الخطط ، طبعة النيل ، ج ٣ ، ص ٢٦٥–٢٦٧) هذه البركة بقوله : «هذه البركة فى الجهة البحرية من القاهرة على نحو بريد منها ، عرفت أولا بجب عميرة ، ثم قيل لها رأس الجب ، وعرف إلى اليوم ببركة الحجاج من أجل نزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودهم » .

أشرف فيه على الموت ، وطلع إلى القلعة ، وخلع السلطان عليه ونزل إلى داره فى يوم مشهود لم يُرَ مثله إلا نادراً .

وفى يوم الخميس سابع عشرين ذى القعدة استقرّ الأمير سودون النوروزى السلاح دار أحد أمراء الطبلخانات فى نيابة قلعة الجبل بعد موت قانى بَاى الأعمش النّاصرى ، وأنعم السلطان بإقطاع قانى باى المذكور على ولده الصغير المقام الناصرى محمد ، والإقطاع إمرة عشرة .

واستهلت سنة إحدى وستين وثمانمائة يوم الاثنين الموافق لثالث كيهك أحد شهور القبط .

فلما كان يوم السبت سادس المحرم ضرب السلطان والى القاهرة خيربك القصروى ، وعزله عن ولاية القاهرة ، وحبسه بالبرج على حمل عشرة آلاف دينار ، فدَامَ فى البرج إلى أن أطاق فى يوم عاشره ، واستقر عوضه فى ولاية القاهرة على بن إسكندر ، واستقرّ فى نقابة الجيش الأمير ناصر الدين بن أبى الفرج — على عادته أوّلا — عوضاً عن على بن إسكندر المذكور[1] .

وفى يوم السبت هذا نودى أيضاً على الذّهب بأن يكون صرف الدّينار الذى هو وزن درهم وقيراطين ثلاثمائة درهم نقرة ، وكان بلغ صرفه قبل ذلك إلى ثلاثمائة وسبعين نقـــرة ، وأضرّ ذلك بحال الناس زيادة على ما هم فيه من أمرِ المماليك الأجلاب .

وفى يوم الاثنين خامس عشر المحرم المذكور ورد الخبر على السلطان بموت يشبك[2] حاجب حجّاب طرابُلُس ، فرسم باستقرار شاذْ بك الصارمى[3] عوضه فى حجوبية الحجاب ، والمتوفى والمولّى كلاهما وَلِىَ بالبذْل .

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٤٧٣ عن كتاب الحوادث « ببذل المال فى ولاية كل من الوظيفتين ، وكان السبب فى عزل خير بك شكوى بعض الناس عليه » .
(٢) هو يشبك السيفى قانى باى (هامش و. پوپر ٧ : ٤٧٣) .
(٣) أحد أمراء طرابلس (هامش المرجع السابق) .

وفى يوم الخميس ثالث صفر ثارت المماليك الأجْلاب على السلطان ، وأفحشوا فى أمره إلى الغاية . وخبر ذلك أن السلطان لما كان فى يوم الخميس المذكور وهو جالس بقاعة الدهيشة ، وكانت الخدمة بطَّالة فى هذا اليوم ، وذلك قبل أن يصلى السلطان الصبح ، وإذا بصياح المماليك ، فأرسل السلطان يسأل عن الخبر ، فقيل له إن المماليك أمسكوا نُوكَار الزَّرَدْكاش وهددوه بالضرب ، وطلبوا منه القرقلات[1] التى وعدهم السلطان بها من الزَّرَدْخاناه السلطانية ، لحلف لهم أنه يدفع لهم ذلك فى أوّل الشّهر ، فتركوه ومضوا ، فلقوا الشيخ عليا الخراسانى الطويل محتسب القاهرة ، وهو داخل إلى السلطان فاستقبلوه بالضّرب المبرح المتلف ، وأخذوا عمامته من على رأسه ، فرمى بنفسه إلى باب الحريم السلطانى حتى نجا .

وأما السلطان لما فَرَغ من صلاة الصُّبح نَزَل وقعد على الدَّكة بالحوش على العادة ، ثم قام بعد فراغ الخدمة وعاد إلى الدّهيشة ، وإذا بالصِّياح قد قوى ثانيا ، فعلم أن ذلك صياح الأجْلاب ، فأرسل إليهم الأمير يُونُس الدَّوادار ، فسألهم يونس المذكور عن سبب هذه الحَرَكة ، فقالوا : نريد نقبض جَوامِكَنا ، كل واحد سبعة أشرفيَّة ذهباً[2] ، وكانت جامَكيَّة الواحد منهم ألفين قبل تاريخه يأخذها ذهباً وفضة ، بسعر الذهب تلك الأيام ، فلما غلا سعر الذهب تحيَّلُوا على زيادة جوامكهم بهذه المندوحة ، ثم قالوا : ونريد أن تكون تفرقة الجامكية فى ثلاثة أيام ، أى على ثلاث نفقات[3] كما كانت قديما ، ونريد أيضا أن يكون عليقنا السلطانى الذى نأخذه من الشُّونة مُغَرْبَلا ، ويكون مرتبنا من اللحم سمينا ، فعاد الأمير يُونُس إلى السلطان بهذا الجواب ، ولم يَتَفَوَّه به إلى السلطان ، وتربَّص عن رَدّ الجواب على السلطان حتى يفرغ السلطان من أكل السّماط ، فأبطأ الخبر لذلك عن الأجلاب ، فندبوا مَرْجانا مقدّم المماليك للدخول بتلك المقالة إلى السلطان ، فدخل مَرْجان أيضا ولم يخبر السلطان بشىء حتى فرغ من أكل

(١) انظر ما سبق . ج ١٣ ص ٤٩ من هذا الكتاب .
(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٧٤ عن كتاب الحوادث « فى كل شهر » .
(٣) فى ص « نقدات » .

السّماط ، فعند ذلك عرّفه الأمير يُونُس بما طلبوه ، فقال السلطان : لا سبيل إلى ذلك ، وأرسل إليهم مَرْجَانا المقدّم يعرّفهم مقالةَ السلطان ، فعاد مَرْجَان ثانيا إلى السلطان بالكلام الأوّل ، وصار يتردّدُ مَرْجَان بين السّلطان والمماليك الأجلاب نحو سبعة مرار ، وهم مصممون على مقالتهم ، والسّلطان ممتنعٌ من ذلك .

وامتنع الناسُ من الدّخول والخروج إلى السلطان خوفًا من المماليك لما فعلوه مع العجمى المحتسب ، فلما طال الأمر على السّلطان خرج هو إليهم بنفسه ، ومعه جماعةٌ من الأمراء والمباشرين ، وتوجّه إلى باب القُلّة حيث يجلس مقدّم المماليك والخُدّام ، فوجد المماليك قد اجتمعوا عند رحبة باب طبقة المقدّم ، فلما علموا بمجىء السلطان أخذوا فى الرجم فجاس السلطان بباب القُلّة مقدار نصف درجة ، ثم استدرك أَمْرَه لمّا رأى شدّة الرَّجْم ، وقصدَ العوْد إلى الدّهيشة ، ورسم لمن معه من الأمراء أن ينزلوا إلى دورهم ، فامتنعوا إلا أن يُوَصِّلُوه إلى باب الحريم ، فعاد عليهم الأمر فنزلوا من وقتهم ، وبَقِىَ السلطانُ فى خواصّه وجماعة المباشرين وولده الكبير المقام الشهابى أحمد .

فلما سار السلطان إلى نحو باب الستارة ، ووصل إلى باب الجامع أخذه الرَّجْمُ المُفْرِطُ من كلّ جهة ، فأسرع فى مشيته والرّجم يأتيه من كل جانب ، وسقط الخاصكى الذى كان حامل تُرْس السلطان من الرّجم ، فأخذ التُّرْس خاصكيّ آخر فَضُرِب الآخر فوقع وقام ، وشُجَّ دوادارُ ابن السلطان فى وجهه وجماعة كثيرة ، وسقطت فردة نعل السلطان من رجله فلم يلتفت إليها لأنه محمول من تحت إبطيه مع سرعة مشيهم إلى أن وصل إلى باب الستارة ، وجلس على الباب قليلا ، فقصدوه أيضا بالرّجم فقام ودَخَل من باب الحريم وتوجّه إلى الدّهيشة .

واستمرّ وقوف المماليك على ما هم عليه إلى أذان المغرب ، فبعد صلاة المغرب نزل الصاحبُ جمالُ الدين ناظرُ الجيش والخاص من باب الحريم إلى القصر ، وتوصل منه إلى الإسطبل السلطانى ، وخرج من باب السّلسلة ، وتوجّه إلى داره ، ونزل الأمير بُرْدَبك الدّوادار الثانى وصهر السلطان من الميدان ماشيا ، فوجد فرَسه تحت القلعة ،

فركبه وتوجّه إلى داره ، وكذلك فعل جَانِبَك المشدّ ، وجَانِبَك الخازندار وغيرهما ، وبات القوم وهم على وجل ، والمماليك يُكْثِرُون من الوعيد فى يوم السبت ؛ فإنهم زعموا أن لا يتحركوا بحركة فى يوم الجمعة مراعاة لصلاة الجمعة .

وأصبح السلطان وصلى الجمعة مع الأمراء على العادة ، فتكلم بعض الأمراء مع السلطان فى أمرهم بما معناه إنه لابد لهم من شىء يطيّب خواطرهم به ، ووقع الاتفاق بينهم وبين السلطان على زيادة كسوتهم التى يأخذونها فى السّنة مرّة واحدة، وكانت قبل ذلك ألفين ، فجعلوها يوم ذاك ثلاثة آلاف[1] ، وزادوهم أيضا فى الأضحية ، فجعلوا لكل واحد ثلاثة من الغنم الضأن ، فزيدوا رأسا واحدا على ما كانوا يأخذونه قبل ذلك ، ثم رسم لهم أن تكون تفرقة الجامَكِيّة على ثلاث نفقات[2] فى ثلاثة أيام من أيام المواكب ، فرضوا بذلك وخمدت الفتنة ، وقد انتفعت جميع المماليك السلطانية بهذه الزيادات ؛ فإنها ليست بمختصة بالأجلاب فقط ، وإنما هى لجميع مماليك السلطان كائنا من كان ، فحمدت المماليك والناس جميعا فعلهم لما جر إليهم من المنفعة .

قلتُ : هذا هو الاحتمال الذى يؤدى إلى قلة المروءة ، فإنه لو أراد لفعل بهم ماشاء ، غير أنه كما ورد : «حُبُّكَ للمرء يُعمى ويصم» انتهى .

وفى هذه الأيام ترادفت الأخبار من الأمير جانم الأشرفى نائب حلب بحركة ابن قرمان ، فلهج السلطان بخروج تجريدة لقتاله بعد انفصال فصل الشتاء .

ثم فى يوم الاثنين خامس شهر ربيع الأوّل أبطل السلطان الخدمة من القصر ، وجلس بالحوش السلطانى ، وجمع القضاة والأعيان وناظر دار الضَّرب ، وسُبِكت الفضة المضروبة فى كل دولة ، وقد حرّرنا وزن ضرب كلّ دولة ، وما نقص منها فى تاريخنا « حوادث الدهور » — انتهى .

وانفضّ الجمع وقد نُودِىَ فى يومه بشوارع القاهرة بأن أحداً لا يتعامل بالفضّة

---

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٤٧٧ عن كتاب الحوادث « درهم » .
(٢) فى ص «نقدات» .

المضروبة بدِمَشْق فى هذه الدّولة ، فشقّ ذلك على الناس قاطبة ؛ لكثرة معاملاتهم بهذه الفضة التى داخلها الغشّ ، ولهجت العامة فى الحال فيما بينهم : « السلطان من عكسه أبطل نصفه » و « إذا كان نصفك إينالى لا تقف على دكانى » وأشياء من هذه المهملات التى لا وزن ولا قافية ، وانطلقت الألسن بالوقيعة فى السلطان .

هذا والصاحب جمال الدين عظيم الدّولة بلّغ السلطان من الغد أنّ المماليك تريد إثارةَ فِتْنَةٍ أخرى بسبب ذلك ، فخشى السلطان من مساعدة العوَامّ لهم ، فأبطل ما كان نُودِى به .

قلتُ : والمصلحة ما كان فعله السلطان ، غير أنك تعلم أن السّواد الأعظم من العامة ليس لهم ذوق ولا خبرة بعواقب الأمور ، فإنهم احتاجوا بعد ذلك إلى أن سألوا فى إبطال ذلك ، فلم يسمح لهم السلطان به إلاّ بعد أمور وأشهر حسبما يأتى ذكرُه ، وهو معذورٌ فى ذلك .

وفى يوم الخميس خامس عشر شهر ربيع الأوّل المذكور من سنة إحدى وستين عمل السلطانُ المَوْلِد النبوىّ بالحوش من قلعة الجبل على العادة فى كل سنة ، غير أنه فرّق الشُّقَق الحرير على القُرّاء والمُدّاح ، كل شُقّة طولها خمسة أذرع إلى ثلاثة أذرع ونصف ، ولم يفرق على أحد شقة كاملة إلا نادراً .

قلتُ : كل ذلك من سوء تدبير أرباب وظائفه وحواشيه ، وإلا فما هو هذا النزر اليسير حتى يشحّ به مثلُ هذا الملك الجليل ، ونفرض أنه عزم على ذلك فكان يمكنهم الكلام معه فى ذلك ، فإن عجزوا عن مدافعته كان أحد من أولاده وخواصه يقوم بهذا الأمر عنه من ماله ، وليس فى ذلك كبير أمر .

وفى يوم الأحد ثامن عشر شهر ربيع الأوّل المذكور وصل إلى القاهرة سُنْقُر الأشرفى الدّوادار المعروف بقَرَق شَبَق ، وكان توجّه قبل تاريخه إلى البلاد الحلبيّة لكشف أخبار ابن قَرَمان ، وتجهيز العساكر الشّاميّة والحلبية ، فوقع له هناك أمور وحوادث ذكرناها فى غير هذا المحل ، من قتل جماعة من تركمان ابن قَرَمان وغير ذلك .

وكان سُنْقُر المذكور من مساوىء الدّهر ، وعنده طيش وخفة مع ظلم وجَبرُوت ، وما سيأتى من أخباره عند عمارته لمراكب الغزاة فأعظم .

ثم فى يوم الأحد هذا نودى بالقاهرة من قِبَل السلطان بأن يكون سِعْر الدِّرهم من الفضّة الشاميّة المقدم ذكرها التى داخلها الغش ثمانية عشر درهماً نُقْرَة[1] ، فقامت قيامة العامّة من ذلك خوفاً من الخسارة ، وأكثروا من الوقيعة بالسلطان وأرباب دولته ، ولا سيما فى الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص ، فأنهم نسبوا هذا كله إليه — رحمه الله .

وكان السلطان خلع على ولده المقام الشهابى أحمد باستقراره أمير حاجّ المحمل فلما نزل ابن السلطان وعليه الخلعة من القلعة إلى داره — وهى قصر بَكْتَمُر الساقى تجاه الكبش — وبين يديه جميع أعيان الدولة استغاثت إليه العامة بلسان واحد ، وقالوا : « نخسر بهذه المناداة ثلث أموالنا » ، وسألوه فى إبطال ذلك ، فوعدهم بإبطاله ، وأرسل إلى والده يسأله فى إبطال ما نودى به ، فأجابه السلطان ، ونودى فى الحال مناداة ثانية بإبطال ما نودى به .

قلتُ : وهذه فعلة العامة الثانية من طلبهم عدم المناداة بإبطال هذه الفضّة المغشوشة خوفا من الخسارة ، فاحتاجوا بعد ذلك إلى المناداة ، وخسروا أكثر مما كانوا يخسرونه عندما غلت الأسعار بسبب هذه الفضّة ، ووصل صرف الدينار إلى أربعمائة درهم كما نذكره إن شاء الله تعالى .

وفى يوم السبت أول شهر ربيع الآخر نودى فى المماليك السلطانية المعينين إلى تجريدة البلاد الشامية لقتال ابن قَرَمان — قبل تاريخه — بأنّ النفقة فيهم فى يوم الخميس الآتى ، فلما كان يوم الخميس سادس ربيع الآخر المذكور جلس السلطان بالحوش السلطانى ، وشرع فى تفرقة النفّقة على المماليك المذكورين ، لكل واحد منهم مائة دينار ،

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٨٠ عن كتاب الحوادث« وما عداها من الفضة المؤيدية والأشرفية والظاهرية تكون على حالها بأربعة وعشرين درهما » .

وسعر الذهب يوم ذاك أربعمائة الدينار ، فوصل لـكل واحد منهم — أعنى المماليك المعينين — أربعون ألفا ، وهذا شيء لم نسمع بمثله ، وأكثر ما فرّق الملوك السالفة فى معنى النفقة مائة دينار ، وسعر الدينار فى ذلك الوقت ما بين مائتين وعشرين درهما الدينار إلى مائتين وثمانين الدينار ، لا بهذا السعر الزائد ، فشكر كل أحد السّلطان على هذه الفعلة .

وكان عدة من أخذ النفقة من المماليك المذكورين أربعمائة مملوك وثلاثة مماليك ، ثم أرسل السلطان بالنفقة إلى الأمراء المُجَرّدين ، فحمل إلى الأمير خُشْقَدَم الناصرى المؤيّدى أمير سلاح — وهو مقدّم العسكر يوم ذاك — بأربعة آلاف دينار ، ثم أرسل لكل من أمراء الألوف لكل واحد بثلاثة آلاف دينار ، وهم : قَرْقَماس الأشرفى رأس نَوْبَة النُّوَب ، وجَانِبَك القَرَمانى الظاهرى حاجب الحُجَّاب ، ويُونُس العلائى الناصرى ، ثم حمل لكل من أمراء الطبلخانات بخمسمائة دينار ، ولـكل أمير عشرة مائتى دينار . يأتى ذكر أسماء الجميع عند خروجهم من الديار المصرية إلى جهة ابن قَرَمان .

ثم فى يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر المذكور عزل السلطان علىّ ابن إسكندر عن ولاية القاهرة ، وأعاد خَيربَك القَصْرَوِى لولاية القاهرة كما كان أوّلا .

ثم فى يوم الخميس خامس جمادى الأولى برز الأمير خُشْقَدَم أمير سلاح ومقدّم العسكر بمن معه من الأمراء والعساكر من القاهرة إلى الرَّيْدانِيَّة خارج القاهرة ، والأمراء هم :

الأربعة من مقدمى الألوف المقدم ذكرهم .

والطبلخانات : جانِبَك الناصرى المُرْتَدّ ، وخيربَك الأَشْقَر [1] المؤيّدى الأمير آخور الثانى ، وبُرْدبَك البَجْمَقْدار الظاهرى رأس نَوْبَة .

ومن أمراء العشرات ستة أمراء وهم : تَمُرْبَاى من حمزة الناصرى المعروف بطَطَر ،

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٨٢ عن كتاب الحوادث « ولكنه لم يسافر من مرض اعتراه فعادت خيمته من الريدانية » .

وقَانْصُوه المحمدى الأشرفى ، وقَلَمْطاى الإسْحاق الأشرفى رأس نَوبَة ، وقانَم طاز الأشرفى[١] رأس نَوْبَة ، وجَـكَم النورى المؤيدى[٢] رأس نَوْبَة ، وجَانَم المؤيدى المعروف بحرامى شَـكَل[٣] .

وقد تقدَّم ذكر عدة المماليك السلطانية فيما تقدم .

وأقاموا بالرَّيْدانِيَّة إلى ليلة الاثنين تاسعه فاستقلوا فيه بالمسير من الرَّيْدانِيَّة إلى جهة البلاد الشاميّة .

ثم فى يوم الخميس سادس عشرين جمادى الأولى المذكورة سافر الأمير نُوكَار الزَّرَدْكَاش ، ومعه عدَّة من الرُّماة والنَّفْطِيَّة وآلات الحصار وهوَ مريض ، ورسم له أن يأخذ من قلعة دمشق ما يحتاج إليه أيضا من أنواع [الآلات وغيرها][٤] للحصار ، ويلحق العساكر المتوجهة لقتال ابن قَرَمان .

ثم فى يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة استقرّ الأمير أَسَنْدَمُر الجَقْمَقى أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة أمير المماليك السلطانية المجاورين بمكّة المشرّفة عوضا عن الأمير بِيبَرْس الأشرفى ، خال الملك العزيز يوسف ، ورُسم بمجىء بِيبَرْس المذكور عند توجه أَسَنْدَمُر الجَقْمَقى فى موسم الحج .

ثم فى يوم الجمعة ثالث شهر رجب من سنة إحدى وستين المذكورة ورد الخبر على السلطان بموت الأمير نُوكَار الزَّرَدْكَاش بمدينة غزّة . فأنعم السلطان بإقطاعه — وهو إمرة عشرة — ووظيفة الزَّرَدْكاشِيّة على سُنْقُر الأشرفى الدوادار المعروف بقَرَق شَبَق .

وفى يوم الخميس تاسع رجب المذكور وقعت حادثة غريبة : وهى أن جماعة مِنْ

(١) وهؤلاء الثلاثة أشرفية برسبائية (هامش و. پوپر ٧ : ٤٨٢) .

(٢) ويعرف « بقلقسيز » (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٧٦ (وكذا هامش و. پوپر ٧ : ٤٨٢) .

(٣) اسمه فى (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٦٠) جانبك المؤيدى شيخ ويعرف بحرامى شكل ، ومات سنة ٨٧٠ هـ .

(٤) إضافة عن هامش (ز. پوپر ٧ : ٤٨٣) .

العُربان قُطّاع الطريق جاءوا من جهة الشرقية حتى وصلوا إلى قُرْب باب الوزير ، ثم عادوا من حيث جاءوا ، وصاروا فى عودهم يسلبون من وقعوا به من الناس ، فعرّوا جماعةً كبيرة من بين فقهاء وأعيان وغيرهم ، وكان الوقت بعد آذان العصر بدرجات وقت حضور الخَوانِق(١).

وفى يوم الأحد ثانى عشره ، خلع السلطان عَلَى السيد الشريف حسام الدين محمد ابن حريز(٢) ، باستقراره قاضى قضاة المالكية بعد موت القاضى ولى الدين السُّنْباطِى(٣).

وفى يوم الثلاثاء رابع عشر رجب المذكور ورد الخبر عَلَى السلطان بوصول العساكر المتوجهة لقتال ابن قَرَمان إلى حَلَب ، وأنهم اجتمعوا فى حلب بالأمير قانى بَاى الحمزاوى نائب الشام هناك ؛ لأن قانى باى المذكور كان خرج من دمشق قبل وصول العسكر إليها بثلاثة أيام ، فتكلم الناس بأنه ظن أن سفر العساكر ماهو إلا بسبب القبض عليه فى الباطن ، والتوجّه لابن قَرَمان فى الظاهر .

قلت : وللقائل بهذا القول عذر بين ، وهو أن قانى باى المذكور من يوم تسلطن الملك الأشرف إينال هذا — وهو نائب حلب — لم يحضر إلى الديار المصرية ولا داس بساط السلطان ، غير أنه يمتثل أوامر السلطان ومراسيمه حيث كان أولا بحلب ، ثم بعد انتقاله إلى نيابة دمشق ؛ فعلم بذلك كلُّ أحد أن قانى باى المذكور

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٨٤ عن كتاب الحوادث «وكانت العرب نحو خمسة عشر رجلا أو أقل».

(٢) هو محمد بن أبى بكر بن محمد حريز (ويدعى محرز) بن أبى القسم بن عبد العزيز ابن يوسف ، حسام الدين أبو عبد الحسن المغربى الأصل الطهطاوى المنفلوطى المصرى المالكى . ويعرف بابن حريز بضم المهملة ثم راء مفتوحة وآخره زاى ، ولد سنة ٨٠٤ هـ ومات سنة ٨٧٣ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٧ : ١٩١ — ١٩٤) .

(٣) هو محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن إسحاق بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم ، الولوى أبو البقاء ، ولد سنة ٧٨٧ هـ ومات سنة ٨٦١ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ١١٣) .

يتخوّف من السلطان ولا يحضر إلى الدّيار المصرية ، ومتى طلبه السلطان أظهر العصيان .

وفطن الملك الأشرف إينال لذلك ، فلم يطلبه البتة ، وصار كل واحد منهما يعلم ما فى ضمير الآخر فى الباطن ويظهر خلاف ذلك ؛ السلطان يخفى ذلك لتسكين الفتنة ، وقانى باى لما هو فيه من النعمة بولاية نيابة دمشق ، وكلٌّ منهما يترقب موت الآخر ، فمات قانى باى قَبْلُ ، حسبما يأتى ذكره فى الوفيات بعد فراغ الترجمة. وقد خرجنا عن المقصود ولنعد إلى ما نحن بصدده فنقول :

وأخبر المخبر أن العساكر اجتمعوا بالأمير قانى باى الحمزاوى بحلب ، وأنه[1] اجتمع رأى الجميع عَلَى السير من حلب إلى جهة ابن قَرَمان فى يوم السبت سادس عشرين جمادى الآخرة ، فَسُرّ السلطان بذلك ؛ كون الذى أُشيع عن قانى باى الحمزاوى من العصيان ليس بصحيح ، بل هو قائم بالمهمّ السلطانى أحسن قيام .

وفى يوم الجمعة سابع عشره سافر الأمير جانبك الظاهرى نائب جدّة إلى جهة جدّة عَلَى عادته فى كل سنة ، وسافر معه خلائق من الناس صفة الرّجَبيّة .

وفى يوم السبت ثامن عَشَر رجب المذكور ورد الخبر عَلَى السلطان بأنه كان بين حسن الطويل بن على بك بن قَرَايُلك صاحب آمد وبين عساكر جهان شاه بن قَرَا يوسف صاحب العراقيْن — عراق العرب وعراق العجم — وقعة هائلة ، انكسر فيها عسكر جهان شاه وانتصر حسن المذكور ، وأن حسن قتل من أعيان عساكر جهان شاه جماعة ، مثل الأمير رُستم ، وابن طَرخان ، وعَرَبْشاه ، وغيرهم ، فَسُرّ السلطان بذلك غاية السرور ؛ كون أن حسناً المذكور ينتمى إليه ، ويظهر له الصّداقة .

ثم فى يوم الاثنين رابع شعبان وصل الخبر من الأمير خُشْقَدَم أمير سلاح ومن

(١) فى الأصول « وأنهم » .

رفقته النواب بالبلاد الشامية بأنهم وصلوا إلى بلاد ابن قَرَمَان ، وملكوا قلعة دَوَالى[١] ، ونهبوها وأخربوها ، وأنهم جهَّزُوا الأمير بُرْدبك البَجْمقْدار رأس نَوْبَة ومعه عدَّة من المماليك السلطانية والأمراء بالبلاد الشامية إلى جهة من جهات بلاد ابن قَرَمان ، فصدفوا فى مسيرهم عسكراً من أصحاب ابن قَرَمَان فواقعوهم وهزموهم ، وأنه قتل من المماليك السلطانية أربعة فى غير المصَاف[٢] ، بل من الذين صدفوهم فى أثناء الطريق .

وفى يوم السبت أوّل شهر رمضان سافرت الأمراء المعينون إلى الجوزن[٣] ببرّ التركية ، لأجل قطع الأخشاب ، وسافروا من بولاق ، ومقدّم العسكر الأمير يَشْبُك الفقيه المؤيّدى أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبة ، ومعه الأمير أَزْبُك المؤيّدى أحد أمراء العشرات ، والأمير نَوْرُوز الأعمش الأشرفى ، وجماعة أُخَر من الخاصكية[٤] .

ثم فى يوم الأحد تاسع شهر رمضان وصل نجّاب من خير بَك نائب غزَّة يخبر بمجىء سودون القَصْرَوى الدَّوادار بكتاب مقدّمى العساكر الأمير خُشْقَدَم المؤيّدى أمير سلاح وغيره من الأمراء ، وحضر سودون القَصْرَوى المذكور من الغد ، وأخبر السلطانَ بأن العساكر المتوجهة إلى بلاد ابن قَرَمان قصدت العود إلى جهة حَلَب بعد أن أخذوا أربع قلاع من بلاد ابن قَرَمان ، وأخربوا غالب قُرى ممالكه ، وأحرقوا بلاده وسبوا ونهبوا وأمعنوا فى ذلك ، حتى أنهم أحرقوا عدَّةَ مدارس وجوامع ؛ وذلك من أفعال أوباش العسكر ، وأنهم لم يتعرضوا إلى مدينة قُونية ولا مدينة قَيْصَرِيَّة لنفود زادهم ، ولضجر العسكر من طول مدّتهم بتلك البلاد ، مع غلو الأسعار فى المأكول وغيره من سائر الأشياء ، ولولا هذا لاستولوا على غالب بلاد ابن قَرَمان ، وأن ابن

(١) قلعة دوالى . هى دولو أو دوه لو ، وتقوم عند لحف جبل أرجاست ، جدد بناء أسوارها علاء الدين السلجوقى (لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية ص ١٨٣) .

(٢) وهم : قانم قريب أبرك ، وجان بلاط ، وقانم إلى قانباى الجركسى ، وطوغان إلى تغرى بردى القلاوى (هامش و پوپر ٧ : ٤٨٦) .

(٣) فى الأصول «الجون» والصواب ما أثبته ، وهى قلعة خراب عند فم خليج القسطنطينية من الجهة الشمالية مقابل القسطنطينية (القلقشندى — صبح الأعشى ٥ : ٣٥٥) .

(٤) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٨٧ عن كتاب الحوادث «مقدمين على مراكب بصفة الأمراء .. واستمر سفرهم من ساحل بولاق إلى يوم الاثنين ثالث رمضان» .

قرَمان لم يقاتل العسكر السلطانى ، بل إنه انحاز إلى جهة منيعة من جهاته وتحصّن بها هو وأعيان دولته ، وترك ما سوى ذلك من المتاع والمواشى وغيرها مأكلةً لمن يأكله ، فحصل له بما أُخِذَ له وهنٌ عظيم فى مملكته ، فدقّت البشائر لهذا الخبر بالقاهرة أيّاماً ، ورسم السلطانُ من وقته بعوْد العسكر المذكور إلى الديار المصرية ، وخرج النجّاب بهذا الأمر[1] .

ثم فى يوم الأحد سادس عشر شهر رمضان المذكور ركب المقام الشهابى أحمد بن السلطان من داره — قصر بَكْتَمُر تجاه الكَبْش — النُّجُب كما هى عادة أمراء الحج فى الركوب إلى المسايرة ، وخرج من الصَّلِيبَة ، وشقّ الرُّمَيْلة ، وبين يديه هجّانة السلطان أمراء العرب ، بالأكوار الذهب ، والكَنابيش الزّرْكَش المغشاة بالأطلس الأصفر ، وركب معه جماعة من الأمراء غير من يسافر معه ، مثل : الأمير بُرْد بك الدوادار الثانى ، وسودون الإينالى المؤيّدى قَرَاقاش ثانى رأس نَوْبَة ، وجماعة أُخَر ، ولم يركب معه أحدٌ من أمراء الألوف ، ولا أعيان مباشرى الدّولة ، حتى ولا كاتب السِّرّ القاضى محب الدين ابن الأشقر ، وهو ممن يسافر فى هذه السّنة إلى الحج .

وسار ابن السلطان فى موكبه المذكور من تحت القلعة إلى جهة خليج الزّعفران خارج القاهرة ، ووصل هناك قُبَيْل المغرب ، وأفطر هناك ، ثم عاد بعد صلاة العشاء ، وشقّ الرُّمَيْلة ثانياً فى عوده فى زِىٍّ بهيج إلى الغاية .

ثم فى يوم الجمعة ثانى عشر شوال وصلت إلى القاهرة رِمّة الأمير جانِبَك القَرَمانى الظاهرى حاجب الحجّاب ، وقد مات بالقرب من منزلة الصالحيّة فى عوْده من تجريدة ابن قَرَمان ، ثم عقب الخبر بموت جماعة كبيرة أيضاً من العسكر المذكور ، من مرض فشا فيهم من مدينة الرَّمْلَة كالوباء ، مات منه خلائق بمرض واحد ، ولم يعلم أحد ما سبب هذا العارض .

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٨٨ عن كتاب الحوادث «وتوجه كل أمير من النواب إلى محل كفالته ، وقبل أن يصل إليهم هذا المرسوم عاد كل أحد إلى جهته » .

ثم فى يوم السبت ثالث عشره ورد الخبر بموت الأمير جَكَم النورى المؤيّدى — المعروف بقَلَقسيز — أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشر شوال المذكور وصلت العساكر المجرّدة لبلاد ابن قَرَمان على أسوأ حال من الضّعف الذى حصل لهم فى أثناء الطريق ، وطلع مقدّم العسكر الأمير خُشْقَدَم المؤيّدى أمير سلاح ، ورفقته من الأمراء المقدّم ذكرهم عند توجههم والمماليك السلطانية إلى القلعة ، وقبّل الأرض فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى رفقته ، فنزل الأمير خُشْقَدَم إلى داره وبين يَدَيْه أعيان الدّولة وقد نقص من رفقته اثنان من المقدمين : جانى بَك القَرَمانى المتوفى ، ويونس العلائى لضعف بدنه ، وقد دخل إلى القاهرة فى مَحَفّة .

ثم فى يوم الاثنين هذا [1] أنعم السلطان على الأمير بَايَزِيد التَمُرْبُغَاوِى أحد أمراء الطبلخانات بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضاً عن جانِبَك القَرَمانى المقدم ذكره [1] ، وأنعم بطبلخاناه بايَزِيد على الأمير بَرْسْباى الإينالى المؤيّدى .

ثم فى يوم الخميس ثامن عشر شوال المذكور خرج المقام الشهابى أحمد بن السلطان — وهو يومئذ أمير حاج المحمل — بالمحمل من القاهرة إلى بركة الحاجّ دفعة واحدة — وقد صار ذلك عادة — وترك النزول بالحل فى الرَّيْدَانيّة خارج القاهرة ، وسافرت معه أمّه خَوَنْد الكبرى زينب بنت البدرى حسن بن خاص بَك ، وإخوته الجميع الذكور والإناث ، والإخوة الجميع ثلاثة : ذكر واحد وهو أصغر منه — يسمى محمداً — مراهق ، وأخته الكبرى زوجة الأمير بُرْدبَك الدّوادار الثانى ، والصغرى وهى زوجة الأمير يُونُس الدّوادار الكبير ، ورحلَ من البركة فى ليلة الاثنين ثانى عشرين شوال بعد أن رحل قبله أَسَنْدَمُر الجقمَقى رأس المجاورين ، وأمير الركب الأول يَشْبُك الأشقر الأشرفى ، وقد استقرّ أمير عشرة قبل تاريخه .

---

(١) هذه العبارة ساقطة من ص والإثبات عن ط . كاليفورنيا .

ووصل من الغد فى يوم الثلاثاء الأمير جانِبَك الظاهرى نائب جدّة من جدّة وقبّل الأرض ، وحضر معه من الحجاز الأمير زين الدين الأستادار ، وكان مقيما بمكة .

وفى يوم الخميس خامس عشرين شوال المذكور أنعم السلطان بإقطاع جَكَم النّورى المؤيّدى على الأمير جانِبَك الإسماعيلى المؤيّدى المعروف بكوهِية ، وعلى الأمير يَشْبُك الظاهرى نصفين بالسويّة ، لكل واحد منهما إمرة عشرة .

ثم فى يوم الاثنين تاسع عشرينه استقرّ الأمير بَرْسْباى البَجَاسى أحد مقدّمى الألوف حاجب الحجّاب بالديار المصرية بعد وفاة الأمير جانِبَك القَرَمانى .

ثم فى يوم السبت خامس عشرين ذى القعدة ثارت المماليك الأَجْلَاب بالأطباق من قلعة الجبل ، ومنعوا الأمراء ومباشرى الدّولة من النّزول من قلعة الجبل ، فكلموهم بسبب ذلك . فقالوا : « نريد أن تكون تفرقة الأضحية لكل واحد منا ثلاثة من الغنم » . أعنى زيادة على ما كانوا يأخذونه قبل ذلك برأس واحد ، وكان وقع فى تلك المدّة هذا القول ، وسُكت عنه ، فتوقّف السلطانُ فى الزيادة(١) ، ثم أذعن بعد أمور ، واستمرّ ذلك إلى يومنا هذا .

وفى يوم الاثنين سابع عشرين ذى القعدة استقرّ القاضى صلاح الدين أمير حاج بن بَرَكُوت المكينى(٢) فى حِسْبَة القاهرة بعد عزل يار على الخُراسانى العجمى الطويل(٣) بمالٍ كثير بذله صلاح الدين فى ذلك .

وفى أوائل ذى الحجة ورد الخبر على السلطان من جهة مكّة أنه وقع فى الحاج عطشة

---

(١) فى ص «فى زيادة هذا الرأس» .

(٢) هو أحمد بن محمد بن بركوت — الصلاح بن الجمال بن الشهاب المكينى نسبة لمكين الدين اليمنى لكونه معتق جده . ويعرف بأمير حاج ، وهو ربيب ابن البلقينى زوج أمه . ولد سنة ٨٢١ هـ وتوفى سنة ٨٨١ هـ . (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٩٩—١٠١) .

(٣) هو على بن نصر الله الخراسانى العجمى ، ويعرف بالشيخ على الطويل ، ويقال له يار على المحتسب ولد سنة . ٧٨ هـ ومات سنة ٨٦٢ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٤٧ — ٤٨) .

فيما بين منزلة أكرة[1] والوجه[2]، ومات بالعطش خلائق كثيرة .

وفي يوم الجمعة سادس عشر ذي الحجة — الموافق لثامن هاتور — لبس السلطان القماش الصوف الملوّن المعتدّ لأيام الشتاء، وألبس الأمراء على العادة .

وفي يوم الاثنين تاسع عشر ذي الحجة المذكور وصلت الأمراء المتوجهون إلى بلاد الجون[3] ببرّ التركية، ومقدّمهم الأمير يَشْبُك الفقيه، ورفقته المقدّم ذكرهم عند سفرهم، وخلع السلطان عليهم .

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه وصل مبشر الحاج دَمُرْداش الطويل الخاصكي بعد ما قاسى شدائد من العرب قُطّاع الطريق، فضايقوه وأخذوا منه عدّة رواحل وغيرها، ثم أخبر دَمُرداش المذكور بسلامة ابن السلطان ووالدته وإخوته، فدقّت البشائر لذلك ثلاثة أيام بالديار المصرية .

وفي يوم الاثنين سادس عشرين ذي الحجة المذكور أخرج السلطان إقطاعَ الأمير طوخ من تِمْراز الناصري — المعروف بيني بازِق[4] — أمير مجلس؛ لمرضٍ تَمادَى به مدّة طويلة، وأنعم بإقطاع المذكور على الأمير بَرْسْباى البَجَاسي حاجب الحجّاب، وأنعم بإقطاع بَرْسْباى البجَاسي المذكور على الأمير بِيبَرْس الأشرفي خال الملك العزيز يوسف [بالحجاز][5]، وكلاهما تقدمة ألف، غير أن الواحد يزيد عن الآخر في الخراج لا غير، وأنعم بإقطاع بِيبَرس على ولده الصغير محمد وهو في الحجاز أيضا، وهذا أيضا تقدمة ألف .[6]

---

(١) أكرة : منزلة من منازل السفر في طريق الحاج . تقع بين المخاطب وبين رأس القاع الصغير (القلقشندي – صبح الأعشى ١٤ : ٣٨٧) .

(٢) الوجه : منزلة من منازل السفر في طريق الحاج – تقع بين رأس وادي عنتر وبين منزلة المخاطب، وبها آبار قليلة الماء (القلقشندي – صبح الأعشى ١٤ : ٣٨٦ .

(٣) كذا في الأصول، وانظر ماسبق ص ١١٧ حاشية ٣ .

(٤) بيني بازق معناها بالعربية غليظ الرقبة (هامش و. پوپر ٧ : ٤٩٣) .

(٥) إضافة عن (هامش و. پوپر ٧ : ٤٩٣) .

(٦) أضاف و. پوپر في هامش ٧ : ٤٩٣ عن كتاب الحوادث « مضافا لما كان بيده قبل من الإقطاعات» .

ثم فى يوم الخميس تاسع عشرينه استقرّ الأمير جَرِباش المحمدى الأمير آخور الكبير أميرمجلس عوضا عن طوخ المقدم ذكره بحكم مرضه ، واستقر عوضه فى الأمير آخورية يُونُس العلائى أحد مقدّمى الألوف .

وفى هذه السنة كان فراغ الرَّبْع والحامِيْن الذين بناهم السلطان الملك الأشرف إينال هذا بخط بين القصريْن .

وفرغت هذه السنة وقد انحلَّ أمر حكّام الدّيار المصريّة أرباب الشرع الشريف والسياسة أيضا ؛ لعظم شوكة المماليك الأجْلاب ، وصار مَنْ له حقٌّ عند كائنٍ مَنْ كان من الناس قَصَدَ مملوكا من المماليك الأجلاب فى تخليص حقّه ، فما هو إلا أن أعلم ذلك المملوكَ بقصده خلّص من غريمه فى الحال ، فإن هؤلاء المماليك صاروا فى أبواب أعيانهم شكل رأس نَوْبَة ونقباء ، ولبعضهم دوادار ، فيرسل خلف ذلك الرجل المطلوب ، ويأمره بإعطاء حق ذلك المُدَّعِى — حقًّا كان أو باطلاً — بعد أن يهدِّدَه بالضرب والنَّكال ، فإن أجاب وإلا ضُرب فى الحال ونُكِّل به ، وعلم بذلك كل أحد ، فصار كلُّ أحدٍ يستعين بهم فى قضاء حوائجه ، وترك الناسُ الحكّامَ ، فقوى أمرُ الأجلاب ، وضعفت شوكةُ الحكّام ، وتلاشى أمرهُم إلى الغاية والنّهاية .

وفى هذه السنة كانت زلزلة عظيمة بمدينة أَرْزَنْكان [1] ، هدّمت معظمها .

وفى هذه السنة أيضا كان بالشرق فتن كبيرة بين جهان شاه بن قَرا يوسف ، وبين أولاد باى سُنْقُر بن شاه رُخّ بن تَيْمور لَنْك ، أصحاب ممالك العجم [2] .

ثم استهلت سنة اثنتين وستين وثمانمائة .

ففى يوم الاثنين ثالث محرم من السنة المذكورة أنعم السلطان على قايِتْباى

---

(١) أرزنكان : ويقال أرزنجان بلدة ببلاد أرمينية على قرب من ضفة الفرات اليمنى فى الطريق بين أرزن الروم وسيواس (لسترنج بلدان الخلافة الشرقية خريطة ٣ و ص ١٥) .

(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٤٩٤ عن كتاب الحوادث « ثم بين عساكر جهان شاه المذكور وحسن بك بن على بك بن قرايلك صاحب آمد وغيرها ، ثم بين يير بضع بن جهان شاه صاحب بغداد وبين الشعشاع الزنديق بالعراق » .

المحمودى الظاهرى الدّوادار بإمْرَة عشرة ، وعيَّن السلطان الأمير جَانِبَك الإسماعيلى المؤيدى المعروف بكُوهِية أن يتوجَّه إلى حلب ، وعلى يده تشريف تَغْرى بَرْدى بن يونس حاجب حلب بنيابة مَلَطْيَة ، وتشريف جَانِبَك الجَكَمى نائب مَلَطْيَة إلى حجوبية حلب ، كل منهما عن الآخر ، وذلك لكلام وقع بين تَغْرى بَرْدى هذا وبين الأمير جَانَم الأشرفى نائب حلب .

ثم فى يوم الاثنين رابع عشرين المحرم [(١)] وصل أمير حاج المحمل بالمحمل إلى القاهرة ، وهو المقام الشهابى أحمد بن السلطان ، وصحبته والدته وإخوته ، وطلع إلى القلعة ومعه أخوه محمد ، وبين يديهما وجوه الدّولة ، وخلع السلطان عليه وعلى أخيه محمد المذكور ، وكانت خلعة المقام الشهابى أطلسيْن مُتَمَّرًا ، وعلى الأطلسيْن فوقانى حرير بوجهيْن بطرز زَرْكَش ، ثم خلع السلطان على من له عادة بلبس الخِلَع فى عَوْدِ الحاج إلى الدّيار المصرية .

ثم فى يوم الاثنين سادس عشر صفر وصل الأمير أزْبَك من طَطَخْ الظاهرى الخازندار — كان — من القدس الشريف بطلب من السلطان ، وطلع إلى القلعة ، وخلع السلطان عليه سَلاَّرِيًّا [(٢)] من ملابيسه بفَرْوِ سِنْجاب ، ووعده بكل خير ، ثم رسم له بالمشى فى الخدمة السلطانية بعد أيام .

وفى أوّل شهر ربيع الأوّل من سنة اثنتين وستين المذكورة نودى من قِبَل السلطان على الذّهب بأن يكون سعر الدينار الذهب بثلاثمائة دِرهم نُقْرَة ، بعد ما كان وصل سعر الدينار لأربعمائة وستين درهما الدينار ، وأن يكون سعر الفضة المغشوشة كل درهم بستة عشر درهما ، وأن يكون سعر الدرهم من الفضة الطيبة التى رسم السلطان بضربها بدار الضرب بأربعة وعشرين درهم نُقْرَة ، وحكم السلطان بذلك ، ونفذ حكمه

(١) فى ص «عشرين المحرم» .

(٢) نوع من الملابس ينسب إلى الأمير سلار .

القضاةُ ، وسُرّ الناس بهذا الأمر غاية السرور ؛ فإنه كان حصل بتلك الفضّة المغشوشة غاية الضرر فى المعاملات وغيرها .

غير أنه ذهب للناس بهذا النقص فى سعر الفضة المغشوشة مالٌ كثير ، وصار كل أحد يخسر ثلث ما كان معه من المال من هذه الفضة المذكورة ، فانحسر[١] كل من كان عنده من هذه الفضة لوقوع النقص فى ماله ، فرسم السلطان فى اليوم المذكور بالمناداة بنقص ثلث ثمن جميع البضائع فى المأكول والملبوس كما نقص سعر الدرهم الثلث ، وكذلك فى نقص الذهب ، فهان عند ذلك على الناس ما وقع من خسارة الذهب والفضة بهذه المناداة الثانية التى هى بنقص ثلث أثمان جميع الأشياء ، وقال كل واحد فى نفسه : « كما نقص من مالى الثلث نقص من ثمن ما كنت أبتاعه الثلث » ، فكأنه لم ينقص له شىء .

ثم فى يوم الخميس سابع عشره عمل السلطان المولد النبوى بالحوش من القلعة على العادة فى كل سنة .

ثم فى يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر أنعم السلطان على الأمير أُزْبك مِنْ طَطَخْ الظاهرى المقدَّم ذكره بإمرة عشرة ، عوضاً عن الأمير جَانَم الأشرفى البهلوان ، بحكم وفاته كما سيأتى ذكر وفاته ووفاة غيره فى ذكر الوفيات بعد فراغ الترجمة ، على عادة هذا الكتاب .

وفى يوم الاثنين ثالث عشر شهر ربيع الآخر المذكور وجد السلطان نشاطاً فى نفسه من مرض كان حصل له أياما ، وخرج إلى قاعة الدّهيشة ، ودقّت البشائر لذلك بقلعة الجبل وغيرها ثلاثة أيام .

ثم فى يوم الأحد سادس عشرين ربيع الآخر مات الأمير سودون السلحدار نائب قلعة الجبل ، فأنعم السلطان من إقطاعه بنصف قرية كوم أَشْفين[٢] على شريكه الأمير يَشْبُك الفقيه المؤيدى ، ليكون من جملة أمراء الطبلخانات ، وأنعم بباقى إقطاع سودون

(١) فى الأصول «فانحصر» .

(٢) كوم أشفين : إحدى قرى مركز قليوب حاليا .

المذكور على الأمير أرغون شاه[١] الأشرفى ليكون من جملة أمراء العشرات، وأنعم بإقطاع أرغون شاه[١] المذكور على شريكه الأمير تنبك الأشرفى ليكون تنبك أيضا أمير عشرة، واستقر كَسْباى المؤيدى السمين نائب قلعة الجبل[٢] عوضاً عن سودون المذكور على إمْرَة عشرة ضعيفة، واستقرّ الأمير جانبك الإسماعيلى المؤيّدى المعروف بكُوهِية من جملة رؤوس النُّوَب عوضاً عن كَسْباى المقدَّم ذكره، ولبسا الخلع بعد ذلك بأيام.

ثم فى سلخ شهر ربيع الآخر المذكور خلع السلطان على الأمير بَرْسْباى البجاسى حاجب الحجاب باستقراره أمير حاج المحمل.

وفيه خلع السلطان على الحكماء لعافيته من مرضه، وحضر السلطان موكب[٣] القصر مع الأمراء والخاصكية على العادة.

ثم فى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى استقر [الطواشى][٤] مرجان [الحصنى][٤] مقدّم المماليك السلطانية أمير حاج الركب الأول، فحصل بتولية مرجان هذا إمرة الحاج الأول على أهل مكة مالا خير فيه؛ لأنه كان فى نفسه وضيعاً[٥]، لم تشمله تربية مُرَبٍّ، لأنه نشأ ببلاد الحصن، وخرج منها على هيئة المكدِّين من فقراء العجم، ودار البلادَ على تلك الهيئة سنين كثيرة، إلى أن اتصل بخدمة جماعة كثيرة من الأمراء، ثم آل أمرُه إلى بيت السلطان، وغلط الدهر بولايته النيابة ثم التقدمة، ثم بولايته إمرة الركب الأول فى هذه السنة، فلما سافر أخذ معه جماعة كبيرة من إنياته[٦] المماليك الأجْلاب، ففعلوا فى أهل مكة أفعالا ما تفعلها الخوارج، من الظلم وأخذ أموال الناس له ولأنفسهم، كما سيأتى ذكر ذلك عند عوده من الحج إن شاء الله تعالى.

---

(١) هذه العبارة ساقطة من ص.

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٩٧ عن كتاب الحوادث « أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ».

(٣) فى ص «خدمة القصر».

(٤، ٤) إضافة عن (هامش و. پوپر ٧ : ٤٩٨).

(٥) فى ص « بغيضا» والمثبت عن ط كاليفورنيا.

(٦) انظر فى التعريف بإنيات حـ ١٣ ص ٩ من هذا الكتاب ط الهيئة العامة للتأليف والنشر.

وفى يوم الخميس سابع جمادى الأولى [١] استقرّ شمس الدين منصور بن الصَّفّى ناظرَ ديوان المُفْرد .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشر ركب السلطان الملك الأشرف إينال من قلعة الجبل باكر النهار فى أمرائه وأرباب دولته ، وشق خط الصّليبة بغير قماش الموكب ، وتوجّه إلى ساحل بولاق ، ودام سيره بساحل بولاق إلى أن وصل إلى مدرسة السعدى إبراهيم ابن الجيعان التى أنشأها على النيل ، ورأى ما أنشئ بالجزيرة وساحل بولاق من العمائر والبيوت ، ثم عاد إلى جهة القاهرة ، ومرّ من الشارع الأعظم إلى أن خرج من باب زُوَيْلة ، وطلع إلى القلعة [٢] .

وأصبح من الغد فى يوم الأربعاء أمر بالمناداة بأن أحداً من الناس لا يعمّر عمارة بجزيرة أروى المعروفة بالوسطى ، ولا بساحل بولاق ؛ لما رأى من ضيق الطريق من كثرة العمائر والأخصاص ، وأمر أيضا بهدم أماكن كثيرة فهدمت فى اليوم المذكور ، واستمر والى القاهرة بعد ذلك مستمرا للهدم أياما كثيرة ، وأما الأخصاص والدكاكين التى بالطريق فهدمت عن آخرها ، وكلّم السلطان فى الكفّ عن ذلك جماعةٌ كثيرة فلم يسمع لأحد ، واستمر على ما رسم به من هدم الأماكن المذكورة ، قلتُ : ولا بأس بهذه الفعلة ؛ لأن كل أحد له فى الساحل حق كحق غيره ، فلا يجوز استقلال أحد به دون غيره .

وفى يوم الأحد سابع عشر جمادى الأولى المذكور خاشنت المماليك الأجلابُ الصاحبَ جمالَ الدين ناظر الجيش والخاص فى اللفظ بسبب غلو سعر أثواب البعلبكى ، فأجابهم « بأن هذا ليس هو داخل فى حكمى ولا من تعلقاتى ، بل ذلك راجع إلى محتسب القاهرة » وبلغ السلطان ذلك ، فأصبح السلطان أمر بعزل صلاح الدين أمير حاج بن

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٩٨ عن كتاب الحودث « خلع على الشرف يحيى بن نائب حلب جانم خلعة السفر » .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٤٩٩ عن كتاب الحوادث « وقد غضب مما رأى من العمائر بساحل بولاق فى طريق المسلمين » .

بَرَكوت المكينى عن حسبة القاهرة ، واستقرّ عوضه بالحاج خليل المدعو قانى باى اليوسفى المِهْمَنْدار ، مضافا إلى المِهْمَنْدارِيّة(١) .

ثم فى يوم الخميس ثامن عشرينه وصل إلى القاهرة قُصَّاد الصارمى إبراهيم بن قَرَمان ، صاحب قُونية وغيرها ، وعلى يدهم كتب ابن قَرَمان المذكور تتضمن الترقق والاستعطاف ، وأنه داخلٌ تحت طاعة السلطان ، وأنه إن كان وقع منه ما أوغر خواطر السلطنة ، فقد جرى عليه وعلى بلاده من العساكر السلطانية ما فيه كفاية من النهب والسَّبْى والإحراق وغير ذلك ، وأنه يسأل الرِّضى عنه ، وأشياء غير ذلك مما ذكرناه بالمعنى ، فعفا السلطان عنه بعد توقّف كبير .

وفى يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الأولى المذكور سافر الأمير بُرْد بَك الدّوادار الثانى صهر السلطان زوج ابنته إلى دمشق ، لينظر جامعه الذى أنشأه بها .

ثم فى يوم الاثنين عاشر جمادى الآخرة خلع السلطان على(٢) أَيْدَكى الأشرفى الخاصكى ليسافر إلى ابن قَرَمان صُحْبَة قُصّاده ، لتقرير الصلح بين السلطان وبينه .

وفى يوم الجمعة رابع عشره — الموافق لثالث بَشَنْس أحد شهور القبط — لبس السلطان القماش الأبيض البَعْلَبَكّى ، المعد لأيام الصيف على العادة فى كل سنة .

ثم فى يوم الخميس خامس شهر رجب من سنة اثنتين وستين المذكورة شفع الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص عند السلطان فى الأمير تَمُرْبُغَا أن يفرج عنه من حبس الصُّبَيْبَة ، فسمح السلطان له بذلك ، ورسم له أن يتوجّه من الصُّبَيْبَة إلى دمشق ، ويقيم بها لعمل مصالحه لأيّام الحج ، ويسافر إلى مكة ويقيم بها بطالا ، فوقع ذلك .

ثم فى يوم الجمعة سادس شهر رجب المذكور كان الحريق العظيم بساحل بُولَاق

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٥٠٠ عن كتاب الحوادث « ولما ولى أخذ فى الترسيم على تجار البعلبكى وغيرهم فلم يظهر لفعله نتيجة لكونه باشرها بعدم دربة ومعرفة » .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٥٠١ عن كتاب الحوادث «قصاد ابن قرمان خلع السفر وعلى» .

الذى لم نسمع بمثله فى سالف الأعصار إلا قليلا ، بحيث إنه أتى على غالب أملاك بولاق من ساحل النيل إلى خط البوصة التى هى محل دفن أموات أهل بولاق ، وعجزت الأمراء والحكام عن إخماده .

وكان أمر هذا الحريق أنه لما كان صبيحة يوم الجمعة سادس رجب من سنة اثنتين وستين المذكورة هبّت ريح عظيمة مَرِيسىّ[1] ، وعظمت حتى اقتلعت الأشجار وألقت بعض مبانٍ ، واستمرت فى زيادة ونُمُوٍّ إلى وقت صلاة الجمعة ، فلما كان وقت الزّوال أو بعده بقليل احترق رَبْع الحاج عبيد البُرْددار بساحل البحر[2] ، وذهب الرّبع فى الحريق عن آخره ومات فيه جماعة من الناس ، كلُّ ذلك فى أقلّ من ساعة رمل ، ثم انتقلت النار إلى رَبْع القاضى زين الدين أبى بكر بن مُزْهر وغيره ، وهبّت الرّياح وانتشرت النيران على الأماكن يمينا وشمالا[3] ، هذا وحاجب الحجّاب[4] وغيره من الأمراء والأعيان وكلُّ أحد من الناس فى غاية الاجتهاد فى تخميد النار بالطفى والهدم ، وهى لا تزداد إلا قوّة وانتشارا على الأماكن ، إلى أن وصلت النار إلى رَبْع الصاحب جمال الدين ناظر الجيش والخاص ، وإلى الحواصل التى تحته ، وأحرقت أعلاه وأسفله ، وذهب فيه من بضائع الناس المخزونة فيه ما لا ينحصر كثرة[5] ، وسارت النار إلى الدُّور والأماكن من كل جهة .

هذا وقد حضر الحريق جميع أمراء الدولة بمماليكهم وحواشيهم ، شيئا بعد شىء ،

---

(١) الريح المريسى : هى ريح الجنوب التى تأتى من قبل مريس ، ومريس بلدة أدنى بلاد النوبة التى تلى أرض أسوان . (لسان العرب ــ م ر س) .

(٢) وأضاف و ــ پوپر فى هامش ٧ : ٥٠٢ عن T « بولاق المعروف بالصاحبى » .

(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٥٠٢ عن كتاب الحوادث « فاحترق ربع الدوادار الثانى برد بك حتى عدم بتمامه » .

(٤) هو برسباى البجاسى (هامش ٧ : ٥٠٢) .

(٥) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٥٠٣ عن كتاب الحوادث « وكان أكبر من ربع الدوادار الثانى برد بك وأحسن عمارة . وكان بحواصله التى بأسفل الربع أشياء كثيرة له وللناس ، فذهب غالبها بالحريق والنهب ، ثم امتدت النيران إلى جهة الشرق فأحرقت من الدور والحوانيت والأسواق مالا يدخل تحت الحصر كثرة . كل ذلك والوقت قبيل العصر » .

والأمر لا يزداد إلا شدّة ، إلى أن صار الذى حضر من الناس لأجل طَفْى النار كالمتفرج من عظم النار والعجز عن إخمادها ، وصارت النار إذا وقعت بمكان لا تزال به حتى يذهب جميعه ، ويضمحل عن آخره ، فعند ذلك فطن كل أحد أن النار تسير من دار إلى دار إلى أن تصل إلى القاهرة ؛ لعظم ما شاهدوا من هولها ، والريح المَريسى يتداول هبوبها من أول النهار إلى نصف الليل ، ولشدة هبوب الريح صارت رياحا لأنها بقت تارة تهب مَرِيسيًّا ، وهو الأكثر ، وتارة شمالا ، وتارة غير ذلك من سائر الجهات ، فيئس كل من كان له دار تحت الرّيح ، وتحقّق زوالها ، وشرع فى نقل متاعه وأثاثه ، وهو معذور فى ذلك ، لأننا لم نشاهد فى عمرنا مثل هذا الحريق ؛ لما اشتمل عليه من الأمور الغريبة ، منها سرعة الإحراق ، حتى إن الموضع العظيم من الأماكن الهائلة يذهب بالحريق فى أسرع وقت ، ومنها أن المكان العظيم كان يحترق وبجانبه مكان آخر لم تلحقه شرارة واحدة ، وربما احترق الذى كان بالبعد عن تلك الدار المحروقة من شرارها ، والتى بالقرب سالمة ، ووقع ذلك بعدة أماكن ، أعجبها وأغربها مسجد كان بالقرب من ساحل البحر وبه منارةٌ من غردٍ [1] قصيرةٌ ، وكان هذا المسجد فى وسط الحريق والشرار يتطاير من أعلاه من الجهات الأربع من أوّل الحريق إلى آخره ، لم تتعلق به شرارة واحدة ، وفى المسجد المذكور قبر رجل صالح مدفون فيه قديماً يعرف بالشيخ محمد المغربى .

واستمر الأمراء والأعيان يشاهدون الحريق ، ويطفئون ماقدروا عليه من أطراف المواضع المنفردة ، وأمّا الحريق العظيم فلا يستجرئ أحد أن يقربه لعظمه بل يشاهدونه من بعد ، واستمروا على ذلك إلى بعد أذان عشاء الآخرة ، ثم ذهب كل واحد إلى داره والنار عمّالة إلى نصف الليل ، فأخذ أمر الريح فى انحطاط .

فلما كان باكر نهار السبت سابع شهر رجب المذكور نزل المقام الشهابى أحمد بن

(١) غرد : كذا فى الأصول – والغرد هو الكمأة من النبات . (اللسان) وهو ليس المراد هنا – ولعل الكلمة تحريف لكلمة « غدر » وهى الحجارة مع الشجر (اللسان) فكأن المئذنة كانت مبنية بالحجارة وفروع الشجر .

السلطان من قلعة الجبل ، وتوجّه إلى بولاق لأجل الحريق ، فوجد جميع أمراء الدّولة هناك كما كانوا فى أمسه ، فلم يؤثر حضور الجميع فى النار شيئاً ، غير أن الريح كان سكن وأخذت النار حدّها فى الإحراق من كل مكان كانت به ، فعند ذلك اجتهد كل أحد فى إخمادها ، وهدم ما تعلق به النار من الأماكن ، وأقاموا على ذلك أيّاماً كثيرة ، والنار موجودة فى الأماكن والجدر والحيطان ، والناس تأتى لبولاق أفواجاً أفواجاً للفرجة على هذا الحريق العظيم ، حتى صارت تلك الأماكن كبعض المفترجات ، وعملت الشعراء والأدباء فى هذا الحريق عدّة قصائد وقِطَع ، وقد أنشدنى الشيخ علمُ الدين الإسْعَرْدِىّ الحصنى (١) قصيدةً من لفظه لنفسه فى هذا المعنى أولها : [البسيط]

أتتهم الذارياتُ ذَرْوا وتلوها العاصفاتُ عَصْفَا

أثبتُّ هذه القصيدة فى تاريخنا « الحوادث » كونه محل ذكر هذه الأشياء ، والقصيدة المذكورة نظم عالم لا شاعر ، وقد حرّرنا أيضاً فى تاريخنا « الحوادث » ما ذهب فى هذا الحريق من الأماكن تخميناً ، فكان عدة ما احترق فيه من الأرباع زيادة على ثلاثين رَبْعاً ، كلُّ رَبْع يشتمل على مائة سكن وأكثر ، أعنى أعاليه وأسفله ، وما به من الحوانيت والمخازن ذكرناها فى « الحوادث » بأسمائها ، ماخلا الدور والأماكن والأفران والحوانيت وغير ذلك .

وقد اختلف فى سبب هذا الحريق على أقوالٍ كثيرة .

منهم من قال : إنها صاعقة نزلت من السماء والخطيب على المنبر .

ومنهم من قال : إنه نزلت من جهة السماء نوع شرارة فاحترق المكان الأول منها .

ومنهم من قال : إن الأرض كأنّ النار تنبع منها .

(١) هو أحمد علم الدين أبو العباس الحصنى الشافعى — ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع ٢ : ٢٥٥ ولم يذكر ميلاده أو وفاته .

والأقوال كلُّها عَلَى أن سبب هذه النار آفة سماوية .

ثم بعد ذلك بأيام أشيع أن الذى كان يفعل ذلك — أعنى يُلقِى النار فى الأماكن — هم جماعةٌ من القَرَمَانيّة ممن أحرق العسكرُ المصرى أمكنَتهم لما توجهوا إلى تجريدة ابن قَرَمَان ، وشاَع القول فى أفواه الناس .

ثم ظهر للناس بعد ذلك أن الذى صار يحرق من الأمكنة بالقاهرة وغيرها بعد حريق بولاق إنما هو مِنْ فعل المماليك الجلبان ؛ لينهبوا مافى بيوت الناس عندما تحرق ، فإنه تداول إحراق البيوت أشهراً — والله أعلم[1] .

وقد افتقر من هذا الحريق خلائق كثيرة ، وعَلَى الله العوض .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رجب المذكور وصل الأمير بُرْدبَك الدَّوَادار الثانى من الشّام .

وفيه أيضاً نُودِىَ بزينة القاهرة لِدَوَرَان المحمل ، ونهى السلطانُ المماليك الأجْلاب عن أن[2] يعمل أحدٌ منهم عَفَاريت المحمل .

وسببه أنهم فعلوا ذلك فى السنة الخالية وأفحشوا فى الطلب من الناس ، وصاروا يدخلون إلى دور الأمراء والأعيان ، ويكلفونهم الكلفة الزائدة ، وما كفاهم ذلك حتى صار العفريت منهم إذا مرّ بالشَّارع عَلَى فرسه بتلك الهيئة المزعجة يجبى الدكاكين ، وإذا صدف رئيساً مِنْ بياض النَّاس أمسكه وأخذَ منه ماشاء غَصْباً ، وإن لم يعطه أخرق به ورمَاه عن فرسه ، حتى صار الرّجل إذا رأى واحداً من هؤلاء أسرع فى مشيه بالدخول فى زقاق من الأزِقة ، أو بيت من البيوت ، فضرّ ذلك بحال الناس كثيراً ، وتركوا فُرْجة المحمل .

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٥٠٧ عن كتاب الحوادث « وغالب الأماكن التى احترقت كانت عمرت بساحل بولاق فى دولة الظاهر جقمق رحمه الله » .

(٢) فى الأصول « عن أن لا يعمل » والمقصود النهى من أن يجعل نفسه من عفاريت المحمل أى مضحكة الناس (هامش و. پوپر ٧ : ٥٠٧) .

بل صاروا يترقّبون فراغ المحمل، ليستريحوا من هذه الأنواع القبيحة .

فلما جاء أوان المحمل فى هذه السّنة دخل على قلوب الناس الرّجيفُ بسبب ما وقع من المماليك فى العام الماضى، فكلّم أعيانُ الدّولة السلطانَ فى إبطال المحمل، أو نَهْى الجلبان عن تلك الفعلة القبيحة، فلهذا رسم السلطان فى هذه السنة بإبطال عفاريت المحمل بالكلّية .

ثم فى يوم الاثنين سادس عشر شهر رجب هذا أُدِيرَ المحملُ على العادة فى كل سنة، ولم يقع من الأجلاب شىء مما وقع منهم فى السنة الماضية .

ثم تداول الحريق بعد ذلك بخط بولاق والقاهرة، وقوى عند الناس أن الذى يفعل ذلك إنما هو من تركمان ابن قَرَمان .

ثم وقع الحريقُ أيضا فى شعبان بأماكن كثيرة، وداخل الناس جميعا الرُّعْبُ من هذا الأمر .

فلما كان يوم السبت ثانى عشر شعبان نودى بشوارع القاهرة ومصر بتوجّه كل غريب إلى أهله، وكذلك فى يوم الأحد، فلم يخرج أحد لعدم التفات السلطان لإخراجهم .

ثم وقع حريق آخر وآخر، فنودى فى آخر شعبان بخروج الغُرَبَاء بسبب الحريق من الدّيار المصرية، فلم يخرج أحد .

وتداول وقوع الحريق بالقاهرة فى غير موضع .

ثم فى أول شهر رمضان مرض السلطان مرضا لزم منه الفراش، وأرجف بموته، وطلع إليه أكابر الأمراء، فتكلم معهم فى العهد لولده أحمد بالسلطنة من غير تصريح، بل فى نوع النكر[1] من ولده، ويقول ما معناه: إن ولده ليس كمن مضى من أولاد الملوك الصغار، وإن هذا رجل كامل يعرف ما يراد منه، وما أشبه هذا المعنى، فصار هو

(١) كذا فى ط . كاليفورنيا ٧ : ٥٠٩ — والرسم فى ص «بسكر» ولا معنى لها والمقصود التلميح والإيحاء بسلطنة ابنه الشهابى أحمد .

يتكلم وجميع الأمراء سكوت ، لم يشاركه أحد فيما هو فيه إلى أن سكت ، وانفضّ المجلس ، ثم عوفى بعد ذلك ، ودقّت البشائر بقلعة الجبل وغيرها أياماً .

ثم فى يوم الاثنين سادس شهر رمضان أخرقت المماليك الأجلاب بالأمير قانَم التاجر المؤيّدى [1] أحد مقدمى الألوف ، وهو نازل من الخدمة بعير قماش الموكب ، وضربه بعضهم على رأسه وظهره ، جاءوا بجموعهم إلى داره من الغد ليهجموا عليه ، فمنعهم مماليكه من الدخول عليه ، فوقع القتال بينهم ، وجُرح من الفريقين جماعة ، فأخذ قانم المذكور يتلافى أمرهم بكل ما تصل القُدرة إليه ، فلم يفد ذلك إلا أنه صار يركب وحده من غير مماليك ، ويطلع الخدمة وينزل على تلك الهيئة ، واستمرّ على ذلك نحو السنتين [2].

ثم فى هذه الأيام أيضاً تداول الحريق بالقاهرة وظواهرها ، وضرّ ذلك كثيراً بحال الناس ، وقد قَوِىَ عندهم أن ذلك من فعل القَرَمانية والمماليك الأجلاب ، يعنون بالقَرَمانية والأجلاب أن القرمانية إذا فعلوا ذلك مرة ويقع الحريق ، فتنهب المماليك الأقمشة وغيرها لما يطلعون الدور المحروقة للطفى ، فلما حسن ببال المماليك ذلك صاروا يفعلون ذلك .

قلتُ : ولا أستبعد أنا ذلك لقلة دينهم وعظم جبروتهم ، عليهم من الله ما يستحقونه من العذاب والنكال — انتهى .

ثم استهل شوال ، أوّله الجمعة ، فوقع فيه خطبتان ، وتشاءم الناس بذلك على الملك ، فلم يقع إلا الخير والسلامة ، وكذبت العادة .

ثم فى يوم الجمعة خامس عشره ورد الخبر على السلطان بموت چاك الفرنجى صاحب قُبْرُس ، وأنهم ملّكوا عليهم ابنته مع وجود ولد ذكر ، لأمرٍ أجاز تقديم البنت

---

(١) هو قانم من صفر خجا الجركسى المؤيدى – شيخ – ويعرف بالتاجر مات سنة ٨٧١ هـ (السخاوى – الضوء اللامع ٦ : ٢٠٠ – ٢٠١) .

(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٥٠٩ عن كتاب الحوادث « وسبب هذه الفتنة أن مماليكه استخدموا غلاما من غلمان الأجلاب فطلبه الأجلاب منهم فما سمحوا به فوقعت الفتنة بينهما » .

على الصّبى ، على مقتضى شريعتهم ، ووقع بسبب ذلك أمور وغزوات يأتى ذكرها فى هذا الـكتاب إن شاء الله تعالى ، وقد حررنا ذلك كله فى « الحوادث » .

وفى يوم الاثنين ثامن عشره خرج أمير حاج المحمل بالمحمل من القاهرة ، وهو الأمير بَرسْباى البَجاسى حاجب الحجاب ، وأمير الركب الأول [الطواشى][١] مَرْجان [الحصنى][١] مقدّم المماليك السلطانية .

ثم فى العشر الأخير من هذا الشهر ورد الخبر من الإسكندرية بموت الخليفة القائم بأمر الله حمزة بها ، كما سيأتى ذكره فى الوفيات إن شاء الله .

ثم فى يوم الخميس سابع عشرين ذى القعدة خلع السلطان على ولده المقام الشهابى أحمد باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية ، عوضا عن الأمير الـكبير تَنِبَك البُرْدبَكى بحكم وفاته ، وأنعم السلطان بإقطاع ولده أحمد على ولده الصغير المقام الناصرى محمد ، وصار محمد أمير مائة ومقدّم ألف ، وأنعم بإقطاع محمد المذكور — وهو إمرة طبلخاناه — على الأمير جَانِبَك الصوفى الناصرى المرتد[٢] أحد أمراء الطبلخانات ، زيادة على ما بيده ؛ ليكون جَانِبَك أيضاً أمير مائة ومقدّم ألف .

ثم فى يوم الاثنين ثانى عشرين ذى الحجة خلع السلطان على القاضى شرف الدين التتائى[٣] الأنصارى باستقراره ناظر الجيوش المنصورة ، عوضاً عن الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جَـكَم ، بحكم وفاته فى يوم الخميس ثامن عشر ذى الحجة .

وخلع السلطان أيضاً على الأمير زين الدين عبـد الرحمن بن الـكُوَيز ، باستقراره ناظر الخاص الشريف ، عوضاً أيضاً عن الصاحب جمال الدين يوسف المقدَّم ذكره

(١) إضافة (عن هامش و. پوپر ٧ : ٥١١) .

(٢) سمى بالمرتد لأنه توجه من مصر إلى بلاد چركس ثم عاد إلى مصر . ومات سنة ٨٧١ هـ ، وانظر ترجمته فى (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٦٠-٦١) .

(٣) هو عمر بن على بن شعبان بن محمد بن يوسف . الشرف التتائى الأزهرى المالكى ولد سنة ٨٢٦ هـ بتتا من قرى المنوفية . (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ١٠٦) .

ثم فى يوم السبت سابع عشرين ذى الحجة أيضاً استقرّ القاضى زين الدين أبو بكر بن مُزْهِر ناظر جوالى دمشق ، وأنه يتوجه إلى دمشق لضبط تعلقات الجمالى ناظر الخاص ، ثم بطل ذلك قبل أن يلبس الخلعة .

ودخلت سنة ثلاث وستين وثمانمائة :

فى أولها كانت الزلزلة المهولة بمدينة الكَرَك ، أخربت أماكن من قلعتها ودورها وأبراجها .

فكان أول المحرم الأربعاء .

فى يوم ثانيه استقر القاضى علاء الدين على بن مُفْلِح[1] قاضى الحنابلة بدمشق وكاتب سرّها ، بعد عزل القاضى قطب الدين محمد الخَيْضرى[2] ، بمال كثير بذله فى الوظيفتين .

ثم فى يوم الثلاثاء استقر القاضى تاج الدين عبد الله بن المقْسى ناظر الدولة كاتب المماليك السلطانية ، بعد عزل سعد الدين بن عبد القادر .

وفى رابع صفر استقرّ على بن إسكندر محتسب القاهرة ، بعد عزل بدْر الدين ابن البوشِى .

وفيه استقرَّ إياس البَجَاسى نائب القدس ، بعد عزل البدرى حسن بن أيوب ، ثم عزل إياس المذكور فى يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأوّل بشاه منصور بن شهرى

ثم فى يوم الأربعاء خامس شهر ربيع الأول المذكور ورد الخبر بموت الأمير يَشْبُك من جَانِبَك المؤيدى الصوفى أتابك دمشق بها ، فاستقر فى أتابَكِيّة دمشق عوضه الأمير عَلاّن شَلَق المؤيدى أحد أمراء دمشق ، بمال بذله فى ذلك نحو العشرة

(١) هو على بن أبى بكر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج — العلاء الدمشقى الصالحى الحنبلى ولد سنة ٨١٥ ﻫ وتوفى سنة ٨٨٢ ﻫ (السخاوى — الضوء اللامع ٥ : ١٩٨) .

(٢) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر بن سليمان بن داود بن فلاح بن ضميدة القطب الدمشقى الشافعى ، ينسب إلى جد أبيه خيضر ، ولد سنة ٨٢١ ﻫ وتوفى سنة ٨٩٤ ﻫ (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ١١٧–١٢٤) .

آلاف دينار ، وأنعم بتقدمة عَلاَّن المذكور على شادبك السّيفى جُلُبّان ، مضافاً إلى دَوَادارية السلطان بدمشق ، وذلك أيضا بالبذل .

ورسم بإقطاع[1] شادبك المذكور للأمير قراجا الظاهرى ، وهو بالقدس — بطالا — ليكون بيده وهو طرخان ، ثم بطل ذلك .

ثم فى يوم الخميس حادى عشر شهر ربيع الآخر رسم السلطان بنقل الأمير جانَم الأشرفى نائب حلب من نيابة حلب إلى نيابة دمشق ، بعد موت الأمير قَانى بَاى الحمزاوى بحكم وفاته ، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير جَانِبَك من أمير الظريف الأشرفى أحد أمراء الطبلخانات وخازندار .

ورُسم بانتقال الأمير حاج إينال اليَشْبُكى من نيابة طرابُلُس إلى نيابة حلب ، عوضاً عن جانَم الأشرفى المذكور ، وصار مُسَفِّره الأمير سودون الإينالى المؤيدى قَراقاش ثانى رأس نَوْبَة .

ورُسم باستقرار الأمير إياس المحمدى الناصرى الطويل نائب حماة فى نيابة طرابُلُس ، عوضاً عن حاج إينال ، ومسَفِّره الأمير جانى بَك الإينالى الأشرفى ، المعروف بقَلْقَسِيز أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة .

ورُسم باستقرار الأمير جَانِبَك التاجى المؤيدى نائب صَفَد فى نيابة حماة ، عوضاً عن إياس المحمدى ، ومُسَفِّره جانَم المؤيَّدى المعروف بحرامى شَكَل ، أحد العشرات ورأس نَوْبَة .

ورُسم باستقرار خَيربَك النَّوْرُوزِىّ نائب غزّة فى نيابة صَفَد ، عوضاً عن جَانِبَك التاجى ، ومُسَفِّره قانَم طاز الأشرفى أحد أمراء العشرات ورأس نَوْبَة .

ثم استقرّ — بعد مدّة — الأمير بُرْدبَك العبد الرحمانى[2] أحد أمراء الألوف بدمشق فى

(١) وهو إمرة طبلخاناة بدمشق (هامش و. بوپر ٧ : ٥١٣) .

(٢) أى بردبك المنسوب إلى السيفى سودون من عبد الرحمن (هامش و. پوپر ٧ : ٥١٤) .

نيابة غزة عوضاً عن خَيربَك النَّوْرُوزى المقدّم ذكره ، وصار مُسَفِّره السَّيفى خَيربَك من حديد الأَجْرود أحد الدَّوادارية الخاصَّكيّة .

قلت : وجميع ولاية هؤلاء النوّاب المذكورين بالبذل ، ماخلا الأمير جانَم نائب الشام.

ثم أنعم السلطان بتقدمة بُرْدبَك العبد الرحمانى الذى بدمشق على الأمير قَراجا الظاهرىّ المقدَّم ذكره .

ثم فى يوم الخميس عاشر جمادى الأولى استقرّ الأمير بُرْدبَك الأشرفى الدّوادار الثانى وصهر السلطان أمير حاج المحمل ، واستقر الأمير كَسبَاى الشِّشْمَانى المؤيّدى أحد أمراء العشرات أمير الركب الأول .

واستقر الأمير يَرشْباى الإينالى المؤيّدى الأمير آخور الثانى كان ، وأحد أمراء الطبلخانات الآن أميرَ المماليك المجاورين بمكة ، ورسم لأسندمر الجَقْمَقى بالمجئ من مكة إلى مصر .

ثم فى يوم السبت ثانى عشر جمادى الأولى المذكور استقر القاضى محب الدين ابن الشحنة الحلبى الحنفى كاتب السر الشريف بالديار المصرية ، بعد عزل القاضى محب الدين بن الأشقر .

ثم فى يوم الثلاثاء خامس شهر رجب أمسك السلطان القاضى شرف الدين موسى الأنصارى ناظر الجيش ، وسلّمه إلى الطواشى فيروز النوروزى الزمام والخازندار ، فدام عنده إلى أن صودر وأخذ منه جُمَلٌ من الأموال بغير استحقاق ، بعد أن عزل عن وظيفة نظر الجيش كما سيأتى ذكره .

ثم ورد الخبر على السلطان من حلب أن الطاعون فشا بها وكثر .

ثم فى يوم الخميس رابع عشر شهر رجب استقرّ القاضى برهان الدين إبراهيم ابن الدَّيْرى ناظر الجيوش المنصورة عوضاً عن الأنصارى المقدَّم ذكره ، بمال كثير بذله فى ذلك .

ثم فى يوم السبت سادس عشر رجب تعرّض جماعة من المماليك الأجلاب للأمير زين الدين الأستادار ، فهرب منهم ، فضربوا الوزير وبهدلوه إلى الغاية ، ولم ينتطح فى ذلك عنزان ؛ لقوة شوكة الأجلاب فى هـذه الأيام ، حتى تجاوزت الحـدّ ، وبطل أمر حكام الدّيار المصرية قاطبة ، وصار من كان له حق أو شبه حق لايشتـكى غريمه إلا عند الأجلاب ، ففى الحال يخلص حقه من غريمه ، إمّا على وجه الحق أو غيره ، نخافهم كلّ أحـد ، لاسيما التّجار والبيعة[١] من كل صنف ، وترك غالب الناس معايشهم ؛ خوفاً على رأس مالهم ، فعزّ بسبب ذلك وجود أشياء كثيرة ، ووقع الغلاء فى جميـع الأشياء ، لاسيما فى الأصناف المتعلقة بالأجناد ، مثل الشعير والتبن والدريس ، وما أشبه ذلك من أنواع أقمشة الخيل والبغال والمتعلقة بذلك ، حتى صار لايوجد بالـكليّة إلا بعد عسر كبير ، وصار من له ضيافة من تبن أو دريس أو شعير من الأجناد يسافر من القاهرة ويلاقيه ويمشى معه حتى يصل إلى بيته [٢]إن قدر على ذلك[٢] ، وإن كان أميراً أرسل إلى ملاقاته بعض مماليـكه ، وربما أخذوا ممن استضعفوه من الأجناد أو مماليك الأمراء ، وزاد هذا الأمر حتى أضرّ بجميع الناس قاطبة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفى يوم الأحد سابع عشر شهر رجب تعرّض بعض المماليك الأجلاب للقاضى محب الدين بن الشِّحْنَة كاتب السِّرّ ، وهو طالع إلى الخدمة السلطانية ، وضربه من غـير أمر يوجب ضربه أو الكلام معه .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره استقرّ الأمير ناصر الدين بن محمد القَسَّامى ، المعروف بمخلع ، دَوادار السلطان بحلب .

وفى يوم الخميس حادى عشرين رجب[٣] أيضا استقر البدرى حسن بن أيوب فى نيابة القدس بعد عزل [شاه][٤] منصور بن شهرى .

(١) كذا فى الأصول ، والصحيح : «الباعة» .

(٢–٢) هذه العبارة ساقطة من ص — والإثبات عن ط . كاليفورنيا .

(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٥١٧ عن كتاب الحوادث «لبس الزينى بن الكويز ناظر الخاص خلعة الاستمرار على وظيفته ، وفيه » .

(٤) إضافة عن هامش «و. پوپر ٧ : ٥١٧ » .

وفيه رسم السلطان بطلب أبى الخير النحّاس من البلاد الشامية على يد ساعٍ .

وفى يوم السّبت أوّل شعبان وقع حريق عظيم ببندر جدّة بالحجاز .

وفيه توفى خَيربك المؤيّدى الأشقر الأمير آخور الثانى ، وأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير بُرْدبَك المحمدى الظاهرى المعروف بالهجين الأمير آخور الثالث ، وأنعم باقطاع بُرْدبَك المذكور على تغرى بَرْدى الأشرفى ، وأنعم باقطاع تَغرى بَرْدى على قَراجا الأشرفى [الطويل[1]] الأعرج ، وتَغرى بَرْدى وقَراجا كلاهما من مماليك السلطان القديمة أيام إمْرَته .

ثم فى يوم الاثنين ثالث شعبان المذكور استقرّ الأمير يَلَباى الإينالى المؤيّدى أحد أمراء الطبلخانات أمير آخور ثانيا عوضا عن خَـيربَك الأشقر المقدم ذكره .

وفيه استقر دولات باى الظاهرى نائب رأس نَوْبَة الجمداريّة رأس نَوْبَة الجَمَدارِيّة عوضاً عن قَراجا الطويل الأعرج الذى تأمّر .

واستقرّ فى نيابة رأس نَوْبَة الجَمَدارِيّة شخصٌ يسمى قايتباى الأشرفى ، فوثب شخص من الخاصّكيّة الأجلاب يسمى بَرْسْباى ، وجذب سيفه بالقصر السلطانى ، بسبب ولاية هذين لهاتين الوظيفتين ، ولكونه لم لاَ ولى هو[2] إحديهما ، ثم وقع منه أمور أضربنا[3] عن ذكرها ، خوفا على نامُوس ملك مصر .

ثم فى يوم السبت ثامن شعبان رسم بإطلاق القاضى شرف الدين الأنصارى مِنْ مكانه بقلعة الجبل بعد أن أخذ منه جملة مستكثرة من الذّهب العين وغيره .

ثم فى يوم الأحد تاسعة ضرب السلطان مملوكين من مماليكه الأجلاب وحبسهما ، لأجل قتلهما نَاتِق الظاهرى ، ولم يقتلهما به كما أمر الله تعالى .

(١) إضافة عن هامش « و. پوپر ٧ : ٥١٨ » .

(٢) عبارة ص « ولكون أنه لم لاولى هو إحداها » وأسلوب التعبير فى النسختين ركيك كما ترى .

(٣) فى ص «وقع منه أمور نستحى من ذكرها أضربنا عن ذكرها» . والمثبت عن ط . كاليفورنيا .

ثم فى يوم ثانى شهر رمضان وصل أبو الخير النحاس من البلاد الشامية إلى القاهرة وخلع السلطان عليه كاملية بمقلب سَمُّور (١) .

وفى يوم الثلاثاء تاسعه قدّم أبو الخير النحاس إلى السلطان اثنين وسبعين فرساً ، وثلاثين بغلاً .

وفى يوم الجمعة ثانى عشر شهر رمضان المذكور نهبت العبيد والمماليك الأجلاب النسوة اللاتى حضرن صلاة الجمعة بجامع عمرو بن العاص — رضى الله عنه — بمصر القديمة ، وأفحشوا فى ذلك إلى الغاية ، وكل مفعول جائز .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشر ، استقر أبو الخير النّحاس ناظر الذخيرة السلطانية ووكيل بيت المال .

وفى يوم الأحد حادى عشرينه أغلقت المماليك الأجلاب بابَ القلعة ، ومنعوا الأمراء والمباشرين من النزول إلى دورهم بسبب تعويق عليق خيولهم ، وفعلوا ذلك أيضاً من الغد إلى أن رُسِم لهم — عوضاً عن كل عليقة — مائتا درهم .

ثم فى يوم الخميس خامس عشرين شهر رمضان المتقدّم ذكره استقر خُشْقدم السّيفى أرنبُغا (٢) الذى كان دوادار القانى باى الحمزاوى [نائب الشام] (٣) فى حجوبية طَرَابُلُس على سبعة آلاف دينار ، بعد عزل شادبك الصارمى .

وفى يوم الأحد ثامن عشرينه وصل إلى الدّيار المصرية جَاكُم الفرنجى ابن جَوَان (٤) صاحب جزيرة قُبْرس، (٥ بطلب من السلطان ، لِيَلِى — عوضاً عن أبيه — مُلكَ قبرس ٥) ، وكان

(١) أضاف و . پوپر ٧ : ٥١٩ عن كتاب الحوادث "وفى ظنه أنه سيعود لما كان عليه فى الدولة الظاهرية ، وقد خلا له الجو بموت الجمالى ناظر الخاص . وبعزل الشرفى الأنصارى . والدهر يقول له خذ ما جاءك ، ولسان حاله ينشد قول أبى الفتح البستى :

إلى حتفى سعى قـدمى أرى قدمى أراق دمى

(٢) فى ط . كاليفورنيا « أردبغا » .

(٣) إضافة للتوضيح . عن هامش «و. پوپر ٧ : ٥٢٠ » .

(٤) ضبط «جاكم ، جوان» عن هامش و. پوپر ٧ : ٥٢٠ نقلا عن كتاب الحوادث .

(٥-٥) هذه العبارة ساقطة من — ص . والاثبات عن ط . كاليفورنيا .

أهل قبرُس ملّـكوا عليهم أخته مع وجوده ؛ كونه ابن زنا ، أو غير ذلك ، لأمر لا يجوِّز ولايته فى مِلّتهم .

وفى هذا الشهر أخـذ الطاعون فى انحطاط من مدينة حلب ، وانتشر فيما حولها من البلدان والقرى بعد أن مات منها نحو من مائتى ألف إنسان .

ثم فى يوم الخميس ثالث شوال ضربت المماليك الأجلاب أبا الخير النحاس ، وأخذوا عمامته من عَلَى رأسه ، فتزايد ما كان به من الضعف ، فإنه كان مستضعفاً قبل ذلك بمدّة وأخـذ أمره يومئذ فى انحطاط ، ولزم الفراش ، إلى أن مات حسـبما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وفى يوم السبت خامس شوال عمل السلطان الموكب بالحوش السلطانى من قلعة الجبل ، وأحضر جَاكُم بن جَوَان الفرنجى ، وخلع عليه كامليَّة ، وخلع على اثنين أخر من الفرنج الذين قدموا معه ، وأعطاه السلطان فرساً بسرج ذهب ، وكنبُوش زركَش ، وركب الفرس المذكور وغيره مُدّةَ إقامته بالديار المصرية ، وَوَلّاه نيابة قبرُس ، ووعده بالقيام معه ، وتخليص قبرس له .

ثم فى يوم الخميس سابع عشر شوال خرج أمير حاج المحمل بالمحمل ، وهو الأمير بُرْدبك الدَّوَادار الثانى ، وأمير الركب الأول الأمـير كَسـبَاى من شـشمان أحد أمراء العشرات .

وفى يوم الخميس أوّل ذى القعدة شرع السلطان فى عمارة مراكب برسم الجهاد ، وإرسال جَاكُم صحبتهم إلى قُبرس ، وجعل للتحدث على عمارة المراكب المذكورة سُنقُر الأشرفى الزَّرَدْكاش ، المعروف بقَرَقَ شَبَق ، فباشر سنقر المذكور عمل المراكب أقبح مباشرة ، من ظلم وعسف ، وأخذ الأخشاب بأبخس الأثمان إن وزن ثمناً ، وفعل هذا الشقىُّ أفعالا لا يفعلها الخوارج ، عليه من الله ما يستحق من الخزى والنكال ، بحيث

أنه جمع من هذا المال الخبيث جملة كبيرة خرجت منه بالمصادرة والنَّهب والحريق ، وما ربُّك بظلامٍ للعبيد .

ثم فى يوم الاثنين خامس ذى القعدة سافر تَغْرى بردى الطيَّارى الخاصكى قاصداً قبرس ، ليخبر أهلها أن السلطان يريد ولاية جَاكُم هذا على قبرس مكان والده ، وعزل أخته ، ويلومهم على عدم ولاية جَاكُم هذا وتقديم أخته عليه .

وفى يوم الثلاثاء ثامن ذى الحجة مات الأمير بايزيد التَّمُرْبُغَاوى أحد أمراء الألوف بالديار المصرية ، وأنعم السلطان بتقدمته وإقطاعه على الأمير سودون الإينالى المؤيدى [قراقاش][1] رأس نوبة ثان ، بمال بذله سودون فى ذلك[2] ، وأنعم بإقطاع سودون المذكور وهو إمرة طبلخاناه على الأمير خُشْكَلْدى القَوامى الناصرى .

واستهلت سنة أربع وستين وثمانمائة بيوم الأحد .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشر المحرم من السنة المذكورة وصلت الغزاة المتوجهة قبل تاريخه إلى بلاد الجون ببرِّ التركيّة لإحضار الأخشاب[3] ، وكان مقدَّم هذا العسكر أربعة من الأمراء العشرات ، وهم :

قانى باى قَرا سُقَل المؤيَّدى .

والأمير جَانبك الإسماعيلى المؤيدى المعروف بكوهية .

والأمير مُغُلْباى طاز المؤيدى .

والأمير بُردبَك اليشبكى المشطوب[4] .

---

(١) إضافة عن هامش «ى. پوپر ٧ : ٥٢٢ » .

(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٥٢٢ عن كتاب الحوادث « وهذا شىء لم نعهده من أمراء طبلخانات يسعى فى أمرة مائة وتقدمة ألف بمال ، وأظنها صارت عادة لمن يكون من طبع سودون هذا ، وأما من يكون شهما وفيه مروءة فلا يرضى بذلك ولو أعيد إلى الجندية» .

(٣) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٥٢٢ عن كتاب الحوادث « وصحبتهم المركب التى غنمها المسلمون من الفرنج والأسرى وهم نحو من مائة و خمسين أسيرا » .

(٤) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٥٢٢ عن كتاب الحوادث « فعرض السلطان الأسرى وضرب رقاب جماعة منهم وحبس باقيهم ، وفى المحبوسين قنصل جنوه وقد طلب منه السلطان — لافتداء نفسه من القتل — مائة ألف دينار » .

وفى يوم سابع عشرينه — الموافق لسادس عشر هاتور — لبس السلطان القماش الصوف الملون ، وألبس الأمراء على العادة فى كل سنة .

وفى هذا الشهر عظم الطاعون بمدينة غَزَّة ، وأباد الموت أهلها[1]

وفى يوم السبت ثانى عشر صفر خلع السلطان على فارس مملوك الطواشى فَيْرُوز الرّكنى باستقراره وزيراً بعد تسحّب على بن الأَهْنَاسى ، فلم يحسن فارس المذكور المباشرة سوى يوم واحد ، وعجز وكاد أن يهلك ، وكان لولايته أسباب منها : أنه كان يبرق ويرعد ويوسع فى الكلام فى نوع المباشرة وغيرها ، فحسب السامع أن فى السويداء رجالا ، واسْتسمن وَرَمَه فو لّاه ، فما هو إلا أن أرمى الخلعة على[2] أكتافه [حتى][3] ظهر عليه العجز الفاضح فى الحال ، وضاق عليه فضاء الدنيا ، وخسر فى اليوم المذكور جملا مستكثرة ، واستعفى ، وترامى على أكابر الدّولة ، وكاد أن يهلك لولا أُعفى وعزل[4] ، بعد أن أُلزم بشىء له جرم على ماقيل ، وولى الصاحب شمس الدين منصور الوَزَر عنه .

قلتُ : ما أحسن الأشياء فى محلها ، وحينئذ أعطى القوس لراميه .

وفى يوم الخميس سابع عشر صفر ورد الخبر من الشام بموت الأمير عَلّان شَلَق المؤيَّدى أتابَك دمشق .

وفى يوم ثامن شهر ربيع الأول استقرّ الحاج محمد الأَهْنَاسِى البُرْددار وزيرًا بعد عزل الصاحب شمس الدين منصور من غير عجز بل لمعنى من المعانى ، والحاج محمد هذا هو والد على بن الأَهْنَاسِى المقدم ذكره فى الوزر والأستادارية ، وولى الوزر قبل أن

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٣٥٢ عن كتاب الحوادث « حتى تجاوز عدد الموتى بها فى اليوم سبعمائة وقيل أكثر وأقل . وبالجملة إنه كان بها موت مهول كما كان بغيرها من البلاد الشامية » .

(٢) فى الأصول (عن) وما أثبته يقتضيه السياق .

(٣) إضافة يقتضيها السياق .

(٤) كان عزله فى يوم الاثنين رابع عشره (عن هامش و. پوپر ٧ : ٥٢٣) أى أنه ولى الوزارة لمدة يومين فقط .

تسبق له رئاسة فى نوع من الأنواع ؛ لأن كلا الوالد والولد عارٍ عن الكتابة ومعرفة قلم الديونة ، ولم يكن لهما صنعة غير الرَّسْلِيَّة والبُرْدداريَّة لا غير ، فباشر الحاج محمد هذا الوزر أحد عشر يوماً وعزل ، وأعيد الصاحب شمس الدين منصور للوزر ثانياً .

وفى يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الأول استقر الأمير تَغْرى بَرْدى الأشرفى أحد أمراء العشرات نائب الكَرَك ، وأنعم بإقطاعه على ابن الأمير بُرْدبَك الدَّوادار الثانى والمنعم عليه هو ابن بنت السلطان .

ثم فى يوم الخميس ثانى عشرينه استقر الأمير تَمُرْباى طَطَر الناصرى أحد أمراء العشرات أمير حاج المحمل .

ثم فى يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأول المذكور عمل السلطان المولد النبوى بالحوش السلطانى على العادة فى كل سنة ، وأحضر السلطان جاكُم الفرنجى ابن صاحب قُبْرُس ، وأجلسه عند أعيان مباشرى الدَّولة ، فعظم ذلك على الناس قاطبة .

قلتُ : ولعلَّ السلطان ما أحضره فى هذا المجلس إلا ليريه عِزَّ الإسلام وذُلَّ الكفر .

ثم فى أول شهر ربيع الآخر ظهر الطاعون بمدينة بُلْبَيْس وخانقاه سِرْياقوس من ضواحى القاهرة .

وكان أول الشهر يوم الجمعة الموافق لأول طوبة من شهور القبط. فتخوَّف كلُّ أحد من مجىء الطاعون إلى القاهرة ، هذا مع ما الناس فيه من جهد البلاء من غُلُوّ الأسعار وظلم المماليك الأجلاب الذى خرج عن الحد ، وعَدَم الأمن ، وكثرة المخاوف فى الأزِقَّة والشوارع ، بحيث إن الشخص صار لا يقدر على خروجه من داره بعد أذان عشاء الآخرة ، حتى ولا لصلاة الجماعة ، ولو كان جار المسجد ، وإنْ أذَّن مؤذن العشاء والشخص خارج عن داره هَرْوَل فى مشيه وأسرع لئلا تغلق عليه الدروب التى عمرتها رؤساء كلِّ حارة ؛ خوفاً على بيوتهم من المناسر والحرامية ، لأن والى القاهرة خيربَك القَصْرَوى حَطَّ عنه أمورَ الناس(١) ، وانعكف على ما هو عليه من المفاسد ، وسببه

(١) أى تخلى عن أمر الرعيه «هامش و. پوپر ٧ : ٥٢٦» .

أنه علم أن الذى يتعبث على الناس أو يسرق إنما هو من المماليك الأجلاب أو من أتباعهم ، وعلم مع ذلك ميل السلطان إلى الأجلاب ، واتفق بعد ذلك كثرة السُّرَّاق ، وفتح البيوت ، وهجم المناسر على الحارات ، وكَلَّمَهُ السلطان — فى ذلك — بكلام خشن ، ووبَّخه فى الملأ ، وكاد أن يفتك به ، فأوهم الوالى السلطان — بالتلويح فى كلامه — أن الذى يفعل ذلك إنما هو من المماليك الأجلاب ، وكان الذى لوَّحه الوالى إلى السلطان قوله : « يا مولانا السلطان أنا مالى شغل ولا حكم على من يلبس طاقية — يعنى المماليك — وما حكمى إلا على العوام والحرامية » ، فسكت السلطان ، ولم يكلمه بعد ذلك إلا فى غير هذا المعنى ، فوجد الوالى بذلك مندوحة لسائر أغراضه ، وحطَّ عنه واستراح ، وانحل النظام ، وضاعت حقوق الناس ، وأخذ كل مفسد يتزيا بزى الجند ، ويفعل ما أراده ، وصار الوالى هو كبير الحراميّة ، ولا قوة إلا بالله .

وفى يوم السبت تاسع شهر ربيع الآخر اختفى الصاحب شمس الدين منصور ، وتعطَّل — بسبب غيابه — رواتب المماليك السلطانية ، فاستغاثوا المماليك الأجلاب ، ومنعوا الأمراء يوم الأربعاء من طلوع القلعة ، وامتنعوا من طلوع الخدمة يوم الخميس أيضا رابع عشره ، وطلع الأميرُ يُونُس الدّوادار إلى القلعة بغير قماش الخدمة ، فلما وصل إلى باب القلعة احتاطت به المماليك الأجلاب ، وسألوه أن يُكلم السلطانَ فى أمرهم ، فدخل الأميرُ يُونُس المذكورُ إلى السلطان ، وذكرَ له ذلك ، ثم ترددت الرّسل بين السلطان وبينهم إلى أن آل الأمر إلى طلب سعد الدين فرج بن النحَّال ، واستمرّ وزيراً على عادته أولا على شروط ، ونزل من وقته ، وباشر الوَزَر ، وسكن الأمرُ ، وقد ذكر لى الصاحب شمس الدين : أنه لم يختفِ إلا بإذن السلطان .

وفى هذه الأيام فشا الطاعون بالقاهرة ، وكان عِدَّة مَنْ ورد اسمه الديوان من الأموات فى يوم الثلاثاء تاسعَ عشر شهر ربيع الآخر المذكور — الموافق لسابع عشر أمشير ، وهو يوم تنتقل الشمس إلى برج الحوت — خمسة وثلاثين نفراً ، ولها تفصيل ، وذلك خارج عن البيمارستان المنصورى والأوقاف والقرافتين والصحراء وبولاق ومصر القديمة .

وأمّا ضواحى القاهرة وإقليم الشرقية والغربية من الوجه البحرى فقد تزايد الطاعون فيها حتى خرج عن الحد ، وهو إلى الآن فى زيادة .

وكان أمر الطاعون فى القرى أنه إذا وقع بقرية يفنى غالب مَنْ بها ، ثم ينتقل إلى غيرها وربما اجتاز ببعض القرى ولم يدخلها ، فسبحانه يفعل فى ملكه ما يريد .

وفى يوم الخميس حادى عشرينه ضرب المماليك الأجلابُ الأميرَ زينَ الدين الأستادار بسبب علىق الخيول ضرباً مبرحاً ، وانقطع بسبب ذلك عن الخدمة أياماً كثيرة .

وفى يوم السبت ثالث عشرينه وقع من بعض المماليك الأجلاب إخراقٌ فى حق الأمير يونُس الدَّوادار ، والشخص المذكور يسمى قانصوه ، وكان ذلك فى الملأ من الناس ، ونزل الأمير يُونس إلى داره وهو فى غاية ما يكون من الغضب ، فما كفى قانصوه المذكور ما وقع منه فى القلعة فى حق الأمير يونس ، حتى نزل إليه بداره وأساء عليه ثانياً بحضرة مماليكه وحواشيه ، فلم يسع الأمير يونس المذكور إلا أن قام من مجلسه وعزل نفسه عن الدَّوادارية ، ودخل إلى داره من وقته ، وأقام بها من يومه .

ثم فى الغد لم يقع من السلطان على قَانْصُوَه المذكور — بسبب ما وقع منه فى حق الأمير يونس — كبير أمر ، ولا كلّمه الكلامَ العُرْفى ، غير أن ابن السلطان الشهابى أحمد أرسل سأل الأمير يونُس فى الطلوع إلى القلعة وحضور الخدمة .

ثم إنّ بعض الأمراء أخذ قانصوه المذكور وأتى به إلى الأمير يونس حتى قبَّل يده ، ولازال ذلك الأمير وغيره بالأمير يونس حتى رضى عنه بعد أن أوسعه سبًّا وتوبيخا ، وذلك حيث لم يجد يونس له ناصراً ولا معيناً .

وأغرب من هذا أنه بلغنى أن قانصوه لما أفحش فى أمر الأمير يونس أولا ربما أضاف إليه السلطانَ فى بعض الإساءة ، والسلطان يسمع كلامه .

قلتُ : إن صح هذا فهو مما يهوِّن على الأمير يُونس ما وقع فى حقه من قانصوه .

وفى يوم الاثنين خامس عشرينه عجز الأمير زين الدين الأستادار عن القيام بجامكية المماليك السلطانية ، فقام إلى السلطان شخص من الخاصكية الأجلاب يسمى جانبيه المجنون ، وقال للسلطان :

« الملوك التى كانت قبلك كانوا ينفقون الجوامك ، لأى شىء أنت ما تعطى مثاهم ؟ » .

فغضب السلطان من كلامه ، وطلب العصى ليضربه ، فخرج جماعةٌ من الأجلاب من خچداشيته ، وجذبوه من بين يدى السلطان ، وتوجهوا به إلى الطبقة ، ولم يتكلم السلطان بكلمة واحدة .

هذا والطاعون أمره فى زيادة ، فلما استهلّ جمادى الأولى الموافق لتاسع عشرين أمشير كان فيه التعريف : أعنى عدة من يرد اسمه الديوان من الأموات ستين نفراً ، وهذا خلاف الأماكن المقدم ذكرها من البيمارستان والطرحى والترافتين والصحراء ومصر وبولاق ، وأما نواحى أرياف الوجه البحرى ففى زيادة ، حتى قيل إنه كان يموت من خانقاه سرياقوس فى اليوم مايزيد على مائتى نفر ، ووصل فى هذه الأيام عدة من يموت بالمحلة الكبرى — إحدى قرى القاهرة[1] — كل يوم زيادة على مائتين وخمسين إنساناً ، وهذا أمر كبير ؛ كون أن المحلة وإن كانت مدينة هى قرية من القرى ، ومثلها كثير من أعمال الديار المصرية .

غير أن ذلك كان نهاية الطاعون بها وابتداءه بالقاهرة ؛ فإن الطاعون كان وقع بالأرياف قبل القاهرة بمدّة ، فلما أخذ الطاعون فى انحطاط من الأرياف أخذ فى الزيادة بالقاهرة ومصر وضواحيها ، كما هى عادة الطاعون وانتقاله من بلد إلى أخرى .

وفى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى من سنة أربع وستين المذكورة أنعم السلطان

(١) كذا فى الأصول . وقد ورد فى هامش و . پوپر ٧ : ٥٣١ عن كتاب الحوادث « أنها من أعمال الغربية » وهو الصواب .

على سودون الأفرم الظاهرى الواصل قبل تاريخه من البلاد الشامية بإمرة عشرة بعد موت الأمير أَسَنْدَمُر الجَقْمَقى .

وفى هذا اليوم أيضاً كان عدة من ورد التعريف(١) بهم من الأموات بالقاهرة فقط مائة وعشرة نفر ولها تفصيل — ما بين رجال ونساء وصبيان وموال — وليس لذكر التفصيل هنا محل .

وكان من شأن هذا الطاعون أنه ينقص فى اليوم نقصاً قليلا عن أمسه ، ثم يزيد فى الغد كثيراً إلى أن انتهى ونقص وهو على هذه الصفة .

وفى هذه الأيام بلغ عدة من يموت فى اليوم بخانقاه سرياقوس أكثر من ثلاثمائة نفر ، ويقول المكثر أربعمائة ، وبالمحلة ثلاثمائة ، وفى مدينة منف فى يوم واحد نحوا من مائتين ، وقس على هذا فى سائر القرى ، وهذا نهاية النهاية الآن .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى - يوم تنتقل الشمس فيه إلى برج الحمل - كان فيه عدة من ورد اسمه التعريف(٢) مائة وسبعين نفرا ، وجاء فى هذا اليوم عدة من صلى عليه من الأموات بمصلاة باب النصر على حدتها مائة نفر ، فكيف يكون التعريف كله مائة وسبعين ، وبالقاهرة مصلوات كثيرة نذكرها بعد ذلك فى محلها .

وأبلغ من هذا أن الأمير زين الدين الأستادار ندب جماعة من الناس بأجرة معينة إلى ضبط جميع مصلوات القاهرة وظواهرها ، وكان ماحرروه ممن صلى عليه فى اليوم ستمائة إنسان ، فعلى هذا لاعبرة بذكر التعريف المكتتب من ديوان المواريث ، غير أن فائدة ذكر التعريف تكون لمعرفة زيادة الوباء ونقصه لا غير ، ففى ذكره فائدة ما .

وفى يوم الجمعة عشرين جمادى الأولى كان فيه التعريف مائتين وتسعة نفر .

ثم فى يوم السبت حادى عشرينه أنعم السلطان على قانى باى الأشرفى المعروف بأخى قانصُوَه النَّورُوزِى بإمرة عشرة بعد موت الأمير يَشْبُك الظاهرى .

(١) عبارة ص «من ورد اسمه الديوان من الأموات الخ » والمثبت عن ط كاليفورنيا .
(٢) فى ص « من يرد اسمه الديوان» والمثبت عن ط كاليفورنيا .

ثم فى يوم الخميس سادس عشرينه استقر الأمير بَرْسْباى البجامى حاجب الحجاب أمير آخور كبيرا بعد موت يونس العلائى بالطاعون ، واستقر سودون الإينالى المؤيدى المعروف بقراقاش فى حجوبية الحجاب عوضا عن بَرْسْباى البجاسى المقدم ذكره .

وفيه أيضا أنعم السلطان بإقطاع يونس العلائى على الأمير جَرِباش المحمدى أمير مجلس ، وأنعم بإقطاع جَرِباش المذكور على الأمير جانبك الظاهرى نائب بندر جدّة ، وصار جَانِبَك من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية ، وذلك زيادة على ما بيده من التحدث على بندر جدّة ، بل على جميع الأقطار الحجازية ، والإقطاع الذى استولى عليه الأمير جَرِباش ، والذى خرج عنه كلاهما تقدمة ألف ، لكن متحصل خراجهما يتفاوت .

وفى يوم الخميس هذا كان عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات نحوا من مائتين وخمسة وثلاثين نفرا ، وكان عدة المضبوط بالمصلاة ألفا ومائة وثلاثة وخمسين نفرا ، وذلك خارج عما ذكرنا من مصر وبولاق والقرافتين والصحراء والأوقاف وزاوية الخُدّام خارج الحُسَيْنية .

وفى يوم السبت ثامن عشرين جمادى الأولى المقدم ذكرها أستقرّ الشهابى أحمد بن قُلَيْب(١) أستادار السلطان بمدينة طرابُلُس فى حجوبية حجاب طرابُلُس ، زيادة على ما بيده من الأستادارية وغيرها ، وكانت ولايته للحجوبية بعد موت خشقدم الأرنبغاوى(٢) دَوادار قانى باى الحمزاوى :

ثم استهل جمادى الآخرة — أولها يوم الثلاثاء — وقد كثر الوباء بالديار المصرية ، وانتشر بها وبظواهرها ، هذا مع الغلاء المفرط فى الأسعار وظلم المماليك الأجلاب ، فصارت الناس بين ثلاثة أمور عظيمة : الطاعون ، والغلاء ، والظلم ، وهذا من النوادر — وقوع الوباء والغلاء معا فى وقت واحد — فوقع ذلك وزيد ظلم الأجلاب ، ولله الأمر .

(١) بضم القاف تصغير قلب « هامش ر. پوپر ٧ : ٥٣٤ عن كتاب الحوادث » .

(٢) فى ص « الأربغاوى » وفى ط كاليفورنيا « الأردبغاوى » وما أثبته عن (الضوء اللامع للسخاوى ٣ : ١٧٤) وفيه أنه ينسب لأرنبغا نائب قلعة صفد — مات سنة ٨٦٤ هـ .

وكان التعريف فى هذا اليوم ثلاثمائة وستة عشر نفرا ، وكان الذى حرروه فى السبع عشرة مصلاة ألف إنسان وتسعمائة إنسان وعشرة ، وأنكر ذلك غير واحد من الناس استقلالا ، بل قال بعضهم وبالغ : بأن عدة من يموت فى اليوم بالقاهرة أكثر من ثلاثة آلاف نفر ، واعتل بقوله إن الذين ندبوا لضبط المصلوات اشتغل كل منهم بنفسه وبمن عنده وبغلمانه [(١)] ،

قلت : الصواب بل الأصح مقالة الثانى لما شاهدناه من كثرة الجنائز، وازدحام الناس بكل مصلاة — والله أعلم .

وأما أمر الغلاء ففى هذا الشهر أبيع فيه القمح كل إردب بستمائة درهم ، والبطة من الدقيق العلامة بمائة وسبعين درهما ، والرطل الخبز بأربعة دراهم ، وهو عزيز الوجود بالحوانيت فى كثير من الأوقات ، والشعير والفول وكلاهما بأربعمائة درهم الإردب ، وهما فى قلة إلى الغاية والنهاية ، والحمل التبن بأربعمائة درهم ولا بدّ له من حارس من الأجناد يحرسه من المماليك الأجلاب ، هذا والموت فيهم بالجريف [(٢)] — وصلوات الله على سيدنا عزرائيل — وماسوى ذلك من المأكل فسعره متحسن ، لا كسعر الشعير والتبن والقمح والفول ؛ كون هذه الأشياء يحتاج إليها الأجلاب ، فيأخذونها بأبخس الأثمان ، فترك الناس بيع هذه الأصناف إلا المحتاج ، فعز وجودها لذلك .

ووقع للأجلاب فى هذا الوباء أمور عجيبة ؛ فإنهم لما فرغوا من أخذ بضائع الناس ظهر منهم فى أيام الوباء أخذ إقطاعات الأجناد ، فصاروا إذا رأوا شخصا على حانوت عطار أخذوه ، وقالوا له : لعل الضعيف يكون له إقطاع ، فإن كان له إقطاع عرفهم به ؛ وإن لم يكن للضعيف إقطاع طال أمره معهم إلا أن يخلصه منهم أحد من الأعيان .

ثم بدا لهم بعد ذلك أن كل من سمعوا له إقطاعا من أولاد الناس أو الأجناد القرانيص أخذوا إقطاعه ، فإن كان صحيحا يرتجون مرضه ، وان كان ضعيفا ينتظرون

---

(١) فى ص «وتعلقاته» والمثبت عن ط . كاليفورنيا .

(٢) بالجريف : أى بالكثرة .

موته ، فعلى هذا الحكم خرج إقطاع غالب الناس — الحى والميت ـ حتى إنهم فعلوا ذلك بعضهم مع بعض ، فصار السلطان والناس فى شغل شاغل ، لأن الأجلاب صاروا يزدحمون عليه لأخذهم إقطاعات الناس ، وعند ما يتفرغ من المماليك الأجلاب يتظلم كل أحد إليه ممن خرج إقطاعه وهو فى قيد الحياة ، فلم يسعه إلا ردّه عليه ، فصار الإقطاع يخرج اليوم ويُرَدّ إلى صاحبه فى الغد ، فصار يكتب فى اليوم الواحد عدة مناشير مابين إخراج وردّ ، واستمر الناس على ذلك من أوّل الفصل إلى آخره .

وأغرب من هذا أن بعض الأجلاب اجتاز فى عِظَم أيّام الوباء بالصحراء ، فحازى جنازة امرأة على نعشها طرحة زَرْكَش ، فاختطفها وساق فرسه فلم يوقف له على أثر .

ووقع لبعض الأجلاب أيضا أنه صدف فى بعض الطرقات جنازة وهو سكران ، فأمره المدير بالوقوف لتمر الجنازة عليه ، فحنق منه ، وأراد ضرب المدير ، فهرب منه ، فضرب الميت على رأسه ، وقد شاهد ذلك جماعة كثيرةٌ من الناس .

وفيما حكيناه كفاية عن فعل هؤلاء الظَّلَمَة ـ ألا لعنة الله على الظالمين .

وفى يوم الثلاثاء مستهل جمادى الآخرة وصل إلى القاهرة تَغْرى بَرْدى الطيّارى الخاصكى المتوجه فى الرّسلية إلى جزيرة قُبْرُس ، وصحبته جماعة كثيرة من ملوك الفرنج وأهل قُبْرُس .

والقادمون من الفرنج على قسمين : فرقة تسأل إبقاء مُلك قُبْرُس على المملكة المتولية ، وفرقة تسأل عزلها وتولية أخيها جاكُم الفرنجى الذى قدم إلى القاهرة قبل تاريخه ، فلم يبت السلطان الأمر من ولاية ولا عزل فى هـذا اليوم ، وأحال الأمر إلى ما سيأتى ذكره .

وفى يوم الخميس ثالث جمادى الآخرة المذكورة عظم الطاعون بالقاهرة وظواهرها ، واختلفت كلمة الحُسّاب ؛ لاشتغال كل أحد بنفسه وبمن عنده ، فمنهم من قال : يموت فى اليوم أربعة آلاف إنسان ، ومنهم من قال : ثلاثة آلاف وخمسمائة ، وقاس

صاحب القول الثانى على عِدّة من صُلِّى عليه فى هذا اليوم المذكور بمصلاة باب النصر ، وقال : إن كل مائة ميت بمصلاة باب النصر بثلاثمائة وستين ميتا ، وجاءت مصلاة المؤمنى فى هذا اليوم أربعمائة وسبعة عشر ميتا ، وهذا كله تقريبا لا تحريرا على الأوضاع .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن جمادى الآخرة عمل السلطان الموكب بالحوش السلطانى لأجل قُصّاد الفرنج ، وحضرت الفرنج وقبلوا الأرض ونزلوا أيضا على غير طائل .

وفى يوم الجمعة حادى عشره كان فيه التعريف مائتين وثمانين ، وجاءت مصلاة باب النصر على حدتها خمسمائة وسبعين .

وفيه ضربت المماليكُ الأجلابُ الوزيرَ سعدَ الدين فرج بن النحّال ضربا مبرحا ؛ لكونه لم يزد راتب لحمهم .

وفى يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة كان فيه التعريف نحو ثلاثمائة إنسان ، منهم مماليك خمسة وسبعون ، منهم خمسة وثلاثون من مماليك الأمراء وغيرهم ، ومن بنى سلطانية ، وأما الذى ضبط فى هذا اليوم ممن صُلى عليه من الأموات باثنتى عشرة مصلاة أربعة آلاف إنسان ، وفى ذلك نظر ؛ لأن مصلاة باب النصر وحدها جاءت فى هذا اليوم خمسمائة وسبعين ، ومصلاة البياطرة أربعمائة وسبعين ، وجامع الأزهر ثلاثمائة وستة وتسعين ، فمجموع هذه المصليات الثلاث من جملة سبع عشرة مصلاة أو أكثر ألف وأربعمائة وستة نفر ، فعلى هــذا كيف يكون جميع من مات فى هذا اليوم أربعة آلاف ؟ ! فهذا محال ، وهذا خارج عن القرافتين والحسينية والصحراء وبولاق ومصر القديمة ، إلا أن غالب من يموت صغار وعبيد وجوار .

غير أن هذا الطاعون كان أمره غريبا ، وهو أن الذى يطعن فيه قلّ أن يسلم ، حتى قال بعضهم : لعل إن من كل مائة مريض يسلم واحد ، فأنكر ذلك غيره وقال : ولا كل ألف — مبالغة .

وفى يوم الأربعاء سادس عشره — الموافق لرابع عشر برمودة — ارتفع الوباء من بولاق ، وكان الذى مات بها فى اليوم[(1)] ثلاثة نفر ، وقيل سبعة وقيل عشرة .

هذا بعد أن كان يموت فى اليوم[(1)] ثلاثمائة وأربعمائة ، ويقول المكثر خمسمائة — فسبحانه وتعالى فاعلا مختارا يفعل فى ملكه مايشاء .

وأخذ الطاعون فى هذه الأيّام يخف من ظواهر القاهرة ، مثل الحسينيّة وغيرها ، وعظم فى القاهرة وما حولها من جهة الصّليبة والقلعة وقناطر السّباع ، وكان الذى مات من المماليك الأجلاب الإينالية فى هذا الطاعون — إلى يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة — ستمائة مملوك وثلاثين مملوكا . إلى لعنةِ اللهِ وسقر ، إلى حيث ألقت .

ومما وقع لى من أوائل هذا الفصل قولى على سبيل المجاز : [السريع]

قد جاءنا الفصلُ على بَغْتَةٍ مُستَجْلِباً حَلَّ مُجِدِّ الطلب
من كثرةِ البغى وظُلْمٍ بدا يخصه الله بمن كان جلب

وفى يوم الاثنين حادى عشرين جمادى الآخرة — الموافق لتاسع عشر برمودة ، وهو أول خمسين[(2)] النصارى — فيه ظهر نقص الطاعون بالقاهرة ، وكان ابتداء النقص من يومى الخميس والجمعة .

وفى يوم الاثنين هذا كان عدة من صلى عليه بمصلاة باب النصر ثلاثمائة وخمسين إنسانا ، وبجامع الأزهر ستمائة إنسان ، وهو أكثر ما وصل إليه العدة بالجامع المذكور ، لأن غالب الطاعون الآن هو بالقاهرة ، وكان عدّة من صلى عليه بمصلاة البياطرة مائتين وأربعة ، وهو بحكم النصف مما كان صلى عليه بها قبل ذلك ، وكان عدّة من صلى عليه بمصلاة المؤمنى مائتين وثمانين نفرا ، وهو أقل من النصف أولا ، ونحن نذكر — إن شاء الله تعالى — عدة هذه المصلوات فى يوم الاثنين القابل ؛ ليعلم الناظر فى هذا الكتاب كيفية انحطاط الطاعون عند زواله من اليوم إلى مثله .

(١–١) هذه العبارة ساقطة من ص ، والإثبات عن ط . كاليفورنيا .

(٢) فى ص « أول يوم خميس النصارى » .

فلما كان يوم الخميس ثامن عشرينه الموعود بذكره كان فيه عدّة من صلى عليه بمصلاة باب النصر مائة وتسعين ، وبالجامع الأزهر زيادة على مائة وثلاثين ، وبمصلاة البياطرة مائة وأربعة عشر ، وبمصلاة المؤمنى مائة وسبعة وثلاثين ، ونذكر – إن شاء الله تعالى – فى يوم الاثنين الآتى عدّة ذلك أيضاً .

وفى يوم الأربعاء تاسع شهر رجب فيه فشا نقص[1] الطاعون ، وانحط سعر الغلال ، وظهر الشعير والتبن والدريس لموت تلك الجبابرة الأجلاب .

وفيه طُعن جامعه[2] ، ثمّ منّ الله تعالى بالعافية بعد أمور ، ولله الحمد عَلَى المهلة .

وفى يوم الجمعة ثالث شهر رجب المذكور – الموافق لسابخ برمودة – لبس السلطانُ القماش الأبيض البعلبكى المعتد لبسه لأيام الصيف .

ثم فى يوم الاثنين سادسه كان فيه عدّة من صُلى عليه من الأموات بمصلاة باب النصر مائة ، وقيل تسعين ، وبمصلاة البياطرة زيادة عَلَى الخمسين ، وبمصلاة المؤمنى زيادة على التسعين .

ثم فى يوم السبت حادى عشره استقر الأمير أرغون شاه الأشرفى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة أستادار الصحبة السلطانية ، بعد موت يَشْبُك الأشرفى الأشقر .

ثم فى يوم الاثنين ثالث عشر شهر رجب كان فيه عدّة من صلى عليه من الأموات بمصلاة باب النصر نحواً من خمسة وعشرين نفراً ، وبمصلاة البياطرة ثلاثة وعشرين ، وبالجامع الأزهر خمسة نفر ، وبمصلاة المؤمنى نيفاً وثلاثين نفراً ، هذا والعلة موجودة فى الأكابر والأعيان إلى آخر رجب .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع عشره استقر القاضى تقى الدين بن نصر الله ناظر ديوان المفرد عوضاً عن الصاحب شمس الدين منصور [بن الصفى][3] .

---

(١) كذا فى ص . وفى ط كاليفورنيا « فشا الطاعون » .

(٢) هذه إشارة إلى أن المؤلف أصيب بالطاعون المنتشر فى القاهرة فى تلك السنة ثم شفى منه .

(٣) إضافه عن (هامش و. پوپر ٧ : ٥٤٢) .

وفيه استقر الشيخ سراج الدين [عمر][1] العبادى الشافعى ناظر الأَحْبَاس بعد موت القاضى زين الدين عبد الرحيم العَيْنِىّ :

واستهل شعبان يوم الخميس وقد خفّ الطاعون من الديار المصرية بالكلية ، فكان عدّة من مات فى هذا الطاعون من المماليك الأَجلاب الإينالية فقط أَلفاً وأربعمائة نفر – فالله يلحق بهم من بقى منهم – وهذا خلاف من مَات فى هذا الطاعون من المماليك السلطانية الذين هم من سائر الطوائف[2].

ثم فى يوم الثلاثاء سادس شعبان المذكور من سنة أربع وستين وقع فى المملكة[3] أمر شنيع ؛ وهو أن السلطان جمع أعيان الفرنج القبارسة فى الملأ بالحوش السلطانى ، وأراد بقاء الملكة صاحبة قُبْرُس على عادتها ، وخلع عَلَى قصادها أعيان الفرنج ، واستقر تَغْرى بَرْدى الطَّيَّارِىّ مسفرها ، وعَلَى يده تقليدها وخلعتها .

وكان الفرنجى جَاكُم أخوها حاضر الموكب ، وقد جلس تحت مقدمى الأُلوف ، فعزَّ عليه ولاية أخته وإبقاؤها عَلَى ملك الأُفقسية من جزيرة قُبْرُس مع وجوده ، فقام عَلَى قدميه واستغاث ، وتكلم بكلام معناه أنه قد جاء إلى مصر ، والتجأ إلى السلطان ، ودخل تحت كنفه ، وله عنده هذه المدّة الطويلة ، وأنه أحقُّ بالملك من أخته وبكى ، فلم يسمع السلطان له وصمم عَلَى ولاية أخته ، وأمره بالنزول إلى حيث هو سكنه ، فما هو إلا أن قام جَاكُم المذكور وخرج من باب الحوش الأوسط ثم خرج بعده أخصامه حواشى أخته ، وعليهم الخلع السلطانية مَدَّت الأُجلاب أيديها إلى أخصام جَاكُم من الفرنج ، وتناولوهم بالضرب

---

(١) هو عمر بن حسين بن حسن بن أحمد بن على بن عبد الواحد بن خليل بن الحسن –السراج أبو حفص ابن البدر العبادى ، ولد سنة ٨٠٤ هـ بمنية عباد بالغربية ومات سنه ٨٨٥ هـ (السخاوى – الضوء اللامع ٦ : ٨١ – ٨٣) .

(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٥٤٣ عن كتاب الحوادث « الظاهرية برقوق ، والناصرية فرج ، والمؤيدية شيخ ، والأشرفيه برسباى ، والظاهرية جقمق ، والسيفية وهم مماليك الأمراء الذين يخدمون بباب السلسلة ، وأولاد الناس وهم أيضا شىء كثير جدا » .

(٣) أى فى القلعة كما جاء فى (هامش و. پوپر ٧ : ٥٤٣) .

والإخراق ، وتمزيق الخلع ، واستغاثوا بكلمة واحدة ، أنهم لا يريدون إلا تولية جاكُم هذا مكان والده ، وعظمت الغوغاء ، فلم يسع السلطان إلا أن أذعن فى الحال بعزل الملكة وتولية جاكُم ، فتولى جاكُم على رغم السلطان بعد أن أمعنوا المماليك الأجلاب فى سب الأمير بُرْدبك الدَّوَادَار الثانى ، وقالوا له : « أنت إفرنجى[1] وتحامى للفرنج » فاستغاث بُردبك المذكور ، ورمى وظيفة الدّوادارية ، وطلب الإقالة من المشى فى الخدمة السلطانية ، فلم يسمع له السلطان ، وفى الحال خلع على جاكُم ، ورسم بخروج تجريدة من الأمراء إلى غزو قبرس ، تتوجّه مع جاكُم المذكور إلى قبرس ، حسبما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى فى وقته .

وفى يوم الاثنين ثانى عشره رسم السلطان باستقرار الأمير قَراجا الظاهرى الخازندار حاجب الحجّاب - كان - أتابك عساكر دِمَشْق بعد موت الأمير عَلاّن المؤيّدى بمالٍ وعد به نحو عشرة آلاف دينار .

وفى يوم السبت سابع عشره استقرّ القاضى ولى الدين أحمد ابن القاضى تقى الدين محمد البلقينى[2] قاضى قضاة دمشق الشّافعيّة بعد عزل القاضى جمال الدين يوسف الباعونى[3] .

وفيه استقرّ القاضى زين الدين أبو بكر بن مزهر ناظر الجيوش المنصورة بعد عزل القاضى برهان الدين إبراهيم الدّيرى .

وفى يوم الأحد ثامن عشره عرض السلطان المماليك السلطانية بالحوش ، وعيّن منهم جماعة للجهاد : أعنى للسفر صحبة جاكُم الفرنجى إلى قُبْرُس ، وقد تعيّن من يسافر إلى قُبْرُس من الأمراء قبل ذلك .

---

(١) هذه إشارة إلى وجود أمير كبير من أمراء المماليك من أصل فرنجى أى أوربى ، والمعروف أن عدداً من السلاطين وأمراء المماليك كان من أصول أوربية مختلفة .

(٢) هو أحمد بن محمد بن عمر بن رسلان بن نصير . الولوى أبوالفضل وأبو الرضا . ولد سنة ٨١٢ هـ ، وتوفى سنة ٨٦٥ هـ (السخاوى – الضوء اللامع ٢ : ١٨٨–١٨٩) .

(٣) هو يوسف بن أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج بن عبد الله بن عبد الرحمن . الجمال أبوالمحاسن الباعونى المقدسى ، ولد سنة ٨٠٥ هـ وتوفى سنة ٨٨٠ هـ (السخاوى – الضوء اللامع ١٠ : ٢٩٨–٢٩٩)

وفيه ورد الخبر من مكّة المشرّفة بموت الأمير يَرْشْباى الإينالى المؤيدى رأس المماليك المجاورين بها ، فأنعم السلطان بإقطاعه فى يوم الثلاثاء على دُولاَت باى[1] الأشرفى السّاقى ، وعلى خير بَك من حديد الأشرفى الدّوادار ، نصفيْن بالسّويّة ، لكل منهما إمرة عشرة .

واستهلّ شهر رمضان — أوله الجمعة — فى يوم السبت ثانيه خلع السلطان على الأمير جانِبَك الظاهرى أحد أمراء مقدمى الألوف بسفره إلى بندر جدّة على عادته فى كل سنة ، وخرج من الغد متوجها إلى جدّة فى غاية التجمل والحرمة .

وفى يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان المذكور عيّن السلطان الأمير خُشْقَدَم الناصرى المؤيدى أمير سلاح إلى سفر الوجه القبلى ؛ لقتال العرب الخارجة عن الطاعة ، وعيّن معه مائتى مملوك ، وسافروا يوم الثلاثاء ثانى عشره .

وفى هذا الشهر قوى الاهتمام بسفر المجاهدين ، وقاست الناس من أعوان سُنْقُر الزَّرَدْكَاش شدائد يطول الشرح فى ذكرها ، حتى قال بعض الشعراء الموالة بليّقا ، تعرّض فيه لظلم سُنْقُر الزَّرَدْكَاش وحواشيه ، بقوله :

قبل الغزا جاهـــد فى الناس
فصـار الظلم أنواع وأجنـاس
من طلب هذا الغزا واحتاج لواس

ووقع بسبب عمارة هذه المراكب مظالم لا تحصى ، من قطع أشجار الناس عسفا ، وأخذهم ما يحتاجون إليه ظلما ، وزاد ظلم سُنْقُر هذا على الناس حتى جاوز الحد ، فلا جرم أن الله تعالى عامله بعد ذلك من جنس فعله فى الدنيا ، بما قاساه من النفى والحبس وأخذ المال ، مع الذل والهوان والصغار ، وحلّ به كل مصيبة ، حتى أحرقت داره بجميع ما فيها ، ثم نهب ما فضل من الحريق ، وتشتّتَ فى البلاد على أقبح وجه ، هذا فى الدنيا وأما الأخرى فأمره إلى الله تعالى .

(١) فى ص « دولات باى حمام الأشرفى » وفى هامش و . بوبر ٧ : ٥٤٥ عن كتاب الحوادث « عرف بحمام » .

وفى يوم الأحد أول شوال عيّن السلطان الأمير كُزُل السودونى المعلّم، والأمير بَرْسْباى الأشرفى الأمير آخور للتوجّه إلى الإسكندرية وصحبتهما مائة وخمسون مملوكا من المماليك السلطانية، لأخذ ما هناك من المراكب، والتوجّه بها إلى ثغر دِمْيَاط من البحر الملح، ليكون سفر جميع المجاهدين من مينة واحدة، وهى مينة دمياط.

ثم فى يوم الأربعاء رابع شوال أنفق السلطان فى المجاهدين من المماليك السلطانية، للفارس والراجل سواء، لكل واحد مبلغ خمسة عشر دينارا، وأنفق على كل مملوك من المماليك الذين يتوجّهون مع كُزُل وبَرْسْباى المقدم ذكرهما عشرة دنانير الواحد.

ثم فى يوم الاثنين تاسعه نزل السلطان الملك الأشرف إينال فى موكب هائل من قلعة الجبل بأمرائه وخاصكيته وأعيان دولته إلى جزيرة أروى المعروفة بالوسطى بساحل النّيل؛ لينظر ما عُمّر من المراكب، فسار إلى هناك فى موكب عظيم، ونظر المراكب، وخلع على سُنْقُر قَرَق شَبَق الزَّرَدْكَاش المقدَّم ذكره، وعلى جماعة أخر ممن باشر عمل المراكب، ثم عاد من حيث جاء من قناطر السباع، فلم يبتهج الناس لنزوله، لعظم ما قاسوه من الظلم فى عمل هؤلاء المراكب، من قلة الإنصاف والجور فى حقّ العمال من أرباب الصنائع وغيرهم، ولولا أن الأمر منسوب إلى نوع من أنواع الجهاد لذكرنا من فعل سُنْقُر هذا ما هو أقبح من أن نذكره.

ثم فى يوم الثلاثاء سابع عشر شوال سافر المجاهدون فى بحر النيل إلى ثغر دمياط، ومقدم العساكر يوم ذاك فى البر الأمير يُونُس الأَقْبائى الدوادار الكبير، وفى البحر الأمير قانم من صَفَر خَجا [1] المؤيدى التاجر أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية، ومعهما بقية الأمراء، وهم: الأمير سودون الإينالى المؤيدى المعروف بقراقاش حاجب الحجاب وغيره، وخلع السلطان على هؤلاء الثلاثة المذكورين، وخلع أيضا على جاكُم

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٥٤٨ عن كتاب الحوادث تفسيرا لمقدم العساكر فى البحر حيث قال: «أعنى أن العساكر لما تصل إلى جزيرة قبرس يستمر هو فى البحر لا يطلع إلى قتال الفرنج بل يكون دركه أمر مراكب الغزاة والدفع عنها ممن عساه يجىء إلى أخذها من الفرنج فى البحر».

الفرنجى خلعة نُخّ (١) بقاقُم ، ونزل جميع الغزاة فى خدمتهم إلى بحر النيل ، وسافر هؤلاء الأمراء الثلاثة إلى دمياط من يومهم ، وبقى من عداهم يسافرون أرسالا فى كل يوم ، إلى يوم الثلاثاء القابل ؛ لكثرة عدة العساكر .

وأما مقدار عدد من سافر فى هذه الغزوة من الأمراء والجند فعدّة كبيرة .

فأولهم أمراء الألوف الثلاثة المقدم ذكرهم .

ثم من أمراء الطبلخانات ثلاثة أيضاً ، وهم : الأمير بُرْدبَك البجمقدار الظاهرى ثانى رأس نَوْبَة ، وجانبك من أمير الخازندار الأشرفى، ويشبك من سَلْمان شاه الفقيه المؤيدى رأس نوبة .

ومن أمراء العشرات جماعة ، وهم : جَكَم الأشرفى خال الملك العزيز يوسف ، ودُقْماق اليَشْبكى ، وكَسْباى الشِّشْمانى المؤيدى ، وطوخ الأبو بكرى المؤيدى رأس نوبة ، وقانم نعجة الأشرفى رأس نوبة ، وسنقر قرق شبق الأشرفى الزردكاش المقدم ذكره ، وقَراجا الأعرج الطويل أحد مماليك السلطان القديمة .

وأما المماليك السلطانية فعدّتهم تزيد على خمسمائة نفر تخميناً .

وهذا خلا المطوِّعة وغيرهم من الخدم والمراكبية وأنواعهم .

وفى يوم الخميس تاسع عشر شوال خرج أمير حاج المحمل بالمحمل ، وهو الأمير تمُرْباى من حمزة الناصرى المعروف بططَر أحد أمراء العشرات ، وأمير الركب الأوّل تَنَم الحسينى الأشرفى رأس نوبة .

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه أمسك السلطان زين الدين الأستادار ، وجَنْزَرَه (٢) وحبسه بالبحرة من الحوش السلطانى ، وندب الصاحب شمس الدين منصور [بن الصفى] (٣) لمحاسبته فقامت المماليك الأجلاب على منصور حمية لزين الدين ، فراج أمر زين الدين

---

(١) النخ بساط مستطيل ، وهو فارسى معرب (اللسان) . ولعل المراد خلعة من نسيج يشبه البساط .

(٢) أى وضع الجنزير فى رقبته « هامش و . پوپر ٧ : ٥٥٠ عن كتاب الحوادث » .

(٣) إضافة عن هامش (و . پوپر ٧ : ٥٥٠) .

لذلك ، لعلم الناس أن السلطان مسلوب الاختيار مع مماليكه الأجلاب ، واستمر زين الدين بالبحرة إلى يوم الأحد ، فأخرجه السلطان واستقرّ به أستاداراً على عادته ، ولبس خلعة الأستادارية من الغد فى يوم الاثنين أول ذى القعدة .

ثم فى يوم الأربعاء ثالث ذى القعدة وصل الأمير خُشْقَدَم أمير سلاح من الوجه القبلى بمن معه من المماليك السلطانية .

وفى يوم الأربعاء سابع عشره قُتل ابن غريب البدوى

وفى يوم الاثنين هرب زين الدين الأستادار واختفى بحيث إنه لم يُعرف له مكان ، واستقرّ الصاحب شمس الدين فى الأستادارية عوضه .

ثم استهلت سنة خمس وستين وثمانمائة

فكان أول المحرم الخميس .

ثم فى يوم السبت ثالثه وصل الأمير جانِبَك الظاهرىّ أحد مقدّمى الألوف من بندر جدّة إلى الديار المصرية ، بعد أن حَجَّ وحضر الموسم بمكة ، وبات بتربة الملك الأشرف إينال بالصحراء ، وطلع إلى القلعة من الغد فى يوم الأحد ، وخلع السلطانُ عليه ونزل إلى داره فى موكب عظيم .

وفى يوم الخميس ثانى عشرين المحرّم وصل أمير الركب الأوّل الأمير تَنَم الحسينى الأشرفى ، وخلع عليه السلطان ، وأصبح فى يوم الجمعة وصل أمير حاج المحمل تَمُرْباى ططر بالمحمل ، وخلع السلطان عليه أيضاً .

وفى يوم الجمعة سلخ المحرم وصل إلى القاهرة جماعة من الغزاة وأخبروا أن العساكر الإسلامية بأجمعها خرجوا من جزيرة قبرس فى يوم الجمعة ثالث عشرين المحرم وساروا على ظهر البحر الملح يريدون السواحل الإسلامية ، فهبّت عليهم ريح عظيمة شَتّتت شملهم وتوجهوا إلى عِدّة جهات بغير إرادة ، وكانت مركب هؤلاء وصلت إلى ساحل الطينة ،

وأخبروا أيضاً بموت الأمير سُودُون قراقاش حاجب الحجاب[(١)] ، ثم وصل من الغد بردبك عَرَب الأشرفي[(٢)] الخاصكي ، وأخبر بنحو ما أخبر به هؤلاء المماليك ، وأعلم السلطان أيضاً أن الأمير يونس الدوادار تَرَكَ بجزيرة قبرس جماعةً من المماليك السلطانية ومماليك الأمراء قوة لجا كُم صاحب قبرس ، وجعل مقدمهم جانِبَك الأبلق الظاهري الخاصكي ، وأن جماعة كبيرة توفوا إلى رحمة الله تعالى من عظم الوخم .

واستهل صفر يوم السبت .

ثم في يوم الأربعاء خامسه استقر الأمير كَسباى المؤيدى السمين نائب القلعة في نيابة الإسكندرية بعد الأمير جانِبك — نائب بعلبك — النَّوْرُوزي ، فاستقر خير بك القصروي والى القاهرة نائب القلعة عوضاً عن كَسباى المذكور ، بمال بذله في ذلك .

ثم في يوم الخميس سادس صفر استقرَّ على بن إسكندر[(٣)] والى القاهرة ، واستقر تَمَ من نَخْشَبَاى[(٤)] الظاهري الخاصكي المعروف برصاص في حسبة القاهرة ، عوضاً عن على بن إسكندر ، وكلاهما وَلى بالبذل ، وتَمَ هذا هو أوّل تركى ولى الحسبة[(٥)] بالبذل ، ولم نسمع ذلك قبل تاريخه ، لا قديماً ولا حديثاً .

وفي يوم الجمعة سابعه — الموافق لخامس عشرين هاتور — لبس السلطانُ القماشَ الصّوف الملوّن ، المعتد لبسه لأيام الشتاء ، وألبس الأمراء على العادة .

ثم في يوم السبت خامس عشره وصل المجاهدون جميعاً إلى ساحل بولاق ، وباتوا بالميدان الكبير عند بركة الناصرية ، وطلعوا إلى القلعة من الغد في يوم الأحد ، وقبلوا

(١) أضاف و. پوپر في هامش ٧—٥٥٢ عن كتاب الحوادث « من مرض تمادى به أزيد من عشرة أيام ، وبموت جماعة أخر من الخاصكية وغيرهم » .

(٢) في ص « برد بك الأشرفي » .

(٣) أضاف و. پوپر في هامش ٧ : ٥٥٢ عن كتاب الحوادث « ابن أخت زوجة كشبغا الفيسى » .

(٤) كذا في ص ، وفي ط . كاليفورنيا « نخشايش » .

(٥) المقصود بذلك حسبة القاهرة ، ولهذه الإشارة أهمية في أحوال الوظائف وموظفيها في عصر سلاطين المماليك .

الأرض ، وخلع السلطان على الأمير يونُس الدّوادار أطلسين مُتَمَّرًا ، وفوقانيا بطرز زركش ، كما هى عادة خلعة الأتابكية ، فتعجّب الناس من ذلك ، وقيّد له فرسًا بسرج ذهب ، وكُنْبوش زركش .

ثم خلع على الأمير قانَم المؤيدى أحد مقدمى الألوف فوقانيا بطرز زركش .

وكذلك خلع على جميع الباشات[1] من الأمراء .

ونزل الجميع فى خدمة الأمير يونس الدّوادار إلى بيته تجاه الكبش[2] ، ثم عاد كل واحد إلى داره .

ثم فى يوم الاثنين رابع عشرين صفر أنعم السلطان على الأمير يَلَبَاى الإينالى المؤيدى الأمير آخور الثانى بإمرة مائة وتقدمة ألف ، بعد موت سودون قراقاش بقبرس ، وأنعم بإقطاع يَلَبَاى المذكور — وهو إمرة طبلخاناه — على الأمير تَمُرباى من حمزة المعروف بططر ، وأنعم بإقطاع تَمُرباى ططر على جانبك الأشرفى قلقسيز ، فلم يقبله جانبك المذكور ، وأنعم به على الأمير قانى بك السيفى يَشْبُك بن أزْدَمُر ، وأنعم بإقطاع قانى بك المذكور — وهو إمرة عشرة أيضا — على دُولاَت بَاى الخاصكى الأشرفى المعروف بدولات باى سكسن ، أعنى ثمانين ، ولم يكن دُولاَت هذا أهلا لذلك ، وإنما هى أرزاق مقسومة إلى البرّ والفاجر .

وفى يوم الخميس سابع عشرين صفر استقر الأمير بِيبَرس الأشرفى خال الملك العزيز يوسف حاجب الحجاب بالديار المصرية ، عوضا عن سُودُون قَرَاقَاش بحكم وفاته بقُبْرُس ، واستقر الامير بُرْدبَك المحمدى الظاهرى الهجين الأمير آخور الثالث أمير

---

(١) الباشات : جمع باش واللفظ تركى يعنى الرؤساء والقادة (شمس الدين سامى — قاموس تركى ١ : ٦٥ ط استنبول سنة ١٣١٧ هـ) .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٢٥٣ عن كتاب الحوادث « إلا قائما فإنه فارقه من المدرج إلى جهة داره بالقرب من سويقة الصاحب ، ولم يبتهج الناس لقدوم العساكر على هذا الوجه ، بل ربما أسمعهم العوام التوبيخ لعودهم إلى القاهرة بغير طائل على ما سنبينه الآن » .

آخور ثانيا عوضا عن الأمير يَلَباى المقدم ذكره ، واستقر قَرَاجا الطويل الأعرج الأشرفى أمير آخور ثالثا عوضا عن بُرْدبك الهجين .

ثم فى يوم الخميس رابع شهر ربيع الأول أستقر الأمير مُغُلْباى طاز الأبو بكرى المؤيدى أمير حاج المحمل ، واستقر تَنِبك البوّاب الأشرفى الخاصكى أمير الرّكب الأوّل .

ثم فى يوم الأحد سابع شهر ربيع الأوّل المذكور عمل السلطانُ المولد النبوى على العادة فى كل سنة بالحوش السلطانى .

ثم سافر المقام الشهابى أحمد بن السلطان إلى السّرحة ، ومعه أخوه محمد من الغد فى يوم الاثنين ثامنه إلى جهة الوجه البحرى شرقا وغربا ، وسافر معه جماعة من الأعيان وأمراء العشرات .

ثم فى يوم الخميس سادس عشره استقرّ على بن الأهناسى وزيراً بعد استعفاء الصاحب فرج بن النحّال .

ثم فى يوم السبت حادى عشرينه حبس السلطان القاضى صلاح الدين أمير حاج المكينى بحبس الرحبة ، وسبب ذلك أنه كان استبدل وقفاً فشُكِىَ عليه بسبب ذلك الوقف ، فرسم السلطان بحبسه فَحُبس إلى آخر النهار ، ثم أطلق مِنْ يومه بعد أن قُرِّرَ عليه مبلغ من الذهب .

ثم فى يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر نُودى بزينة القاهرة لقدوم أولاد السلطان من السَّرحة ، ووصلا فى يوم الثلاثاء ثامن عشر ربيع الآخر المذكور ، وشقَّا القاهرة فى موكب هائل ، وطلعا إلى القلعة ، وخلعَ عليهما والدهما السلطانُ الملك الأشرف إينَال ، ثم نزلا فى وجوه الدّولة إلى بيت[١] المقام الشهابى أحمد ، وهو الأخ الأكبر ، وأتابك العساكر بالديار المصرية .

(١) وهو قصر بكتمر الساقى الناصرى تجاه الجاولية بالقرب من الكبش . عن هامش و . پوپر ٧ : ٥٥٥ نقلا عن كتاب الحوادث .

وفى يوم الاثنين خامس عشرينه استقرّ إينال الأشقر الظاهرى الخاصكى والى القاهرة بعد عزل على بن إسكندر .

واستهل جمادى الأولى يوم الخميس .

فى ثالثه يوم السبت مرض السلطان الملك الأشرف إينال مَرَض الموت ، وَلزم الفرَاش .

فلما كان يوم الاثنين خامسه وصل الأمير بُرْدبك الدّوَادار الثانى ، والأمير ناصر الدين نقيب الجيش من الطِّينة ، وكان توجها قبل تاريخه لينظرا مكان البُرج الذى يريدون عمارته هناك .

ثم فى يوم الاثنين ثانى عشره أرْجِف بموت السلطان ، ولم يصح ذلك ، وأصبح الناس فى هرج ، وماجوا ووقف جماعة من العامة عند باب المدرّج — أحد أبواب القلعة — فنزل إليهم الوالى وبدّد شملهم .

ثمّ نُودىَ فى الحال بالأمان والبيع والشراء ، وأن أحدا لايتكلم بما لايعنيه ، فسكن الأمرُ إلى يوم الأربعاء رابع عشر .

فلما كان ضحوة يوم الأربعاء المذكور طُلِب الخليفة والقضاة الأربعة إلى القلعة ، وطَلعت الأمراء والأعيان ، واجتمعوا الجميع بالدهيشة ، فلم يشك أحد فى موت السلطان[1] ، فلم يكن كذلك ، بل كان الطلب لسلطنة المقام الشهابى أحمد قبل موته .

فلما تكامل الجمع خلعَ السلطان نفسه من السلطنة بالمعنى ؛ لأنه ما كان إذ ذاك يستطيع الكلام ، بل كلمهم بما معناه أن الأمر يكون من بعده لولده ، فعلموا من ذلك أنه يريد خلع نفسه وسلطنة ولده ، ففعلوا ذلك كما سيأتى ذكره فى محله ، فى أوّل ترجمة الملك المؤيد أحمد إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى ص « فلم يشك الناس أن السلطان قد توفى » وما أثبته عن ط . كاليفورنيا .

ومات الأشرف إينال فى الغد حسبما نذكره .

وكانت مدة تحكم الملك الأشرف إينال هذا — من يوم تسلطن بعد خلع الملك المنصور عثمان إلى هذا اليوم ، وهو يوم خلع نفسه من السلطنة — ثمانى سنين وشهرين وستة أيام .

ومات فى يوم الخميس خامس عشر جمادى الأولى بعد خلعه بيوم واحد بين الظهر والعصر ، فجُهِّز من وقته ، وغُسِّل وكفن ، وصلى عليه بباب القلة من قلعة الجبل ، ودُفن من يومه بتربته التى عمَّرها بالصحراء ، وقد ناهز الثمانين من العمر ، وكان جاركسى الجنس ، وقد تقدَّم الكلام على أصله ، وجالبه إلى القاهرة ، وكيفية ترقيه إلى أن تسلطن فى أول ترجمته من هذا الكتاب .

وكانت صفته — رحمه الله — أخضر اللون للسمرة أقرب ، طوالا ، غالب طوله من وسطه ونازل ، قصير البِشْت(١) ، رقيق الوجه نحيف اليد ؛ لحيته فى حنكه ، وهى شعرات بيض ، ولهذا كان لا يعرف إلا بإينال الأجرود ، وفى كلامه رخو مع خنث كان فى لهجته ، ولهذا لما لبس السَّواد خلعة السلطنة كان فيها غير مقبول الشكل ، لكونه أسمر اللون ، والخلعة سوداء ، فلم تبتهج الناس برؤيته ، ولذلك أسباب :

السبب الأول . ما ذكرناه من صفته وسواد الخلعة ، والسبب الثانى وهو الأغلب لقرب عهد الناس من شكل الملك المنصور عثمان (٢الشكل الظريف٢) البهى ، والفرق واضح لأن المنصور كان سنه دون العشرين سنة من غير لحية ، وهو فى غاية الحسن والجمال — أحسن الله عونه — والأشرف إينال هذا سنه فوق السبعين ، وقد علمت صفته مما ذكرناه ، فلا لوم على من لا يعجبه شكل الأشرف إينال ولا عتب ، وكان له محاسن ومساوئ ، والأول أكثر .

فأما محاسنه ، فكان ملكا جليلا ، عاقلا رئيسا سيوسا ، كثير الاحتمال ، عديم

(١) البشت : كساء من صوف غليظ النسج لا كمين له (المعجم الوسيط ١ : ٥٧) ولعل المراد الجزء الذى يغطيه هذا البشت من الجسم .

(٢–٢) إضافة من ط . كاليفورنيا .

الشّر ، غير سبّاب ولافحّاش فى حال غضبه ورضاه ، وكان عارفا بالأمور والوقائع والحروب، شجاعا مِقداما ، كثيرالتجارب للخطوب والقتال ، عظيم التروى فى أفعاله ، ثابتا فى حركاته ومهماته ، له معرفة تامة بملوك الأقطار فى البلاد الداخلة فى حكمه ، وفى الخارجة عن حكمه أيضا ، عارفا بجهات ممالكه شرقاوغربا ، فهماً بفنون الفروسية وأنواعها، لايحب تحرك سا كن ولا إثارة فتنة ، وعنده تؤدة فى كلامه واحتمال زائد ، يؤديه ذلك إلى عدم المروءة عند من لايعرف طباعه ، ومن محاسنه أنه منذ سلطنته ماقتل أحدا من الأمراء ولا من الأجناد الأعيان ، على قاعدة من تقدمه من الملوك ، إلامن وجب عليه القتل بالشرع أوبا لسياسة ، وأيضا أنه كان قليلا ما يحبس أحدا ولاينفيه ، سوى من حبس فى أوائل دولته من أعيان الأمراء كما هى عوائد أوائل الدولة ، ثم بعد ذلك لم يتعرض لأحد بسوء ، إلا أنه نفى جماعة عندما ركبوا عليه ثانيا فى حدود سنة ستين، وخلع الخليفة القائم بأمر الله حمزة بسبب موافقته لهم على قتاله ، ثم حبسه بالإسكندرية ، وهو معذور فى ذلك ، ولو كان غيره من الملوك لفعل أضعاف ذلك ، بل وقتل منهم جماعة كثيرة ، وبالجملة فكانت أيّامه سكونا وهدوءا ورياقة وحضور بال ، لولا ما شان سؤدده [من][(١)] مماليكه الأجلاب ، وفسدت أحوال الديار المصرية بأفعالهم القبيحة ، ولولا أن الله تعالى لطف بموته ، لكان حصل الخلل بها ، وربما خربت وتلاشى أمرها ، هذا ما أوردناه من محاسنه ، بحسب القوة والباعثة .

وأما مساوئه ، فكان بخيلا شحيحا مسيكا ، يبخل ويشح حتى على نفسه ، وكان عاريا من العلوم والفنون المتعلقة بالفضائل ، كان أُمّيًّا لا يعرف القراءة والكتابة حتى كان لا يحسن العلامة على المناشير والمراسيم إلا برسم الموقع له بالنقط على المناشير ، فيعيد هو على النقط بالقلم .

هذا مع طول مكثه فى السعادة والرياسة والولايات الجليلة ثم السلطنة ، ومع هذا لم يهتد إلى معرفة الكتابة على المناشير ولا غيرها ، فهذا دليل على بلادة ذهنه وجمود

(١) إضافة يقتضيها السياق .

فكره ، ولعله كان لا يحسن قراءة الفاتحة ولا غيرها من القرآن العزيز فيما أظن ، وكانت صلاته للمكتوبات صلاة عجيبة ، نقرات ينقر بها ، لا يعبأ الله بها ، وكان مع هذه الصلاة العجيبة لا يحب التملق ، ولا إطالة الدّعاء بعد الصلاة ، بل ربما نهى الداعى عن تطويل الدعاء ، ولم يكن بالعفيف عن الفروج ، بل ربما اتهمه بعض الناس بحب الوجوه الملاح والصباح من الغلمان — والله تعالى أعلم بحاله — إلا أنه كان يعف عن تعاطى المنكرات المسكرات .

وكان — فى الغالب — أموره وأحكامه مناقضة للشريعة ، لا سيما لما أُنْشِئَت مماليكه الأجلاب ، فإنهم قلبوا أحكام الشريعة ظهرا لبطن ، وهو راضٍ لهم بذلك ، وكان يمكنه إرداعهم بكل ممكن ، ومن قال غير ذلك فهو مردود عليه ، وأحد أقوال الردّ عليه قول من يقول : فكيف سطوة السلطنة مع عدم[1] قوته لرد هؤلاء الشرذمة القليلة مع بُغض العالم لهم ، وضعفهم عن ملاقاة بعض العوام ؟ ! فكيف أنت بهم وقد ندب لهم طائفة من طوائف المماليك ؟ ! ومثل هذا القول فكثير ، وأيضا رضاه بما فعله سُنْقُر قَرَق شَبَق الزردكاش عند عمارته لمراكب الغزاة ، لأن سنقر فعل أفعالا لا يرتضيها من له حظ فى الإسلام ، وكان يمكنه ردّه عن ذلك بكل طريق ، بل كان يخلع عليه فى كل قليل ، ويشكر أفعاله ، فرضاه بفعل مماليكه الأجلاب ، وبفعل سنقر هذا وأشباه ذلك هو أعظم ذنوبه ، وما ساء منه النّاس وأبغضته الخلائق وتمنوا زوال ملكه إلا لهذا المعنى ، ومعنى آخر وهو ليس بالقوى وهو ثقل وطأة ولده وزوجته ومملوكه بُرْدبك الدوادار .

قلتُ : والأصح عندى هو الذنب الأوّل ، وأما هؤلاء فكان ثقلهم على مباشرى الدولة أو على من يسعى عندهم فى وظيفة من ولاية أو عزل ، أو أمر من الأمور ، فعلى هذا كان ضررهم خصوصا لا عموما ، وأيضا لا يشمل ضررهم إلا لمن جاء إلى بابهم

(١) فى ص « مع قوته » والمثبت عن ط . كاليفورنيا .

أو قصدهم فى حاجة دنيوية ، فهو أحق بما يحل به ، لأنه هو الساعى فى إيذاء نفسه ، والمثل يقول : « من قتلته يديه لا بكاء عليه » .

نعم وكان من مساوئه مخافة السبل فى أيامه بالقاهرة والأرياف ، حتى تجاوز الحدّ ، وعمّرت الناس على بيوتهم الدروب لعظم خوفهم من دقّ المناسر وقطّاع الطريق بالأرياف ، مع أنه كان قاطعا للمفسدين ، غير أن الحمايات كانت كثيرة فى أيامه ، وهذا أكبر أسباب خراب الدّيار المصرية وقراها ، ومن يوم تجددت هذه الحمايات فسدت أحوال الأرياف قبليها وبحريها ، وهذا البلاء ما كثر وفشا فى الدّولة إلا بعد الدّولة المؤيديّة شيخ ، واستمرت هذه السنة[1] القبيحة إلى يومنا هذا ، والعجب أنه ليس لها نفع على السلطان ولا على بلاده ، وإنما هى ضرر محض على السلطان والناس قاطبة ، والملك لا يلتفت إلى إزالتها ، مع أنه لو منع ذلك لم يُضَر أحد من الناس ، وانتفع الناس جميعا بمنعها ، وعمرت غالب البلاد ، وتساوت الناس ، وبالمساواة تعمر جميع الممالك ، غير أن الفهم والعقل والتدبير منح إلاهية ، فلا يفيد الكلام فى ذلك ، ولله در القائل : [الوافر] .

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيًّا ولكن لاحياةَ لمن تنادى
ونارٌ لو نفختَ بها أضاءتْ ولكن أنت تنفخُ فى الرمادِ

وقد خرجنا عن المقصود .

ولما كثر فساد المماليك الأجلاب عمل بعضُ الظرفاء بَلِّيقا[2] ، ذكر فيه أفعال الأجلاب ومساوئهم ، واستطرد إلى إلى أن قال فى آخره :

حاشا لله دوام هذى النقمه ونحن أفضل برية من أمه
نَبينا ما حَدّ مِثْلو

---

(١) فى ط — كاليفورنيا «السيئة» .

(٢) البليق : ويجمع على بلاليق وهو أغنية شعبية هزلية (قاموس دوزى ، وانظر ج ٩ : ١٣٩ من هذا الكتاب ط . دار الكتب ، و د . حسين نصار — الشعر الشعبى ص ١١١) .

أزاح عنا كيد الكفار   وقد رُمينا بيد الأشرار
فكل حد ماسك ديلو
متى يزيح عنا هذى الدولة   ويحكم الناس مَنْ لُوصَوْله
وترتاح البرية فى عَدْلُو
فالله بجاه سيد عدنان   عوّض لنا منك بإحسان
هذا الجيل إنتا أهْلُو

فوالله العظيم لم تمضِ عليه سنة بعد ذلك ، بل ولا ستة أشهر حتى مرض ومات ، فهذا ما ذكرناه من محاسن الملك الأشرف إينال ومساوئه ، ونرجو الله تعالى أن يكون ذلك على الإنصاف لا على التحامل .

السنة الأولى من سلطنة الملك الأشرف إينال على مصر

وهى سنة سبع وخمسين وثمانمائة .

على أن الملك المنصور عثمان حكم منها إلى ثامن شهر ربيع الأول .

وفيها — أعنى سنة سبع وخمسين المذكورة — تُوُفِّىَ الشهابى أحمد ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى بن عبد الرَّزَّاق بن أبى الفرج متولى قَطْيا ، فى أوائل المحرم ، وهو فى الكهولية .

وتُوُفِّىَ السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جَقْمَق العلائى الظاهرى فى ليلة الثلاثاء ، ثالث صفر ، ودفن من يومه حسبما تقدم ذكره فى ترجمته مستوفاة فى هذا الكتاب ، فلتنظر فى محله .

وتُوُفِّىَ الأمير أَسَنْبُغا بن عبد الله الناصرى [1] الطيَّارى رأس نَوبَة النوب فى ليلة السبت سادس شهر ربيع الأول ، فى أيام الفتنة ، وهو فى بيت الأمير قَوْصُون ، وعليه آلة السلاح ، شبه الفجاءة ، وكانت مدة مرضه يوما واحدا ، وصلَّى عليه الأتابك إينال العلائى بدار قوصون المذكورة ، وجميع الأمراء وعليهم آلة السلاح ، ثم حُمل ودفن من يومه فى الصحراء ، ومات وهو فى عشر الثمانين تخمينا ، وكان من محاسن الدّنيا كَرَماً وعَقْلاً وشجَاعَةً وتواضعاً ومعرفة ، كان كامل الأدوات ، قلَّ أن ترى العيونُ مِثْلَه — رحمه الله تعالى .

---

(١) جاء فى هامش ص «وأسنبغا هذا أصله من مماليك الوزير ناصر الدين محمد بن كلبك ، ثم خدم عند سودون الطيار » ، وحظى عنده وبه عرف ، ثم تنقل فى الدول إلى أن تأمر فى الدولة الأشرفية برسباى أمير عشيرة ، ثم تنقل فى الخدم كما ذكر الجمالى يوسف فى تاريخه المسمى بالحوادث ، وذكر أيضا أنه نكب فى دولة الأشرف برسباى وأوذى وأخرج إلى البلاد الشامية ، ثم طلبه الأشرف ثانيا وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه وحجوبية ثانية ، ودام على ذلك إلى حين نقله الظاهر جقمق إلى الدوادارية الثانية وغيرها» وواضح أن هذه التهميشة من كلام معلق على الكتاب وذلك من قوله كما ذكر الجمالى يوسف فى تاريخه الخ » .

وتُوُفِّي الأمير جَانِبَك بن عبد الله اليَشْبُكى والى القاهرة، ثم الزردكاش، فى ليلة الخميس ثامن عشر شهر ربيع الأوّل، وهو فى أوائل الكهولية، ودفن من الغد، وكان أصله من مماليك الأمير يشبك الجكمى الأمير آخور، ثم اتصل بعد موته بخدمة السلطان، ثم صار خاصكيًّا فى الدولة الأشرفية بَرْسْباى، وصحب الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جَكَم ناظر الخواص، فروّجه فى المملكة، حتى صار ساقيا فى الدولة الظاهرية جقمق، ثم تأمر عشرة بعد مدة طويلة، وصار من جملة رءوس النوب، ثم استقر والى القاهرة، ثم أضيف إليه حِسْبَة القاهرة فى سنة أربع وخمسين، ثم انفصل من الحسبة، واستمر فى الولاية سنين كثيرة، إلى أن نقل إلى وظيفة الزَّرَدْكَاشِيَّة فى الدولة المنصورية عثمان، بعد انتقال الأمير لاجين الظاهرى إلى شد الشراب خاناه، وتولى عوضه ولاية القاهرة يشبك القرمى الظاهرى، فلم تطل أيّامُه زَرَدكاشًا، ومات فى أوائل الدولة الأشرفية إينال، حسبما تقدم وفاته؛ وكان مليح الشكل متجملا، (١حسن المحاضرة١) — رحمه الله تعالى.

وتُوُفِّيَ الأميرُ سيفُ الدين أَرَنْبُغا اليُونُسِيّ الناصرى أحد مقدمى الألوف بالدّيار المصريّة فى ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأوّل، وسِنُّه زيادة على السبعين، وأنعم السلطان بتقدمته على الأمير دُولاَت بَاى المحمودى الدَّوَادار بعد مجيئه من السّجن بمُدَّة، وكان أَرَنْبُغا هذا تَتَرِيَّ الجنس من مماليك الملك الناصر فَرَج، وهو أخو سَوِنْجبُغا الناصرى، وأَرَنْبُغا هذا هو الأكبر، وتنقلت بأَرَنْبُغا هذا الأحوالُ إلى أن تأمّر فى دولة الملكِ الأشرف بَرْسباى عشرة، وصار من جملة رءوس النَّوَب، وطالت أيّامه، وحجّ وجاور فى مكّة غير مرّة، ثم نقل فى الدّولة الظاهريّة جَقْمَق إلى إِمْرَة طبلخاناه، ثم صار فى أوائل دولة الأشرف إينال أمير مائة ومقدّم ألف، فلم تَطُل مدّتُه، ومات فى التاريخ المقدم ذكره؛ وكان أميرا شُجاعا مِقْداما عارفا

(١ — ١) الإثبات عن ط. كاليفورنيا.

بالحروب وأنواعها ، إلا أنه كان مُسْرِفا على نفسه مع قِلَّة تجمّلٍ فى ملبسه ومماليكه وخدمه — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين سمام الحسنى الظاهرى الحاجب الثانى ، وأحد العشرات فى ليلة الاثنين سادس شهر ربيع الآخر ، ودُفِنَ من الغد ، وسنه نيّف على السبعين ، وكان رجلا ساكنا قليل الخير والشر ، لا للسيف ولا للضيف .

وتُوُفِّىَ الشيخُ الإمامُ المعتقد الواعظ شهابُ الدين أحمد ابن الشيخ الإمام العارف بالله محمد وفاء الشاذلى المالكى المعروف بابن أبى الوفاء ، فى يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر ، ودفن بتُرْبَتهم بالقرافة الصغرى ، وكان جلس للوعظ والتذكير على عادتهم ، وصار على وعظه أُنسٌ وقبول من الناس إلى أن مات — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن القاضى ناصر الدِّين محمد ابن العلاّمة شرف الدين عبد المنعم البغدادى(١) الحنبلى ، قاضى الديار المصرية ورئيسها ، فى ليلة الخميس سابع جُمَادى الأولى ، ودفن من الغد ، وحضر الخليفةُ القائم بأمر الله حمزةَ الصلاةَ عليه بمصلّاة باب النصر ، ودُفن بالتُّربة الصوفية ، وكانت جنازته مشهودة ، كثر أسف الناس عليه ، لحسن سيرته ولعفتة عما يُرْمَى به قضاة السوء ، ومات وهو فى أوائل الكهولية ، وكان له اشتغال ومعرفة تامة بصناعة القضاء والشروط والأحكام ، وأما سياسة الناس ومحبته لأصحابه وكرمه وسؤدده فكان إليه المنتهى فى ذلك ، وكان قامعا لشهود الزورِ والمناحيس ، وبالجملة فكان بوجوده نفع للمسلمين — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير الوزير سيف الدين تغرى بردى القلاوى الظاهرى قتيلا فى واقعة كانت بينه وبين سَوِنْجبُغَا الناصرى ، وهى واقعة عجيبة ، لأنهما تماسكا على الفرسين ، فقتل الواحد الآخَر ، ثم قتل الآخر فى الحال ، كلاهما مات على فرسه ، وذلك فى يوم السبت سادس عشر جمادى الأولى ، وقد ذكرنا واقعتهما فى تاريخنا «حوادث الدهور» مفصلا ، فلينظر هناك ، وكانت نسبته بالقلاوى إلى ناحية قلا ، لما كانت إقطاعا لأستاذه الملك الظاهر جَقْمَق

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ١٣١–١٣٤) ومولده فى سنة ٨٠١ هـ .

لما كان أميرا، ولم يكن تغرى بردى هذا مشكور السيرة فى ولايته — عفا الله تعالى عنا وعنه.

وتُوُفِّىَ الأميرُ سونجبغا اليونسى الناصرى ببلاد الصعيد فى وقعته مع تَغرى بردى القلاوى فى يوم واحد حسبما تقدم ذكره، وسنه زيادة على الستين، وهو أخو أَرْنَبُغا المقدم ذكره، غير أن أَرْنَبُغا كان مشهورا بالشجاعة والإقدام، وسونجبغا هذا لا شجاعة ولا كرما.

وتُوُفِّىَ الشيخ عز الدين محمد الكتبى[1]، المعروف بالعز التَّكرورى، فى يوم الأربعاء سابع عشرين جمادى الأولى، وكان معدودا من بياض الناس، له حانوت يبيع فيه الكتب بسوق الكتبيين، وكانت له فضيلة بحسب الحال.

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين دُولاَت باى المحمودى المؤيدى الدوادار كان، وهو أحد مقدّمى الألوف فى يوم السبت أوّل جمادى الآخرة، ودفن بالصحراء خارج القاهرة من يومه، وسنه أزيد عن خمسين سنة، وكان جاركسى الجنس جلبه خواجا محمد إلى الإسكندرية، فاشتراه منه نائبها الأمير آقبردى المنقار، وبلغ الملك المؤيَّد شيخا ذلك، فبعث طلبه منه، فأرسله إليه، فأعتقه المؤيد — أن كانَ آقبَردى ما كانَ أعتقه — وجعله خاصكيا ثم ساقيا فى أواخر دولته، فلما تسلطن الملك الأشرف برسباى عزله عن السِّقاية، ودام خاصكيا دهرا طويلا، إلى أن صحب الأمير جانم الأشرفى قريب الملك الأشرف برسباى، ثم صاهره فتحركَ سعدُه بصهارة جانم المذكور، ولا زال جانم به إلى أن نفعه بأن توجَّه بتقليد نائب صَفَد وخلعته بعد أن كان خلص له إمرة عشرة من الملك الأشرف، مع بغض الأشرف فى دُولات باى هذا، فلما أمسك جانم مع من أمسك من أمراء الأشرفية لم ينفعه دُولات باى المذكور بكلمة واحدة، هذا إن لم يكن حط عليه فى الباطن، ولا أستبعد أنا ذلك لقرائن دلّت على ذلك.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن سليمان بن عمر الكتبى التكرورى ويعرف بالعز التكرورى ولد سنة ٧٩١ هـ، وربما كان يقال له الثانى نسبة إلى غانة مدينة بالتكرور (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ٣٠٢).

ولما تسلطن الملك الظاهر جقمق استقر بُدولات باى هذا أمير آخور ثانيا ، بعد مسك الأمير نَخْشَبَاى الأشرفى وحبسه . ثم نقل [دولات باى][1] بعد أيام إلى الدوادارية الثانية ، بعد الأمير أَسَنْبُغَا الطَّيَّارى، بحكم انتقاله إلى إِمْرَة مائة وتَقْدِمَة ألف، كلُّ ذلك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة .

فباشر [دولات باى][1] الدَّوادَارِيَّة بُحرْمَةٍ وافرة ، ونالته السعادة ، وأثرى وجمع الأموال الكثيرة ، وعمَّر الأملاك الهائلة ، إلى أن أنعم عليه السلطان بإِمْرَة مائة وتَقْدِمَة ألف فى صفر سنة ثلاث وخمسين ، بعد موت الأمير تِمْراز القَرْمشى الظاهرى ، فلم تَطُل أيامه فى التقدمة .

وولى [دولات باى][1] الدَّوادَارِيّة الكبرى — بمال بذله ، نحو العشرة آلاف دينار — عوضا عن قانى بَاى الچركسى ، بحكم انتقاله إلى الأمير آخورية الكبرى ، بعد موت الأمير قَرَاخَجا الحسنى .

ولما ولى الدَّوادَارِيَّة الكبرى خمدت ريحُه ، وانحطت حُرْمَتُه ، بالنسبة إلى ما كانت عليه أيام دَوَادَارِيَّته الثانية ، والسببية واضحة ؛ وهى أنه كان أوّلاً مطلوبا ، والآن صار طالبا .

ثم سافر [دولات باى][2] أمير حاج المحمل بعد مُدّة ، وكان وليها مَرَّةً أُولَى فى سنة تسع[3] وأربعين ، فهذه المرّة الثانية فى سنة ست وخمسين ، وعاد فى سنة سبع وخمسين ، وقد خلع الملك الظاهر جَقْمَق نفسه من المُلك وسَلْطَنَ ولدَه الملك المنصور عثمان ، فأقام فى دولة المنصور دَوَادَارا على حاله ، وقد خاف من صفير الصافر ، فلم يكن بعد أيام إلا وقُبض عليه فى يوم الخميس ثانى عشر صفر من السنة المذكورة ، وحُمل إلى الإسكندرية ، فحُبس بها شهرا وأياما ، وأطلقه الملكُ الأشرفُ إينال ، وأحضره إلى القاهرة ، ثم أنعم عليه بعد مدة بإقطاع الأمير أَرَنْبُغَا اليونسى ، فلم تطل أيّامه إلا نحو الشهر ، ومرض ومات فى التاريخ المقدّم ذكره .

(١، ٢) الاضافة للتوضيح .
(٣) فى ص « سنة سبع » .

ولقد قال لى بعضُ الحذّاق إن سبب موته إنما كانت طَرْبَة[١] يوم أُمْسِكَ ، ودامت الطَّربة إلى أن قتلته . قلت : وأنا لا أستبعد هذا ، لما كان عنده من الجُبْن والحَذَر ، وعدم الإقدام ، على أنه كان مليح الشكل ، متجملا فى ملبسه ومركبه ، وقورا فى الدول ، إلا أنه لم يُشهر بشجاعةٍ ولا كرم فى عمره .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين قَانْصُوَه بن عبد الله النَّوْرُوزى أحد أمراء دمشق بها فى أواخر جمادى الأولى ، وله من العمر نحو الستين سنة تخمينا ، وكان أصله من مماليك الأمير نَوْرُوز الحافظىّ نائب الشّام ، وصار خَاصَّكِيًّا بعد موته فى الدولة المُؤيَّدية شيخ ، ثم تأمّر عشرة بعد موت المؤيَّد ، ثم صار أمير طَبْلخاناه فى دولة الظاهر طَطَر ، ودام على ذلك سنينا كثيرة إلى أن أخرجه الملك الأشرف بَرْسْباى إلى نيابة طَرَسُوس ، ثم نقله إلى حجوبية حَلَب ، ثم تقدمة ألف بدمشق ، ثم خرج على الملك الظاهر جَقْمَق ، ووافق الأمير إينال الجَكَمى على العصيان ، فلما كُسر الجَكَمى اختفى قَانْصُوَه مدة ، ثم ظهر وتنقّل أيضا فى عدة أماكن ، وهو فى جميع ما يتحرّك فيه خمول الحركات إلى أن مات ، وكان مليح الشكل ، وعنده شجاعة ومعرفة برَمْىِ النشّاب ، إلا أنه كان خاملا ، ما أظنه ملك فى عمره ألف دينار ، ولولا الحياء لقلتُ ولا سَلاّريًّا ثانيا ، وفى هذا كفاية .

وتُوُفِّى الأميرُ سيف الدين قَشْتَم بن عبد الله المحمودى الناصرى نائب البحيرة قتيلا فى واقعة كانت بينه وبين العُرْبان الخارجة عن الطاعة فى أواخر شهر رجب ، وقد ناهز الستين من العمر ، وكان أميرا جليلا عاقلا حشما وقورا شجاعا مقداما كريما

(١) شرح Dozy : Supp. Dict. AR. الطربة بأنها لطمة أو لكمة فى الوجه تحدث فى العين كدمة دون أن يترتب عليها جرح ، وفى بعض الأحيان يغشى بياض العين حمرة للدلالة على موضع الكدم . على أن المقصود هنا ترجيحا هو المعنى العامى المتداول فى مصر حتى العصر الحاضر ، إذ يقال إن فلانا انطرب أو إن فلانا حصلت له طربة ، أو خضة على حد التعبير العامى كذلك ، أى أن حالة من الرعب أو الذعر أو الخوف الشديد طرأت عليه بحيث أفقدته توازنه . والعادة الجارية حتى العصر الحاضر كذلك أن تعالج هذه الحالة بشرب ماء خاص من إناء خاص معروف باسم طاسة الطربة أو طاسة الخضة .

متواضعا مليح الشكل ، وهو ممن جمع بين الشجاعة والكرم والتواضع — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين بَيْغُوت بن عبد الله من صَفَر خَجَا المؤيَّدى الأعرج نائب صَفَد بها فى أواخر شعبان ، وقد جاوز الستين ، وكان أصله من مماليك المؤيَّد شَيْخ فى أيام إمْرَته ، وصار خاصِّكِيًّا بعد موته ، إلى أن نفاه الملك الأشرف بَرْسبَاى إلى الشام ، ثم أنعم عليه بإمْرَة طبلخاناه بدمشق ، ثم ولى نيابة حِمْص فى أوائل دولة الملك الظاهر جَقْمَق مُدَّةً ، ثم نقل إلى نيابة صفَد دفعة واحدة ، بعد الأمير قَانِى بَاى الأبوبكرى الناصرى البهلوان ، بحكم توجهه إلى نيابة حماة ، ثم نقل بَيْغُوت هذا إلى نيابة حماة ، ووقع له مع أهل حماة أمور وشكاوٍ آلتْ إلى تَسَحُّبِهِ من حماة وتوجُّهِهِ إلى ديار بكر ، بعد أن أُمسك ولدُه إبراهيم بالقاهرة وحُبس ، ووقع له أيضا بديار بكر أمورٌ ومحنٌ ، وأُمْسِكَ وحُبس بقلعة الرُّها ، ثم أُطلق وعاد طائعا إلى السلطان الملك الظاهر جَقْمَق ، وقدم القاهرة ، ثم عاد إلى دمشق بطالا ، إلى أن أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بها ، بعد موت الأمير بُرْدبَك العجمى الجَكَمى ، فدام على ذلك إلى أن نقله الظاهر إلى نيابة صَفَد ثانيا ، بعد موت يَشْبُك الحمزاوى ، فدام بصَفَد إلى أن مات — رحمه الله — فى التاريخ المقدَّم ذكرُه ، وكان رجلا ديِّنًا مشهورا بالشجاعة والإقدام ، ووقورا فى الدُّوَل ، وتولَّى نيابة صَفَد بعده إياس المحمدى الناصرى الطويل .

وتُوُفِّىَ الشيخُ المعتقدُ الصالح درويش — وقيل محمد ، وقيل غَيْبى — الرومى ، بظاهر خانقاه سِرْياقوس ، فى يوم الاثنين ثالث ذى القعدة ، ودُفن شرقى الخانقاه المذكورة ، وكان أصله من آقْصَراى[1] ، وكان مليح الشكل ، منوَّر الشَّيْبة ، لا يَدَّخر شيئا ،

(١) آقصراى : مدينة ببلاد الروم بناها السلطان قلج بن أرسلان سنة ٥٦٦ هـ (لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية ص ١٨٢) .

وحجّ غير مرة من غير زاد ولا راحلة ، وهو أحد من أدركناه من الفقهاء الصلحاء — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيَ الأميرُ سيفُ الدين حَطَط بن عبد الله الناصرى أتابَك طرابُلُس بها فى أوائل ذى الحجة ، وكان ولى نيابة قلعة حَلَب ، ثم نيابة غزّة ، كل ذلك بالبذل ، فإنه كان لا للسيف ولا للضيف .

وتُوُفِّيَ الأميرُ سيفُ الدين على بَاى بن طَرَابَاى العجمى[1] المؤيَّدى أتابك حلب بها فى أواخر ذى الحجة ، وهو فى عشر الستين ، وكان أصله من مماليك المؤيَّد شيخ ، وبقى خاصّكيًّا أيام المؤيّد ، ودام خاصّكيًّا عِدّة دُوَل إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جَقْمَق فى أوائل دولته بإمْرَة عشرة ، وجعله من جملة رءوس النوب ، وصار له كلمة فى الدولة ، وتوجّه فى الرَّسْلِيَّة من السلطان إلى أَصْبهان بن قَرَا يوسف صاحب بغداد ، ثم بعد عوده إلى القاهرة بمدّة نفاه الملكُ الظاهرُ إلى حلب على إمْرَة مائة وتَقْدِمَة ألف ، ثم نُقل إلى أتابكيّة حلب بعد سودون الأبو بكرى المؤيّدى لما ولى نيابة حماة ، فدام على بَاى على ذلك إلى أن تُوُفّى ، وكان مليح الشكل ، فصيح العبارة ، عارفا بأنواع الفروسية ، كريما جوادا إلا أنه كان مجازفا كذوبا مسرفا على نفسه — عفا الله عنه .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم — أعنى القاعدة — ثمانية أذرع وخمسة أصابع — مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا واثنان وعشرون إصبعاً .

(١) نسبة إلى خاله برد بك العجمى الجكمى (هامش و. پوپر ٧ : ٥٧٢) .

السنة الثانية من سلطنة الملك الأشرف إينال على مصر

وهى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة

فيها توُفىَّ الأميرُ سيف الدين يَلْبُغَا بن عبد الله الچاركسى ، أحد أمراء الطبلخانات — بطَّالا — بعد مرض طويل فى يوم السبت رابع شهر ربيع الآخر ، وكان تركى الجنس أصله من مماليك چاركس القاسمى المصارع ، ثم صار بعد موت أستاذه خاصكيًّا ، ودام على ذلك سنين[1] طويلة لا يلتفت إليه فى الدولة ، وقد شاخ وصار يخضب لحيته بالسواد ، إلى أن تحرّكَ سَعْدُه وسَعْدُ خچداشِهِ قانى بَاىْ الچاركسى بسلطنة الملك الظاهر جَقْمَقْ ، فإنه كان أخا چاركس أستاذ هؤلاء الخاميل .

فلما تسلطن جَقْمَق أمّر يلبُغا هذا إمْرَةَ عشرة ، وجعله رأس نَوبة لولده المقام الناصرى محمد .

ثم ولّاه نيابة دِمْيَاط ، ثم عزله وجعله أمير طَبْلخاناه ، فدام على ذلك إلى أن أخرج الملك الأشرف إينَال إقطاعه — فَنِعْمَ ما فعل — فاستمرّ بطّالا إلى أن مات كما تقدّم ذكرُه ، وكان من مساوئ الدهر — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ القاضى ناصِرُ الدين محمد ابن قاضى القضاة فخر الدين أحمد بن عبد الله الشهير بابن المخَلِّطة[2] ، أحد أعيان فقهاء المالكية ونُوّاب الحكم ، وناظر البيمارَستان المنصورى[3] ، فى يوم الأحد تاسع عشرين شهر ربيع الآخر ، وكان

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٥٧٣ عن كتاب الحوادث « وسنه نيف على السبعين وكان مسرفا على نفسه ، لم يشهر بدين ولا شجاعة ولا كرم » .

(٢) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٢٧) ومولده سنة ٧٩٠ هـ .

(٣) المقصود بذلك بيمارستان السلطان الملك المنصور قلاوون .

فقيهاً عالماً بمذهبه ، عارفاً بصناعة القضاء والشروط والأحكام ، ناب فى الحكم من سنة سبع عشرة وثمانمائة إلى أن مات ، وحمدت سيرته — رحمه الله تعالى .

وتوفى المقام الغَرْسى خليل ابن السلطان الملك الناصر فرج ابن السلطان الملك الظاهر برقوق بن الأمير آنَص الجاركسى الأَصل ، بثغر دِمْياط فى يوم الثلاثاء ثانى عشر جمادى الأولى ، ومولده بقلعة الجبل فى سنة أربع عشرة وثمانمائة ، وأمه أم ولد تُسَـمى « لاَ أفْلَحَ مَنْ ظَلَم » مُوَلَّدة ، وبقى بقلعة الجبل إلى أن أخرجه الملك المؤيد شَيخ مع أخيه محمد ابن الناصر فرج إلى الإسكندرية فحبسا بها إلى أن سألت عمتهما خوَند زينب بنت الملك الظاهر بَرْقوق زوجها الملك المؤيد شَيخاً فى إحضارهما من الإسكندرية إلى قلعة الجبل لتختِنَهما فحضرا إلى الديار المصرية ، وختنا بقلعة الجبل ، ثم أعيدا إلى الإسكندرية ، ودا،ا بها بسِجْنها إلى أن مات أخوه محمد فى طاعون سنة ثلاث وثلاثين ، فأخرج خليل هذا من السجن ، ورُسم له بأن يسكن حيث شاء بثغر الإسكندرية ، وأن يركب لصلاة الجمعة لا غير ، فبقى على ذلك إلى أن رسم له الملك الظاهر جقْمق — بعد أن تأهل بكريمتى — أن يركب إلى جهة باب البحر [1] ، ويسير .

ثم أذن له بعد ذلك بالحج ، وقدم القاهرة فى شوال سنة ست وخمسين ، وحج فى موسم السنة المذكورة .

ثم عاد وقد خلع الملك الظاهرُ نفسَه ، وتسلطن ولدُه الملك المنصور عثمان ، فرسم له المنصور فى يوم دخوله من الحج بالتوجه إلى الإسكندرية ، فطلب هو دمياط ، فرسم له بها .

وخرج إليها من يومه قبل أن يحل عن أحماله ، فلم تطل مُدّته بثغر دِمْيَاط ومات فى التاريخ المذكور ، ودُفن بدِمْياط أيّاما ، ثم نقل إلى بولاق .

---

(١) باب البحر كان أحد أبواب سور الإسكندرية فى العصر الإسلامى ، وموضعه بالقرب من الميناء الشرق ، عند حى المنشية الحالى . ويفهم من التعبير أنه أباح له الخروج من باب البحر بعد أن كان منعه من مجاوزته — وانظر (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٢٠١) .

ثم نقل إلى القاهرة ، ودُفن عند جدّه الملك الظاهر برقوق بالصحراء ، وكان فى نفسه أمور توفاه الله قبل أن ينالها ، وأنا أعرف بحاله من غيرى ، غير أنى لا أشكر ولا أذم ، وفى هذا كفاية .

وتُوُفِّىَ القاضى شمس الدين محمد بن عامر قاضى قضاة المالكية بصفد ، فى أوائل جمادى الآخرة ، وكان معدودا من فقهاء المالكية ، وناب فى الحُكمِ بالقاهرة سنين كثيرة ، وولى قضاء الإسكندرية غير مرة — رحمه الله تعالى

وتُوُفِّىَ الشريف معز [بن هجار بن وبير][(١)] أمير أليَنبع فى أواخر جمادى الآخرة وتوفى بعده ابن أخيه مُقْبِل

وتُوُفِّىَ الأمير جَانِبَك بن عبد الله الزَّينى عبد الباسط[(٢)] بالقاهرة فى يوم الأربعاء لعشر بقين من شهر رجب، وكان من مماليك الزَّينى عبد الباسط[(٢)] بن خليل ، وولى الأستادارية فى أيام أستاذه[(٣)] حسًّا ، ومعناه أستاذه ، ولولا أنه فى الجملة وَلِىَ الأستادارية لما ذكرناه فى هذا المحل .

وتُوُفِّى قاضى القضاة الحنابلة بحلب ، مجد الدين سالم بن سلامة الحنبلى[(٤)] خنقا بقلعة حلب بالشرع فى الظاهر ، لكونه قتل رجلا بيده ممن اتّهم بالزندقة ، والقتل من قبل الحُكم — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سليمانُ بن ناصر الدين بَك بن دُلْغَادر نائب ابلستين[(٥)] بها فى باكر يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان ، وتولى أُبُلُسْتَين بعده ابنه ملك أَصْلان .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سودون بن عبد الله الجكمى ، أحد أمراء العشرات ، بطّالا بالقاهرة

(١) ما بين الحاصرتين للتوضيح ، نقلا عن (السخاوى — الضوء اللامع ، ج ١٠ ص ١٦٢) .
(٢) ما بين الرقمين ساقط من ص . والإثبات عن ط . كاليفورنيا .
(٣) أى تولاها ظاهرا . وفى المعنى أو فى الحقيقة تولاها أستاذه ، وانظر (هامش و . پوپر ٧ : ٥٧٦) .
(٤) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٢٤٢) .
(٥) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٥٧٧ «وأمير التركمان» ، وانظر فى التعريف بأبلستين (ياقوت — معجم البلدان ١ : ٩٣) .

فى يوم السبت رابع ذى القعدة ، وهو أخو إينال الجَكَمى نائب الشام ، [١] وهو الأصغر ، وبسببه تُخومل حتى مات ، وكان من أعيان الدّولة ، وممّن له ذكر وسمعة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى قاضى القضاة الحنفية بدمَشْق قوامُ الدين محمد الدمشقى المولد والوفاة ، الحنفى المذهب ، بدمشق فى ثامن ذى القعدة ، ومولده فى ثامن ذى القعدة سنه ثمانمائة ، وكان فقيها فاضلا دينًا خيِّرا مشكور السيرة ، وهو من القضاة الذين ولوا من غير بذل ، ومات غير قاض — رحمه الله .

وتوفِّى المعلم ناصر الدين محمد الصغير القازانى ، المعروف بمحمد الصغير ، معلم رمى النشاب ، فى ليلة الجمعة ثالث عشرين ذى الحجة ، وقد زاد سنه على الثمانين ، ومات ولم يخلف بعده مثله فى حسن الرمى وتعليمه وعلومه ، وهو أحد الأفراد الذين أدركناهم من أرباب الكمالات — رحمه الله تعالى .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم سبعة أذرع وخمسة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وأحد عشر إصبعا [٢]

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٥٧٧ عن كتاب الحوادث « لأبويه » .

(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٥٧٨ عن كتاب الحوادث « وكان ذلك فى مستهل شوال الموافق لسابع عشرى توت أحد شهور القبط » .

السنة الثالثة من سلطنة الملك الأشرف إينال

على مصر

وهى سنة تسع وخمسين وثمانمائة .

فيها توفى الأمير سيف الدين مُغُلْباى بن عبد الله الشهابى ، أحد أمراء العشرات — بطالا بالقاهرة — فى ليلة الخميس عاشر المحرم ، وكان أصله من مماليك الشهابى أحمد بن جمال الدين (١) الأستادار ، ثم أعتقه الملك الناصر فرج ، ثم صار خاصّكيًّا فى الدولة الأشرفية برسباى ، ثم تأمر فى دولة الملك الظّاهر جَقْمق ، وصار من حزب ولده الملك المنصور فى الفتنة مع الأشرف إينال ، فأخرج إينال إقطاعه بهذا المقتضى ودام بطّالا إلى أن مات ، وكان عاقلا ساكنا لا بأس به — رحمه الله تعالى .

وتوفى الأمير سيف الدين جُلُبَّان بن عبد الله الأمير آخور نائب الشام بها فى يوم الثلاثاء سادس عشر صفر ، وقد ناهز الثمانين من العمر تخمينا ، وفى مُعْتقه وجنسه أقوال كثيرة ، أما معتقه فقيل إنه من عتقاء الأمير تنبك الأمير آخور الظاهرى ، وقيل سودون طاز ، وقيل إينال حطب ، وأما جنسه فالمشهور أنه چاركسى الجنس ، وقيل غير ذلك ، ثم خدم جُلُبَّان المذكور عند الأمير چاركس القاسمى المصارع ، ثم عند الوالد (٢) ، ثم عند الملك المؤيّد شيخ أيام إمْرَته ، فلما تسلطن المؤيد جعله أمير آخور ثالثا ، ثم أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالدّيار المصريّة ، ثم خرج إلى البلاد الشّامية مجرّدا إليها مع من خرج من الأمراء ، صُحْبَة الأتابك أَلْطُنْبُغا القَرْمَشى ، وقُبض عليه مع من قبض عليه من الأمراء المؤيّدية ، وحُبس بالبلاد الشّامية إلى أن أطلقه الملك الأشرف بَرسْبَاى ، وجعله أمير مائة ومقدّم ألف بدمشق .

(١) هو جمال الدين يوسف البيرى الأستادار قتل فى عهد الناصر فرج بن برقوق فى ليلة الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة سنة ٨١٢هـ (ج ١٣ : ٩٠ — ٩٥ من هذا الكتاب ط الهيئة العامة للتأليف والنشر بتحقيق فهيم شلتوت) .

(٢) أى والد المؤلف .

ثم نقله إلى نيابة حماة بعد الأمير جَارْقُطْلُوا بحكم انتقاله إلى نيابة حلب بعد الأمير تَنبك البَجاسى المنتقل إلى نيابة الشّام ، بعد موت الأمير تَنبك ميق العلائى ، فى رجب سنة ست وثلاثين وثمانمائة ، (١) ودام جُلُبَّان على نيابة حماة سنين كثيرة إلى أن نقله الملك الأشرف بَرْسْباى إلى نيابة طرابُلُس بعد مَوت الأمير طَرَباى فى شعبان سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة (١) وتولّى بعده الأميرُ قانى باى الحمزاوى .

ثم نقله الملك الظاهر جَقْمق إلى نيابة حلب بعد عصيان الأمير تغرى بَرْمُش التركمانى فى سلخ شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة .

(٢) وتولى بعده طرابُلس قانى باى الحمزاوى أيضاً (٢) فلم تطل مدته بحلب ، ونقل إلى نيابة دمشق بعد موت الأتابك آقبُغا التِّمْرازى فى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين ، وتولى بعده حلبَ الأميرُ قانى باى الحمزاوى .

فدام فى نيابة دمشق عِدّة سنين إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وتولى بعده نيابة دمشق قانى باى الحمزاوى ، وكانت مدة نيابته على دمشق خمس عشرة سنة ، وهذا شىء لم يقع لغيره من نواب دمشق بعد الأمير تَنْكِزُ الناصرى .

وفى ترجمته غريبة أخرى ، وهى أنه لم ينتقل من نيابة إلى الأخرى فى هذه المدة التى تزيد على ثلاثين سنة إلا ويستقر بعده قانى بَاى الحمزاوى ومع أن قانى باى الحمزاوى لم تطل مدته فى الولايات ، وحضر إلى الديار المصرية أميرا ، وأقام بها سنين ، ثم عاد إلى نيابة حلب بعد أن وليها غير واحد بعده ، فلما تولّى قانى باى الحمزاوى حَلَب ثانيا مات جُلُبّانُ هذا بعد مدّة ، فَنُقِلَ قانى باى إلى نيابة دمشق بعده على العادة . فهذا اتفاق غريب لعله لم يقع لغيرهما فى هذه السنين الطويلة والولايات الكثيرة ، وكان جُلُبَّان المذكور من أجلّ الملوك ، طالت أيامه فى السعادة ، وتنقل فى ولايات جليلة ، إلى أن مات — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الصاحب أمين الدين إبراهيم ابن الرئس مجد الدين عبد الغنى بن الهَيصم -بطّالا- فى ليلة الخميس مستهل شهر ربيع الآخر ، وقد قارب الستين من العمر ، وكان معدودا من

(١ ، ٢) هذه العبارة ساقطة من ص .

رؤساء الدّيار المصرية ، من بيت رئاسة وكتابة ، وجدّهم الهيصم يُنْسب إلى المُقَوْقِس صاحب مصر ، وقد ولى الصاحب أمين الدين هذا الوَزَرَ غير مرة ، وحج وتفقّه على مذهب الحنفية ، وكان محبا للفقراء وأهل الخير محبة زائدة ، وكان مشهورا بالصلاح ، وكان يتجنّب النصارى ، ولا يتزوج إلا من المسلمات ، وبالجملة فإنه نادِرَة فى أبناء جنسه ، وله محاسن كثيرة — رحمه الله تعالى .

وتوفى الأمير يَشْبُك بن عبد الله الناصرى أحد أمراء الطبلخانات ورأس نَوْبة ثان ، فى يوم الأحد ثامن عشر صفر ، وقد ناهز السبعين ، وكان من مماليك الناصر فرج ، وخدم فى أبواب الأمراء بعد موت أستاذه ، وانحط قدرُه إلى أن عاد إلى خدمة السلطان بعد موت الملك المؤيّد شيخ ، وصار خاصّكيًّا إلى أن تأمر عشرة فى أوائل سلطنة الملك الظاهر جَقْمق ، وصار من جملة رءوس النُّوب ، ودام على ذلك إلى أن نقله الملك المنصور عثمان إلى إمرَة طَبلخاناه بعد انتقال جانبك القرمانى إلى طبلخاناه الأمير يونس الأقبائى المشد بحكم انتقال يونس إلى تقدمة ألف .

ثم صار فى دولة الملك الأشرف إينال ثانى رأس نوبة النُّوب ، فدام على ذلك إلى أن مات فى التاريخ المقدم ذكره ، وكان يشبك المذكور من مساوئ الدهر ، لا دنيا ولا دينا ، وَلا ذاتًا ولا أدوات — عفا الله عنا وعنه .

وتوفى الأمير سيف الدين خَيِر بك بن عبد الله المؤيدى الأجرود ، أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية فى يوم الاثنين تاسع عشرين شهر ربيع الآخر ، وهو فى حدود الستين ، وحضر المقام الشهابى أحمد بن السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمنى ، وكان أصله من مماليك الملك المؤيّد شيخ ، وترقى بعده حتى صار خاصّكيًّا فى دولة الملك الأشرف بَرْسباى .

ثم نفاه الأشرف إلى الشّام ، وأنعم عليه بإمرَة طبلخاناه ، ثم صار أمير مائة ومقدّم ألف بدمشق ، ثم صار أتابكا بها ، ثم أمسك وحُبس إلى أن أطلقه الأشرف إينال ، فقدم القاهرة .

ثم صار أمير مائة ومقدّم ألف بها إلى أن مات ، واستُريح منه ، لأنه كان أيضاً من مقولة يَشْبُك المقدّم ذكره ، بل يزيده سوء الخلق والجنون .

وتُوُفِّى شاعر العصر الشيخ شمس الدين محمد بن حسن بن على بن عثمان الشافعى الفقيه النَّواجى(١) ، الشاعر المشهور فى يوم الأربعاء سادس عشرين جمادى الأولى ، ومولده بالقاهرة فى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ، وأصله من نَوَاج — قرية بالغربية ، من عمل الوجه البحرى من القاهرة — ونشأ بالقاهرة ، وقرأ واشتغل إلى أن مهر وبرع فى عدة علوم وفنون ، وغلب عليه نَظْم القريض ، حتى قال منه أحسنه ، وأنشدنى كثيراً من شعره ، ومما أنشدنى من لفظه لنفسه — رحمه الله تعالى قوله :

[الوافر]

طلبتُ وصاله ، فدنَا لحربى ... يهزُّ من القوام اللَّدْن رمحَا
وسَلَّ من اللواحظِ مشْرَفيًّا ... ليضربَ ، قلت : لا بالله صَفْحَا

ومما أنشدنى لنفسه أيضاً :

[الطويل]

خَليلىّ : هذا رَبْع عَزّة ، فاسْعيَا ... إليه وَإنْ سالتْ به أدمعى طُوفانْ
لجَفْنِى جفَا طِيبَ المنَام وَجَنْبُهَا ... جفَانى ، فيَاللهِ مِنْ شَرَكِ الأَجْفَانْ

وقد استوعبنا من لفظه وشعره قطعةً جيدة فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » ، وأيضا فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » إذ هما محل الإطناب — انتهى .

وتُوُفِّىَ الشيخُ المعتقدُ المجذوب محمد المَغرِبى(٢) فى صبيحة يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة ، ودُفن من يومه قَبل صلاة الجمعة بتربة السلطان الملك الأشرف إينال التى أنشأها

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٧ : ٢٢٩ — ٢٣٢) والد سنة ٧٨٥ هـ تقريبا .
(٢) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ١٢٥) .

بالصحراء ، وكان يجلس داخل باب النصر على باب قاعة البغاددة تحت الساباط ، تجاه الرَّبْع المعروف قديما بدار الجاولى ، بالقُرْب من باب جامع الحاكم ، وأقام بالموضع سنين كثيرة ، لايقوم منه صَيفًا ولا شتاء وهو جالس على مكانٍ عالٍ ، وتحته حجارة ، وتأتيه الناسُ بالمأكل والمشرب ، ولهم فيه اعتقاد حسن ، وكنت أزورُه من بُعْد ، خوفا مما كان حوله من النجاسة ، وكانت جَذْبَتُه مُطْبِقة ، والغريب أنه وُجِدَ له بعد موته فى المكان الذى كان يجلس عليه جملة كبيرة من الذهب والفضة ، وهذا من الغريب العجيب ، فإنه لم يكن فى جَذْبته شكّ ، فكيف يهتدى لجمع المال ، وأنا أقول شيئا ، وهو أن المغاربة فى الغالب يميلون[1] لجمع المال ، فلعله كان هو أيضا يميل لجمع المال بالطبع على قاعدة المغاربة ، والله أعلم .

وتُوُفِّى القاضى الرئيس صلاح الدين محمد المعروف بابن السابق الحموى الشافعى ، كاتب سر حلب ثم دمشق ، وبها مات بطّالا بعد مَرَض طويل فى يوم الأحد ثامن عشرين جمادى الآخرة عن أربع وثمانين سنة ، ومولده بحماة ، وبها نشأ ، وتنقل لعدّة وظائف سنية ، وكان مشكور السيرة فى ولايته مع الدين والتقوى والأدب والحشمة والرياسة — رحمه الله تعالى .

وتوفى القاضى محبُّ الدين محمد ابن الشيخ الإمام زين الدين أبى بكر القمنى[2] الشافعى ، فى يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب — رحمه الله .

وتوفيت خوند شاه زاده بنت الأمير أرخن بك بن محمد بك كرشجى بن عثمان ملك الروم ، فلما كبرت تزوجت الملك الأشرف برسباى ، ثم تزوجها بعده الملك الظاهر جقمق ، ثم تزوجها بعده الأمير برسباى البجاسى ، فماتت تحته — رحمها الله تعالى .

وتوفى السيد الشريف زينُ الدين أبو زهير بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة ابن منجد بن أبى نمى محمد بن أبى سعيد حسن بن على بن أبى غرير قتادة بن إدريس ابن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد

(١) فى الأصول « يميل » .

(٢) الضبط عن (السخاوى — الضوء اللامع ١٦ : ٢٢٢ ، وله ترجمة وافية فى نفس الكتاب ﺟ ٧ : ١٨٧—١٨٨) .

ابن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن الحسن بن على بن أبى طالب المكى الحسنى أمير مكَّة فى بطن مَرّ خارج مكة ، فى يوم الاثنين تاسع شعبان ، وحُمل إلى مكة فصلى عليه بالحرم ، وطيف به على النعش أسبوعاً على عادة أشراف مكة ، ودفن بالمعلاة وولى إمرة مكة بعده ابنه الشريف محمد .

وكان مولد بركات بمكة سنة إحدى وثمانمائة ، وأمّه أم كامل بنت النصيح من ذوى عمر ، وولى إمرة مكة شريكا لأبيه وأخيه أحمد سنة عشر وثمانمائة ، ثم استقل بإمرة مكة فى سنة تسع وعشرين من قبل الملك الأشرف برسباى[1] ، فدام على إمرة مكة إلى أن عزله الملك الظاهر جقمق بأخيه على بن حسن فى سنة خمس وأربعين .

وخرج بركات هذا إلى البر من جهة اليمن ، ووقع له أمور ذكرناها فى « الحوادث » ، ثم عزل على عن إمرة مكة بأخيه أبى القاسم بن حسن بن عجلان — كل ذلك وبركات مخرج — إلى أن قدم بركات الديار المصرية ، وولّاه الملك الظاهر جَقْمَق إمرة مكة على عادته .

وكان لقدومه القاهرة يوم مشهود ، وأقام بالقاهرة مدة ثم عاد إلى مكة ، فدام بها إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وكان رجلا عاقلا ساكنا شجاعاً مشكور السيرة ، أهلا للإمرة — إن لم يكن زيدياً على عادة أشراف مكة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدين جانِبَك بن عبد الله الشمسى المؤيدى أحد أمراء دمشق ، فى أواخر ذى القعدة أو أوائل ذى الحجة ، وكان أصله من مماليك المؤيد شيخ ، اشتراه قبل سلطنته وأعتقه ، وصار بعد موت أستاذه من جملة أمراء طرابلس ، ثم نقل إلى حجوبية حجاب حلب ، ثم عزل ، وصار من أمراء الطبلخانات بدمشق إلى أن مات .

وتُوُفِّى الشيخ الإمامُ العالم العلامة محب الدين محمد ابن العلامة زادة — واسم زادة أحمد — بن أبى يزيد محمد السيرامى الحنفى المصرى سبط الأقصرائى المعروف بابن مولانا

(١) أضاف و . پوپر فى هامش : ٥٨٦ عن كتاب الحوادث « بعد وفاة والده بديار مصر » .

زادة ، إمام السلطان ، وشيخ المدرسة الأَيْتَمُشِية بمكة المشرفة ، فى يوم الجمعة ثالث ذى الحجة ، ومولده بالقاهرة فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة — هكذا ذكر لى ، وكتب بخطه .

قلت : ونشأ بالقاهرة ، وقرأ القرآن الكريم وعدة مختصرات فى فنون كثيرة ، وتفقه بجماعة من علماء عصره ، مثل الشيخ عز الدين بن جماعة وغيره ، ذكرنا غالبهم فى تاريخنا « الحوادث » وبرع فى عدة علوم ، وأفتى ودرَّس ، وتولى الوظائف الدينية ، ثم ولى [وظيفة][1] إمام السلطان الملك الأشرف برسباى ، فدام على ذلك مدة سنين وأمَّ بعدة ملوك إلى أن رغب هو عن ذلك وتركه ، وقعد بداره ملازماً الأشغال والاشتغال إلى أن قصد المجاورة فى هذه السنة بمكة المشرفة ، وكانت منيته بها بمرض البطن — رحمه الله تعالى — وهو ابن أخت العلامة فريد عصره أمين الدين الأقصرائى الحنفى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين آقْبَرْدى بن عبد الله الساقى الظاهرى نائب مَلَطْيَة بها فى يوم الخميس خامس عشرى ذى الحجة ، وحُمل من مَلَطيَة إلى حلب ، ودُفن بتربته التى عمَّرها ، ومات وله من العمر نحو ثلاثين سنة ، وأصله من مماليك الملك الظاهر جَقْمَق الصِّغار ، وصار ساقيا فى أيَّامه ، ثم نائب قلعة حلب دفعة واحدة ، فدام على ذلك إلى أن نقله الملك الأشرف إينال إلى أتابَكيَّة حلب فى سنة ثمان وخمسين ، ثم نقل إلى نيابة مَلَطْية ، فمات بها فى التاريخ المتقدم ذكره ، وكان لا بأس به ، ولم تطل أيَّامه لتُشْكَرَ أفعاله أو تُذَمَّ — رحمه الله تعالى .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم سبعة أذرع وخمسة أصابع ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصْبَعا .

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

السنة الرابعة من سلطنة الملك الأشرف إينال العلائى على مصر

وهى سنة ستين وثمانمائة :

فيها تُوُفِّىَ القاضى شهابُ الدين أحمد المحلى[1] الشافعى قاضى الإسكندرية بقرية إدكو بالمزاحمتين فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودُفن برشيد ، وهو فى عشر السبعين ، وكان كثير المال قليل العلم — رحمه الله .

وتُوُفِّى القاضى ظهير الدين محمد ابن قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب ابن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أبى بكر الطرابلسى[2] الحنفى أحد نوّاب الحكم بمصر — معزولا — بعد مرض طويل ، فى يوم الجمعة سادس عشرين شعبان ، ودفن من الغد ، وكان مشكور السيرة فى أحكامه ، محبا لأصحابه — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير أَسِنْباى بن عبد الله الجمالى الظاهرى الدَّوَادَار الثانى كان ، بطَّالا بالقدس فى شعبان ، وسِنُّه دون الأربعين ، وكان الملك الظاهر جَقْمَق اشتراه فى أيام سلطنته ، وجعله خاصكيا ، ثم سِلاحدارا ، (3ثم ساقيا3) ، ثم أَمَّره عشرة ، ثم صار فى الدولة المنصورية عثمان دوادارا ثانيا عوضا عن تَمُرْبُغا الظاهرى ، فلم تطل مدته غير أيام ، ووقعت الفتنة بين المنصور وبين الأتابَك إينال ، وهرب أَسِنْباى واختفى ، ثم ظهر ورُسم له بالتوجّه إلى القدس ، فدام بالقدس بطالا إلى أن مات ، وهو من مقولة آقْبَرْدِى المقدَّم ذكرُه — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير قانى باى بن عبد الله الناصرى الأعمش نائب قلعة الجبل بها فى ليلة الخميس سابع عشرى ذى القعدة ، وعُمْرُه زيادة على الستين ، وكان أصله من مماليك

(1) هو أحمد بن محمد بن على بن هارون بن على — الشهاب المحلى ، ولد قبل القرن بيسير بالمحلة من الغربية (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ١٥٢، ١٥٣) .

(2) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٨ : ١٣٥—١٣٦) وقد ولد سنة ٧٩٧ هـ .

(3—3) هذان اللفظان ساقطان من ص .

الناصر فرج ، وصار خاصِّكيًّا بعد موت المؤيَّد شَيْخ ، ثم تأمَّر عشرة فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، وصار من جملة رءوس النوب ، إلى أن وَلّاه الملك الأشرف إينال نيابة القلعة بعد توجّه يُونُس العلائى الناصرى إلى نيابة الإسكندرية فى شهر ربيع الأوّل سنة سبع وخمسين ، فدام فى نيابة القلعة إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وكان من المهملين المرزوقين .

وتُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدين جَانِبَك بن عبد الله المحمودى المؤيَّدى ، أحد أمراء طرابُلُس بها فى أواخر ذى القعدة وقد قارب الستين من العمر ، وهو أخو قانى بك[1] المحمودى المؤيَّدى ، كان من عتقاء الملك المؤيَّد شَيْخ ، وصار خاصِّكيًّا فى دولة المظفر أحمد أو فى دولة الظاهر طَطر ، ثم تأمَّر عشرة فى أوائل دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، وصار من جملة رءوس النوب ، وبقى له كلمة فى الدّولة ، وزادت حرمته إلى أن كان منها زوال نعمته ، وأُمسِكَ وحُبِس بقلعة الجبل ، ثم أُخرج أميرًا بحلب ، ثم حُبِس أيضا بحلب ثانيا مُدَّةً ، ثم أُطلِق وأُعطِىَ إمْرَة طبلخاناه بطرابُلُس ، فدام بطرابُلُس إلى أن مات ، وأحواله وأخلاقه مشهورة لا حاجة لنا فى ذكر شىء من ذلك — عفا الله عنا وعنه .

وفى هذه السنة زالت دولةُ بنى رسول ملوك اليمن من اليمن بعد ما حكموا ممالك اليمن نحوا من مائتَيْن وثلاثين سنة ، وقد ذكرنا أسماء جميع ملوك اليمن منهم ، من أولهم الملك المنصور أبى الفتح عمر بن على بن رسول إلى آخر مَنْ مَلَكَ منهم ، وهو الملك المسعود ، وقد ملك اليمنَ جميعَه الآن شخصٌ من العرب يسمى عبد الوهاب بن طاهر ، واستوثق أمره بها .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم سبعة أذرع وستة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا واثنا عشر إصبعا .

(١) الرسم فى ص « قانبك » .

السنة الخامسة من سلطنة الملك الأشرف إينال العلائى على مصر

وهى سنة إحدى وستين وثمانمائة :

فيها تُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدين جَانَم بن عبد الله المؤيَّدى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة فى يوم الخميس رابع المحرم ، وقد جاوز السبعين من العمُر ، وكان أصله من مماليك الملك المؤيَّد شيخ قبل سلطنته ، وصار رأس نوبة السقاة بعد موت أستاذه المؤيّد ، ثم تأمّر عشرة فى دولة الملك الأشرف إينال ، ثم صار من جملة رءوس النوب ، فدام على ذلك إلى أن مات ، وكان هينا لينا حشما — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين جَرِباش بن عبد الله الكريمى الظاهرى أمير سلاح بطالا بداره بسُويقة الصاحب داخل القاهرة فى ليلة السبت ثالث عشر المحرم ، وقد شاخ وكبر سنُّه حتى عجز عن الحركة إلا بعُسْر ، ودُفن بتربته التى أنشأها بالصحراء ، وكان يُعرف بقاشق ، وكان أصله من مماليك الظاهر برْقوق ، أعتقه قبل واقعة الناصرى ومِنْطَاش فى سلطنته الأولى ، هكذا ذكر لى من لفظه .

ثم صار سلاحدارا فى دولة الناصر فرج ، ثم أمير عشرة ورأس نوبة ، ثم صار أمير طبلخاناه فى دولة الملك المؤيَّد شَيْخ ، ثم أمير مائة ومقدّم ألف ، ثم صار فى دولة الأشرف برْسْباى حاجب الحجاب بالديار المصرية ، بعد انتقال الأمير جَقْمَق العلائى إلى الأمير آخورية الكبرى ، بعد توجه قَصْرُوَه من تِمْراز إلى نيابة طرابُلُس ، بعد عزل إينال النَّوْرُوزى وقدومه إلى القاهرة أمير مائة ومقدّم ألف ، كل ذلك فى سنة ست وعشرين وثمانمائة ، ثم نقله الأشرف إلى إمرة مجلس فى يوم الاثنين خامس عشر شوال سنة تسع وعشرين ، عوضا عن الأمير إينال الجَكَمى ، وقد انتقل الجَكَمى إلى إمرة سلاح بعد انتقال الأتابك يَشْبُك الساقى الأعرج إلى أتابكية العساكر ، بعد موت الأتابك قُجَق ، واستقرّ الأمير قَرْقَماس الشَّعْبانى حاجب الحجاب بعد موت جَرِباش هذا ، ثم وَلِىَ جَرِباش هذا نيابة طرَابُلُس ، بعد انتقال قَصْرُوَه إلى نيابة حلب ،

بعد عزل الأمير جَارْقُطْلو وقدومه إلى مصر أمير مائة ومقدّم ألف وأمير مجلس عوضا عن جَرِباش المذكور ، فلم تطل مدة جَرِباش بطرابُلُس ، وعُزل عنها بالأمير طَرَابَاى الظاهرى ، وقدم إلى القاهرة فى سنة إحـــدى وثلاثين وثمانمائة أمير مجلس على عادته أولا .

وقد انتقل جَارْقُطْلو عن إمرة مجلس إلى أتابكية العساكر بالديار المصرية ، بعد موت الأتابك يَشْبُك الساقى الأعرج ، فلم تطل مُدّة جَرِباش بالقاهرة ، وقُبض عليه ، ونُفى إلى ثغر دِمياط بطَّالا ، فدام بالثغر دهرا طويلا إلى أن طلبه الملك الظاهر جَقْمَق فى أوائل سلطنته ، وجعله أمير مجلس ثالث مَرّة ، عوضا عن الأمير يَشْبُك السودونى المنتقل إلى إمرة سلاح ، بعد انتقال الأمير آقْبُغا التِمرْازى إلى أتابكية العساكر بالديار المصرية بعد عصيان قَرْقَماس الشَّعْبانى والقبض عليه وسجنه بالإسكندرية ، وذلك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، فدام على إمرة مجلس إلى سنة ثلاث وخمسين ، فنقل إلى إمْرَة سلاح بعد موت الأمير تِمرْاز القَرْمَشى[1] .

وتولّى بعده إمرة مجلس تَنَم من عبد الرزّاق المؤيدى المعزول عن نيابة حلب ، فلم يزل على ذلك إلى أن أخرج الملك المنصور عثمان إقطاعه إلى الأمير قَرَاجا الخازندار الظاهرى — ووظيفته إمرة سلاح — إلى الأمير تَنَم المقدم ذكره، فلزم جَرِباش من يوم ذلك داره إلى أن مات ، وكان رحمه الله تعالى وقورا فى الدول ، طالت أيامه فى السعادة ، ودام أميرا أكثر من خمسين سنة ، بما فيها من العطلة ، وكان منهمكا فى اللذات التى تهواها النفوس مع عدم شهرته بالشجاعة ، وذلك خَرْجُ الملوك لطالب الراحة — انتهى .

وتُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدين يَشْبُك بن عبد الله حاجب حُجَّاب طرابُلُس فى يوم الأربعاء ثالث المحرم ، وكان من مماليك الأمير قانى باى البَهْلوان ، وسعى بعد موت

(١) أضاف و. پوپر في هامش ٧ : ٤٩٥ عن كتاب الحوادث « بالطاعون » ، وقد عجز جرباش من يومئذ عن سرعة الحركة والطلوع إلى الخدمة السلطانية إلا بجهد لكبر سنه» .

أستاذه إلى أن ولى حجوبيّة طرابُلُس بالبذل ، فلم تطل أيامه ، ومات ولم تكن فيه أهلية لتشكر أفعاله أو تُذَمّ .

وتُوُفِّىَ الأمير الطواشى الرومى زين الدين عبد اللطيف المَنْجكى ثم العثمانى ، مقدَّم المماليك السلطانية — كان — بطالا ، فى ليلة الجمعة رابع عشرين صفر وقد أسَنَّ ، وكان من خُدَّام الست فاطمة بنت الأمير مَنْجَك اليوسفى وعتيقها ، ثم اتّصل بخدمة الأتابك ألْطُنْبُغا العثمانى ، وبه عُرف بالعثمانى ، ثم صار من جمدارية السلطان الخاص[١] ، إلى أن ولّاه الملك الظاهر جَقْمَق تقدمة المماليك السلطانية بعد القبض على الأمير الطواشى خشْقَدَم اليَشْبكى[٢] ، فدام على ذلك عدّة سنين ، وحجّ مرتين أمير الركب الأول ، ولما عاد من الثانية فى سنة اثنتين وخمسين عَزَلَه السلطان بنائبه الأمير جَوْهَر النَّوْرُوزِى الحبشى ، فدام بطالا إلى أن مات ، وكان دَيِّنًا خَيِّرًا لا بأس به ، رحمه الله تعالى .

وَتُوُفِّىَ قاضى القضاة سراجُ الدين عمرُ بن موسى الحمصى[٣] الشافعى فى صفر بطالا ، وقد أناف على الثمانين ، وكان مولده بحمص وبها نشأ وطلب العلم ، وقدم القاهرة وحضر دروس السّراج البُلْقينى ، وناب فى الحُكْم عن ولده قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن سنين كثيرة ، ثم ولى القضاء بالوجه القبلى ، ثم نقل إلى قضاء طرابُلُس ، ثم قضاء حلب ، ثم قضاء دمشق غير مرّة ، ورَشَّحَ هو نفسه لقضاء الديار المصرية وكتابة السرّ بها فلم يقع له ذلك ، ثم ولى فى أواخر عمره تدريس مقام الإمام الشافعى ، ثم عُزل وأُخرج إلى البلاد الشاميّة فمات بها ، وكان يستحضر من فروع مذهبه طَرَفًا ، وله نظم بحسب الحال ، وهو الذى كان نظم صداق كريمتى[٤] على قاضى القضاة جلال الدين البُلْقينى أكثر من ثلاثمائة بيت — رحمه الله تعالى .

---

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٥٩٥ عن كتاب الحوادث «بخدمة السلطان ، وكان نقيب الفقراء القادرية . فوقع منه ما أوجب تغير خاطر الأشرف عليه بسبب دخوله بيت القادرية والرفاعية ، فضربه السلطان وأبعده » .

(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٥٩٥ عن كتاب الحوادث «وحبسه بالإسكندرية ، وما ولاه السلطان إياها دفعة واحدة لأهليته ، وإنما كان يحب بالطبع من أبعده الأشرف . وذلك فى سنة اثنتين وأربعين » .

(٣) له ترجمة في (السخاوى الضوء اللامع ٦ : ١٣٩ — ١٤٢) وقد ولد سنة ٧٧٧ هـ .

(٤) سماها و . پوپر هامش ٧ : ٥٩٦ عن كتاب الحوادث « هاجر »

وتُوُفِّى قاضى قضاة مكة وعالمها جلال الدين أبو السعادات محمد بن أبى البركات محمد بن أبى السعود محمد بن الحسين بن على بن أبى أحمد بن عطية بن ظَهيرة[1] المكى المخزومى الشافعى بمكة ، وهو قاضٍ ، فى تاسع صفر ، ودفن من الغد .

وتولَّى قضاء مكة بعده ابنُه محب الدين محمد ، وكان مولده فى سلخ شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وسبعمائة بمكة ، وبها نشأ وتفقه بعلماء عصره ، إلى أن برع فى عدة عُلوم ، وشارك فى عدة فنون ، ونُعت بعالم الحجاز ، وتولى قضاء مكة غير مرة ؛ وقد ذكرنا مشايخه وعدة وقائعه فى تاريخنا « حوادث الدهور » ، وذكرنا أيضا مصنفاته ، وكان له نظم جيد ، ومما أنشدنى من لفظه لنفسه فى القاضى كمال الدين ابن البارزى كاتب السّرّ الشريف بالديار المصرية : [السريع]

أبرزه الله بـــــلا حاجبٍ يحجبه عنـا ولا حاجزِ
فـكلُّ فَضْل من جميع الورى مُـكْتَسَبٌ من ذلك البارزى

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين إينال بن عبد الله الأشرفى[2] الطويل أحد أمراء الخمسات ، فى يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين نوكار بن عبد الله الناصرى ، أحد أمراء العشرات ، والزَّرَدْكاش ، فى أواخر جمادى الآخرة — مجردا إلى بلاد ابن قَرَمان — بمدينة غزة ، وكان من مماليك الناصر فرج وتخومِل من بعده ، واحتاج إلى أن خَدَمَ فى أبواب الأمراء ، وقاسى خطوب الدهر ألوانا ، إلى أن عاد إلى باب السلطان بعد موت الملك المؤيد شيخ وصار خاصكيا ، وأقام على ذلك سنين كثيرة إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر جَقْمَق بإمرة عشرة بعد سؤال كثير ، ثم صار حاجبا ثانيا ، فدام على ذلك لا يلتفت إليه فى الدول إلى أن ولّاه الملك الأشرف إينال الزردكاشية بعد موت جانبك الوالى ، فاستمر على

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ٢١٤–٢١٦) وولد سنة ٧٩٥ ﻫ .

(٢) نسبة إلى الأشرف برسباى (هامش و . پوپر ٧ : ٥٩٧) .

ذلك إلى أن مات ، وكان مهملا يعيش بين الأكابر بالدعابة والمضحكة ، وليس فيه أهلية لحرب ولا ضرب ، ولا لنوع من الأنواع سوى ما ذكرناه — رحمه الله .

وتُوُفِّى قاضى القضاة ولى الدين محمد السنباطى (١) المالكى قاضى قضاة الديار المصرية فى يوم الجمعة عاشر شهر رجب ، ودفن من يومه ، وقد زاد سنه على السبعين ، وكانت لديه فضيلة مع لين جانب وتدين ، ومع هذا لم تشكر سيرته فى القضاء ؛ لسلامة باطنه ، ولحواشيه(٢) — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى شيخ الإسلام ، علّامة زمانه كمال الدين محمد ابن الشيخ همام الدين عبد الواحد ابن القاضى حميد الدين (٣عبد الحميد٣) ابن القاضى سعد الدين مسعود الحنفى السيرامى الأصل(٤) المصرى المولد والدار والوفاة ، العالم المشهور بابن الهمام ، فى يوم الجمعة سابع شهر رمضان ، ودفن من يومه ، وكانت جنازته مشهودة ، ومات ولم يخلف بعده مثله فى الجمع بين علمى المنقول والمعقول ، والدين والورع والعفة والوقار فى سائر الدول ، ومولده فى سنة ثمان أو تسع وثمانين وسبعمائة بالقاهرة ، وبها نشأ ، واشتغل على علماء عصره إلى أن برع ، وصار أعجوبة زمانه فى علوم كثيرة بلا مدافعة ، وولى مشيخة المدرسة الأشرفية بَرْسْباى من الأشرف قبل سنة ثلاثين وثمانمائة ، ثم تركها رغبة منه ، ودام ملازما للأشغال ، وحج وجاور غير مرة ، إلى أن ولّاه الملك الظاهر جَقْمَق مشيخة خانقاه شَيْخُون ، واستمر بها مدة طويلة من السنين ، ثم تركها أيضاً وسافر إلى مكة ، ور.. قصد المقام بها إلى أن يموت ، فلما حصل له ضعف فى بدنه عاد إلى مصر

(١) هو محمد بن محمد بن عبد اللطيف بن إسحاق بن أحمد بن إبراهيم ؛ ولد سنة ٧٨٧ (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ١١٣-١١٤) .

(٢) المقصود بحواشى هذا القاضى رجاله وأعوانه المحيطون به ، وكانوا فيما يبدو بطانة سوء له تستغل سلامة باطنه بما يسىء إلى سمعته .

(٣) هذا الاسم ساقط من ص والإثبات عن ط . كاليفورنيا .

(٤) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٨ : ١٢٧-١٣٢) ولد سنة ٧٩٠ هـ . وقيل ٧٨٨ أو ٧٨٩ هـ ، وقد ورد السيواسى وليس السيرامى كما هنا .

ولزم الفراش إلى أن مات ، وقد ذكرنا من مصنفاته وأحواله ما هو أطول من هذا فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » إذ هو محل الإطناب — رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الأميرُ سيفُ الدين جانِبَك بن عبد الله القرمانى [1] الظاهرى حاجب الحجاب بالديار المصرية ، بعد عوده من تجريدة ابن قرمان بالقرب من منزلة الصالحية ، فحمل إلى القاهرة ودُفن بالقرافة الصغرى ، فى يوم الجمعة ثانى عشر شوال ، وقد أناف على الثمانين ، وكان من عتقاء الملك الظاهر بَرْقُوق؛ ووقع له محن فى الدولة الناصرية فرج إلى أن تأمر بعد الملك المؤيد شيخ عشرة ، وصار من جملة معلمى ارمح ؛ إلى أن نقله الملك الظاهر جَقْمَق إلى إمرة طبلخاناه ، وصار بعد ذلك رأس نوبة ثانيا ، واستمر على ذلك إلى أن نقله الملك الأشرف إينال إلى إمرة مائة وتقدمه ألف ، ثم ولّاه حجوبية الحجاب ، ثم تجرّد من جملة من تجرد من الأمراء إلى بلاد ابن قرمان ، فمات فى عودِه حسبما تقدم ، وكان ساكنا عاقلا إلا أنه كان لا يتجمل فى نفسه ولا فى مركبه — رحمه الله تعالى .

وتُوُفى الأمير سيف الدين جَكَم بن عبد الله النُّورِى [2] المؤيدى ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بمدينة غزة ، وهو عائد من تجريدة ابن قرمان فى يوم الاثنين ثامن شوال ، وقد قارب الستين ، وكان من مماليك المؤيد شيخ ، وتأمر فى دولة الأشرف إينال عشرة وصار من جملة رءوس النوب ، وكان من المهملين يعيش تحت ظلّ خُجْداشيته .

وتُوُفّى القاضى زينُ الدين أبو العدل قاسمُ ابن قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلْقينى [3] الشافعى فى يوم الأحد حادى عشرين شوال ، وهو فى عشر السبعين ، وكان نشأ تحت كنف والده ، غير أن اشتغاله كان

(١) سمى بالقرمانى لأنه أقام مدة طويلة فى بلاد ابن قرمان حينما توجه إليها فى عهد الناصر فرج ابن برقوق . وبعد الحكم بتوسيطه . (هامش و. پوپر ٧ : ٦٠٠ عن كتاب الحوادث) .

(٢) له (ترجمة فى السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٧٦) .

(٣) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ١٨١ — ١٨٢) وقد ولد سنة ٧٩٥ هـ .

بالفقيرى ، وناب فى الحكم سنين ، وتولّى نظر الجوالى ، وكان فيه كرمٌ أفقره فى أواخر عمره ، واحتاج منه إلى تحمل ديون والحاجة للناس ، فكان حاله كقول القائل :

كم من فتىً أفقره جودُه وعاش فى الناس عَيْشَ الذليل
فاشدد عُرى مالِكَ واستَبْقِهِ فالبخلُ خيرٌ من سؤالِ البخيل

وتُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدين أَزْبُك بن عبد الله الشِّشْمانى المؤيّدى أحد أمراء الخمسات فى يوم السبت رابع عشرين ذى الحجة ، وسنه نحو الثمانين ، وكان أصله من مماليك الملك المؤيَّد شَيخ قبل سلطنته ، وطالت أيامه فى الجندية إلى أن تأمّر خمسة فى دولة الملك الأشرف إينال ، ومات بعد سنين ، وكان مكفوفا عن الناس إمّا لخيره أو لشره — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى خُشْكَلْدى الزينى عبد الرحمن بن الكُوَيْز أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق ، وكان أصله من مماليك صاحبنا الأمير زين الدين عبد الرحمن بن الكُوَيْز ، ثم صار من جملة دَوَادَارِيَّة السلطان ، ثم سعى فى دوادارية السلطان بدمشق حتى وليها بمال بذله فى ذلك ، فلم تطل مدته ، فعُزِل وقدم القاهرة ، وسعى ثانيا إلى أن أُعطى إمرةً بدمشق ، فتوجه إليها ودام بها إلى أن مات ، وكانت لديه فضيلة فى الفقه على قدر حاله — رحمه الله تعالى .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم سبعة أذرع وثمانية أصابع ، مبلغ الزيادة عشرون ذراعا وإصبع واحد .

السنة السادسة من سلطنة الملك الأشرف إينال العلائى

على مصر

وهى سنة اثنتين وستين وثمانمائة :

فيها تُوُفِّىَ القاضى شهابُ الدين أحمدُ بن يوسف الشيرجى[(١)] الشافعى أحد نوّاب الحُكْم بالدِّيَار المصرية فى يوم الجمعة رابع عشر المحرم ، ودفن من يومه بعد صلاة الجمعة ، وقد أناف عن الثمانين ، وكان حضر دروس السِّراج البُلْقِينى ، وله إلمام بعلم الفرائض ، وناب فى الحكم سنين ، وأفتى ودرَّس ، وكان غير محبب إلى أصحابه .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين أَزْبُك بن عبد الله الأشرفى البواب ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، فى يوم الثلاثاء ثامن عشر المحرم ، وأصله من مماليك الأشرف بَرْسْباى ، ثم امْتُحِن بعد موت أستاذه وحُبس ، ثم أُطْلِق ، وقَدِمَ القاهرة وتأمّر فى أول دولة الأشرف إينال خمسة ، شريكا لأَزْبُك الشِّشْمانى المقدم ذكر وفاته فى السنة الخالية ، فلما مات أَزْبُك المذكور أُنعم بنصيبه من الإقطاع على شريكه أَزْبُك هذا لِتتِمةِ إقطاعه إمْرَة عشرة ، فعاش أَزْبُك هذا بعد ذلك دون الشهر ومات ، فكان حاله كالمثل السائر : « إلى أن يسعد المعثر فرغ عمره » .

وتُوُفِّىَ القاضى علاء الدين على بن محمد بن آقْبَرْس[(٢)] الشافعى أحد نواب الحكم ، فى يوم الأحد خامس عشر صفر بطالا ، وهو فى عشر السبعين ، وكان مولده بالقاهرة ، وبها نشأ ، وتكسَّب بعمل العَنْبَر فى حانوت بالعنبريين مدة سنين ، ثم اشتغل بالعلم ، وناب فى الحكم ، وصحب الملك الظاهر جَقْمق قبل سلطنته ، فلما تسلطن قرَّبَه ، أوهو قرَّب نفسه ، وولى نظر الأوقاف ، ثم حِسْبَة القاهرة[(٣)] ، ثم نظر الأحباس ، وتحرك له بُعَيْضُ سَعْد ،

(١) هو أحمد بن يوسف بن محمد بن محمد بن تاج الدين بن محمد ابن الزين محمد بن رسلان من الحلوجى ويعرف كأبيه بالشيرجى ، ولد فى أواخر ٧٧٨ هـ . (السخاوى – الضوء اللامع ٢ : ٢٤٩–٢٥٠) .

(٢) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٥ : ٢٩٢–٢٩٣) ولد سنة ٨٠١ هـ .

(٣) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٦٠٣ عن كتاب الحوادث « عوضا عن البدر العينى بحكم كبر سنه ، فلم يشكره أحد على ذلك » .

إلا أنه تَبَهْدَلَ غير مَرّة من السلطان لسُوء سيرته ، فإنه لما ولى ماولى ماعفّ ولا كفّ ، بل مدّ يداً للأخذ ، إلى أن ساءت القالة فيه ، وانحط قدرُه لذلك كثيرا ، فلما مات الملك الظاهر امتُحن وصُودِر ، وتُخُومل ، ولزم داره إلى أن مات ، وكان له نظم أحسنه فى الهجو ، ومما هجا به عبد الرحمن ابن الدّيْرى ناظر القدس [الطويل]

أقولُ لمن وافى إلى القدسِ زائراً وصلتَ إلى الأقصى من الفضلِ والخيرِ
تقرّب إلى مولاك فيه عبادة وبِع بِيَعَ الرهبانِ وابعُدْ عن الدّيْرى

وتُوُفِّى عبدُ الكريم شيخ مقام الشيخ أحمد البدوى بظاهر القاهرة فى صبيحة ثامن عشر صفر ، وجد ميتا ، وقد اختلفت الأقوال فى موتته ، فمنهم من قال : تردَّى من سطح وهو ثَمِل ، ومنهم من قال : دسّ عليه شيخُ العرب حسن بن بغداد مَنْ قتله ، وهو الأشهر ، وأنا أقول : قتله سرّ الشيخ أحمد البدوى لانهماكه على المعاصى وسوء سيرته ، فأراح الله الشيخ أحمد البدوى منه ولله الحمد — وتولى عوضه شيخ المقام صبىّ أقاربه دون البلوغ .

وتُوُفِّى الشيخُ العارفُ بالله القدوةُ المسلك[1] مَدْيَنُ الصوفى المالكى بزاويته بخط المَقْس[2] بظاهر القاهرة ، فى يوم الأربعاء تاسع شهر ربيع الأول بزاويته ، وكان له شهرة عظيمة ، وللناس فيه اعتقاد ومحبة ، لم يتفق لى مجالسته ، غير أنى رأيته غير مرّة — رحمه الله ونفعنا ببركته .

وتُوُفِّى الأمير جانَم بن عبد الله الأشرفى البهلوان ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة فى يوم الاثنين سادس شهر ربيع الآخر ، ودفن من يومه ، وهو فى الكهولية ، وكان من مماليك الملك الأشرف بَرْسْباى وخاصكيته ، وتأمر بعد أمورٍ فى الدّولة الأشرفية إينال ، وكان مليح الشكل مشهورا بالشجاعة والإقدام — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأميرُ سَيْفُ الدين طُوخ بن عبد الله من تِمْراز الناصرى أمير مجلس بطّالا

(١) أى تسليك الفقراء (هامش و. پوپر ٧ : ٦٠٥ عن كتاب الحوادث) وله ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ١٥٠—١٥٢) وقد ولد سنة ٧٨١ هـ .

(٢) للتعريف بهذا المكان انظر ج ٤ ص ٥٣ من هذا الكتاب ط دار الكتب .

بعد مرض طويل ، فى ليلة الثلاثاء سابع شهر ربيع الآخر ، ودفن من الغد ، وكان من مماليك الناصر فرج ، وتأمر فى أوّل الدولة الأشرفية بَرْسْباى عشرة ، وصار من جملة رءوس النّوب[1] ، وكان يعرف بينى بازِق ، أى غليظ الرّقبة ، وكان قليل الخير والشرّ مَـكْفُوفا عن الناس ، ليس له كلمة فى الدّولة ، وكان السلطان أنعم بإقطاعه قبل موته على الأمير بَرْسْباى البَجاسى حاجب الحجاب — ووظيفته إمرة مجلس — على الأمير جَرِباش المحمدى المعروف بكرد الأمير آخور .

وتُوُفِّى القاضى شهاب الدين أحمد الدماءى[2] الحنفى قاضى بولاق ، وكان يعرف بترْقَماس ، فى يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الآخر ، ودفن من الغد — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين سودون بن عبد الله النَّوْروزى المعروف بالسلاحدار ، نائب قلعة الجبل بها ، فى ليلة الأحد سادس عشرين شهر ربيع الآخر ، ودفن من الغد ، وله نحو سبعين سنه ، وكان من مماليك نورُوز الحافظى نائب الشام ، وصار بعد موته سلاحدارا فى الدولة الأشرفية برسباى ، ثم تأمر عشرة فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، وصار من جملة رءوس النوب ، ثم جعله الملك الأشرف إينال نائب قلعة الجبل بعد موت قانى باى الناصرى الأعْمش ، فدام فى نيابة القلعة إلى أن مات ، وكان لا بأس به ، لولا إسراف كان فيه على نفسه — عفا الله عنه .

وتُوُفِّى الأستاذ المادح المغنى ناصر الدين محمد المازونى[3] الأصل ، المصرى ، أحد الأفراد فى إنشاد القصيد وعمل السماع ، فى ليلة الجمعة ثامن جمادى الأولى ، بعد أن أبتلى بمرض الفالج ، وبطل نصفه وسكت حسه ، وكان من عجائب الدنيا فى

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٦٠٥ عن كتاب الحوادث «ثم انحط قدره بعد موت أستاذه ، وأقام سنين ببلاد الشام إلى أن أعاده الظاهر ططر إلى مصر» .

(٢) كذا فى ص ٦ وأيضا فى الضوء اللامع ، نسبة إلى دماص قرية من قرى الشرقية واسمه أحمد ابن على بن محمد بن مكى بن محمد بن عبيد بن عبد الرحيم الأنصارى . الدماءى — ولد سنة ٧٩٠ هـ بالقاهرة (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٤١) .

(٣) هو محمد ناصر الدين المغربى الأصل — القاهرى المغنى المعروف بالمازونى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ١١٦) .

فنونه ، كان صوته صوتا كاملا أوازاوثما[(١)] ، مع شجاوة ونداوة وحلاوة ، كان رأسا فى إنشاد القصيد على الضروب والحدود ، سافر غير مرة إلى الحجاز حاديا فى خدمة الأكابر ، وكان له تسبيح هائل على المآذن ؛ ففى هذه الثلاثة كان إليه المنتهى ، وكان يشارك فى الموسيقى جيدا ، ويعظ فى عقود الأنكحة ، وليس فيه بالماهر ، وفى الجملة إنه لم يخلف بعد مثله ، وفى شهرته ما يغنى عن الإطناب فى ذكره .

وتُوُفِّى الشرفى موسى ابن الجمالى يوسف بن الصفى الكركى ناظر جيش طرابلس بها ، فى ليلة الأحد ثامن شهر رجب[(٢)] ، وخلف مالا كثيرا وعدة أولاد ، وكان من مساوئ الدهر دميم الخلْق مذموم الخلُق .

وتُوُفِّى الشيخ الإمام العالم العلّامة شرف الدين يحيى [بن صالح بن على بن محمد ابن عقيل][(٣)] العجيسى المغربى الأصل والمولد والمنشأ ، المصرى الدار والوفاة ، المالكى ، فى يوم الأحد سابع عشرين شعبان ، ومولده فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، وكان إماما فى النحو والعربية ومعرفة تاريخ الصحابة ، وله مشاركة فى فنون كثيرة ، مع حدة كانت فيه وسوء خلق — رحمه الله .

وتُوُفِّى الخليفة أمير المؤمنين القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة ابن المتوكل على الله أبى عبدالله محمد العباسى المصرى[(٤)] بثغر الإسكندرية مخلوعا من الخلافة ، فى سابع عشر شوال ، وقد مرَّ ذكر نسبه فى تراجم أسلافه فى عدة مواطن من مصنفاتنا ، مثل « مورد اللطافة فى ذكر من ولى السلطنة والخلافة » وغيره ، وكان القائم بأمر الله هذا وَلِىَ الخلافة بعد موت أخيه المستكفى سليمان بغير عهد ـ اختاره الملك الظاهر جَقْمَق ـ فدام فى الخلافة إلى أن خرج

---

(١) فى ص «أواز ونيم» ولعلها « زيروبم» . لأن الصوت الكامل هو الذى يجمع الطبقتين طبقة الزير وطبقة البم — وانظر (السيف المهند ص ١١٦) فى طبائع الإنسان فى السماع . وانظر (الفارابى — الموسيقى الكبير ٥٥٣ وما بعدها) .

(٢) فى ص « ثانى عشر شهر رجب» .

(٣) إضافة عن هامش و. پوپر ٧ : ٦٠٨ عن كتاب الحوادث .

(٤) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ١٦٦–١٦٧) .

الأتابك إينال العلائى صاحب الترجمة عَلَى الملك المنصور عثمان بن الملك الظاهر جَقْمَق ، قام الخليفة هذا مع إينال على الملك المنصور عثمان أشد قيام ، فلما تسلطن إينال عرف له ذلك ، ورفع قدره ومحله إلى الغاية ، ونال فى أيامه من الحرمة والوجاهة مالا يقاربه أحد الخلفاء من أسلافه ، فاتفق بعدذلك ركوب جماعة من صغار المماليك الظاهرية على الأشرف إينال ، وطلبوه لحضر عندهم ، ووافاهم أفضل موافاة ، فلم ينتج أمرهم ، وسكنت الفتنة فى الحال ، وقد ذكرناها فى أصل هذه الترجمة مفصلة . فلما سكن الأمر طلبه السلطان إلى القلعة ، ووبخه على فعله وحبسه بالبحرة بقاعة الجبل ، وخلعه من الخلافة بأخيه المستنجد يوسف ، ثم أرسله إلى سجن الإسكندرية فحبس به مدة ثم أُطلق من السجن، ورُسم له بأن يسكن حيث شاء من الثغر ، فسكن به إلى أن مات — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الحاج خليل المدعو قانى باى اليوسفى المِهْمَنْدار محتسب القاهرة بها ، فى عشرين شوال ، وهو مناهز السبعين [1] ، وكان أصله من مماليك قَرَا يوسف بن قَرَا محمد ، صاحب بغداد على ما زعم ، ثم قدم القاهرة فى دولة الأشرف بَرْسْباى ، وسأله الأشرف عن أصله وجنسه فقال : أنا من مماليك قَرايوسف ، جنسى چاركسى ، واسمى الأصلى قانى باى ، فمشى ما قاله على الأشرف ؛ لضعف نقده ، وعدم معرفته ، وسماه قانى باى اليوسفى ، وجعله خاصكيا ؛ ثم امتحن بعد موت الأشرف برْسْباى ، وحُبس إلى أن عاد إلى رتبته فى الدولة الأشرفية إينال ، وجعله مهمندارا ، ثم محتسبا إلى أن مات .

وتُوُفِّىَ يار على بن نصر الله العجمى الخراسانى الطويل [2] ، محتسب القاهرة بطالا ، بعد مرض طويل ، فى سادس عشرين ذى القعدة ، ودُفن من الغد ، وسنه نيف على الثمانين ، وكان هو يَدَّعِى أكثر من ذلك ، وليس بصحيح ، وكان أصله فقيرا مكديا على عادة فقراء العجم ، وخدم الأمير سودون من عبد الرحمن نائب الشام لما كان

(١) فى ص «الستين» .

(٢) المعروف بالشيخ على (عن هامش د . پوپر ٧ : ٦١٠ عن كتاب الحوادث) .

هاربا من الملك المؤيَّد شَيْخ بالعراق ، فلما عاد سودون إلى رتبته بالديار المصرية ، وصار دوادارا كبيرا فى دولة الأشرف بَرْسْباى ، قدم عليه يارعلى هذا ماشيا على قدميه من بلاد العجم ، فأحسن إليه سودون ، ولما عمَّر مدرسته بخانقاه سِرْياقوس جعله شيخا ، ودام على ذلك وقد حسنت حاله ، وركب فرسا بحسب الحال ، إلى أن تسلطن الملك الظاهر جَقْمق ، فتحرك سعـــده لا لأمر أوجب ذلك بل هى حظوظ وأرزاق ، تصل لـكل أحد [١].

ولا زال جقمق يرقّيه حتى ولّاه حسبة القاهرة غير مرّة ، ثم نكبه وصادره ، وأمر بنفيه ؛ لسوء سيرته ، ولقبيح سريرته ، فإنه لما ولى حسبة القاهرة سار فيها أقبح سيرة ، وفتح له أبواب الظلم والأخذ ، فما عفّ ولا كفّ ، وجدّد فى الحسبة مظالم تُذكر به ، وإثمها وإثم من يعمل بها عليه إلى يوم القيامة ، وصار يأخذ من هذه المظالم ويخدم الملوك بها ، فانظر إلى حال هذا المسكين [٢] الذى ظلم نفسه ، وظلم الناس لغيره ، فلا قوّة إلا بالله ، اللهم اغننا بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عن سواك .

وَتُوُفِّىَ الشيخُ المعتقدُ المجذوبُ إبراهيم الزيات [٣] بحيث هو إقامته بقنطرة قُدَيْدار [٤] ، ودفن من يومه ، وهو اليوم الذى مات فيه الشيخ على المحتسب المقدّم ذكره ، وكان للناس فيه اعتقاد ، ويقصد للزيارة ، وكانت جذبته مطبقة ، لا يصحو ، ويكثر من أكل الموز — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ الكبير سيف الدين تَنِبَك [بن عبد الله] [٥] البُرْدبَكى

---

(١) فى ص « ونتصل للبر والفاجر » .

(٢) فى ص « الشقى » .

(٣) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ١٨٤) .

(٤) قنطرة قديدار : وكانت تقع على الخليج الناصرى ويتوصل إليها من اللوق ، تعرف بالأمير سيف الدين قدادار والى القاهرة فى بعض أيام حكم الناصر محمد بن قلاوون (المقريزى الخطط ٢ : ١٤٧–١٤٩ ط بولاق) ولا زال هناك شارع يحمل اسم هذا الأمير يتفرع من شارع التحرير بحى باب اللوق قرب ميدان التحرير ويحمل اسم الأمير قدادار ولعله مكان هذه القنطرة .

(٥) الإضافة عن هامش و . پوپر ٧ : ١١٢ من كتاب الحوادث .

[الظاهرى][1] أتابك العساكر بالديار المصرية ، فى يوم الاثنين رابع عشرين ذى القعدة ، ودُفن من الغد ، وقد ناهز التسعين من العمر ، لأنه كان من مماليك الظاهر بَرْقُوق ، وتزوج فى أيامه ، وكان من إنيات الوالد ، وتَرَقَّى فى أوائل دولة الأشرف بَرْسْبَاى إلى أن صار أمير عشرة — أو فى أيام دولة الملك المظفر أحمد — ومن جملة رءوس النوب ، ثم صار فى سنة سبع وعشرين نائب قلعة الجبل بعد تَغْرِى بَرْمُش البَهَسْنِى[2] التركمانى ، بحكم انتقاله إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، وأنعم على تَنِبَك بإمرة طبلخاناه عوضا عن تَغْرِى بَرْمُش المذكور أيضا ، فدام على ذلك مدة طويلة إلى أن نقل إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية فى أواخر الدولة الأشرفية .

ثم ولى نيابة قلعة الجبل ثانيا فى أوائل دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، وهو أمير مائة ومقدم ألف ، ثم صار أمير حاج المحمل ، ثم ولى حجوبية الحجاب بالديار المصرية ، ودام على ذلك سنين كثيرة ، وحجَّ أمير حاج المحمل غير مرّة ، إلى أن أمسكه السلطان الظاهر ونفاه إلى ثغر دِمياط ، وأنعم بإقطاعه وحجوبيته على الأمير خُشْقَدَم الناصرى المؤيَّدى ، أحد أمراء الألوف بدمشق ، فأقام بدِمياط مدّة .

ثم طلبه الملك الظاهر إلى الديار المصرية ، ورسم له بالمشى فى الخدمة السلطانية ، فمشى فى الخدمة أياما كثيرة من غير إقطاع ، إلى أن مات الشهابى أحمد بن على بن إينال أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية ، فأنعم بإقطاعه على تَنِبَك هـــذا ، ثم صار أمير مجلس فى دولة الملك المنصور عثمان بعد انتقال تَنَم المؤيدى إلى إمْرَة سلاح ، بعد جَرِباش الكريمى بحكم لزومه بيته لكبر سنه وضعف بدنه ، فلم تطل أيامُه .

واستقرّ أمير سلاح فى ثانى يوم من سلطنة الملك الأشرف إينال ، عوضا عن تَنَم المذكور ، بحكم القبض عليه وحبسه بسجن الإسكندرية ، فلم يتمّ له ذلك غير يوم واحد وأصبح استقر أتابك العساكر لما كَثُرت القالةُ فى تولية الشهابى أحمد ابن الملك الأشرف

(١) إضافة عن هامش و. پوپر ٧ : ٦١٢ عن كتاب الحوادث

(٢) فى ص «البهنسى» .

إينال أتابَك العساكر عوضا عن أبيه ، فعزَله وجعله من جملة أمراء الألوف واستقر تَنبَك هذا عوضه ؛ فدام فى الأتابكية مدة طويلة إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وتولى المقامُ الشهابى أحمد عنه الأتابكية ثانيا .

وكان أمر تَنبَك هذا فى ولايته الأتابكية غريبة ، وهو أن الذى أَخَذَ عنه وُلِّىَ عنه ، ولعل هذا لم يقع لأحد أبدا ، وكان تَنبَك المذكور رجلا ديِّناً خيرا ، هيّنا ليّنا ، سليم الفطرة ، شحيحا[1] ، لا يتجمل فى برَكِه ولا حواشيه — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ عظيمُ الدّولة الصاحبُ جمالُ الدين أبو المحاسن يوسف — مدبر المملكة ، وصاحب وظيفتى نظر الجيش والخاص معًا — ابن الرئيس كريم الدين عبد الكريم ناظر الخاص ابن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب جَكَم ، فى ليلة الخميس — وقت التسبيح — الثامن عشر من ذى الحجة ، ودفن من الغد بالصحراء فى تربته التى أنشأها ، وكانت جنازته مشهودة إلى الغاية ، وحضر المقامُ الشهابى أحمد أتابَك العساكر الصلاةَ عليه بمصلاة باب النصر ، وحضر دفنه أيضا ، ومات وسنه زيادة على أربعين سنة ؛ لأن مولده فى سنة تسع عشرة وثمانمائة ، هكذا كتب لى بخطه — رحمه الله .

ومات ولم يخلف بعده مثله رئاسة وسؤددا بلا مدافعة ، وهو آخر من أدركنا من رؤساء الديار المصرية ؛ لأنه كان فردا فى معناه ، لعظم ما ناله من السعادة والوجاهة ووفور الحرمة ، ونفوذ الكلمة والعظمة الزائدة ، وكثرة ترداد الناس إليه ، وأعيان الدولة وأكابرها إلى بابه ، بل الوقوف فى خدمته ، وهذا شىء لم ينله غيره فى الدولة التركية ، مع علمى بمنزلة كريم الدين الكبير عند الناصر محمد بن قلاوون ، وبما ناله سعد الدين إبراهيم بن غراب فى الدولة الناصرية فرج ، ثم بعظمة جمال الدين يوسف البيرى الأستادار فى دولة الناصر فرج أيضا ، ثم بخصوصية عبد الباسط بن خليل الدمشقى فى دولة الأشرف برْسْباى ، ومع هذا كله ليس فيهم أحد وصل إلى ما وصل إليه جمال

(١) هذا اللفظ ساقط من ص .

الدين هذا[١]، وقد برهنّا عما قلناه فى تاريخنا « حوادث الدهور » ، وأيضا فى تاريخنا « المنهل الصافى » ، فلينظر هناك ، وليس هذا الموطن محل إطناب — رحمه الله تعالى .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم سبعة أذرع وثمانية أصابع ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وخمسة عشر إصبعا .

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٦١٥ عن كتاب الحوادث « وإن كنت لست راضيا عنه لأنه ضيع على نحوا من سبعمائة دينار كانت لى قرضا بديوان الأتابك المذكور أعلاه ، ولكن الحق يقال »

السنة السابعة من سلطنة الملك الأشرف

على مصر

وهي سنة ثلاث وستين وثمانمائة :

فيها تُوُفِّي الأمير يَشْبُك بن عبد الله النَّوْرُوزي نائب طرابُلُس — كان — بطالا بالقدس، في يوم الاثنين تاسع المحرم، وهو في عشر السبعين تخمينا، وهو من عتقاء الأمير نَوْرُوز الحافظي.

وتنقل بعد موت أستاذه في خدم الأمراء، وقاسى خطوب الدهر ألوانا، إلى أن صار في أواخر دولة الأشرف بَرْسْباي من صغار أمراء دمشق، ثم تنقل في دولة الملك الظاهر جَقْمَق إلى أن صار حاجب حجاب طرابُلُس بالبذل، ثم نقل إلى حجوبية دمشق، ثم إلى نيابة طرابلس بعد عزل يَشْبُك الصوفي عنها؛ كل ذلك ببذل المال، فدام على نيابة طرابُلُس إلى أن أمسكه الملك الأشرف إينال في حدود سنة ستين، وحبسه بقلعة المرقب إلى أن أطلقه في سنة اثنتين وستين وثمانمائة، ورسم له بالتوجه إلى القدس بطالا، فاستمر بالقدس إلى أن مات في التاريخ المقدم ذكره.

وكان وضيعا في الدول، لم تسبق له رئاسة بالدولة المصرية، حتى إنه لم يخدم في باب سلطان أبدا، بل كان يخدم بأبواب الأمراء، إلى كان من أمره ما كان، وكان مع ذلك عنده طيش وخفة وتكبر، ولم أدر لأى معنى من المعاني — رحمه الله تعالى.

وتُوُفِّي الشيخ الإمام العالم العامل المحقق الفقيه الصوفي شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن خليل البَلاَطُنُسي[1] الشافعي؛ نزيل دمشق بها في ليلة سابع عشرين صفر، ودُفِن في صبيحة يوم الأربعاء، وكانت جنازته مشهودة، وكثر أسف الناس عليه، ومولده ببَلاَطُنُس من أعمال طرابُلُس، بعد سنة تسعين وسبعمائة، ونشأ بها، وقرأ العربية واشتغل، ثم قدم طرابُلُس، ولازم الشيخ محمد بن زهرة وبه تفقه، وأخذ

(١) له ترجمة في (السخاوي — الضوء اللامع ٨ : ٨٦) والضبط عن نفس الكتاب ١١ : ١٩١ .

الأصول عن الشيخ سراج الدين ، وقرأ الحديث أيضا بطرابُلُس على ابن البدر ، ثم رحل إلى دمشق قبل سنة عشرين ، واشتغل بها على العلماء ، ثم عاد إلى طرابُلُس .

ثم قدم إلى دمشق ثانيا بأهله واستوطنها ولازم علاّمة زمانه ووحيد دهره الشيخ علاء الدين محمد البخارى الحنفى ، وأخذ عنه فنونا كثيرة ، إلى أن برع فى الفقه والتصوف ، وجلس للإفادة والتدريس والأشغال إلى أن مات ، وكان قوّالا بالحق ، قائما فى أمر الملهوفين ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، وقد استوعبنا من أحواله نبذة كبيرة فى تاريخنا « الحوادث » وغيره — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين يَشْبُك بن عبد الله من جَانِبَك المؤيدى الصوفى أتابَك دمشق بها ، فى يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر وهو اليوم الذى مات فيه البَلَاطُنُسى المقدم ذكره ، وقد ناهز الستين من العمر ، كان من صغار مماليك الملك المؤيَّد شَيْخ ، وصار خاصكيا بعد موت أستاذه ، وامتُحن فى دولة الملك الأشرف بَرْسْباى بالضرب والعصر والنفى ؛ بسبب الأتابَك جَانِبَك الصوفى .

ثم عاد بعد سنين إلى رتبته ، وصار خاصكيا على عادته إلى أن تأمّر عشرة فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، وصار من جملة رءوس النوب ، وسافر إلى مكة مقدّم المماليك السلطانية بمكة ، ثم عاد إلى القاهرة ، ودام بها مُدَّةً ، ثم نفى إلى حلب بعد سنة خمسين وثمانمائة ، ثم نقله الملك الظاهر جَقْمَق إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بحلب ، ثم نقله بعد ذلك إلى نيابة حماة ببذل المال ، ثم إلى نيابة طرابُلُس كذلك ، بعد انتقال الأمير بَرْسْباى الناصرى إلى نيابة حلب فى سنة اثنتين وخمسين ، فدام على نيابة طرابُلُس إلى سنة أربع وخمسين ، فطُلِب إلى القاهرة ، فلما حضر أمسكه السلطانُ الملكُ الظاهر ، وأرسله إلى دِمياط بطالا ، ثم نقل بعد مدّة من دِمياط إلى سجن الإسكندرية ؛ لأمر بلغ السلطان عنه ، فلم تطل مُدَّتُه بسجن الإسكندرية وأُطْلِق وأرسل إلى دِمياط ثانيا ، ثم نقل إلى القُدْس ، ثم طلب إلى الديار المصرية ، فأنعم عليه بأتابَكية العساكر بدمشق ، بعد القبض على الأتابَك خير بك المؤيدى الأجرود .

فدام يَشْبُك هذا على أتابَكية دمشق إلى أن حَجّ أمير حاج المحمل الشامى فى سنة اثنتين وستين ، وعاد إلى دمشق ، ومات بعد أيّام ، وكان رجُلاً طوالا ، حسن الشكل ، حُلو اللسان ، بعيد الإحسان ، عادِلاً فى الظاهر ، ظالما فى الباطن ، متواضعا لمن كانت حاجته إليه ، مترفِّعا على من احتاج إليه ، كثير الخَدْع والتَّمَلُّق لأصحاب الشَّوْكَة ، بألف وجه وألف لسان ، مع كثرة أيمان الله والطلاق ، وشُحٍّ وبخل .

وتُوُفِّىَ الشيخ بهاء الدين أحمد بن على التّتَائى[1] الأنصارى الشافعى نزيل مكّة بها فى ليلة الثلاثاء سابع عشرين صفر ، وحضرتُ أنا الصلاة عليه بالحرم بعد صلاة الصُّبح ، ودفن بالمعلاة ، وهو أخو القاضى شرف الدين موسى الأنصارى الأكبر .

كان مولده بِتِتاَ — قرية بالمنوفية بالوجه البحرى من أعمال القاهرة — فى سنة ثمان وثمانمائة ، وكان فيه محاسن ومكارم أخلاق ، وخط منسوب ، وفضيلة — رحمه الله تعالى . قلتُ : وكانت وفاة بهاء الدين هذا ويَشْبُك الصوفى والبَلَاطُنُسِى المقدّم ذكرهما فى ليلة واحدة ، وهذا من النوادر — رحمهم الله .

وتِتاَ بتاء مثناة مكسورة وتاء مثناة أيضا مفتوحة ، وبعدهما ألف ممدودة .

وتُوُفِّىَ الأمير سيفُ الدين قانِى بَاى بن عبد الله الحمزاوى نائب دمشق بها فى يوم الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر ، وقد قارب الثمانين ، ودفن من الغد فى يوم الخميس ، وكان أصله من مماليك[2] سُودُون الحمزاوى الظاهرى الدّوادار ، ثم خدم بعد موته عند الوالد هو وجماعة كثيرة من خُجْداشِيته مُدّةً طويلة ، ثم صار فى خدمة الملك المؤيَّد شَيخ المحمودى قبل سلطنته ، فلما تسلطن أمَّره عشرة ، ثم صار أمير طبلخاناه ، ثم صار أمير مائة ومقدّم ألف بعد موت الملك المؤيَّد شَيخ ، وتولىّ نيابة الغَيْبة بالدّيار المصريّة للملك المظفر أحمد بن شَيخ لما سافر مع الأتابَك طَطَر إلى دمشق ، ثم قبض عليه الملك الظاهر طَطر لَمَّا عاد من دمشق وحبسه مُدَّةً ، إلى أن أطلقه الملك

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ٣٢ ومولده فى سنة ٨٠٧ هـ) .
(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٦١٩ عن كتاب الحوادث«ثم الحسنى نائب الشام ثم ملكه بعد موته» .

بَرْسْبَاى ، وجعله أتابَك دمشق ، ثم طلبه بعد سنين إلى الدّيار المصريّة ، وجعله بها أمير مائه ومقدّم ألف .

واستقرّ الأمير تَغْرِى بَرْدى المحمودى بعده أتابَك دمشق ، فدام قانِى بَاى بالقاهرة إلى أن ولّاه الأشرف نيابةَ حماة بعد انتقال الأمير جُلُبّان إلى نيابة طرابُلُس ، بعد موت الأتابَك طَرَباى فى سنة سبع وثلاثين ، ثم نقل بعد مُدَّة إلى نيابة طَرَابُلس بعد الأمير جُلُبّان أيضا ، بحكم انتقاله إلى نيابة حلب بعد عصيان تَغْرى بَرْمُش [التركمانى البَهَسْنِى](1) وخروجه عن الطاعة فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، فلم تطل مدته بها .

ونُقل إلى نيابة حلب بعد انتقال جُلُبّان أيضا إلى نيابة دمشق بعد موت الأتابَك آقْبُغَا التِّمرازى فى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة ، فدام فى نيابة حلب إلى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة ، فطلبه الملك الظاهر جَقْمَق إلى الديار المصرية ، وعزله عن نيابة حلب بالأمير قانِى بَاى البهلوان الناصرى ، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، عوضا عن الأمير شادبَك الجَكَمى المتولى نيابة حماة بعد انتقال قانِى بَاى البهلوان المقدّم ذكره إلى نيابة حلب .

فاستمرّ قانِى بَاى الحمزاوى من أمراء الدِّيار المصريّة إلى أن أعاده الملك الظاهر جَقْمَق ثانيا إلى نيابة حلب ، بعد عزل الأمير تَنَم من عبد الرزّاق المؤيّدى وقدومه إلى مصر على إقطاع قانِى بَاى هذا ، فدام فى نيابته هذه على حلب إلى أن نقله الملك الأشرف إينال إلى نيابة دمشق بعد موت الأمير جُلُبّان فى سنة ستين وثمانمائة . فاستمرّ على نيابة دمشق إلى أن مات بها ، وهو عاصٍ على السلطنة فى الباطن ، مقيم على الطاعة فى الظاهر .

وقد وقع فى أمر قانِى بَاى هذا غرائبُ منها : أنه من يوم خرج من مصر إلى ولاية حَلَب ثانيا فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق عصى على السّلطان فى الباطن ، وعزم على أنّه لا يعود إلى مصر أبدا ، فلما مات الظاهر وتسلطن ابنهُ المنصور عثمان ، ثم الأشرف

(1) إضافة عن هامش (و. پوپر ٧ : ٦٢٠ عن كتاب الحوادث) .

إينال قَوِىَ أمرُ قانِى بَاى هذا بحلب ، وفشا أمرُه عند كل أحد ، فلم يكشف الأشرف إينال ستر التغافل بينه وبين قانِى بَاى المذكور ، بل صار كل منهما يتجاهل على الآخر ، فذاك يُظْهِرُ الطاعةَ وامتثالَ المراسيم من غير أن يَطَأَ بساط السلطان ، أو يحضر إلى القاهرة ، وهذا يرضى منه بذلك ، ويقول : هذا داخل فى طاعتى ، ولا يرسل خلفه أبدا ، بل يغالطه ، حتى لو أراد قانِى بَاى الحضور إلى القاهرة مامكنه إينال ؛ لمعرفته منه أن ذلك امتحان ، وصار كل منهما يترقب موتَ الآخر إلى أن مات قانِى بَاى قبل ، وولَّى الأشرفُ إينالُ عوضه فى نيابة دمشق الأمير جانَم الأشرفى .

ومن الغرائب التى وقعت له أيضا أن قانِى بَاى هذا لم يَلِ ولايةَ بلدٍ مثل حماة وطرَابُلُس حلب والشام إلا بعد الأمير جُلُبَّان ، مع طول مُدّة جُلُبَّان فى نياباته الشاميّة أزيد من ثلاثين سنة ، فهذا من النوادر الغريبة ، كون أن قانى باى يعزل عن نيابة حلب ويصير أميرا بمصر مُدّة سنين ويلى حَلَب بعده غير واحد ، ثم يعود إلى نيابة حلب ، ويقيم بها إلى أن ينتقل منها إلى نيابة الشام[1] بعد موت جُلُبَّان ، كما انتقل قبل ذلك بعده فى كل بلد ، فهذا هو الاتفاق العجيب .

وتُوُفِّىَ الأميرُ شرف الدين عيسى بن عمر الهوارى أمير عرب هوارة ببلاد الصعيد فى ليلة الخميس رابع شهر ربيع الآخر ، بعد عوده من الحج ، وَوَلِىَ بعده ابنُه ، ثم عُزِل بعد أمور ، وكان عيسى هذا مليحَ الشكل ، ديِّنًا خيرا بالنسبة إلى أبناء جنسه ، وله مشاركة بحسب الحال ، ويتفقه على مذهب الإمام مالك — رضى الله عنه .

وتُوُفِّىَ الشيخُ الإمامُ الفقيهُ العالمُ أبو عبد الله محمد بن سليمان بن داود الجزُولى[2] المغربى المالكى نزيل مكة ، بها فى يوم الأحد ثامن عشر شهر ربيع الآخر ، وحضرتُ الصلاة عليه بحرم مكة ، ودفن بالمعلاة ، وكان مولده فى سنة سبع وثمانمائة بجزولة من بلاد

(١) فى ص « نيابة دمشق » ومدلول الصيغتين واحد فى المصطلحات المملوكية .

(٢) هو محمد بن سليمان بن داود بن بشر بن عمران بن أبى بكر . الجمال أبو عبد الله الجزولى . ولد سنة ٨٠٦ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٧ : ٢٥٨-٢٥٩) .

المغرب ، وكان فقيها عالما بفروع مذهبه ، عارفا بالنحو ، مشاركا فى التفسير والحديث ، وسَمِعَ ببلاده أشياء كثيرة ، وحدّث ببعضها فى مكة ، ودرّس وأفتى ، وانتفع أهل مكة بدروسه ، وكان كريم النفس بخلاف المغاربة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ القاضى محبُّ الدين أبو البركات محمد بن عبد الرحيم الهيتمى[1] الشافعى ، أحد نوّاب الحكم الشافعية بالديار المصرية ، فى يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى ، وحضرتُ الصلاة عليه بحرم مكة ، ودفن بالمعلاة ، وقد زاد عمره على الستين ، وكان فقيها نحويا ، مشاركا فى فنون كثيرة ، كان يحفظ التوضيح لابن هشام فى النحو ، وكان مستقيم الذهن ، جيد الذكاء ، ناب فى الحكم [بالديار المصرية][2] أزيد من ثلاثين سنة ، ودرّس وخطب ، وجاور بمكة غير مرّة إلى أن مات فى مجاورته هذه الأخيرة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ القاضى ناصرُ الدين محمد بن النبرَاوى[3] الحنفى أحد نواب الحكم بالقاهرة ، فى يوم الثلاثاء تاسع عشرين جمادى الأولى ، وكان عاريا من العلم ، عارفا بصناعة القضاء .

وتُوُفِّىَ القاضى محبُّ الدين محمد ابن الإمام شرف الدين عثمان بن سليمان بن رسول ابن أمير يوسف بن خليل بن نوح الكَرَادى[4] — بفتح الراء المهملة — القَرْمشى الأصل ، الحنفى ، المعروف بابن الأشقر ، شيخ شيوخ خانقاه سِرْياقوس ، ثم ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية ، ثم كاتب السِّر بها ، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر رجب بالقاهرة بطَّالا ، ودُفن من الغد بتربته بالصحراء خارج القاهرة ، وكانت وفاته بعد عزله من كتابة السِّر بشهرين ، وبعد وفاة ولده إبراهيم بدون الشهر .

وكان مولده بالقاهرة قبل سنة ثمانين ، ونشأ بها واشتغل فى مبدأ أمره قليلا ، ثم

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٨ : ٥٢—٥٣) وقد ولد فى سنة ٨٠٢ هـ .
(٢) إضافة عن هامش و. پوپر ٧ : ٦٢٣ عن كتاب الحوادث .
(٣) هو محمد بن أحمد بن حسين (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ٣٠٦) .
(٤) نسبة لـ «كراد» بفتح الراء الخفيفة قبيلة من التركمان . ويعرف بابن الأشقر — لقب والده . وله ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٨ : ١٤٣) .

ولى مشيخة خانقاه سِرْياقوس فى سنة أربع عشرة وثمانمائة ، ثم بعد سنين كثيرة ولى كتابة السِّرّ بمصر فى دولة الملك الأشرف بَرْسْباى ، عوضا عن القاضى كمال الدين بن البارِزى ، بحكم عزله فى رجب سنة تسع وثلاثين ، وباشر الوظيفة إلى أن عُزِل عنها بالقاضى صلاح الدين بن نصر الله فى ذى الحجة من سنة أربعين ، فلزم داره بطالا ، إلى أن ولّاه الملك الظاهر جَقْمَق ناظر الجيوش المنصورة عوضا عن الزينى عبد الباسط بحكم القبض عليه ومصادرته فى سنة اثنتين وأربعين ، ثم عزل عن وظيفة نظر الجيش غير مرّة ، ثم ولى كتابة السر ثانيا بعد وفاة القاضى كمال الدين بن البارِزى فى سنة ست وخمسين ، فباشر الوظيفة إلى أن عُزِل عنها بالقاضى محب الدين بن الشِّحْنة ، ثم أعيد إليها بعد أشهر ، ودام بها مُدَّةً طويلة إلى أن عُزِل عنها ثانيا بابن الشِّحْنة فى سنة ثلاث وستين وثمانمائة ، ومات بعد ذلك بشهرين حسب ماتقدم ذكره ، وكان معدودا من رؤساء الديار المصرية ، وكان عنده حشمة وأدب وتواضع ومحاضرة حسنة ، إلا أنه كان رأسًا فى البخل — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ القاضى محب الدين محمد ابن القاضى ناصر الدين محمد الفاقوسى أحد أعيان موقعى الدَّسْت بالديار المصرية ، فى ليلة الاثنين خامس عشرين شهر رجب — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأمير سيف الدين خير بك بن عبدالله المؤيَّدى الأشقر الأمير آخور الثانى ، فى يوم السبت مستهل شعبان [وقد جاوز السبعين][1] وكان من مماليك المؤيَّد شَيخْ ، صار خاصَّكيًّا فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، ومن جملة الدَّوَادارية الصِّغار ، إلى أن أُنعم عليه بإمرَة عَشرة ، بعد مسك جانِبَك المحمودى المؤيَّدى ، وجعله جقمق من جملة رءوس النوب ، وحجّ أمير الركب الأول ، ثم نقل إلى الأمير آخوريّة الثانية فى أوائل دولة الملك الأشرف إينال ، عوضا عن سُنْقُر العايق الظاهرى ، فباشر الوظيفة بغير حُرْمَة ،

(١) إضافة عن هامش و. پوپر ٧ : ٦٢٥ عن كتاب الحوادث .

وصار فيها كل شيء إلى أن مات ، وتولى الأمير يَلَبَاى الإينَالِى المؤيّدى الأمير آخورية الثانية من بعده .

وكان خَيِر بَك هذا كثير الفتن بين الطوائف ، وليس عنده هِمّة لإثارة الحَرْب إلا بالكلام .

وتُوُفّى الإمامُ شهاب الدين أحمد الإخميمى أحد أئمة السلطان فى يوم السبت تاسع عشرين شعبان[1] — رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الأمير زين الدين قاسم بن جمعة القسامى الحلبى نائب قلعة حلب بها فى شهر رمضان ، وكان ولى قبل ذلك حجوبية حلب وغيرها ، الجميع بالبذل .

وتُوُفّىَ القاضى معين الدين عبد اللطيف بن أبى بكر [بن سليمان سبط][2] ابن العجمى نائب كاتب السر بالديار المصرية ، يوم الجمعة رابع شوال وعمرهُ نيف عن خمسين سنة ،[3] وكان ولى فى الدولة الأشرفية كتابة سر حلب ، ثم ولى نيابة كتابة السّر بمصر بعد وفاة أبيه القاضى شرف الدين إلى أن مات ، وكان هو القائم بأعباء ديوان الإنشاء . لمعرفته بصناعة الإنشاء ، ولما فيه من الفضيلة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفّى الأمير سيفُ الدين سودون بن عبدالله من سيدى بك الناصرى القَرَمانى أتابَك حلب بطريق الحج فى شوال ، وكان من مماليك الناصر فرج ، وانحط قدره ، وخدم فى أبواب الأمراء إلى أن صار خاصكيا فى دولة الملك الظاهر طَطر ، ثم صار ساقيا فى دولة الملك الظاهر جَقْمق ، ثم تأمّر عشرة ، ثم نقل إلى تقدمه ألف بحلب ، ثم صار أتابكا فى دولة الأشرف إينال ، ثم نقل إلى أتابكية طرابُلُس ، ثم أعيد بعد مُدة إلى أتابكية حلب إلى

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٦٢٥ عن كتاب الحوادث « وكان معدودا من بياض الناس » .

(٢) إضافة عن هامش و. پوپر ٧ : ٦٢٦ عن كتاب الحوادث ، وله ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٤ : ٣٢٥-٣٢٦) .

(٣) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٦٢٦ عن كتاب الحوادث « ودفن من الغد ، ومولده بالقاهرة فى سنة اثنتى عشرة ، ونشأ تحت كنف والده ، وقرأ واشتغل ، وبرع فى صناعة الإنشاء ، وباشر التوقيع السلطانى ، وخدم عند تمراز القرمشى » .

أن مات ، وكان مهملا مسرفا على نفسه ، وعنده فشار كبير(١) ومُجَاز فات فى كلامه — رحمه الله .

وتُوُفِّىَ الشيخ الإمامُ الفقيه الواعظ الصوفى شمس الدين محمد الحموى الأصل الحلبى الشافعى المعروف بابن الشماع ، فى ذى القعدة بالمدينة الشريفة قاصدا الحج ، ودفن بالمدينة يوم دخول الحاج الشامى إليها ، وكان حلو اللسان ، مليح الشكل ، طلق العبارة والمحاضرة ، ولكلامه طلاوة ورونق وموقع فى النفوس — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين قانى باى المؤيدى المعروف بقَرَاسقل أحد أمراء العشرات بمدينة طرابلس فى توجهه من الديار المصرية فى البحر إلى الجون(٢) صحبة الأمراء المصريين وقد ناهز الستين من العمر أوجاوزها بيسير ، وكان من مماليك الملك المؤيد شيخ ، ممن صار خاصكيا فى دولة الظاهر جقمق وساقيا ، ثم تأمَّر عشرة إلى أن مات ، وكان ساكنا مهملا مع إسراف على نفسه — عفا الله عنا وعنه .

وتُوُفِّىَ الأميرسيف الدين بايزيد(٣) بن عبد الله التَمُربُغَاوى أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية ، فى يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى القعدة ، ودفن من يومه ، وقد ناهز السبعين ، وكان من مماليك الأمير تمربغا المشطوب الظاهرى [برقوق](٤) وخدم بعده عند جماعة من الأمراء [وتشتت فى البلاد](٤) إلى أن اتصل بخدمة الملك الظاهر ططر قبل سلطنته ، فلما تسلطن جعله خاصكيا ، ثم ساقيا فى أوائل دولة الأشرف بَرْسباى ، ودام على ذلك دهرا طويلا ، إلى أن أمَّره الأشرف [عشرة](٥) فى أواخر دولته ، فدام على تلك العشرة أيضاً دهرا طويلا إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف إينال بإمرة طبلخاناه ، ثم نقله إلى تقدمة ألف فى حدود سنة ستين ؛ للين جانبة لا لمحله الرفيع ، ولا لعظم شوكته ، فدام على

(١) أى أنه كان كثير الكلام من غير طائل (هامش و . پوپر ٧ : ٦٢٦ عن كتاب الحوادث) .

(٢) لعلها الجورن كما سبق تصحيحه أو جون بمعنى خليج .

(٣) كذا فى ص وفى هامش و . پوپر ٧ : ٦٢٧ عن كتاب الحوادث ، وفى ط . كاليفورنيا « بايزير » بالراء المتطرفة .

(٤ ، ٤) إضافة عن هامش و . پوپر ٧ : ٦٢٨ عن كتاب الحوادث .

(٥) إضافة للتوضيح .

ذلك سُنَيَّات ومات، وكان رجلا ساكنا عاقلا، لم يشهر فى عمره بشجاعة ولا كرم، وكان إذا توجّه فى مهم إلى السلطان مع من سافر من الأمراء ووقع الحرب يدّعونه فى الوطاق ليحرس[1] الخيم، وكذلك جعله الأشرف إينال فى يوم الواقعة مع الملك المنصور عثمان يجلس على الباب — رحمه الله تعالى .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم لم يحرر لغيابى بمكة المشرفة، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وأصابع .

(١) كذا فى ص، وفى ط . كاليفورنيا « لحرس » .

السنة الثامنة من سلطنة الملك الأشرف إينال

على مصر

وهى سنة أربع وستين وثمانمائة .

فيها توفى الشيخ الإمام المحقق الفقيه العلامة جمال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى المصرى بالقاهرة فى يوم الأحد مستهل المحرم ، وسنه نحو السبعين تخمينا ، وكان إماما علامة متبحرا فى العلوم ، كان بارعا فى الفقه والأصلين والعربية وعلمى المعانى والبيان ، وأفتى ودرس عدة سنين ، وانتفعت الطلبة به ، وله عدّة مصنفات ، ولم يكمل بعضها ، ورشح لقضاء الديار المصرية غير مرة ، وكان فى طباعه حِدّة ، مع عدم التكلف فى ملبسه ومركبه إلى الغاية ، بحيث إنه كان إذا رآه من لا يعرفه يظنه من جملة العوام — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين قيز طوغان العلائى الأستادار ، ثم نائب مَلَطْيَة ، ثم أتابك حَلَب ، ثم أحد أمراء دمشق — بطالا — بدمشق بالطاعون وقد شاخ ، فى العشر الأوسط من محرم ، وكان من عُتَقَاء الأمير عَلاَّن شَلَق الظاهرى ، وخدم بعده عند الملوك إلى أن اتصل بخدمة السلطان ، وصار فى دولة المؤيد شَيْخ رأس نوبة الجدارية دَهْراً طويلا ، إلى أن تأمر عشرة فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، وصار أمير آخور ثالثا ، ثم ولى الأستادارية بعد عزل الناصرى محمد بن أبى الفرج ، فباشر أشهرا ، ثم عُزِل وأُخرج إلى البلاد الشامية ، وتنقل فيها إلى ما أشرنا إليه ، ثم حجّ [وسافر أمير] (١) حاج المحمل الشامى ، فوقع منه بالمدينة الشريفة ما أَوْغر خاطر السلطان عليه ، وأُمسك بعد عوده وحبس مدة بقلعة دمشق أو غيرها ، ثم أُطلق ودام بطالا إلى أن مات . وكان أميرا جليلا عارفا شجاعا مقداما ، وفيه حشمة وأدب ومكارم(٢) — رحمه الله تعالى .

(١) إضافة عن هامش و. پوپر ٧ : ٦٣٠ عن كتاب الحوادث .

(٢) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٦٣٠ عن كتاب الحوادث « أصيلا فى الرئاسة ، له ذوق وعنده معرفة بالموسيقى عملا لا علما ، إلا أنه كان مسرفا على نفسه » .

وتُوُفِّىَ الشيخ المقرئ إمام جامع الأزهر فى يوم الأحد خامس عشر المحرم ، وكان دينا خيرا من بيت قراءة وفضل ودين — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ زينُ الدين أبو الخير محمد ابن المُعَلِّم شمس الدين محمد ابْن المعلم أحمد ، المعروف بالنحَّاس ، شُهْرَةً وصناعة ومكسبا ، فى يوم الجمعة العشرين من المحرّم ، ودُفن من يومه بالصحراء ، وقد تقـدَّم من ذكره فى أصل هذا الكتاب ما يغنى عن التعريف به فى هذا المحل ثانيا ، وسقنا أمرَه مُحَرَّرًا من ابتـــداء أمره إلى آخره باليوم والشهر فى تاريخنا « المنهل الصافى » ، ثم فى مصنفنا أيضا « حوادث الدهور » ، وذكرنا كيفيته ، وكيف كان تَقَرُّبه إلى الملك الظاهر جَقْمَق ، وعرّفنا بحاله وتكسّبه فى دكان النحاسين ، ثم ما وقع له مع أبى العباس الوفائى ، ثم ترقّيه وتولّيه الوظائف السنيّة شيئا بعد شىء ، ثم انحطاط قَدْرِه ، ونكبته ومصادرته ، وضربه ونفيه بعد حبسه بحبس الرَّحْبة مُدَّةً طويلة ، والإخراق به من العوامّ والمماليك السلطانية ، ثم خروجه من الديار المصرية على أقبح وجه ، بعد أن ادُّعِىَ عليه عند القاضى المالكى بالكفر ، وأُشِيعَ ضربُ رقبته ، ووُضِع الجنزيرُ فى رقبته ، ثم ما وقع له من الإخراق بمدينة طَرَسُوس فى مُدَّة طويلة ، ثم حضوره إلى الدّيار المصرية بغير إذن الملك الظاهر جَقْمَق خفْيَةً ، ثم طلوعه إلى السلطان ، وضَرْب السلطان له ثانيا بالحوش فى المَلأ العام ذلك الضرب المُبَرِّح ، ثم إخراجه ثانيا من القاهرة على أقبح وجه [منفيا][(١)] إلى طرابُلُس ، ثم إقامته بطرابُلُس إلى أن مات الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جكَم ، ثم طلبه الحضور إلى الدِّيار المصريّة غير مرّة إلى أن حضر ، وظن المخمولُ أن الذى مضى سيعود ، وقدَّم عدة كبيرة من الخيول ، وَوُلِّىَ الذخيرة ووظائف أُخرى ، فلم يتحرك له سعد ولا نتجَ أمره ، بل صار كلما قام أقعده الدهر ، وكلما أراد القوة ضعف ، وزاد به القهر إلى أن مرض واشتد مرضه ، وترادفت رسل السلطان إليه بطلب المال ، فعظم ما به من المرض من الخالق ومن

(١) إضافة عن هامش و . پوپر ٧ : ٦٣١ عن كتاب الحوادث .

المخلوق ، إلى أن مات واستراح وأراح بعـد أن قاسى أهوالا فى مرضه ، وحُمل على قفص حمال على رأس رجل للمحاسبة لما ثقل فى الضعف ، وقد حَنَّهُ الطلبُ ، كل ذلك تأديبا من الله عز وجل . لتعلم أن الله على كل شىء قدير .

وكانت صفته رجلا طوالا ، أسمر جسيما عاميا ، كانت صفته مشبهة لصناعته وأهلها فى الكثافة ، إلا أنه كان يكتب المنسوب بحسب الحال ، ليس فيه بالماهر ، ويحفظ القرآن على طريق قراء الأجواق من مواظبته[1] لليالى جُمَع الإمام الليث ، لايحفظه على طريق القراء ، وبالجملة فإن ابتداء تَرَقِّيه كان عجيبا ، وانْحِطَاطه كان أعجب — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين عَلاَّن بن عبد الله المؤيّدى أتابَك دمشق المعروف بعلاّن جِلِّق[2] بدمشق ، فى يوم الأربعاء تاسع صفر وقد زاد سنه على السّبعين تخمينا ، وكان أصله من مماليك الملك المؤيَّد شَيْخ ، وصارَ فى أيّامِهِ من جملة الأمير آخورية الأجناد ، ثم صار بعد موت أستاذه من جملة أمراء دمشق ، ثم بعد مُدَّة نُقِل إلى نيابة ألبيرة ، ثم إلى حجوبيّة حلب الكبرى ، ثم عُزِل من حلب بسبب شكوى نائبها قانِى بَاى الحمزاوى عليه ، وتوجّه إلى طرابلُس بطالا ، ثم أُنْعِم عليه بإمْرَة مائة وتقدمة ألف بدمشق بعد انتقال الأمير خُشْقَدَم الناصرى المؤيدى عنها إلى حجوبيّة الحجاب بالدّيار المصريّة ، ثم نقل إلى أتابكيّة دمشق بعد موت يَشْبُك الصّوفى المؤيّدى فى سنة ثلاث وستين ، فلم تطل مُدَّته ومات ، وكان مشهورا بالشجاعة والإقدام — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين طوغان من سَقَلْسِيز التركمانى أمير التركمان ، فى شهر ربيع الأول ، واستقرّ ولده فى إمْرَة التُّركمان من بعده[3] .

وتُوُفِّىَ القاضى سعدُ الدين إبراهيم ابن فخر الدين عبد الغنى ابن علم الدين شاكر

(١) فى ص « مواظبته الليالى بالإمام » .

(٢) كذا ورد فى هذا الموقع وقد ورد سابقا « شلق » وكذلك ورد فى (السخاوى ـــ الضوء اللامع ٥ : ١٥) .

(٣) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٦٣٣ عن كتاب الحوادث « وقدم ولده إلى القاهرة بسيفه » .

ابن رَشيد الدين خطير الدِّمياطى المصرى القبطى المعروف بابن الجِيْعان[1] ناظر الخزانة الشريفة، فى ليلة الجمعة ثالث عشرين شهر ربيع الأول، وسنه نيف عن خمسين سنة، وكان حَشِماً وَقورًا، وَجيهاً عند الملوك، وهو بانى الجامع على بحر بولاق بالقرب من منظرة الحجازية — رحمه الله تعالى.

وتُوُفِّىَ عبدُ الله التركانى[2] البهَسْنِى كاشف الشرقيّة بالوجه البحرى من أعمال القاهرة[3] — بطالا — فى يوم الأحد ثالث شهر ربيع الآخر، وقد كبر سنه وشاخ، وكان فى أوّل قدومه إلى الديار المصرية يخدم شادًّا فى قُرَى القاهرة إلى أن اتصل بخدمة الملك الظاهر جَقْمَق قبل سلطنته، فلما تسلطن ولَّاه كشف الشرقية، فلما وُلِّى ما كَفَّ عن قبيح ولا عفَّ عن حرام إلا فعلهما، فساءت سيرته فى ولايته، وحصل للناس منه شدائد، لاسيما أهل بُلْبَيْس وفلاحى الشرقية؛ فإنه كان عليهم أشدّ من إبليس، وشكاه غير واحد مرّات عديدة إلى الملك الظاهر، فلم يسمع فيه كلاما، وبالجملة فإنه كان من أوحاش[4] الظَّلَمَة — ألا لعنة الله على الظالمين.

وتُوُفِّىَ الشيخُ أبو الفتح [محمد][5] الكاتب المجوِّد صاحب الخط المنسوب وأحد نواب الحكم الشافعية وإمام الشهابى أحمد ابن الملك الأشرف إينال فى يوم الأحد عاشر شهر ربيع الآخر — رحمه الله.

وتُوُفِّىَ الأميرُ أَسَنْدَمُر بن عبد الله الجقمقى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة بعد عوده من مجاورته بمكة بمرض البطن، فى يوم الثلاثاء تاسع جمادى الأولى وقد ناهز الستين من العمر، وكان روميّ الجنس، وكان أصله من مماليك جَقْمَق الأرغون شاوى

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ٦٨).
(٢) أى من تركمان بهسنة (هامش و. پوپر ٧ : ٦٣٤ عن كتاب الحوادث).
(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٦٣٣ عن كتاب الحوادث «وأحد الظلمة».
(٤) كذا فى الأصول، ولعلها «من أوباش».
(٥) إضافة عن هامش و. پوپر ٧ : ٦٣٤ عن كتاب الحوادث.

الدّوادار[1] نائب الشام، وكان أَسَنْدَمُر هذا يجيد الرّمى بالنشاب، وفيه إسراف على نفسه — سامحه الله تعالى بفضله .

وتُوُفِّىَ سيفُ الدين خُشْقَدَم بن عبد الله الأرنبغاوى[2] حاجب حجّاب طرابُلُس فى جمادى الأولى، وكان أصله من مماليك أُرْدبُغا نائب قلعة صَفَد، ثم خدم عند قانى بَاى الحمزاوى وصار فى آواخر عمره دواداراً ، ثم سعى بعد الحمزاوى فى حجوبيّة طرابُلُس حتى وليها ، فلم تَطُل مدّتُه ، ومات فى التاريخ المذكور، وكان من الأوباش الذين لا أعرف لهم حالا .

وتوفى الأمير سيف الدين يَشْبُك بن عبد الله الظاهرى أحد أمراء العشرات بالطاعون فى يوم السبت حادى عشرين جمادى الأولى، وأخرج هو وولده معاً فى جنازة واحدة، وكان أصله من مماليك الملك الظاهر جَقْمَق، اشتراه فى سلطنته ، وتأمر فى أيامه عشرة ثم نكب ، ثم تأمر ثانيا فى دولة الملك الأشرف عشرة إلى أن مات، وكان لابأس به — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدين يُونُس بن عبد الله العلائى الناصرى الأمير آخور الكبير بالطاعون فى باكر يوم الاثنين ثالث عشرين جمادى الأولى، وقد جاوز السبعين من العمر، ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء ، وكان أصله من مماليك الظاهر بَرْقُوق الكتابية ، ثم مَلَكَهُ الملك الناصر فرج وأعتقه ، ودام من جملة المماليك السلطانية سنين كثيرة لا يُلْتَفَت إليه فى الدول إلى أن تأمر عشرة فى أوائل دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، مراعاة لخاطر الأمير إينال العلائى الأجرود، أعنى عن الأشرف هذا صاحب التّرْجَمة ؛ لكونه كان خُجْداشَه من تاجر واحد، ودام من جملة أمراء العشرات أياما كثيرة، إلى أن نقله الملك الظاهر إلى نيابة قلعة الجبل بعد عزل[3] تَغْرى برمُش الفقيه وإخراجه إلى القُدْس فى سنة تسع وأربعين .

قلتُ: وبئس البديل، وهذا من عدم الإنصاف، كيف يكون هذا المهمل العارى

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٦٣٤ عن كتاب الحوادث «وأعتقه» .

(٢) انظر ما سبق ص ١٤١ حاشية ٢

(٣) فى ص « بعد نى » .

من كل علم وفن موضع ذلك العالم الفاضل الذكى العارف بغالب فنون الفروسية مع ماحواه من العلوم ، وقد أذكرتنى هذه الواقعة قول بعض الأدباء المؤّالة ، حيث قال :

شاباش ياذلك شاباش تحط عالى وترفع فى الهوا أوباش
وتجمل الحرّ الذكى الوشواش يحكم عليه ردىء الأصل يبقى لاش

واستمر يونس هذا فى نيابة القلعة إلى أن تسلطن خُجِدَاشُه الملك الأشرف إينال صاحب الترجمة ، وخلع عليه فى صبيحة يوم السلطنة بنيابة الإسكندرية ، فتوجه إليها وأقام بها مدة ، ثم عُزل وقَدِمَ إلى القاهرة على إمرته ، ثم بعد مدة من قدومه ، صار أمير مائة ومقدّم ألف بالديار المصرية بعد خروج الأمير جانم الأشرفى إلى نيابة حلب وذلك فى أواخر صفر سنة تسع وخمسين ، وتوجه لتقليد الأمير قانى باى الحمزاوى نائب حلب بنيابة دمشق بعد موت الأمير جُلُبَّان فقلده وعاد ، وقد استغنى يونس بما أعطاه قانى بَاى الحمزاوى فى حَقِّ طريقه من الذهب اثنى عشر ألف دينار ، ومن القماش والخيول نحو خمسة آلاف دينار ، ثم نُقل بعد ذلك إلى الأميرآخورية الكبرى بعد انتقال الأمير جَرِباش المحمدى إلى إمرة مجلس ، بعد تعطُّل الأمير طوخ من تِمراز ولزومه داره من مرض تمادى به ، وذلك فى أوائل ذى الحجة سنة إحدى وستين وثمانمائة .

وعظم يونس عند خچداشه الملك الأشرف ، لكونه كان خُجِدَاشه ، وأنا أقول : ما كانت محبته له إلا الجنسية كانت بينهما فى الإهمال ؛ لأن الجنسية علة الضم ، فلم يزل يونس المذكور فى وظيفته إلى أن مات فى التاريخ المقدم ذكره ، قلتُ : وماعسى أذكر من أمره ، والسكوت (١) والإضراب عن الذكر أجمل ، وفى التلويح ما يغنى عن التصريح .

وتوفى الأميرُ زين الدين هلال بن عبد الله الرومى الطواشى الظاهرى الزمام بطالا بالطاعون ، فى يوم الأحد تاسع عشرين جمادى الأولى ، وقد شاخ وناهز عشر المائة

(١) فى ص « والسكات » .

من العمر ، لكونه كان من خُدَّام الملك الظاهر بَرْقُوق ومن أعيان طَواشيته ، ثم صار شادّ الحوش السلطانى مُدَّةً طويلة ، إلى أن بدا له أن يبذل المال فى وظيفة الزِّمامِيَّة ، فوليها بعد موت الأمير جوهر القَنَقْبائى ، فباشر الوظيفة بقِلَّة حُرْمَة ، فلم ينتج أمره ، وعزل وتُخُومِل إلى أن مات ، وهو مجتهد فى الزراعة والدولاب لتحصيل المال ، فلم ينل من ذلك شيئا ، ومات فقيرا — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ القاضى زين الدين عبد الرحيم ابن قاضى القضاة بدر الدين محمود ابن القاضى شهاب الدين أحمد العَيْنى الحنفى ناظر الأحباس ، فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين جمادى الآخرة بالطاعون ، وهو فى الكهولية ، وكان من بيت علم ورئاسة .

وتوفيت خَوَنْد زينب بنتُ الأمير جَرِباش الكَرِيمى المعروف بقاشق ، فى يوم السبت سادس عشرين جمادى الآخرة ، بالطاعون[1] ، وسنُّها فوق الثلاثين ، وكان الملك الظاهر جَقْمَق تزوّجها فى أوائل سلطنته ، فى حدود سنة اثنتين وأربعين أو التى بعدها ، ومات عنها فتزوجها القاضى شرفُ الدين موسى الأنصارى ناظر الجيوش المنصورة ، فماتت عنده[2] — رحمها الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ قرم خَجَا بن عبد الله الظاهرى ، أحد أمراء العشرات بطالا فى العشر الأول من شهر رجب ، وهو فى عشر المائة من العمر ، كان من مماليك الظاهر بَرْقُوق وخاصكيته ، وكان فقيها دَيِّنًا خَيِّراً تُرْكِيَّ الجنس — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ السيفى يَشْبُك بنُ عبد الله الأشرفى الأشقر أستادار الصّحبة وأحد الخاصكية بالطاعون ، فى يوم الثلاثاء سابع شهر رجب ، ومستراح منه ؛ لأنه كان مهملا مسرفا على نفسه ، لا يرتجى لدين ولا لدنيا[3] — عفا الله عنه .

---

(١) هذا اللفظ ساقط من «ص» .

(٢) ودفنت بمدرسة الظاهر برقوق ببين القصرين لكون أمها ابنة قانباى ابن أخت الظاهر برقوق (هامش و. پوپر ٧ : ٦٣٨) .

(٣) فى ص « لدنيا ولا دين » .

وتُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدين يَشْبُك بن عبد الله الساقى الظاهرى بالطاعون ، فى يوم الأحد تاسع عشر شهر رجب بعد أن تأمر بأيام ، وكان مشهورا بالشجاعة والإقدام ، قُلعت عينه فى واقعة الملك المنصور عثمان مع الأشرف إينال ، وكان من حزب ابن أستاذه الملك المنصور — رحمه الله وعفا عنه .

وتُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدين يَرْشباى بن عبد الله الإينالى المؤيدى الأمير آخور الثانى — كان — وأحد أمراء الطبلخانات الآن ، وهو مجاورٌ بمكّة المشرفة ، فى شهر رجب ، وقد ناهز الستين من العمر ، وكان من مماليك الملك المؤيَّد شَيْخ ، اشتراه بعد سلطنته ، وصار خاصكيا بعد موته إلى أن تأمر عشرة فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، وصار أمير آخور ثالثا ، ثم نقل بعد مُدّة إلى الأمير آخورية الثانية وإمْرَة طبلخاناه بعد مَوْت خُجْداشه سودُون الحمدى المعروف بأتمكجى ، فدام على ذلك إلى أن قَبضَ عليه الملك المنصور عثمان مع دُولاَت بَاى الدَّوَادَار ويَلَبَاى الإينالى المؤيَّديَّيْن ، وحُبس يَرْشباى هذا بسجن الإسكندرية إلى أن أطلقه الملك الأشرف ، وأرسله مع خُجْداشِه يَلَباى إلى دِمْياط ، ثم استقدمهما بعد أيّام يسيرة إلى القاهرة ، وأنعم على يَرْشباى المذكور بإمْرَةِ عشرة ، ثم بإمْرَةِ طبلخاناه بعد انتقال الأمير بايزيد التمُرْبُغاوى إلى تقدمة ألف ، ثم سافر إلى مكّة رأسا على المماليك السلطانية بها فى سنة ثلاث وستين فمات بمكة — رحمه الله تعالى .

وكان رجلا طوالا مليحَ الشكل والهيئة ، حشما وقورا ، مع إسراف على نفسه — عفا الله عنه بمنّهِ وكَرَمِه .

وتُوُفِّى القاضى كمال الدين أبو الفضل محمد بن ظَهِيرة المكى المخزومى الشافعى ، قاضى جدَّة ، وهو معزول عنها بعد مرض طويل بالمدينة الشريفة[1] ، وكان من خيار

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٦٤١ عن كتاب الحوادث «فى رجب وقد ناهز الخمسين ، ومولده فى مكة سنة أربع » .

أقاربه[١] ، ولديه فضيلة ومشاركة حسنة ومحاضرة جيّدة بالشعر وأيام الناس ، وكان محبوباً فى قومه وأهل بلده — رحمه الله تعالى — ولقد عزَّ علينا فراقه[٢] .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين يَشْبُك بن عبد الله المؤيّدى أتابَك دمشق بها فى شعبان ، وقد جاوز الستين ، وكان يُعرف يَشْبُك طاز ، وكان مشكور السيرة ، لا بأس به — رحمه الله .

وتُوُفِّىَ الشيخُ الإمامُ العالمُ الفقيه زين الدين عبد الرحمن بن عنبر الأبوتيجى[٣] الشافعى ، أحد فقهاء الشافعية فى صبيحة يوم الاثنين ثالث عشرين شوال ، وقد زاد سنه عن التسعين ، وكان عالماً ، وله اليد الطولى فى علمى الفرائض والحساب ، وتصدَّر للإقراء بجامع الأزهر مدة طويلة ، وكان يعجبنى حاله ، إلا أنه ما حجَّ حجة الإسلام — عفا الله تعالى عنه .

وتوفيت خَوَنْد آسية بنت الملك الناصر فَرَج ابن الملك الظاهر بَرْقُوق فى أوائل ذى الحجة[٤] ، وأمها أم ولد حبشية تسمى ثُرَيَّا .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع سواء ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً .

(١) كذا بالأصل ، ولعل الضمير يعود إلى سابقه .

(٢) كذا فى ص ، وفى ط كاليفورنيا «موته» .

(٣) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٤ : ١١٥–١١٧) وقد ولد سنة ٧٧٩ هـ .

(٤) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٦٤٢ عن كتاب الحوادث « وهى فى عشر الستين وهى عزباء رحمها الله تعالى » .

ذكر سلطنة الملك المؤيد أبى الفتح أحمد [بن إينال][1]

على مصر

هو السلطان السابع والثلاثون من ملوك التُّرك وأولادهم بالديار المصرية ، والثالث عشر من الجراكسة وأولادهم .

تسلطن فى يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى من سنة خمس وستين وثمانمائة الموافق لأول برمهات ، فلما كان ضَحْوة النهار المذكور نزل الزينى خُشْقَدم الأحمدى الطواشى الساقى الظاهرى بطلب القضاة الأربعة إلى القلعة ، ونَزَل غيره إلى الخليفة المستنجد بالله يوسف ، فبادر كلٌ منهم بالطلوع إلى القلعة ، حتى تكامل طلوعُ الجميع ، وجلس الكل بقاعة دهليز الدهيشة من قلعة الجبل ، وجلس الخليفة والمقامُ الأتابكى أحمد المذكور فى صَدْر المجلس ، وجَلَس كلٌّ من القضاة فى مراتبهم ، ودار الكلام بينهم فى سلطنة الملك المؤيد هذا ؛ لكون أن والده الملك الأشرف إينال ما كان عَهِدَ إليه قبل ذلك بالسلطنة، فتكلم القاضى كاتبُ السر محب الدين بن الشِّحْنَة فى أن تكون ولايته فى السلطنة نيابة عن والده مدة حياته ، ثم استقلالا بعد وفاته ، أو معناه ، فلم يحسن ذلك ببال من حضر ، وقام الجميع ودخلوا إلى قاعة الدهيشة ، وبها الملك الأشرف إينال مستلق على خطة[2] ليسمعوا كلامه بالعهد لولده أحمد هذا ، فكلّمه الأمير يونس الدوادار غير مرة فى معنى العهد ، وهو لا يستطيع الرد ، وطال وقوف الجميع عنده وهو لا يتكلمّ ، فخرجوا إلى وَلده المؤيد هذا وهو جالس بدهليز الدهيشة عند الشباك وعرفوه الحال ، ثم رَجَعُوا إلى الملك الأشرف ثانياً ، وكرروا عليه السؤال ، وهو ساكت ، إلى أن تكلم بعد حين ، وقال باللغة التركية : « أُغلم ، أُغلم » ، يعنى

---

(١) إضافة على الأصول .

(٢) كذا فى الأصول . ويفسره ما جاء فى هامش و . بوبر ٧ : ٦٤٤ عن الحوادث « حيث مكان ترضه » .

«إبنى ، إبنى » ، فقال من حضر : « هذا إشارة بالعهد لولده » ، فإنه لا يستطيع من الكلام أكثر من هذا ، وخرجوا من وقتهم إلى الدهيشة ، وانتدب كاتب السِّرّ لتحليف الأمراء ، لحلف من حضر من الأمراء الأيمان المؤكدة ، ولم ينهض أحد منهم أن يُوَرِّى فى يمينه ولا يدلس ، لأنهم أجانب من معرفة ذلك ، وأيضا المحلف له فَطِن وكاتب سرِّه رجل عالم ، وكان من جملة اليمين : المشى إلى الحاج كذا كذا مرة ، والطلاق والعتق وغير ذلك .

فلما انقضى التَّحْلِيفُ وَتمَّت البيعة قام كل أحد من الأمراء والخاصكية والأعيان وبادر إلى لبس الكلفتاة [1] والتترى الأبيض ، كما هى العادة ، وأحضرت خلعة السلطنة الخليفتية السوداء ، ولُفت له عمامة سوداء حرير ، وقام المقام الشهابى المذكور ولَبِسَ الخلعة والعمامة على الفور ، وركب من باب الدهيشة فرس النوبة بسرج ذهب وكنبوش [2] زركش ، ومشت الأمراء والأعيان بين يديه من باب الحوش إلى أن اجتاز بباب الدور السلطانية فتلقته الجاووشية [3] والزردكاش ومعه القبة والطير وأبهة السلطنة ، فتناول الأمير خشقدم الناصرى المؤيدى أمير سلاح القبة والطير بإذن السلطان وحملها على رأسه وهو ماش ، وسار فى موكب [4] الملك بعظمة زائدة خارجة عن الحد ، وصار جميع الأمراء والقضاة مشاة بين يديه إلا الخليفة المستنجد بالله فإنه ركب فرساً من خيل السلطان ، ومشى بها خطوات ، ثم نزل عنها لقوتها عليه ، ولازال على تلك الهيئة ، حتى نزل على باب القصر السلطانى من قلعة الجبل ، ودخل وجلس

(١) الكلفتاة : انظر فى التعريف بها ج ١٣ ص ٩٦ من هذا الكتاب . ط الهيئة العامة للتأليف والنشر .

(٢) الكنبوش انظر فى التعريف بهذا اللفظ المرجع السابق ص ١٢٠ حاشية ١ .

(٣) الجاووشية أو الجاويشية أو الشاووشية لفظ تركى مفرده جاويش الخ ، وكانت مهمة الجاووش فى العصر الأيوبى النداء أو استنفار الجند للقتال (العماد الأصفهانى : الفتح القسى ، ص ٢٤٢) أما فى العصر المملوكى فكان النظام أن يسير أربعة من جند الخليفة أمام السلطان فى المواكب للنداء وتنبيه المارة ، والجاووش أيضا شخص يكلفه مخدومه بحمل الرسائل وتبليغها . انظر : Dozy : Supp, Dict. Ar. وكذلك (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ ، هامش ١) .

(٤) كذا فى ص ، وفى ط كاليفورنيا « دست » .

على سرير الملك ، فلم تر العيون فيما رأت أحسن ولا أجمل منه فى الخلعة السوداء ، لأنه كان أبيض اللون ، والخلعة سوداء ، مع حسن سمته ، وطول قامته ، حتى إنه لعله لم يكن أحد فى العسكر يوم ذاك يدانيه فى طول القامة .

ولما جلس على تخت الملك قبّلت الأمراء الأرضَ بين يديه ، ودقّت الكئوسات ، ونودى فى الحال بالدعاء للملك المؤيد أبى الفتح أحمد بشوارع القاهرة .

ثم فى الوقت خلع على الخليفة فوقانى حرير بوجهين أبيض وأخضر بطرز زَرْكَش ، وأنعم عليه بفرس بسرج ذهب ، وكنْبوش زركش ، وأنعم عليه بقرية منبابة بالجيزة .

ثم خلع على الأمير خُشْقَدَم أمير سلاح أطلسين مُتَمَّرًا ، وفوقانيا بطرز زَرْكَش ، بسرج ذهب وكنْبوش زَرْكَش .

وأقام الملك المؤيَّد يومه وليلته بالقصر ، وأصبح حضر الخدمة حسبما يأتى ذكره ، بعد أن نذكر وقت سلطنته .

وكان الطالع وقت مبايعته ولبسه خلعة السلطنة وجلوسه على سرير الملك السرطان ، وصاحب الطالع بالسنبلة — وهو القمر — قطع اثنتين وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والرأس بالسرطان أيضاً ست عشرة درجة وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمشترى بالقوس صفراً وسبعا وعشرين دقيقة ، وزحل بالجدى أيضا ثمانياً وعشرين درجة وستا وأربعين دقيقة ، والذنب بالجدى أيضاً ست عشرة درجة وثلاثين دقيقة ، والزُّهرة فى الدلو ثلاث درجات وتسع عشرة دقيقة ، والليلة بالدلو أيضا ثمانى درج وثمانياً وخمسين دقيقة ، وعطارد أيضاً بالدلو اثنتين وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والشمس فى الحوت خمس عشرة درجة وأربعاً وخمسين دقيقة ، والساعة[1] السادسة ، وهى للزُّهرة — انتهى .

(١) فى ص «والساعة أول السادسة» .

ولما كان صبيحة نهار الخميس المقدّم ذكره، وهو ثاني يوم من يوم سلطنته، وهو عشر جمادى الأولى، وقد عمل السلطان فيه الخدمة السلطانية، وخلع على جماعة كثيرة من الأمراء بعدة وظائف، فاستقرّ بالأمير خُشْقَدَم أمير سلاح أتابك العساكر عوضا عن نفسه، ولكن لم يجد له في ذلك اليوم خلعة الأتابكية، لكونه كان لبسها في أمسه، لما حمل القبة والطير على رأس السلطان، فجددت له أخرى لم يفرغ عملها في هذا اليوم.

ثم أنعم السلطان على الأمير خُشْقَدَم المذكور بإقطاع نفسه، وهو إقطاع الأتابكيّة.

ثم خلع على الأمير جَرِباش المحمدي أمير مجلسه باستقراره في إمرة سلاح عوضاً عن الأمير خُشْقَدَم بحكم استقراره أتابك العساكر.

واستقر الأمير قَرْقَماس الأشرفي رأس نوبة النُّوَب أمير مجلس عوضاً عن جَرِباش المقدّم ذكره.

واستقرّ الأمير قانم من صَفَرْخَجا المؤيّدي التاجر رأس نوبة النُّوَب عوضاً عن قَرْقَماس المذكور.

وأنعم السلطان بإقطاع الأتابك خُشْقَدَم على الأمير بِيبَرْس الأشرفي خال الملك العزيز يوسف حاجب الحجاب، لكون متحصل هذا الإقطاع يزيد عن متحصل الإقطاع الذي كان بيده أولا، وطلب الأمير جانِبَك من أمير الأشرفي الخازندار إقطاع بِيبَرْس، فتوقّف السلطان فيه، ووقع — بسبب تَوَقُّفِ السلطان في الإنعام على جانِبَك به — بين جانِبَك المذكور وبين الأمير يُونُس الدّوادار الكبير كلام، فأفحش الدَّوَادار في الرّدّ على جانِبَك، ودام الإقطاع موقوفا لم ينعم به على أحد، وانفض الموكب، وقام السلطان الملك المؤيد أحمد من القصر، وتوجه إلى الدهيشة، وجلس بالشباك المطل على الحوش، وأمر المنادى فنادى بين يديه بالحوش، بأن النفقة في المماليك السلطانية تكون لكل واحد مائة دينار، وتكون أول التفرقة يوم الثلاثاء عشرين الشهر، فضج الناس له بالدعاء.

ثم قام ودخل إلى عند أبيه وهو فى السياق ، فمات فى اليوم ، وهو يوم الخميس المقدم ذكره بين الظهر والعصر ، فجهز من وقته ، وصلى عليه بباب القُلَّة من قلعة الجبل ، ثم حُمل حتى دفن من يومه بتربته التى أنشأها بالصحراء خارج القاهرة — حسبما تقدم ذكر ذلك كله فى ترجمته .

ثم أصبح الملك المؤيد يوم الجمعة صلى الجمعة بجامع الناصرى بالقلعة مع الأمراء على العادة ، وخلع بعد انقضاء الصلاة على الأمير خُشْقَدَم الناصرى المؤيدى خلعة الأتابكية على العادة ، واستمر السلطان إلى يوم الأحد ثامن عشره — أعنى جمادى الأولى — فأنفق على الأمراء نفقة السلطنة ، فحمل إلى الأمير الكبير أربعة آلاف دينار ، تفصيلها : ألف دينار بسبب حمله القبة والطير على رأس السلطان يوم سلطنته ، والبقية نفقة السلطنة ، وحمل إلى أمير سلاح جَرِباش وغيره من أمراء الألوف من أصحاب الوظائف لكلٍّ واحد ألفين وخمسمائة دينار ، وإلى غير أرباب الوظائف من مقدمى الألوف لكلٍّ ألفى[1] دينار فقط ، وحمل لكل أمير من أمراء الطبلخانات خمسمائة دينار ، ولكل أمير من أمراء العشرات مائتى دينار[2] .

ثم فى يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى خلع السلطان على الأتابك خشقدم ، وعلى قانم رأس نوبة النوب خِلَع الأنظار المتعلقة بوظائفهما على العادة ، وأنعم السلطان على الأمير يشبك البجاسى الأشرفى إينال أحد مقدمى الألوف بحلب بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، وهو إقطاع بيبرس الذى وقع بين يونس الدوادار وبين جانبك [الظريف][3] الخازندار بسببه ، وأنعم بتقدمة يَشْبُك المذكور التى بحلب على الأمير تِمْراز [الأشرفى][3] الدّوادار ، [— كان —][3] وأنعم بإقطاع تِمْراز ، وهو إمرة

---

(١) فى ص «ألفين ألفين» .

(٢) فى ص «مائتين مائتين»

(٣) إضافة عن هامش و . پوپر ٧ : ٦٤٩ عن كتاب الحوادث .

طبلخاناه بطرابُلُس ، على الأمير لاچين الظاهرى ، ويَشْبُك هذا المنعَم عليه بالتقدمة كان أصله من مماليك الأمير تَنِبَك البَجاسى نائب الشام ، وملكه بعد موت تَنِبَك الأشرفُ إينالُ ، وهو من جملة الأمراء ، وأعتقه ورقّاه حتى صار دَوَاداره ، ثم أخذ له من الملك الظاهر جَقْمَق إمرةً بصَفَد ، فلما تسلطن رفع قدره إلى أن صار من جملة أمراء الألوف بحلب ، واتفق مجيئه إلى مصر لينظر أستاذه ، فاتفق فى مجيئه ضعف أستاذه ثم موته .

وفيه أيضاً خلَع السلطانُ على جماعة من الأمراء والخاصكية لتوجههم بحمل تقاليد نُوّابِ البلاد الشّامية .

فكان الأمير مُغُلْباى الأبو بكرى المؤيّدى المعروف بطاز ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، يتوجّه إلى نائب الشام الأمير جانَم الأشرفى .

والأمير بيبَرْس الأشرفى الأشقر أحد أمراء العشرات ورأس نوبة يتوجّه إلى الأمير حاج إينال اليَشْبُكى نائب حلب .

والسيفى برقوق الناصرى الظاهرى الساقى [يتوجه][1] إلى إياس المحمدى الناصرى نائب طرابُلُس .

والسيفى آقبَرْدى الساقى الأشرفى [يتوجه][1] لجانِبَك التاجى المؤيّدى نائب حماة .

وتنَم الفقيه الأبو بكرى المؤيّدى [يتوجه][1] لخيربك النَّوْرُوزى نائب صَفَد ، ولبرْدبك العبد الرحمانى نائب غزّة معا .

وخلع على جماعة أُخَر من الخاصكية بتوجههم إلى جماعة أخر إلى البلاد الشامية ، والجميع خاصِّكيّة ما عدا مُغُلْباى طاز وبيبرَس الأشقر .

ثم فى يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى المذكورة ابتدأ السلطان بالنفقة فى المماليك السلطانية من غير تسوية ، فأعلى من أخذ مائة دينار ، وأدنى من أخذ ثلاثين ديناراً ،

(١) إضافة على الأصل .

وأعطى لكل مملوك من الكتابية عشرة دنانير،[1] فاستمرت النفقة على المماليك السلطانية فى كل يوم سبت وثلاثاء إلى ما يأتى ذكره .

ثم بعد أيام وصل القاهرة كتاب جانبك الأبلق الظاهرى من قبرس أنه هو ومن معه من المماليك السلطانية وغيرهم من الفرنج واقعوا أهل شرينة فى عاشر شهر ربيع الآخر، وحصروا قلعتها، وقتلوا من الفرنج بشرينة ثمانية نفر، وأسروا مثلهم، ثم ذكر أيضا أنه واقع ثانيا أهل شرينة ، وقتل صاحب الشرطة بقلعتها، وآخر من عظمائها أرمى نفسه إلى البحر فغرق ، قلت : « مما خطاياهم أغرقوا فأدخلوا ناراً[2] »

ثم ذكر جانبك أيضاً : أنه قبض على خمسة منهم ، وأن الملكة صاحبة شرينة أخت جاكم صاحب قبرس قد توجهت من شرينة إلى رودس تستنجد بهم ، ثم ذكر أيضا أنه ظفر بعدة مراكب ممن كان قدم من الفرنج نجدة للملكة المذكورة ، وأنه أسر منهم خلائق تزيد عدتهم على مائة نفر ، وأنه أخذ بالحصار عدة أبراج من أبراج قلعة باف[3] بعد أن قاسوا منه شدائد ، وأنه يستحث السلطان فى إرسال عسكر بسرعة قبل مجىء نجدة لهم من الفرنج أهل الماغوصة الجنوية ، وإلى أهل شرينة من غير الجنوية — انتهى .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشرينه استقر عميرة بن جميل بن يوسف شيخ عربان السخاوة بالغربية[4] بعد موت أبيه .

قلت: والشىء بالشىء يذكر ، وقد أذكرنى ولاية عميرة هذا حال أرياف الديار المصرية الآن ، فإنه من يوم تسلطن الملك المؤيد أحمد هذا حصل الأمن فى جميع الأعمال برًّا وبحراً ، شرقاً

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٦٥٠ عن كتاب الحوادث «فأما الكتابية فلهم عادة بذلك ، وأما تفرقة المائة وأقل فهذا شىء تجدد من سلطنة الأشرف والده لعجز الخزانة عن التسوية بين الجميع ، وإلا فالعادة القديمة تسوية الكل فى مائة دينار — الشريف والضعيف — فبقيت العادة الآن (أى فصارت العادة الآن) من خافوا غائلته أعطوه العادة القديمة ومن استضعفوا جانبه أعطوه ما أرادوا» .

(٢) لعله يستشهد بقوله تعالى آية ٢٥ من سورة نوح «مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً» .

(٣) قلعة باف : أو بافوس . وتطلق على مدينتين قديمتين فى القسم الجنوبى من جزيرة قبرص (دائرة المعارف للبستانى — بافوس) .

(٤) فى ص «شيخ العربان بالغربية » .

وغربا ، من غير أمر يوجب ذلك ، ووقع رعب السلطان فى قلوب المفسدين حتى صار أحدهم لايستطيع أن يخرج من داره فكيف يقطع الطريق ، فانطلقت الألسن بالدعاء للملك المؤيد هذا ، وتبارك كل أحد بقدومه واستيلائه على الأمر ، ومالت النفوس إلى محبته ميلا زائداً خارجاً عن الحد ؛ فإنه أول ماتسلطن قمع مماليك أبيه الأجلاب عن تلك الأفعال التى كانوا يفعلونها أيام أبيه ، وهدّدهم بأنواع النكال إن لم يرجعوا ، فرجع الغالبُ منهم عن أشياء كثيرة مما تقدم ذكرها ، وعلم الناس من السلطان ذلك ، فطمع كل أحد فى الأجلاب فانحطّ قدرهم ، حتى صار أحدهم لا يستطيع أن يزجر غُلامَه ولاخدمه ، فزادحبُّ الناس للملك المؤيَّد لذلك ، فكل من أحبه فهو معذور؛ لما قاست الناس منهم أيام أبيه من تلك الأفعال القبيحة ، على أن الملك المؤيَّد أيضاً كان له فى أيام والده مساوئ كثيرة من جهة حماياته البلاد والمراكب بساحل النيل ، وأشياء أُخر غير ذلك ، فقاست الناس من حماياته أهوالا ، فلما تسلطن ترك ذلك كله كأنه لم يكن ، وأقبل على العدل وإرداع المفسدين ، فبدّل فى أيامه الجور بالعدل ، والخوف بالأمن ، والراحة بعد التعب — ولله الحمد .

وفيه عزل السلطان الصاحب شمس الدين منصورا عن الأستادارية ، وخلع من الغد على مجد الدين أبى الفضل البقرى كامليَّة بمقلب سَمُّور ، باستقراره فى الأستادارية ، عِوَضاً عن الشمسى منصور ، ووعد بأنه يلبس خلعة وظيفة الأستادارية فى يوم السبت أول جمادى الآخرة ، فوقع ذلك[١] .

ثم فى يوم الخميس سادس جمادى الآخرة خلع السلطان على الصفوى جَوْهَر النَّوْرُوزِىّ الطواشى الحبشى بإعادته إلى تقدمة المماليك السلطانية ، بعد موت الطواشى مَرْجان الحصنى الحبشى .

وفى هذه الأيام أشيع[٢] بين الناس[٢] بركوب المماليك السلطانية على السطان بعد النفقة ،

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٦٥٣ عن كتاب الحوادث«ونزل مجد الدين وباشر من يومه . وبقى منصور محتفظا به بالقلعة على ثلاثين ألف دينار » .

(٢) هذان اللفظان ساقطان من ص . والإضافة عن ط كاليفورنيا .

ولم يعلم أحد مَنْ هو القائم بالفتنة ، فلم يلتفت السلطان لهذا الكلام .

ثم فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة قُرِئَ تقليدُ السلطان الملك المؤيد بين يديه بالقصر الأبلق ، تولى قراءته القاضى محبُّ الدين بن الشِّحْنة كاتب السِّرِّ ، وهو من إنشائه ، وحضر الخليفةُ المستنجدُ القراءة والقضاةُ الأربعة ، وغالب أركان الدّولة وأمرائها ، فلما تمت القراءة خلع السلطان على الخليفة فوقانى حرير [بوجهين][1] أخضر وأبيض بطرز زَرْكَش ، وقَيَّدَ له فرساً بسرج ذهب ، وكُنبوش زَرْكَش ، ثم خلع على القضاة كوامل بمقالب سمور ، وانفضّ الموكب .

وفى يوم السبت خامس عشر وصل إلى القاهرة قاصد الأمير جَانَم الأشرفى نائب الشام ، وعلى يده كتاب مرسله يتضمن أنه حصل له سرور زائد بسلطنة الملك المؤيد ، وأنه مستمرٌّ على طاعته ، ممتثلٌ أوامره .

وفيه أيضا ورد الخبرُ بأن عَرَب لبيد العصَاة نزلوا البحيرة ، ونهبوا الأموال ، [وشنوا الغارات][1] ، فعين السلطان تجريدة من الأمراء ، وأمرهم بالتجهيز والسفر إلى البحيرة .

ثم فى يوم الأربعاء رابع شهر رجب وصل الأمير تمراز الإينالى الأشرفى الدوادار - كان - من طرابُلُس إلى الديار المصرية بغير إذن السلطان ، ولم يجتز بمدينة قطيا ، ونزل عند الأتابك خُشقَدم ، وأرسل دَوَادَارَه إلى الملك المؤيد ، أعلمه بمجىء تمراز المذكور ، فقامت قيامة السلطان لمجيئه على هذه الصورة ، وغضب غضباً شديداً ، ورسم بإخراجه من القاهرة لوقته ، فأخذ تمراز فى أسباب الردود والخروج إلى خانقاه سرياقوس ، فشفعت الأمراء فيه فى عصر يومه بالقصر ، فقبِلَ السلطانُ شفاعتهم على أنه يقيم بالقاهرة ثلاثة أيام لعمل مصالحه ، ثم يسافر إلى حيث جاء منه ، فعاد تمراز من جهة الخانقاه إلى القاهرة ، فترقَّب كلٌّ أحد وقوع فتنة ، لأن تمراز هذا شرٌّ مكانا ، ودأبه الفتنة وإثارة الفتن ، وهو

(١) إضافة عن هامش و. پوپر ٧ : ٦٥٣ عن كتاب الحوادث .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٦٢٤ عن كتاب الحوادث « وأن غالب أهلها رحلوا منها » .

من أوخاش[1] بني آدم، فتمام تمراز إلى يوم الجمعة سادسه فطلع إلى القلعة، وقبّل الأرض بين يدى السلطان، وأخذ فى الاعتذار الزائد لمجيئه بغير إذن، فقبل السلطان عذره، وخلع عليه كاملية بمقاب سمّور، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، ورسم له أن يقيم بالقاهرة ثلاثة أيام من يومه هذا ويسافر، فنزل إلى داره، والناس على ماهم عليه من أن تمراز هذا لابد له من إثارة فتنة وتحريك ساكن، هذا والأمراء تكرر الشفاعة فيه ليقيم بالديار المصرية، وخُجْداشيته الأشرفية فى غاية مايكون من الاجتهاد فى ذلك، والسلطان مصمم على سفره، إلى أن سافر حسبما يأتى ذكره.

وفى يوم الجمعة هذا — الموافق لثانى عشرين برمودة — لبس السلطان القماش الأبيض البعلبكى، أعنى كشفاً من غير لبس صوف كما هى العادة أيام الصيف[2].

وفى يوم الثلاثاء عاشر شهر رجب المذكور خلع السلطان الملك المؤيد على تمراز المذكور خلعة السفر، وسافر من يومه إلى دمشق، بعد أن أنعم السلطان عليه بخمسمائة دينار وعدة خيول وبغال، وتوجّه تمراز ولم يتحرك ساكن.

وفى يوم الخميس ثانى عشره استقر القاضى شرف الدين الأنصارى ناظر الجوالى بعد عزل [ناصر الدين][3] بن أصيل[4].

وفيه وصل الأمير مُغُلْباى طاز الأبوبكرى المؤيدى بعد أن بشّر الأمير جانَم نائب الشام بسلطنة المؤيد وعاد.

وفيه وصل السّيفى شاهين الطواشى الساقى الظاهرى المتوجّه قبل تاريخه لإحضار تركة زوجة الأمير قانى باى الحمزاوى من دمشق، وأحضر شيئاً كثيراً جدا من الجواهر واللآلئ والأقمشة وغير ذلك، حتى إنه أبيع فى أيام كثيرة.

(١) الأوخاش جمع وخش، وهو الردىء من كل شىء، والدنىء من الرجال. (المعجم الوسيط) وكذلك (Dozy : Supp. Dut. Ar.)

(٢) كذا فى ص، وعبارة ط كاليفورنيا «لبس السلطان القماش الأبيض المعد للبس الصيف كما هى العادة».

(٣) إضافة عن هامش و. پوپر ٧ : ٦٥٥ عن كتاب الحوادث.

(٤) هو محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أيوب ناصر الدين بن أصيل الدين، مات سنة ٧٨١ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٧ : ٧٦-٧٧).

ثم فى يوم الجمعة العشرين من شهر رجب المذكور نزل السلطان الملك المؤيد أحمد من قلعة الجبل إلى جهة العارض(١) خلف القلعة ، وعاد بسرعة إلى القلعة ، وهذا أول نزوله من يوم تسلطن ، قلتُ : وآخر نزوله ؛ فإنه لم ينزل بعدها إلا بعد خلعه إلى الإسكندرية .

وفيه أمطرت السماء بَرَداً ، كل واحد مقدار بيضة الحمام ، فأتلفت غالب الزرع ، وأهلكت كثيراً من ذوات الجناح ، وكان معظم هذا المطر بقُرى الشرقية من أعمال القاهرة ، وببعض بلاد من المنوفية والغربية ، وقليلا بإقليم البحيرة .

وفى يوم الخميس سادس عشرينه رسم السلطان بنفى سَنْطَبَاى قرا الظاهرى إلى البلاد الشامية ، وسببه أن سَنْطَبَاى هذا كان من المنفيين إلى طرابُلُس فى دولة الملك الأشرف إينال ، فلما سمع بموت الأشرف قدم القاهرة بغير إذن واختفى بها نحو الشهر عند بعض خُچداشيته ، ففطن السلطان به فرسم بنفيه ، فاجتهدت خُچداشيته الظاهريّة فى إقامته ، فلم تقبل فيه شفاعة ، فخرج من يومه ، وعظم ذلك على خچداشيته الظاهرية فى الباطن ، قلتُ : ولا بأس بما فعله السلطان فى إخراج سنطباى المذكور على هذه الهيئة ، فإنه أخرج قبله تمراز من الأشرفية ، ثم أخرج هذا من الظاهرية ، فكأنه ساوى بين الطائفتين ، هذا والناس فى رجيف من كثرة الإشاعة بوقوع فتنة .

ثم فى يوم الاثنين سابع شعبان استقر شادِ بك الصارمى — أحد أمراء الألوف بدمشق — أتابكا بحلب ، على مال بذله فى ذلك ، نحو العشرة آلاف دينار .

وفيه وصلت رسلُ السلطان إبراهيم بن قَرَمان إلى القاهرة بهديّة إلى السلطان ، وقبل هديّة مرسلهم ، ورحّب بهم .

ثم فى يوم الخميس سابع عشر شعبان وصل إلى القاهرة الشرفى يحيى ابن الأمير جانم نائب الشام ، وطلع إلى السلطان من الغد ، وقبّل الأرض نيابة عن أبيه ، وسأل

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٦٥٦ عن كتاب الحوادث « بالقرافة الصغرى » .

السلطان فى إطلاق الأمير تَنَم من عبد الرزّاق المؤيدى أمير سلاح — كان — والأمير قانى باى الجاركسى الأمير آخور — كان — من سجن الإسكندرية ، فلم يقبل السلطان شفاعته ، و سوّف به إلى[1] وقت غير معلوم ، وعلم السلطان أن مجىء ابن جانَم هذا ليس هو بصدد الشفاعة فقط ، وإنما هو لتجسس الأخبار وعمل مصلحة والده مع خچداشيته الأشرفية ، وغيرهم من الظاهرية والمؤيدية ، وكذا كان ، ولم يظهر الملك المؤيد لأحد ، وإنما أخذ فى حساب جانم نائب الشام فى الباطن ، والتدبير عليه بكل ما تصل القدرة إليه ، ولم يسعه يوم ذلك إلا أن تجاهل عليهم .

وهذا الأمر أحد أسباب حضور جانم إلى الديار المصرية حسبما يأتى ذكره مفصلا — إن شاء الله تعالى — فى ترجمة الملك الظاهر خُشْقَدَم ؛ لأن يحيى ولد جانم لما حضر هذه الأيام إلى الديار المصرية اتفق مع أعيان المماليك الظاهرية بعد أن اصطلحوا مع المماليك الأشرفية — على عداوة كانت بينهم قديماً وحديثاً — ورضوا الظاهرية بسلطنة جانم عليهم ، وهم أكره البرية فيه ، حيث لم يجدوا بداً من ذلك ؛ وما ذاك إلا خوفا من الملك المؤيد هذا ، فكان أمرهم فى هذا كقول القائل :

[الوافر]

وما مِنْ حُبِّه أحنو عليه ولكن بُغْضُ قومٍ آخرين

وسافر الشرفى يحيى من مصر إلى جهة أبيه فى يوم الجمعة خامس عشرين شعبان ، بعد أن خلع عليه السلطان ، وأنعم عليه بخمسمائة دينار ، وقد مهّد لأبيه الأمور بالدّيار المصرية مع الظاهرية ، وأما الأشرفية خچداشيته فهم من باب أولى لا يختلف على جانم منهم اثنان ، وما كان قصد جانم إلا رضاء الظاهريةّ ، وقد رضوا .

وسار يحيى وهو يظن أن أمر أبيه قد تم فى سلطنة مصر ، ولم يفطن إلى تقلبات الدهر ، فلما أن وصل يحيى إلى والده حدّثه بما وقع له بمصر مع زيد وعمرو ، وكان عند جانم — رحمه الله تعالى — خفّة لما كان أوحى إليه الكذابون من أقوال الفقراء ، ورؤية

(١) فى ص « من» والمثبت عن ط كاليفورنيا .

المنامات ، وعبارات المنجمين ، فتحقّق المسكينُ أنه لا بد له من السلطنة ، ووافق ذلك صغر سن ولده يحيى ، وعدم معرفته بالمكايد والتجارب ، وحاله كقول من قال :

[الطويل]

ويا دارهـــا بالخَيْف إنّ مَزَارَهَا قريبٌ ، ولكن دون ذلك أهوالُ

وقوّى أمر يحيى وخفة جانم اجتماع تمراز الأشرفى الدّوادار المقدم ذكره بجانم فى دمشق ، وقد صدق هذا الخبر لما فى نفسه من الملك المؤيد هذا ، ومن أبيه الأشرف إينال لما عزله من الدّوادارية الثانية ، وأخرجه من مصر بطالا إلى القدس ، ثم وقع له معه ما حكيناه ، هذا مع كثرة فتن تمراز ، وقلة عقله ، وسوء خلقه ، وشؤم طلعته ، فوافق تمراز يحيى ، وتسلطا معاً على جانم ، ولا زالا به حتى وافقهما فى الباطن ، وأخذ فى أسباب ذلك ، فلم يمض إلا التليل ، ووقع لجانَم ما سنذكره مع عوام[1] دمشق من النهب والفتك به ، وإخراجه من دمشق على أقبح وجه ، حسبما هو مقول فى ترجمة الملك الظاهر خُشقَدَم بعد خلع المؤيَّد .

وأما أمر الملك المؤيد هذا فإنه بعد خروج يحيى بن جانم ، أخذ يوسع الحيلة والتدبير فى أخذ جانَم بكل طريق ، فلم يرَ أحسن من أن يرسل يكاتب أعيان دمشق بالقبض على جانم المذكور إن أمكن ، وهذا القول لم أذكره يقينا ، ولكن على قول من قال عنه ذلك ، وليس هو ببعيد لأن أهل دمشق وحكامها ما فى قدرتهم القيام على نائب الشام إلا بدسيسة من السلطان ، والله أعلم بحقيقة الأمر .

واستمر الملك المؤيَّد على ما هو عليه بالديار المصرية ، وأمره فى انحطاط من عدم تدبيره فى أواخر أمره ، وأيضاً من قلة المساعدة بالقول والفعل ، وإلا فتدبيره هو كان فى غاية الحسن فى أوائل أمره ، غير أنه كان لا يعرف مداخلة الأتراك ، ولا رأى تقلب[2] الدُّول ، ولا حوله من رأى ؛ لأنه أبعد الناسَ عنه قاطبة ، وقرّب الأمير بردبك

(١) فى ص « أعوام» .

(٢) كذا فى ط كاليفورنيا ، وفى ص« تقليب» .

الدوادار الثانى ، لكونه صهره زوج أخته ، مملوك أبيه ؛ بل قيل إن تقريبه لبردبك أيضاً ما كان على جليته ؛ فعلى هذا ضَعُفَ الأمر من كل جهة ، ونفرض أنَّ أمر بردبك كان على حقيقة ، فما عساه كان يفعل ، وهو أيضاً أجنبيٌّ عن معرفة ما قلناه ؟ فإنه ما رُبِّىَ إلا عند أستاذه الأشرف إينال وهو أمير ، فلا يعرف أحوال المملكة إلا بعد سلطنة أستاذه أيام الأمن والسعادة — انتهى

وفى يوم الخميس تاسع شهر رمضان خلع السلطان الملك المؤيد على شرف الدين البقرى باستقراره ناظر الإصطبلات السلطانية ، بعد عزل محمود بن الديرى .

وفى يوم الجمعة عاشره أُخذ قاع النيل ، فجاءت القاعدة — أعنى الماء القديم — ستة أذرع ونصفاً .

وفى ليلة الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان المذكور خسف جميع جرم القمر ، وغاب فى الخسف تسعين درجة ، وصارت النجوم فى السماء كليلة تسع وعشرين الشهر ، ولعلّ ذلك يكون نادراً جداً ، فإنى لم أر فى عمرى مثل هذا الخسف .

هذا وأمر الملك المؤيد آخذ فى اضطراب من يوم عينّ تجريدة إلى البحيرة ، ولم تخرج التجريدة وخالفه من كُتِب إليها من المماليك السلطانية ؛ فإنه لما عين التجريدة إلى البحيرة لم يعين من المماليك السلطانية أحداً من مماليك أبيه الأجلاب ، فعظم ذلك على من عين من غيرهم ، وعلى من لم يعيَّن أيضاً ، لمعرفتهم أنه كلموه فى أمر مماليك أبيه واستمالوه لهم؛ فإنه استفتح سلطنته بإبعادهم ومقتهم وإرداعهم ، فأحبه كل أحد ، فلما فطنوا الآن بميله إليهم ، نفرت القلوب منه ، وخافوا من أفعال الأجلاب القبيحة التى فعلوها فى أيام أبيه أن تعود ، فصممت المماليك المعينةُ إلى البحيرة فى عدم الخروج إلا إن عين معهم جماعةً من أجلاب أبيه ، وساعدهم فى ذلك المماليكُ السلطانية من كل طائفة ؛ مخافة من تقريب الأجلاب ، فأساء المؤيد التدبير من أنه لم يبت أمرا لا بقوة ولا بلين ، بل سكت وسمع قول من أملاه المفسود من قوله : إذا أرسلت مماليك أبيك من يبقى حولك ،

وإذا أبعدت مماليك والدك فمن تقرب ؟ فكأنه مال لهذا القول الواهى واستحسنه ، وهذا نوع مما كنا فيه أولا من أنه ما كان عنده من يرشده إلى الطريق .

ثم كلم الملك المؤيد المماليك أيضاً فى السفر ، فاعتلّوا بطلب الجمال ، فأراد تفرقة الجمال، فلم يأخذوها ، واستمروا على ذلك ، وسكنت[1] حركة السفر بسكات السلطان ، وبذلك فشا انحطاط قدره وتلاشى أمره ، بعد أن كان له حرمة عظيمة ، ورعب فى القلوب .

فلقد رأيت فى تلك الأيام شخصا من أوباش المماليك الظاهرية يكلم الأمير بردبك الدوادار الثانى بكلام لو كلّمه لمن يكون فيه شهامة لحل السلطان على شنقه فى الحال ، وكان ذلك هو الحزم على قول بعض النّهابة : « إما إ كديش ، أو نشابة للريش » ، وتلافى الأمور إما يكون بها أو عليها ، والحزم إنما هو الشد على من عين وسفرهم غصباً ، فإن تم ذلك فقد هابه كل أحد ، وقد قيل « من هاب خاف[2] » أو اللين والتلطف بمن كُتِب[3] والاعتذار لهم عن عدم كتابته لمماليك أبيه الأجلاب ، بقوله : ما منعنى أن أكتب هؤلاء معكم إلا أنهم ليسوا بأهل لمرافقتكم ، فحيثما أحببتمو ذلك فأنا أكتب منهم جماعة ، ثم يكتب منهم عدة ، فإن تم ذلك ومشى فالأمر إليك بعد سفرهم دبِّر ما شئت ، وإن لم يتم فبادر للفعل الأول بكل ما تصل قدرتك إليه واستعمل قول المتنبى فى قوله من قصيدته المشهورة : [الكامل]

لا يخـــدعنكَ مِنْ عَدُوِّك دَمْعُهُ   وآرحم شبابكَ من عدوٍ ترحم
لا يسلم الشرفُ الرفيع من الأذى   حتى يُراقَ على جوانبِهِ الدمُ

فلم يقع منه ذلك ، ولا ما يشبهه ، ولا أشار[4] عليه أحد من أصدقائه بشىء يكون فيه مصلحة لثبات ملكه ، بل سكت كل أحد عنه ، وصار كالمتفرج ، إما لبغض فيه ، أو لقلة معرفة بالأمور .

---

(١) فى الأصول « وسكن » .
(٢) كذا فى ص وبها يستقيم المعنى و إن لم يتمّ السجع ، فى ط كاليفورنيا من « هاب خاب » .
(٣) أى بمن عين فى التجريدة إلى البحيرة .
(٤) كذا فى ط كاليفورنيا ، وفى ص « ولا أشاره » .

ذكر

نكبة الملك المؤيد أحمد ابن الملك الأشرف إينال

وخلعه من الملك

لما كان آخر يوم الجمعة سابع عشر شهر رمضان من سنة خمس وستين المذكورة رسم السلطان الملك المويد أحمد لنقيب الجيش الأمير ناصر الدين محمد بن أبى الفرج أن يَدُورَ على الأمراء مقدمى الألوف ، ويعلمهم أن السلطان رسم بطلوعهم من الغد فى يوم السبت إلى الحوش السلطانى من قلعة الجبل بغير قماش الموكب ، ولم يعلمهم لأى معنى يكون طلوعهم واجتماعهم فى هذا اليوم بالقلعة ، وهو غير العادة ، فدارَ دَوَادَارُ نقيب الجيش على الأمراء وأعلمهم بما رسم به السلطانُ من طلوعهم إلى القلعة ، وأخذ الأمراء من هذا الأمر أمرَ مريج[1] ، وخلا كل واحد بمن يثق به ، وعرفه الخبر ، وهو لا يشك أن السلطان يريد القبض عليه من الغد ، وماجت الناس وكثر الكلامُ بسبب ذلك ، وركبت الأعيانُ بعضها على بعض ، وأما الأمراء فكل منهم تحقق أنه مقبوض عليه من الغد ، ووجد لذلك من كان عنده كمينٌ من الملك المؤيَّد أو يريد إثارة فتنة فرصةً ، وحرَّض بعضُهم بعضا ؛ إلى أن ثارت المماليكُ الظاهريّة فى تلك الليلة ، وداروا على رفقتهم وإخوانهم وعلى من له غرض فى القيام على الملك المؤيَّد ، وداموا على ذلك ليلتهم كلها .

فلما كان صبح نهار السبت تفرّقوا على أكابر الدّولة والأمراء فى بيت الأتابك خُشْقَدَم لعمل المصلحة ، فداروا على الأمراء ، وأمسكوا منهم جماعة كبيرة ، وأحضروهم إلى بيت الأتابَك خُشْقَدَم ، على كُرْهٍ من خُشْقَدَم ، وسارَت فرقةٌ فى باكر النهار إلى

---

(١) كذا على الإضافة . والمريج : المختلط الملتبس المضطرب . يقال أمر مريج أى مختلط ملتبس – اللسان (م ر ج) .

بيت الأمير بُرْدُبَك الأشرفى الدّوادار الثانى الملاصق لمدرسة السلطان حسن ، وأحضروه إلى بيت الأمير الكبير خُشْقَدَم ، بعد أن أخرقوا به .

هذا وقد اجتمعت طوائفُ المماليك، مثل الناصرية فرج ، والمؤيدية شيخ ، والأشرفية بَرْسْباى ، والظاهرية جَقْمَق ، والسيفية ، الجميع فى بيت الأمير الكبير ، ولم يطلع إلى القلعة فى هذا اليوم أحد من الأمراء والأعيان إلا جماعة يسيرة جدا .

فلما تكامل جمعُهم فى بيت الأمير الكبير ، وأكثُر الطوائفِ يوم ذاك الأشرفيةُ والظاهريةُ ، وكبيرُ الأشرفية الأميرُ قَرْقَماس أمير مجلس ، ولا كلام له ، بل الكلامُ لجانبك القَجْماسى الأشرفى المشدّ ، ولجانِبَك من[1] أمير الخازندار ، والظاهرية كبيرُهُم جانِبَك نائبُ جدَّة ، أحد مقدمى الألوف ، وقد صارت خُجْدَاشيته يوم ذاك فى طَوْع يده وتحت أوامره ، لحُسْنِ سياسته وجَوْدَةِ تدبيره ، فانضمت كلمةُ الظاهريّة به ، حتى صارت كلمةً واحدةً ، وهم حسٌ[2] وهو المعنى ، وهذا بخلاف الأشرفية ، فإنهم وإن كانوا هم أيضا متفقين فالاختلافُ بَيْنَ أكابرهم موجودٌ بالنسبة إلى هؤلاء ، وعدم اكتراثهم بهذا الأمر المهم ، ولِتَطَلُّعِهم على مجىء خچداشهم الأمير جانَم نائب الشام ، ولو أنّ أمرَ المؤيد طَرَقَهم على بغتة ماطاوعوا على الرّكوب فى مثل هذا اليوم قبلَ مجىء خُجْدَاشِهم .

فأخذ الأميرُ جانِبَك نائب جدَّة المذكور فى تأليف الأشرفية على الظاهرية بحسن تدبير ، حتى تمّ له ذلك ، وصاروا على كلمةٍ واحدة ، ثم شرعوا فى الكلام بحضرة الأمراء فى الاجتماع بسببه ، فتكلم بعض من حضر من الأمراء بأن قال : « أيش المقصود بهذا الجمع ؟» أو معنى هذا الكلام ، فأجاب الجميعُ بلسان واحد : « نريد خلعَ الملك المؤيد أحمد من السلطنة ، وسلطنة غيره » .

(١) هو جانبك من أمير الأشرفى برسباى ، ويعرف بالظريف مات سنة ٨٧٠ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٥٣) .

(٢) فى ص « حسن » ولا يستقيم معها المعنى ، والمثبت من ط كاليفورنيا .

وكان الباعث لهذه الفتنة ما قدّمناه ، وأيضا الظاهرية ، فإن الملك المؤيد لما تسلطن لم يحرك ساكنا[(١)] ولم يتغير أحد مما كان عليه ، فشقّ ذلك على الظاهريّة ، وقال كل منهم فى نفسه : كأنّ الملك الأشرف إينال مامات ، فإن الغالب كل[(٢)] منهم كان أخذَ ما بيده من الإقطاعات ، وحُبِسَ ونُفِىَ فى أوّل سلطنة الأشرف إينال ، كما هى عادة أوائل الدّول ، وبقى منهم جماعة كثيرة بلا رِزق ولا إمْرَة ولم يجدوا عندهم قوة ليخلعوا الملك المؤيد هذا ويسلطنوا غَيْرَه وَخَدَمَهم ، فكلموا الأشرفيّة فى هذا المعنى غير مَرَّة ، وترققوا لهم ، فلم يقبلوا منهم ذلك ، لنفْرَةٍ كانت بين الطائفتين قديما وحديثا ، وأيضا فلسانُ حال الأشرفية يقول عندما سألوهم الظاهريّة : نحن الآن فى كفاية من الأرزَاق والوظائف ، فعلام نحرك ساكنا[(٣)] ، ونخاطر بأنفسنا ؟ فعجزوا فيهم الظاهرية وقد ثقل عليهم الملك المؤيد ، وكثر خوفهم منه ، فإنه أوّل ما تسلطن أبْرَقَ وأرْعَدَ ، فانخزى كل أحد ، وحَسِبُوا أنَّ فى السويداء رجالا ، ولهذا قلتُ فيما تَقَدَّم : لو فعل ما فعل لمشى له ذلك ، لمعرفتى بحال القوم وشجاعتهم .

وكان دخولُ المؤيد السلطنة بحُرْمَةٍ وافرة ، لأن سِنَّه كان نحو الثلاثين سنة يوم تسلطن ، وكان ولى الأتابكية فى أيّام أبيه ، وأخذ وأعطى، وسافر أمير حاج المحمل ، وحجَّ قبل ذلك أيضا وسافر البلادَ ، ومارَس الأمور فى حياة والده وهذا كله بخلاف من تقدّمه من سلاطين أولاد الملوك ، فإن الغالبَ منهم حَدَثُ السِّنِّ يريُد له من يُدَبِّرُه ، فإنه مايَعْرِفُ مايُرادُ منه ، فيصير فى حكم غيره من الأمراء فتتعلّقُ الآمالُ بذلك الأمير ، وتتردّدُ الناسُ إليه ، إلى أن يُدَبِّرَ فى سلطنة نفسه ، بخلاف المؤيّد هذا . فإنه ولى السلطنة وهو يقول فى نفسه : « إنه يدبر مع مملكة مصر ممالك العجم زيادة على تدبير مصر » .

قلتُ : وكان كما زعم ، فإنه تقدم أنه كان عارفا عاقلا مباشرا ، حسن التدبير ،

---

(١) فى الأصول « ساكن » .

(٢) كذا فى ص . وفى ط كاليفورنيا « فإن الغالب منهم كان أخذ ما بيده » .

(٣) الرسم فى الأصول « فعلى ما نحرك ساكن » .

عظيم التنفيذ شهما ، وكان هو المتصرف فى الأمور أيّام أبيه فى غالب الولايات والعزل وأمور المملكة ، فلما تسلطن ظنّ كل أحد أن لاسبيل فى دخول المكيدة على مثل هذا ، لمعرفة الناس بحذْقِه وفطنته .

وكان مع هذه الأوصاف مليح الشكل ، وعنده تؤدة فى كلامه ، وعقل وسكوت خارج عن الحد ، يؤديه ذلك إلى التّكَبُّر ، وهذا كان أعظم الأسباب لنفور خواطر الناس عنه ، فإنه كان فى أيام سلطنته لايتكلم مع أحد حتى ولا أكابر الأمراء إلا نادرا ، ولأمر من الأمور الضروريات ، وفعل ذلك مع الكبير والصغير ، وما كفى هذا حتى صار يَبْلُغُ الأمراءَ أنّه فى خلوته يسامِرُ الأطراف الأوباش الذين يُسْتَحَى من تسميتهم ، فعظم ذلك على الناس ، فلو كان عدم الكلام مع الناس قاطبة لهان عَلَى مَنْ صعب سُكَاتُه عليه ، من كون الرفيع يكون مبعداً والوضيع مقربا ، فهذا أمر عظيم لاتحمله النفوس إلا غَصْباً ، فلما وَقَعَ ذلك وجد من عنده حقدٌ فرصةً ، وأشاع عنه هذا المعنى وأمثالَه ، وبَشّع فى العبارة وشنّع ، وقال هذا وغيرُه : إنه لايلتفت إلى المماليك ويزدريهم ، وهو مستعزٌّ بمماليك أبيه الأجلاب وأصهاره وحواشيه وخجداشية أبيه وبالمال الذى خلّفه أبوه ، ومنهم من قال أيضا : إنما هو مستعز[1] بحسن تدبيره ، فإنه قد عبّأ[2] لكل سؤال جوابا ، ولكل حرب ضَرْبا ، وكان مع هذا قد قمع مباشرى الدّولة وأبادهم ، وضيّق عليهم ، ودقّق فى حسابهم كما هو فى الخاطر وزيادة ، فما أحسن هذا لَوْ كَانَ دَامَ واستمر ! ! فنفرت قلوبُ المباشرين أيضا منه ، وحقّ لهم ذلك ، واستمرت هذه الحُرْمَةُ من يوم تسلطن إلى مجىء يحيى بن جانَم نائب الشام إلى القاهرة ، ثم إلى أن عَيّن التجريدة إلى البُحَيْرة ، فأخذ أمره فى إدبار ، لعدم مثابرته على سير طريقه الأوّلِ من سلطنته ، فلو جسر لكسر ، لكنه هَاب فَخَاب ، ولِكُلّ أجل كتاب — ولنعد إلى ذكر ما كنا بصدده :

(١) كذا فى ط كاليفورنيا ، وفى ص «إنما هو مستعز إلا بحسن» . وإلا هنا تفسد المعنى .
(٢) فى الأصول «عبى» وعبأ هنا بمعنى جهز وهيأ .

فلما تكامل الجمع فى بيت الأمير الكبير خُشْقَدَم الناصرى المؤيدى ، ومتكلم الأشرفية جانِبَك المشدّ ، وجانبَك الظريف الخازندار ، ومَنْ معهم من خُجِداشيتهم الأعيان ؛ ومتكلم الظاهرية الأمير جانِبَك نائب جدَّةَ أحد مقدّمى الألوف ، وأعيان خُجِداشيته ، مثل : الأمير أُزْبُك من طَطَخ الظاهرى ، والأمير برْدبَك البَجْمَقْدار ثانى رأس نوبة جدَّة ، وقد وافقه الأشرفيّةُ ، وهم يظنون أن الجَمْعَ ما هو إلا لسلطنة الأمير جانَم نائب الشام ؛ لأنهم كانوا اتفقوا على ذلك حسبما تقدم ذكره ، وهو أن الظاهريّة كانوا إذا شرعوا فى الكلام مع الأشرفيّة فى معنى الركوب ، يقولون بشرط أن لا يكون السلطان منا ولا منكم ، وإنما يكون من غير الطائفتيْن ، فيقع بذلك الخلف بينهم ، ويتفرقون[1] بغير طائل ، إلى أن استرابت الظاهريّة من الملك المؤيَّد أحمد هذا ، وعظم تخوّفُهم منه ، فوافقوهم على سلطنة جانَم لما جاء ولدُه يحيى كما تقدم ذكره .

ثم وقع هذا الأمر بغتة ، وعلم جانِبَك نائب جدة أن الأمر خرج عن جانَم لغيابه ، ولابد من سلطنة غيره لأن الأمر ما فيه مُهْلَة ، فلم يُبْدِ للأشرفية شيئا من ذلك ، وأخذ فيما هو بصدده إلى أن يتمّ الأمر لغير جانَم ، ثم يفعل له ما بدا له ، وكذا وقع حسبما يأتى ذكره فى مجىء جانَم ، وفى سلطنة الملك الظاهر خُشقدَم .

هذا وقد جلس جميع الأمراء بمقعد الأمير الكبير خُشْقَدَم ، فعندما تكامل جلوسُهُم قامَ الأمير جانِبَك نائب جدَّة إلى مكان بالبيت المذكور ، ومعه الأمير جانبَك الأشرفى المشدّ ، والأمير جانِبَك الأشرفى الظريف الخازندار ، والأمير أُزْبُك من طَطَخ الظاهرى ، والأمير برْدبَك البَجْمَقْدار الظاهرى ، وجماعة أخر من أعيان الطائفتين ، وتكلموا فيمن يولونه السلطنة ، وغرض جانِبَك نائب جدَّة فى سلطنة الأتابك خُشْقَدَم ، لا فى سلطنة جانَم نائب الشام ، غير أنه لا يسعه الآن إظهار ما فى ضميره ، خوفا من نفرة الأشرفية ، وقال لهم ما معناه : « نحن قد كتبنا للأمير جانَم بالحضور ، وبايعناه بالسّلطنة ، وأنتم تعلمون ذلك عن يقين ، وقد دَهَمَنا هذا الأمرُ على حين غفلة ،

(١) فى الأصول « ويتفرقوا » . ولا مسوغ لحذف النون .

فما تكون الحيلة فى ذلك ، ولا بُدَّ من قتال الملك المؤيَّد فى يومنا ، والسلطانُ ما يُقَاتَل إلا بسلطان مثله ، ومتى تهاونَّا فى ذلك ذهبَت أرواحُنَا » ، فعلم كلُّ أحد ممن حضر أن كلام جانِبَك نائب جدَّة صواب ، وطاوعه كلٌّ من حضر على مقالته هذه ، فلما وقع ذلك أجمع رأىُ الجميع على سلطنة أحد من أعيان الأمراء .

ثم تكلموا فيمن يكون هذا السلطان ، فدار الكلام بينهم فى هذا المعنى ، إلى أن قال بعضهم : « سلطنوا الأمير جَرِباش المحمدى الناصرى أمير سلاح » ، فلم تَحْسُن هذه المقالةُ ببال الأمير جانِبَك ، ولم يَقْدِر على منعه تصريحا[1] وقال : « جَرِباش أهل لذلك بلا مدافعة ، غير أنه متى تسلطن لا يمكنكم صرفه من السلطنة بغيره — يعنى بالأمير جانَم — تَلْوِيحًا — لأنه رجل عظيمٌ ، ومن الجنس ، وصِهْرُ خُجْدَاشنا بُرْدبك البَجْمَقْدار ، وصِهْر خُجْدَاشِكم خير بك البهلوان الأشرفى وغيره ، وقد قارب مجىء الأمير جانَم من الشام ، والأمر إليكم ، ما شئتم إفعلوا » .

فكان هذا كله إبعاداً لجرباش المذكور ، وأخذا بخواطر الأشرفية ، فمال كلُّ أحد إلى كلامه ، ثم قال جانِبَك : « الرأى عندى سلطنة الأمير الكبير خُشْقَدَم المؤيدى ، فإنه من غير الجنس ، يعنى كونه رومى الجنس ، وأيضا إنه رجل غريب ليس له شوكة ، ومتى أردتم خلعه أمكنكم ذلك ، وحصل لكم ما تقصدونه من غير تعب » .

فأعجب الجميعَ هذا الكلامُ ، وهم لا يعلمون مقصوده ولا غرضه ؛ فإن جُلَّ قصد جانِبَك كان سلطنة خُشْقَدَم ، فإنه مؤيَّدى ، وخُجْدَاشِيَّتُه جماعةٌ يسيرةٌ ، وأيضا يستريح من جانَم نائب الشام وتحكُّم أعدائه الأشرفيه فيه وفى خُجْدَاشِيته الظاهريَّة ، ويعلم أيضا أنه متى تمَّ سلطنة الأتابَك خُشْقَدَم ، وأقام أياما عَسُرَ خلعُه ، وبعدت السلطنةُ عن جانَم وغيره ، فدبَّر هذه المكيدة على الأشرفية ، فمشت عليهم أولا ، إلى أن ملكوا القلعة ، وخُلع الملك المؤيَّد بسرعة فتنبَّهوا لها .

---

(١) فى ص « تحريضا » والمثبت من ط كاليفورنيا .

وكانت الأشرفية لما سمعوا كلام جانبك، وقالوا: «نعم نرضى بالأمير الكبير» كان في ظنهم أن قتالهم يطول مع الملك المؤيَّد أيّاماً كثيرة، كما وقع في نوبة المنصور عثمان، ويأتيهم جانَم وهم في أشد القتال، فلا يعدلون عنه لخُشْقَدَم، فيتمّ لهم ما قصدوه، فاتفقت كل طائفة مع الأخرى[1] في الظاهر، وباطن كل طائفة لواحد، فساعد الدَّهْرُ الظاهريَّة، وانهزمَ الملكُ المؤيَّد في يوم واحد حسبما نذكره الآن.

فلما وقع هذا الكلام جاءت الطائفتان الأشرفيّة والظاهريّة إلى الأمراء وهم جلوس بمقعد الأمير الكبير خُشْقَدَم، والجميع جلوسٌ بين يدى خُشْقَدَم، فافتتح الأمير جانِبَك نائب جدَّة الكلام وقال:

« نحن — يعني الظاهرية والأشرفية — نريد رجلا نسلطنه، يكون لا يُمَيِّزُ طائفة على أخرى، بل تكون جميع الطوائف عنده سواء في الأخذ والعطاء، والولاية والعزل، وأن يُطْلِقَ الأمراء المحبوسين من سائر الطوائف، ويرسم في سلطنته بمجيء المنفيّين من البلاد الشاميَّة وغيرها إلى البلاد المصريّة، ويطلق الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف برْسْباى، والملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جَقْمَق مِن بُرْجَى الإسكندرية، ويسكنا الإسكندرية في أي دار شاءا، ويأذن لهما في الرّكوب إلى الجامع وغيره بثغر الإسكندرية من غير تحفُّظٍ بهما.

وكان كلام الأمير جانِبَك لجميع الأمراء لم يخص أحداً منهم بكلام دون غيره، فبادر الأتابَك خُشْقَدَم بالكلام وقال: «نعم» ثم التفت جانِبَك إلى الجمع، وقال: «فمن يكون السلطان على هذا الحكم؟» فبدأ سُنْقُر قرَق شَبَق الأشرفي الزَّرَدْكاش، وقال ما معناه: «ما نرضى إلا بالأمير جانَم نائب الشام، أنتم كتبتم[2] له بالحضور، وأذعنتمو بسلطنته، فكيف تسلطنوا غيره؟ فنهره الأمير خيربك من جديد الأشرفي لنفس كان بينهما قديما، وقال:

(١) في الأصول: «فاتفق كل طائفة مع أخرى».
(٢) في، ص «أنتم ما كتبتم» والإثبات عن ط كاليفورنيا.

« لست بأهلِ الـكلامِ فى مثل هذا المجلس » فعند ذلك قال الأمير قانم التاجر المؤيَّدى أحد مقدمى الألوف مامعناه « يا جماعة إن كنتم كاتبتم الأمير جانَم نائب الشام فلا تسلطنوا غيره إلى أن يحضر وسلطنوه ، فإنه لا يسعكم من الله أن تسلطنوا غيره الآن ثم تخلعوه عند حضور جانَم ، فهذا شىء لايكون » فلم يسمعوا كلامه ، وسمع فى الغوغاء قول قائل لا يُعرف :

« سلطنوا الأمير جَرِباش » :

فامتنع جَرِباش من ذلك وقال مامعناه : « إن هذا شىء راجع إلى الأمير الـكبير » ، وقبَّل الأرض من وقته ،[1] فقام الأمير جانِبَك الأشرفى الظريف الخازندار وبادر بأن قال : « السلطان الأمير الـكبير » ، وقبَّل الأرض[1] ، ثم فعل ذلك جميعُ من حضر من الأمراء ، ونودى بالحال بسلطنته بشوارع القاهرة ، ثم شرعوا بعد ذلك فى قتال الملك المؤيَّد أحمد هذا .

كل ذلك والملك المؤيَّد فى القلعة فى أناس قليلة من مماليكه ومماليك أبيه الأجلاب ، ولم يكن عنـده من الأمراء أحد غير مملوك والده قَرَاجا الطويل الأعرج ، أحد أمراء العشرات ، وهو كلا شىء ، والأمير آخور الـكبير بَرْسْباى البَجَاسى ، وليته لا كان عنده[2] ، وخير بك القَصْرَوِى نائب قلعة الجبل وكان أضرَّ عليه من كل أحد حسبما يأتى ذكر فعله ، كلُّ ذلك والملك المؤيد لا يعلم حقيقة ما العزم فيه ، غير أنه يعلم باجتماع المماليك والأمراء فى بيت الأمير الـكبير خُشْقَدَم ، وأنهم فى أمر مريج ، غير أنه لايعرف نص ما هم فيه ، وصار الملك المؤيَّد يسأل عن أحوالهم ، وينتظر مجىء أحد من مماليك أبيه إليه ، فلم يطلع إليه أحدٌ منهم ، بل العجب أن غالبهم كان مع القوم عند الأمير الـكبير مساعدة على ابن أستاذهم ، وليتهم كانوا من المقبولين ، وإنما كانوا من المذبذبين

(١–١) هذه الفقرة ساقطة من ص ، والإثبات من ط كاليفورنيا .

(٢) فى هامش ص ٣٠٤ « وأما برسباى المشار إليه لم يكن كان عنده ، نحينما وقع الركوب طلع إليه جماعة من الأشرفية إلى باب السلسلة ونزلوا به إلى عند الأمير الكبير خشقدم » .

لاغير ، على أن الملك الظاهر خُشْقَدَم لما تسلطن أبادهم ، وشوّش عليهم بالمَسْك وإخراج أرزاقهم أكثر مما عامله مع الذين كانوا عند المؤيد— فلا شُلّت يداه — وبقى الملك المؤيد كلما فحص عن أمرِ الفتنه لايأتيه[1] أحدٌ بخبرٍ شافٍ ، بل صارت الأخبار عنده مضطربة، وآراؤه مفلوكة ، وهو فى عدم حركة ، ويُظْهِرُ عدم الاكتراث بأمر هذا الجمع ، إلى أن تزايد الأمر ، وخرج عن الحد ، وصار اللعبُ جدًّا ، فعند ذلك تأهّب من كان عنده من المماليك ، وقام الملكُ المؤيّدُ من قاعة الدهيشة ، ومضى إلى القصر السلطانى المطلّ على الرُّميلة[2]،ثم نزل بمن معه إلى باب السلسلة ، وقَبْلَ أن يصل إلى الإسطبل جاءه الخبرُ بأن القومَ أخذُوا بابَ السلسلة ، وملكوا الإسطبل السلطانى ، وأخذوا الأمير بَرْسْباى البَجَاسى الأمير آخور الكبير أسيرا إلى الأمير الكبير خُشْقَدَم ، وكان أخذُ باب السلسلة مكيدةً من بَرْسْباى المذكور ، فلما سمعت الأجلابُ أخذَ باب السلسلة نزلَ طائفةٌ منهم وصدَمُوا مَنْ بها من عساكر الأتابَك خُشْقَدَم صدْمَةً هزموهم فيها ، واستولوا على باب السلسلة ثانيا ، وهو بلا أمير آخور .

وجلسَ السلطانُ الملك المؤيد بمقعد الإسطبل المطل على الرُّميلة ، وكان عدم نزول المؤيّد إلى الإسطبل بسرعة له أسباب ، منها : أنه كان مطمئن الخاطر على باب السلسلة ؛ لكون الأمير آخور بَرْسْباى ليس هو من غَرَضِ أحد من الطائفتين ، وأيضا كونه صهره زوج بنت أخته من الأمير بُرْدبَك الدّوادار الثانى ، وقد صار بُرْدبَك من المسوكين عند الأتابَك خُشْقَدَم ، وأيضا أن والده إينال هو الذى رقّاه وخوّله فى النعم ، فلم يلتفت بَرْسْباى لشىء من ذلك ، وأنشد قول من قال : [الوافر]

لعمركَ والأمورُ لها دواعٍ   لقد أبعدت ياعتب الفرارا

ومنها : أنه صار ينتظر مَنْ يأتيه من أصحابه وحواشيه وخجداشية[3] أبيه ومماليكه ،

---

(١) كذا فى ط كاليفورنيا . وفى ص « لا ينبئيه أحد » .

(٢) فى الأصول « الرملة » .

(٣) فى الأصول خجداشين » .

فلم يأته أحد منهم ، فلما يئس منهم قام من الدّهيشة بعد أن جاءه الخبرُ بأخذ باب السلسلة واسترجاعها بيد مماليك أبيه الأجلاب ، ولما جلس بالمقعد ورأى القوم قد تكاثف جمعهم وكثر عَددهم ، وهو فيما هو فيه من قلّة العساكر والمقاتلة ، لم يكترث بذلك ، وأخذ فى الدفع عن نفسه بِمَنْ عِنْدَه ، غير أن الكثرة غلبت الشجاعة ، وما ثَمّ شجاعة ولا دربة بمقاومة الحروب ، وصار كذلك خذلانا من الله تعالى ، فإنه لم يطلع إليه فى هذا اليوم واحدٌ من مماليك أبيه القديمة ولا خچداشيته ، وما كان عنده من الأمراء غير قَرَاجا المقدم ذكره ، ومن أعيان الخاصكية فارس البَكْتَمُرى أحد الدّوادارية الأجناد ، ومُقْبِل دَوَادَاره قديما قبل سلطنته ، وهؤلاء الثلاثة كلا شيء ، ولولا ذكر أسماء من كان عنده عِلْم خَبرِ ما ذكرتُ مثل هؤلاء الأصاغر ، وكان عنده مع هؤلاء أجلابُ أبيه الذين بالأطباق ، وهم عدة كبيرة نحو الألف أو دونها بيسير ، أو أكثر منها بقليل ، وهم الذين اشتراهم والدُه الأشرف بعد سلطنته من التجار ، وأما الذين اشتراهم من تركة الظاهر جقمق ومن مماليك ولده الملك المنصور عثمان — وعدتهم تزيد على المائتين ، وهم أعيان مماليك الأشرف إينال وأصحاب الوظائف والإقطاعات — فقد استمالهم الأمير جانِبَك نائب جدّة قبل ذلك، وقال لهم : « أنتم ظاهرية وشراء الأشرف لكم غير صحيح » فمالوا إلى كلامه وإحسانه وعطاياه الخارجة عن الحدّ فى الكرم ، وصاروا من حزب الظاهرية ، وركبت الجميع معه فى هذا اليوم ، وقاتلوا ابن أستاذهم أشدَّ قتال ، وصاروا هم يوم ذلك أعيان العسكر بالشبيبة والإمكان والكثرة ، هذا مع من كان مع الأتابَك خُشْقَدَم من الناصرية والمؤيديّة والظاهرية والسيفية .

فلما رأى الملكُ المؤيّدُ كثرةَ هذه العساكر وميل مماليك والده معهم تعجّب غاية العجب ، وعلم أن ذلك أمر ربّانِيٌّ ليس فيه حيلة ، وما هو إلا بذنبٍ سَلَفَ من دعوةِ مظلومٍ غَفَلُوا عنها لم يَغْفُل اللهُ عنها ، أو للمجازاة ؛ لأن الجزاء من جنس العمل ، وقد ركب أبوه الملكُ الأشرفُ إينال على الملك المنصور عثمان بعد أن تحوّل فى نعم الظاهر جَقْمَق ، فإنه هو الذى رقّاه وولّاه الأتابَكية ، فغدر به وخلعه من الملك ، وتسلطن مكانه ، وحبسه إلى أن مات .

وأغربُ من هذا كله أن الملك المؤيد هذا كان له أيام والده جماعة كبيرة من أعيان الظاهرية والأشرفية والسيفية يصحبونه ويمشون فى خدمته، ويتوجهون معه فى الرِّمايات والأسفار، وإحسانُه متصلٌ إليهم من الإنعام والمساعدة فى الأرزاق والوظائف، فلم يطلع إليه واحد منهم، وأيضا فانضافوا[1] الجميع للأتابك خُشْقَدم ومَن معه قبل أن يستفحل أمر خشقدم ويضعف أمرُ المؤيد، فماذاك إلا عدم موافاة لاغير.

وأعجب من هذا أن أصحاب المؤيد ومماليك أبيه الذين تقدم ذكرهم مِمَّن انضافَ مع الأتابَك خُشْقَدَم كانوا يوم الواقعة من المقوتين لا من المتأهلين، وذلُّ الإبعاد لائح عليهم، وكان يمكنهم[2] تلافى الأمر والطلوع إلى الملك المؤيد ومساعدته، فلم يقع ذلك، فهذا هو السبب لقولى: إن هذا كله مجازاة لفعل والده السابق، وقد ورد فى الإسرائيليات، يقول الرب: «يا داود، أنا الرّب الودود، أعامل الأبناء بما فعل الجدود».

ثم التحم القتالُ بين الطائفتين مُنَاوَشَةً لا مصافقة، غير أن كُلا من الطائفتين مصرٌّ على قتال الطائفة الأخرى، والملكُ المؤيد فى قلةٍ عظيمةٍ من المقاتلة ممن يعرف مواقع الحرب وليس معه إلا أجلابٌ، وهذا شىء لم يقع لأحد غيره من السلاطين أولاد السلاطين؛ فإن الناس لم تزل أغراضا، ووقع ذلك للعزيز مع الملك الظاهر جَقْمَق، فكان عند العزيز جماعة كثيرة من الأمراء والأعيان لا تدخل تحت حصر، وكذلك للمنصور عثمان مع الملك الأشرف إينال، وكان عنده خلائق من أعيان الأمراء، مثل الأمير تَنَم المؤيدى أمير سلاح، ومثل الأمير قانِي بَاى الچاركسى الأمير آخور الكبير، وغيرهما من أعيان أمراء أبيه، ولازالت الدنيا بالغرض، فقوم مع هذا، وقوم مع هذا، غير أن الملك المؤيد هذا لم يكن عنده أحد البتة، فانقلب الموضوع فى شأنه؛ فإنه كان يمكن الذى وقع له يكون للعزيز والمنصور؛ فإنهما كانا حديثى سنٍ، والذى وقع لهما —

(١) فى ط كاليفورنيا «فاءوا».

(٢) فى ص «فما كان يمكنهم» والمثبت عن ط كاليفورنيا، وبه يستقيم المعنى.

أعني العزيز والمنصور — كان يكون للمؤيد ؛ لأنه كبير سن ، وصاحب عقل وتدبير — فسبحان الله يفعل مايشاء ويحكم مايريد .

قلت : ولهذا لم تطل وقعة المؤيد هذا ، فإنه علم بذلك زوال ملكه ، وتركه بَرْسْبای البجاسی الأمير آخور ، وخير بك القَصْرَوِى نائب قلعة الجبل ، ونزلا إلى الأتابك خشقدم ، فإن العادة فى الحروب إذا كان كل من الطائفتين يقابل الأخرى فى القوة والكثرة يقع القتال بين الطائفتين ، وكلٌ من الطائفتين يترجَّى النُّصْرَة ، إلى أن يؤول النصر لإحدى الطائفتين ، وتذهب الأخرى ، إلاّ هذه الوقعة لم يكن عند المؤيَّد إلّا مَن ذكرناه . وأما عساكر الأتابَك خُشْقَدَم فانتشرت على مفَارِق الطرق ، فوقف الأميرُ جانبَك الظاهرى نائب جدَّة بجماعة كثيرة من خُجِدَاشِيته ومماليكه برأس سويقة منعم ، وتلقَّى قتال الملك المؤيد بنفسه وبحواشيه المذكورين ، وعظم أمر الأمير الكبير خُشْقَدَم به حتى تجاوز الحدّ[1] ، واجتهد جانبَك المذكورُ فى حرب المؤيد حتى أباده .

وكان الملك المؤيّد أولا يقرِّب جانبَك هذا فى ابتداء سلطنته تقريباً هيّناً مع عدم التفات إليه ولا إلى غيره ؛ لأنه كان يقول فى نفسه : إن ابتداءه كانتهاء أبيه فى العظمة ، ولما تسلطن أخذ فى الأمر والنهى أولا بغير حساب عواقب ، استعزازاً بكثرة مالِهِ وبحواشيه ومماليك أبيه ، فسار فى الناس بعدم استمالَةِ خَوَاطِرِهم ، وسار على ذلك مُدّةَ أيام ، وجعل جانِبَك هذا فى أسوة من سلك معهم هذه الفعلة ، فاستشارنى جانبَك فى أن يداخله لعله يُرَقِّع عليه أمره ، فإنه ما كان[2] حمولا للذّل ، وإنما كان طبعه أن يَبْذُلَ

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٦٧٤ عن T « فلهذا كافأه الأتابك خشقدم بقتله شر قتلة على ما يأتى فى ترجمته فيما بعد إن شاء الله تعالى ، عليه من الله ما يستحقه ، وجعل مقر الأمير جانبك الجنة بمنه وكرمه ، ولم تزل قلة موافاة (وفاء) الأمير خشقدم مشهورة وبالصحف مسطورة فإنه كان يأتى لكاتبه (أى المؤلف) ويقيم عنده ، وينزل سكنه ببركة الحاجب بمن يختاره من أخصائه اليومين والثلاثة ، وكان يمده بكل خير ، ويشهد عليه بذلك الزينى سيدنا عبد الرحيم بن العينى و الأمير ين خشكلدى المحتسب ورأس نوبة النوب وتانى بك المعلم ، بل ويحلف على ذلك الأيمان المغلظة إلى أن صار سلطانا فلم يف ببعض ذلك ، بل ضاع لى فى ديوانه جملة مال مستكثرة ، وذكره المشار إليهم بذلك فلم يلتفت لذلك — عليه من الله ما يستحقه » .

(٢) فى ص « فانه كان حمولا » والمثبت عن ط كاليفورنيا ويستقيم به المعنى .

المالَ الجزيلَ فى القدر اليسير فى قيام الحُرْمة ، فأشرتُ عليه بالمداخلة ، فداخله ، وكنت أنا قبل ذلك داخلته أياماً ، فإذا به جامد نفور بعيد الاستمالة إلا لمن ألفه ، وحدّثته[1] بما رأيته منه قبل أن أشير عليه بصحبته ، فقال ما معناه : إنى أنا آخذ الشىء بعزة وتمهل ، وهو يدور مع الدهر كيفما دار ، ثم اجتمع بى بعد مُدّة أيام فى يوم الجمعة بعد أن صلّى معه الجمعة ، وقلع ما عليه من قماش الموكب ، ودخل إليه فى الخلوة بقاعة الدهيشة ، ثم خرج من عنده وهو غير منشرح الصدر ، وقال لى : « القول ما قلته » ، ثم شرعنا فيما نحن فى ذكره مَجْلِساً طويلا ، وقمنا على غير رضاء من الملك المؤيّد .

وَوَقَع فى أثناء ذلك ما ذكرناه من أمر الوقعة والفتنة ، ووقوف جانبَك ومن معه برأس سويقة منعم ، هذا مع ما كان بلغ المؤيد فى هذا اليوم وفى أمسه أن القائم بهذا الأمر كله جانِبَك نائب جدّة ، وأنه هو أكبر الأسباب فى زوال مُلْكِه ، وفى اجتماع الناس عَلَى الأتابَك خُشْقَدَم ، ثم رأى فى هذا اليوم بعينه من قَصْر القلعة وقوفَ جانِبَك على تلك الهيئة ، فعلم أن كل ماقيل عنه فى أمْسِهِ ويومه صحيح ، فأخذ عند ذلك يعتذر وكتب كتاباً للأمير جانبَك بخطِّه يَعِدُه فيه بأمور ، منها : أنه يجعله إن دخل فى طاعته أتابَك العساكر بالدّيار المصريَّة ، وأنه لايخرج عن أوامره ، وأنه يكون هو صاحب عقده وحلّه ، ويترقّق له ، وبسطَ الكلامَ فى معنى ما ذكرناه أسطُراً كثيرة ، وهو يكرِّرُ السؤال فيه ، ويحلفُ له فيما وعده به ، ورأيت أنا الكتاب بعينى ، وفيه لحنٌ كثير ، كأنه كان ما مارس العربيّة ، ولا له إلمام بالمكاتبات ، على أنه كان حاذقاً فطنا ، غير أن الفضيلة نوع آخر ، كما كانت رُتْبَة المقام الناصرى محمد ابن الملك الظاهر جَقْمَق — رحمهما الله تعالى — فلم يَرْثِ جانِبك لما تضمن هذا الكتاب ، ودام على ما هو عليه ، ونهر قاصدَه الحاملَ لهذا الكتاب ، وقال له : « إن عدت إلىّ مَرَّةً أخرى أرسلتك إلى الأمير الكبير » ، واستمر على ماهو عليه من الاجتهاد فى القتال ، وصار أمرُ الملك المؤيد فى إدبار ، وعساكر الأتابَك خُشْقَدَم فى نُمُوٍّ وزيادة .

(١) فى الأصول « وتحدثته » .

هذا والمناوشة بالقتال مستمرّة بين الطائفتين ، وقد أفطرفى هذا اليوم خلائق من شدة الحر ، وتعاطى القتال من الطائفتين ؛ وجرح جماعة كثيرة من الفريقين ، فلم ينقض النهار حتى آل أمرُ الملك إلى زوال ، وهو مع ذلك ينتظر من يجىء إليه لمساعدته ، وهو بين عسى ولَعَلَّ ، وكاتب جماعةً من أصحابه ممن كان عند الأتابك خُشْقَدَم ؛ فلم يلتفت إليه أحد لتحقق الناس زوال ملكه .

وبينما الناسُ فى ذلك وإذا بخير بك القَصْرَوِى نائب قلعة الجبل تَرَكَ بابَ المدرَّج ، ونزل إلى الأمير الكبير خُشْقَدَم ، وصار من حِزْبِه ، فعلم كلُّ أحدٍ أنه قد ذهب أمرُ الملك المؤيّد ، ولو كان فيه بقية ما نزل نائب القلعة منها وانضاف إلى جهة الأمير الكبير ، وبقى باب القلعة بغير ضابط ، فأرسلَ الملكُ المؤيد فى الحال بعض أصحابه وجلس مكان خير بك هذا ، فلم يشكر أحدٌ خير بك المذكور على فعلته هذه .

كل ذلك وأمر المؤيّد فى انحطاط فاحش ، وصارت العامةُ تُسْمِعُهُ المكروهَ من تحت القلعة : لاسيما لما دخل الليلُ ، فإنه بات بالقصر فى قِلّةٍ من الناس إلى الغاية ؛ لأن غالب من كان عنده تركه ونزل إلى تحت ، وكانوا فى الأصل جمعاً يسيراً ، وبات من هو أسفل وقد استفحل أمْرُهم ، وتأهبوا للقتال فى غَد ، وهمتهم قد عظمت من كثرة عددهم ، وتكاثف عساكرهم من كل طائفة ، حتى من ليس له غرضٌ عند أحد بعينه جاء إلى الأمير الكبير مَخَافَةً على رزقه ونفسه ؛ لما علم من قوّة شوكة الأمير الكبير وَما يؤول أمره إليه .

هذا مع حضور الخليفة والقضاة الأربعة عند الأمير الكبير وجميع أعيان الدولة من المباشرين وأرباب الوظائف وغيرهم ، والملك المؤيد فى أناس قليلة جداً ، ومضت ليلة الأحد المذكور ، والملك المؤيد فى أقبح حال ، هذا وقد عدم تَرَجِّى من كان عنده بالقلعة من نُصْرَتهِ ، وَتقاعدَ غالبُ من كان عنده عن القتال ، وهم الأجلاب من مماليك أبيه لاغير .

فلما أصبح نهار الأحد تاسع عشر شهر رمضان من سنة خمس وستين وثمانمائة

ظهر ذلك عليهم ، وَبردت هممهم ، وَركضت ريحُ عزائمهم ، وَأخذ كل واحد من أصحابه فى مصلحة نفسه ، إما بالإذعان للأمير الكبير خُشْقَدَم ، أو بالتّجهّز للهرب وَالاختفاء ، وَظهر ذلك للملك المؤيد عيَانًا ، فأراد أن يُسَلِّمَ نفسه ، ثم أمسك عن ذلك من وَقته .

كلُّ ذلك وَأصحاب الأمير الكبير لا يعلمون بذلك ، فقد أصبحوا فى أخل أمر ، وَأقوى شوكة ، وَأكثر عدد ، وَقد تهيئوا فى هذا اليوم للقتال وَمحاصرة قلعة الجبل ، زيادةً على ما كانوا عليه فى أمْسِه ، وَفى نفوسهم أن أمْرَ القِتَالِ يَطُولُ بينهم أيّاما ، وبيناهم فى ذلك ورد عليهم خبر الملك المؤيد مفصلا ، وحكى لهم انحلال برْمه وانفلاك أمره ، وما هو فيه من أنه أراد غير مرّة تسليم نفسه ، وزاد الحاكى وأمعن لغرض ما ، فقَوى بذلك قلوب من هو أسفل ، وتشجّع كلُّ جبان ، فطلب المبارزة كلُّ مُوَلٍّ ، وتقدّم كل من كان خاف هذا من هؤلاء ، فكيف أنت بالشجاع المقدام ؟ !

فعند ذلك اجتمعوا على القتال ، وزحفوا على القلعة بقلب رجل واحد ، فقاتلهم عساكر الملك المؤيد قتالا ليس بذاك ساعة هيِّنة ، فلما رأى الملك المؤيد أن ذلك لا يفيده إلا شدّة وقَسْوَة أمَرَ عساكره ومقاتلته بالكفّ عن القتال ، وقام من وقته وطلع القلعة بخواصه ، وأمر أصحابه بالانصراف إلى حيث شاءوا .

ثم دخل هو إلى والدته خَوَنْد زينب بنت البدرى حسن بن خاص بك ، وترك باب السّلسلة لمن يأخذه بالتسليم ، وتمزّقت عساكره فى الحال كأنها لم تكن ، وزال ملكه فى أقلّ ما يكون ، فسبحان من لا يزول ملكه وبقاؤه الدائم الأبدى .

فلما بلغ الأميرَ الكبيرَ خُشْقَدَم الخبرُ قام من وقته بمن معه من أصحابه وعساكره ، وطلع إلى باب السّلسلة ، واستولى على الإسطبل السلطانى ، وملك قلعة الجبل أيضاً فى الحال من غير مقاتل ولا مدافع ، وأمر الأمير الكبير فى الحال بقلع السّلاح وآلة الحرب وسكن الأمر ، وخمدت الفتنةُ كأنها لم تكن ، ثم أرسل الأتابك خُشْقَدَم فى الحال جماعةً من أصحابه قبضوا على الملك المؤيد أحمد هذا من الدُّورِ السلطانية ، فأمسك من غير ممانعة ، وسلم نفسه ، وأُخْرِجَ من الدُّور إلى البحرة من الحوش السلطانى ، وحُبس

هنالك بعد أن قُيِّدَ واحْتُفِظَ به ، وأُمْسِكَ أخوه محمد أيضاً ، وحُبس معه بالبَحْرَة ، نخرَجَت والدتُهما خَوَنْد زينب المقدَّمُ ذِكرها معهما ، وأقامت عندهما بالبَحْرَةِ المذكُورَة ، وقد عَلِمَت وعلِمَ كلُّ أحد أيضاً بأن الذى وقع لهم من زوال مُلكهم فى أسرع وقت إنما هو بدَعْوَةِ مَظْلُوم غفَلُوا عَنْهَا ، لم يَغْفُل الله عنها ، ولله در القائل :

[الوافر]

أرَى الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلْءِ فِيهَا حَذَارِ حَذَارِ تَوْبِيخِى وَفَتْكِى[1]
وَلَا يَغْرُرْكُمُ مِنِّى ابْتِسَامٌ فَقَوْلِى مُضْحِكٌ ، وَالْفِعْلُ مُبْكِى

قلتُ : « على قَدْرِ الصُّعُود يَكُون الهُبُوط ، وكما تَدِينُ تُدَان ، وما رَبُّكَ بظَلّامٍ للعبيد ، وَالجزَاء مِنْ جِنْسِ العَمَل » وكأنَّ لِسَانَ حَالِ إسكندرية قَبْلَ ذلك يقول : « كل ثانٍ لا بُدَّ لَهُ مِنْ ثالِث » ، فالأوّل ممّنْ كانَ فيها من السّلاطين أوْلادِ الملوك : المَلِكُ العزيزُ يوسُف ابنُ الملك الأشرف بَرْسْبَاى ، وقد خلعه الملكُ الظاهر جقْمَق ، وتسلطن مكانه ، ثم الملك المنصورُ عُثمَانُ ابنُ الملك الظاهر جقْمَق ، خلَعَهُ الملكُ الأشرفُ إينَالُ ، وتسلطن عوضه ، وهو الثانى ، فاحتاجت الإسكندرية إلى ثالث ، ليُجازَى كلٌّ على فعله ، فكان المؤيدُ هذا ، خَلَعَهُ الملكُ الظَّاهرُ خُشْقَدَم ، وتسلطن مكانه ، واستَوْلَى على جميع حواصل الملك المؤيد وذخائره ، فلم يَجِدُوا فيها ما كان فى ظَنِّهم ، فطلبوا منه المالَ ، فَذَكَرَ أنَّهُ أصْرَفَ جميعَ ما كانَ فى خزَانَةِ والده فى نفقةِ المماليك السّلطانية لما تسلطن ، ولم يبقَ فى الخزانة إلا دون المائة ألف دينار .

ثم تَتَبَّعُوا حواصله وحواشيه بعد ذلك ، فأخذوا منهم زيادة على مائة ألف دينار ، وبعضَ متاع ، وصينى وقُمَاش . واستمرّ الملكُ المؤيّدُ محتفظاً به بالبَحْرَة إلى ما سنذكره .

(١) هذا البيت مطلع قصيدة لأبى الفرج الساوى المخزومى يرثى بها فخر الدولة بن بويه ويليه البيت الثانى . (جامع الشواهد للرضا محمد باقر بن على – باب الهاء) ولكن الأول جاء هكذا

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى

وكانت مُدّة تحكمه من يوم تسلطن إلى يوم خُلِـعَ من السلطنة بالملك الظاهر خُشْقَدَم أربعةَ أشهرٍ وستة أيام بغير تحرير ، وبتحرير الأوقات والساعات : وخمسة أيام .

ولما نُـكِبَ الملكُ المؤيدُ وخُلِـعَ من السلطنة على هذا الوجه كَثُرَ أسَفُ الناس عليه إلى الغاية والنهاية ، فإنه كان سارَ في سلطنته سيرةً حسنة جميلة ، وَقَمَعَ أهلَ الفساد وقُطّاعَ الطريق بجميع إقليم مصر ، وأمِنَت السُّبُل في أيامه أمنًا زائداً ، واطمأنّت النفوسُ من تلك المخاوف التي كانت في أيام أبيـه ، وَزالت أفعالُ الأجلاب بالكليّة مما أرْدَعَهُم في أوائل سلطنته بالإخراق وَالوعيد وأبعدهم عنه ، ثم سَلَكَ الطريق الجميلة في الرعيّة فعظُمَ حبُّ الناس له ، وانطلقت الألسنُ له بالدعاء والابتهال سِرًّا وعلانية ، وسُر بسلطنته كلُّ أحدٍ من الناس ، ومالت القلوبُ إليه ، لولا تـكَـبُّرٌ كانَ فيـه وعدمُ التفات إلى الأكابر ، حسبما تقدَّمَ ذِكْرُه ، وهذا كان أكبر الأسباب لتوَغُّرِ خواطر الأمراءِ منه ، وإلا فـكان أهلاً للسلطنة بلا نِزَاع ، فلو أنَّهُ سارَ مع الأمراء سيرةَ والده الأشرفِ من المَلَق ، وأخذِ الخواطر مع إرادة الله تعالى ، لدامت أيّامُه مِقْدَارَ المواهب الإلهية ، لأنه كان ملـكا عارِفًا سَيُوسًا ، فطنًا عالِىَ الهمة يقظا ، لولا ما شان سؤدده من التـكبُّر ، ومصاحبة الأحداث ، ولله در القائل :

[الطويل]

وَمَنْ ذَا الّذِى تُرْضَى سَجَايَاهُ كلُّها ؟ كَفى المرء نخراً أنْ تُعَدَّ مَعَايِبُه[1]

ودَامَ الملكُ المؤيدُ هذا بالبحرة من الحوش السلطاني بقاعة الجبل إلى يوم الثلاثاء حادى عشرين شهر رمضان فرسم السلطانُ الملك الظاهر خُشْقَدَم بتوجُّهِهِ وتَوَجُّه أخيه محمد إلى سجن الإسكندرية ، فأُنْزِلا في باكر النهار المذكور ، وأخرجَ الملكُ المؤيدُ هذا مُقَيَّدا ، وحمل على فرس ، ولم يركب خلفه أحد من الأوجاقية[2] — كما هي عادة

(١) هذا البيت لم يسم قائله (جامع الشواهد للرضا محمد . باب الواو) .

(٢) الأوجاقية : واحدها أوجاق أو أوشاق وهو الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة (القلقشندي — صبح الأعشى ٥ : ٤٥٤) .

من يُحْمَل من أعيان الأمراء إلى سجن الإسكندرية — فنزّهُوا مقامه عن ذلك ، وأنا أقول : لعل أنه ما قصدوا بذلك إجلالَهُ ، فإنه[1] ليس فى القوم من هو أهلٌ لهـذه المعانى . وإنما الملك المنصور عثمان كان لما أُنْزِل من القلعة إلى الإسكندرية على هذه الهيئة لم يركب خلفه أوجاقى ، فظن القومُ أن العادةَ لا يركبُ خلف السلطان أوجاقى ففعلوا بالمؤيد كذلك ، ولقد سمعت هذا المعنى من جماعةٍ من أكابر الجَهَلَةِ المَشْهُورين بالمعرفة ، فلو قيل له : وأى سلطان أنزل من القلعة بعد خلعه من السلطنة إلى الإسكندرية على هـذا الوجه ، لمـا كان يسـعه أن يقول رأيتُ ذلك فى بلاد الچاركس — انتهى .

وحمل أخوه محمد أيضاً على فرس آخر بغير قيد فيما أظن ، ونزل أمامه ، وبين يديهما مملوكُ أبيهما قَرَاجَا الأشرفى الطويل الأعرج على بغل بقَيْد ، وخلفه أوجاقى — على عادة الأمراء — بسكين ، وأنا أقول : عُظم قَرَاجَا بهذا النزول مع هؤلاء الملوك فى مثل هذا اليوم ، والذى أراه أنا أنه كان يتوجّه بين يدى هؤلاء ماشياً إلى أن يصل إلى البَحْرِ ، وإلا فهذا إجلال لقدر هذا الوضيع ، وإن كان فيه ما فيه من النـكد ، ففيه نوع من رفع مقامه .

وسار الجميع والعساكر محتفظة بهم ، وعلى أكثرهم السلاح وآلة الحرب ، وجلست الناسُ بالحوانيت والطُّرُقَات والبيوت لرؤية الملك المؤيد هذا ، كما هى عادة العَوَامّ وغيرهم من المصريين ، وتوجهوا بهم من الصليبة إلى أن اجتازوا بالملك المؤيد وأخيـه محمد على تلك الهيئة بدار أختـه شقيقته زوجة الأمير يُونُس الدّوَادار الـكبير ، وهو فى حياض الموت ، لمرضٍ طال به أشهرا تجاه الـكبش ، فلما وقع بصر زوجة الأمير يُونُس على أخويها وهما فى تلك الحالة العجيبة المهولة صاحت بأعلى صوتها هى ومن حولها من الجوارى والنسوة ، فقامت عيطة عظيمة من الصِّيَاح واللَّطْم والرءوس المـكشوفة ، فحصل للناس من ذلك أمرٌ عظيم من بكاء وحُزْنٍ وعِبْرَة[2] على ما أصاب هؤلاء من النَّـكْبَة

(١) فى الأصول « فإن » .
(٢) فى ص « وغيره » والمثبت فى ط كاليفورنيا .

والهوان بعد الأمن والعِزّ الذى لا مزيد عليه ، وما أحسن قول من قال فى هذا المعنى :

[البسيط]

جَادَ الزَّمَانُ بِصَفْوٍ ثُمَّ كَدَّرَهُ هَذَا بِذَاكَ ، ولا عتبٌ على الزمنِ

ودامَ سيرهم على هذه الصفة إلى أن وصلوا بهم إلى البحر بخط بولاق بساحل النّيل ، فأُنزل الملك المؤيد وأخوه ومعهما قَرَاجَا المذكور فى مركب واحد ، وسافروا من وقتهم على الفَوْرِ إلى الإسكندرية ، وقد كثر تأسُّف الناس عليهم إلى الغاية ، ما خلا المماليك الظاهرية فإنهم فرحوا به لما كان فعل الملك الأشرف إينال بابن أستاذهم الملك المنصور كذلك ، فجازوه بما فعلوه الآن مع ابنه الملك المؤيد هذا ، قلت : هكذا فعل الدهر ، يوم لك ويوم عليك .

ودام الملك المؤيد ومن معه مسافرا فى البحر إلى ثغر رشيد ، فسافروا على البر إلى أن وصلوا إلى الإسكندرية ، فسجنوا بها ، واستمر الملك المؤيد مسجونا بقيده إلى أن استهلّت سنةُ ست وستين فرسم السلطان الملك الظاهر خُشْقَدَم بكَسْر قَيْدِهِ فَكُسر ، وتوجهت والدتُه خَوَنْدُ زينبُ إليه وسكنت عنده بالثغر ومعها ابنتها زوجةُ الأمير يُونُس بعد موته ، ثم مرض ولَدُها محمد فى أثناء السنة أيّاماً كثيرة ، ومات بالثغر ، ودُفِنَ به فى ذى الحجة ، وقبل موته ماتت ابنته بنت أشهُرٍ ، ولم يتهم أحد لموته ، لأن مرضه كان غير مرض المَتْهُومين ، ولما وَقَع ذلك أرسلَت والدتُه خوند زينب تستأذن السُّلْطَان فى حمل رِمَّةِ ولدها محمد المذكور من الإسكندرية إلى القاهرة لتدفنه عند أبيه الأشرف إينال ، فأذن لها فى ذلك ، فحملته بعد أشهر ، وجاءت به إلى القاهرة فى شهر ربيع الأوّل من سنة سبع وستين وثمانمائة ، ودُفن محمد المذكور على أبيه فى فسقية واحدة — رحمهما الله تعالى والمسلمين — ولم تحضر والدته المذكورة معرمّة ولدها محمد ، وإنما قامت عند ولدها الملك المؤيد أحمد بالإسكندرية ، لمرض كان حصل للملك المؤيد أبطل بعض أعضائه ، ثم عُوفِيَ بعد ذلك بُمدّة ، وحضرت بعد ذلك إلى القاهرة بطلب من السلطان بسبب المال ، وصادفت

وفاة الأمير يونس المؤيدى الدوادار الكبير صهره زوج أخته بعد يوم ، ثم تَزَوَّجَها الأمير كسباى الخُشْقَدَمِى الدَّوَادار الثانى ، فَقَبْلَ دخولها ماتت معه .

وكان عمره وقت سلطنته نيفا وثلاثين سنة ، فإن مولده وأبوه نائب بغزة .

وكانت مدة سلطنة الملك المؤيَّد أحمد على مصر أربعة أشهر وأربعة أيام ، مرّت أيامه كالدقائق ، لسرعتها وحسن أوقاتها ، ودام فى الإسكندرية ، وقد كَمُلَ له بها الآن مّدة عشر سنين سواء .

ولما مات الظاهر خُشْقَدَم وتسلطن الملك الظاهر تَمُرْبُغا الظاهرى ، ففى أوّل يوم رسم بإطلاق الملك المؤيَّد أحمد من سجن الإسكندرية ، ورسم له بأن يسكن فى الإسكندرية فى أى بيت شاء ، وأنه يحضر صلاة الجمعة راكبا ، وأرسل إليه خلعة وفرسا بقماش ذهب ، فاستمرّ يركب ، ولما تسلطن صهره الملك الأشرف قايتباى زاد فى إكرامه ، وبقى يسافر ، وصاهره على ابنته الأمير يَشْبُك من مهدى الظاهرى الدّوادار الكبير ، ودام[1] .

وهذه السنة وهى سنة خمس وستين وثمانمائة هى التى اتفق فيها أنْ حكَمَ فيها ثلاثة ملوك ؛ حكم الملك الأشرف إينال من أوّلها إلى نصف جمادى الأولى ، وحَكَمَ ولدُه الملكُ المؤيَّد هذا من نصف جمادى الأولى المذكورة إلى تاسع عشر شهر رمضان فقط ، وحكم الملك الظاهر خُشْقَدَم من تاسع عشر شهر رمضان فقط إلى آخرها .

وسنذكر وفيات هذه السنة بتمامها فى محلها فى أول سنين سلطنة الملك الظاهر خُشْقَدَم — حسبما اصطلحنا عليه فى مصنفنا هذا — إن شاء الله تعالى .

(١) كذا فى الأصول ، والعبارة ناقصة كما ترى — وقد مات المؤيد أحمد هذا فى منتصف صفر سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، ونقلت جثته من الإسكندرية — حيث كان يقيم — إلى القاهرة ودفن عند أبيه (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ٢٤٦) .

ذكر سلطنة الملك الظاهر خشقدم
على مصر

هو السلطان الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين خُشْقَدَم بن عبد الله الناصرى المؤيَّدى ، وهو السلطان الثامن والثلاثون من ملوك التُّرْك وأولادهم بالديار المصرية ، والأوّل من الأَرْوَام بعد أن تسلطن من الچراكسة وأولادهم ثلاثة عشر ملكا ، أعنى من أول دولة الظاهر بَرْقُوق وهو القائم بدولة الچراكسة ابتداء ، وأما من سَلَفَ من ملوك التُّرك الچراكسة والأروام ففيهم اختلاف كثير ، لعدم ضبط المؤرخين هذا المعنى ، والذى تحرَّر منهم من دولة الملك الظاهر بَرْقُوق إلى يومنا هذا ، فأوّل الچراكسة بَرْقُوق ، وأول الأروام خُشْقَدَم ، هـذا وبينهما إحدى وثمانون سنة لا تزيد يوما ولا تنقص يوما ، لأن كلّا منهما تسلطن فى تاسع عشر شهر رمضان ، فـذاك — أعنى برقوقا — فى سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، وخُشْقَدَم هذا فى سنة خمس وستين وثمانمائة ، تسلطن يوم خُلع الملك المؤيَّد أبو الفتح أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال الأجرود ، فى يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة بعد الزوال ، وهو يوم ملك القلعة من الملك المؤيَّد أحمد .

فلما كان وقت الزَّوَال طلب الخليفة المستنجد بالله يوسف والقضاة والأعيان ، وقد حضر جميع الأمراء فى الإسطبل السلطانى بباب السّلسلة بالحرّاقة[1] ، وبويع بالسلطنة ، وكان قد بويع بها من بكرة يوم السبت ثامن عشر شهر رمضان قبل قتال الملك المؤيَّد أحمد حسبما تقدّم ذكره فى ترجمة الملك المؤيَّد أحمد ، ولُقب بالملك الظاهر ، وكنى بأبى سعيد .

ولما تمّ له الأمر لبس خلعة السلطنة السّواد من مبيت الحرّاقة وركب فرس النوبة ،

---

(١) هذا اللفظ ساقط من ص ، والإثبات عن ط كاليفورنيا .

وطلع إلى القصر السلطانى (١ بشعار الملك ١) والأمراء والعساكر مشاة بين يديه ، ماخلا الخليفة فإنه راكب معه ، وقد حملَ القُبّة والطيرَ على رأسه الأميرُ جَرِباش المحمدى الناصرى المعروف بكَرْد أميـــر سلاح ، وجلس على تَخْت الملك ، وقبَّلت الأمراء والعساكر الأرضَ بين يديه ، ودقَّت البشائر فى الوقت ، فازدحمت الناسُ لتهنئته وتقبيل يديه إلى أن انتهى كلُّ أحـد ، ونُودِىَ فى الحال بسلطنته فى شوارع القاهرة ، وخلع على الخليفة المستنجد بالله يوسف فوقانيا حريرا بوجهيْن أبيض وأخضر بطرز زَرْكَش ، وقدَّم له فرسا بسرج ذهب وكُنْبُوش زَرْكَش ، ثم خلع على الأمير جَرِباش المحمدى أطلسيْن متُمَّرا وفوقانيا بوجهيْن بطرز زَرْكَش ، وأنعم عليه بفرس بقماش ذهب ، وهذه الخلعة لحمله القُبَّة والطيرَ على رأس السلطان ، وخِلْعَة الأتابَـكيّة تـكون بعد ذلك ، غير أن جَرِبَاش المذكور علم أنه قد صار أتابَـكا لحمله القُبَّة والطير على رأس السلطان .

ثم خلع السلطانُ على الأمير قَرْقَماس الأشرفى أمير مجلس باستقراره أمير سلاح عوضا عن جَرِباش .

وكانت سلطنة الملك الظاهر خُشْقَدَم وجلوسه على تخت الملك وقت الظهر من يوم الأحد المقدم ذكره ، (٢ وكان الطالع وقت سلطنته وجلوسه على تخت الملك ٢) .

واستمرّ جلوس السلطان الملك الظاهر خُشْقَدَم بالقصر السلطانى من قلعة الجبل إلى الخميس ، وعنـده جميع الأمراء على العادة ، ثم أصبح السلطان فى يوم الاثنين العشرين من شهر رمضان خلع على الأمير جَرِباش المحمدى خلعة الأتابَـكية ، وهى كخامته بالأمس .

وفيه رسمَ السلطانُ بإطلاق الأميرين من سجن الإسكندرية ، الأمير تَنَم من عبد الرزّاق المؤيدى أمير سلاح كان ، والأمير قَانِى بَاى الجارْكسى الأمير آخور الـكبير كان ، وتوجههما إلى ثغر دِمْيَاط بَطَّالين .

(١) هذان اللفظان ساقطان من ص ، والإثبات عن ط كاليفورنيا .

(٢-٢) ما بين الرقمين بياض فى ص ، والإثبات عن طبعة كاليفورنيا — والعبارة ناقصة كما هو واضح .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه الثانية من النهار حُمل الملكُ المؤيّد أحمدُ وأخوه محمد من قلعة الجبل إلى جهة الإسكندرية ليُحبسا بها .

قلتُ : وقبل أن نشرع فى ذكر الحوادث نبدأ بالتّعْريف بأصل الملك الظاهر خُشْقَدَم هذا وسبب ترقّيه إلى السلطنة فنقول :

أصله روميُّ الجنس ، جَلَبَه خواجا ناصر الدين إلى الديار المصرية فى حدود سنة خمس عشرة وثمانمائة ، أو فى أوائل سنة ست عشرة ، هكذا أملَى علىَّ من لفظه بعد سلطنته ، وسنُّه يوم ذلك دون البلوغ ، فاشتراهُ الملك المؤيَّد شَيْخ ، وجعله كتابيا سنين كثيرة ، ثم أعتقه وجعله من جملة المماليك السلطانية ، إلى أن مات الملك المؤيّد فصار خُشْقَدَم هذا خاصكيا فى دولة ولده الملك المظفر أحمد بن شيخ ، بسفارة أغاته الأمير تَغْرى بَردى قريب قصروه ، ودام خاصكيا مدة طويلة إلى أن صار ساقيا فى أوائل دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، ثم أمَّره الملك الظاهر إمْرَة عشرة ، وجعله من جملة رءوس النوب فى حدود سنة ست وأربعين ، فدام على ذلك إلى سنة خمسين ، فأنعم عليه الملك الظاهر أيضا بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق ، واستمرّ بدمشق إلى أن تغيّر خاطرُ الملك الظاهر جَقْمَق على الأمير تَنِبَك البُرْدبَكى حاجب الحجاب بسبب عبد قاسم الكاشف الذى نعتوه(١) الناس بالصلاح ، ونفاه إلى ثغر دمياط بطَّالا ، فرسم السلطان الملك الظاهر جَقْمَق بطلب خُشْقَدَم هذا من مدينة دمشق ، ليكون عوضا عن تَنِبَك المذكور فى حجوبية الحجاب ، وعلى إقطاعه أيضا دفعة واحدة ، وذلك فى صفر سنة أربع وخمسين وثمانمائة ، وكان مجىء خُشْقَدَم هذا إلى الديار المصرية بسفارة الأمير تَمُرْبُغا الظاهرى الدّوادار الثانى ، وقيل على البذل على يد أبى الخير النحاس ، وأنعم السلطان بتقدمة خُشْقَدم هذا التى بدمشق على الأمير عَلاّن جِلِّق المؤيدى ، فاستمرّ خُشْقَدَم المذكور على الحجوبية إلى أن تسلطن الملك الظاهر جَقْمَق ، فخلع عليه بإمرة سلاح عوضا عن الأمير تَنِبَك البُرْدبَكى الذى كان أخذ عنه الحجوبية بعد أن وقع لتَنِبَك المذكور دورات

---

(١) كذا فى الأصول .

وتنقلات ، فدام على وظيفة إمرة سلاح إلى أن سافر مقدم العساكر السلطانية إلى بلاد ابن قَرَمان ، ثم عاد واستمرّ على حاله إلى أن تسلطن الملك المؤيَّد أحمد ابن الأشرف إينال ، فخلع عليه باستقراره أتابَك العساكر عوضا عن نفسه ، وذلك فى يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وستين ، فلم تطل أيّامه ، وثار القومُ بالملك المؤيَّد أحمد وقاتلوه حتى خلعوه حسبما ذكرنا أمر الوقعة فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » .

وتسلطن الملك الظاهر خُشْقَدَم هذا ، ووقع فى سلطنته نادرة غريبة ، وهى أن الملك الظاهر بَرْقوقاً كان أول ملوك الچراكسة بالديار المصرية — إن كان الملك المظفر بَيْبرس الجاشنكير غير چاركسى — وكانت سلطنة برقوق فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة ، ولقب بالملك الظاهر ؛ وكانت سلطنة الملك الظاهر خُشقدَم هذا فى يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة ، فتوافقا فى اللقب والشهرة والتاريخ والشهر ، وذلك أوّل ملوك الچراكسة ، وهذا أول دولة الأروام ، فبينهما إحدى وثمانون سنة لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً ، لأن كلا منهما تسلطن بعد أذان الظهر فى تاسع عشر شهر رمضان — انتهى .

ثم فى يوم الخميس ثالث عشرينه خلع السلطانُ على الأمير جانبك الظاهرى نائب جدّة باستقراره دوادارا كبيرا بعد موت الأمير يونس .

وخلع على الأمير جَانبك من أمير الظريف الخازندار باستقراره دوادارا ثانياً عوضاً عن بُرْدبك الأشرفى بحكم القبض عليه ، وولى الدّوادارية الثانية عَلَى تقدمة ألف ولم يقع ذلك لغيره ، واستقرّ قانم طاز الأشرفى خازندارا عوضاً عن جانبك من أمير .

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه تواترت الأخبارُ بوصول الأمير جَانَم الأشرفى نائب الشام إلى منزلة الصالحية ، وأشيع هذا الخبر إلى وقت صلاة الجمعة ، فتحقق السلطان

الإشاعة ، فحصل عليه من هذا الخبر أمرٌ كبير ، وعظم مجىء جانم عَلَى السلطان إلى الغاية ؛ لأن جانم كان رُشِّح لسلطنة مصر قبل ذلك عند مجىء ولده يحيى بن جانم إلى مصر فى دولة الملك المؤيد أحمد ، وقد ذكرنا ذلك فى وقته .

وخارت طباع الملك الظاهر خُشْقَدَم ، وما ذلك إلا لعظم جانم فى النفوس، وأيضاً لكثرة خُچداشيته الأشرفية ، وزيادة على ذلك من كان كاتَبَهُ وأذعن لطاعته من أعيان الظاهرية الجقمقية .

ثم طلب السلطان الأمير جانبك الدّوادار ، وكلمه بما سمعه من مجىء جانم ، وكان جانبك قد استحال عن جانم ، ومال بكليته إلى الملك الظاهر خُشقدَم ، وصار من جهته ظاهراً وباطناً ، فهوّن جانبك مجيئه عَلَى السلطان ، وأخذ فى التدبير وقام وخُچداشيته بنُصْرة الملك الظاهر خُشقدَم ، ووقع بسبب مجىء جانم أمورٌ كثيرة وحكاياتٌ ذكرناها فى تاريخنا « حوادث الدهور » ، ملخصها : أن جانم قام بالخانقاه أياماً ، وعاد إلى نيابة الشام ثانياً ، بعد أن أمدّه السلطان بالأموال والخيول والقماش ، حسبما يأتى ذكره يوم سفره .

وفى يوم السبت خامس عشرينه نودى بنفقة المماليك السلطانية ، (١)فى يوم السبت الآتى(١) .

وفيه أيضاً(٢) ، أنعم السلطان عَلَى عدة من الأمراء بتقادم ألوف ، وهم : الأمير أُزْبك من طَطخ الظاهرى ، وبُرْدبك الظاهرى الرأس نوبة الثانى ، وجانبك من قَجْماس الأشرفى المشد زيادة عَلَى إقطاعه الأول ووظيفته .

وأنعم السلطان أيضاً عَلَى جماعة من الخاصكية ، لكل واحد إمرة عشرة باستحقاق وغير استحقاق ، كما هى عادة أوائل الدول .

(١–١) ما بين الرقمين ساقط من ص والإثبات عن ط كاليفورنيا .

(٢) عبارة ص « وفى يوم السبت هذا » والمثبت عن ط كاليفورنيا .

واستقرّ الأمير قايتباى المحمودى الظاهرى أمير طبلخاناه وشاد الشراب خاناه ، عوضاً عن جانبك الأشرفى .

وأما ما جدّده الملك الظاهر خُشْقَدَم من الوظائف مثل الدّوادارية والسقاة والسلحدارية فكثير جدا لايدخل تحت حصر لعسر تحريره .

واستقرّ الأمير دُولَات باى النجمى مسفِّر الأمير جانَم نائب الشام ، واستقر تمراز الأشرفى أحد مقدمى الألوف بدمشق فى نيابة صَفَد بعد عزل خيربك النّوْروزى عنها وتوجهه إلى دمشق مقدّم ألف ، وأنعم السلطان أيضاً عَلَى تمراز المذكور بمبلغ كبير من المال وغيره .

وفى يوم الاثنين سابع عشرين رمضان استقرّ يَشْبُكُ البَجَاسى أحد مقدّمى الألوف بمصر فى حجوبية حلب ، وأنعم بتقدمته على الأمير جانبك الإينالى الأشرفى المعروف بقَلَقْسِيز ، انتقل إليها من إمرة عشرة بسفارة الأمير جانبك الدّوادار .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه توجّه القاضى محب الدين بن الشِّحنة كاتب السِّرِّ إلى خانقاه سرياقوس لتحليف جانم نائب الشام المقدّم ذكرُه .

وسافر جانم فى يوم الجمعة ثانى شوال إلى محل كفالته على أقبح وجه ، وسافر بعدَه تِمْراز الذى استقرّ فى نيابة صَفَد ، كل ذلك بتدبير عظيم الدولة جانِبَك الدوادار ، وقد انتهت إليه يوم ذلك رئاسة المماليك الظاهريّة بديار مصر .

وأما الملك الظاهر فإنه لما سافر جانم أخذ فى مكافأة العسكر واستجلاب خواطرهم ، ووجد عنده حاصلا كبيراً من الإقطاعات ، ليس ذلك مما كان فى ديوان السلطان ، وإنما هو إقطاعات الأجلاب مماليك الأشرف إينال ، وأضاف إلى ذلك شيئاً كثيراً من الذخيرة السلطانية ، ومن أوقاف الملك الأشرف إينال ، وأوقاف حواشيه ، حتى إنه صار يأخذ البلد العظيمة من ديوان المفرد وغيره وينعم بها على جماعة لكل واحد إمرة عشرة ، وتارة ينعم بها على خمسين مملوكا من المماليك السلطانية ، وأكثر وأقل ، وقاسى الملك الظاهر

من طلب المماليك أمورا عظيمة وأهوالا ، ولما قلَّ ما عنده من الضياع بالديار المصرية مَدَّ يَدَهُ إلى ضياع البلاد الشّامية ، ففرّق منها على أمراء مصر وأجنادهم ما شاء الله أن يفرِّق .

فلما كان يوم السبت ثالث شوال شرع السلطان فى تَفْرِقَة نفقة المماليك السلطانية ، ففرقت فى كل يوم طبقة واحدة — لقلةمتحصل الخزانة الشريفة— لكل واحد مائة دينار ، ولمن يَسْتَخِفُّونَ به خمسون ديناراً ، وبالجملة إنها فُرِّقت أقبح تفرقة ، لعجز ظاهر ، وقلة موجود ، ومصادرات الناس .

ولما كان يوم الاثنين خامس شوال أنعم السلطان بالخِلَعِ على جميع أمراء الألوف ، وأنعم على كل واحد بفرس بسرج ذهب وكُنْبُوش زَرْكَش ، ورسم لهم بالنُّزول إلى دورهم ، وكان لهم من يوم قدم جانَم نائب الشام إلى خانقاه سرياقوس مقيمين بجامع القلعة ، وكذلك القضاة ، فنزل الجميع إلا الخليفة فإنه دام بقلعة الجبل إلى يوم تاريخه ، وأظن ذلك صار عادة مِمَّن يَلِى المُلْكَ بعده .

وفى هذه الأيام استقرّ خير بَك القَصْرَوى نائب قلعة الجبل فى نيابة غزّة بعد عزل بُرْدبَك السيفى سودون من عبد الرحمن ، ورسم السلطان أن يفرج عن الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف بَرْسْباى ، وعن الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جَقْمَق من محبسهما ببرج الإسكندرية ، ورسم لهما أن يسكنا بأى مكان اختارا بالثغر المذكور ، ورسم أيضا بكسر قيد الملك المؤيَّد أحمد ابن الأشرف إينال .

وفى يوم الأربعاء سابعه ماجت مماليك الأمراء ، ووقفوا فى جمع كبير بالرُّمَيلة ، يطلبون نفقات أستاذيهم ، لينفق أستاذ كل واحد منهم فى مماليكه ، وكان السلطان أخَّر نفقات الأمراء إلى أن تنتهى نفقة المماليك السلطانية ، وكانت العادة تفرقة النفقة على الأمراء قبل المماليك ، فلما بلغ السلطان ذلك شرع فى إرسال النفقة إلى الأمراء ، وقد ذكرنا قدر ما أرسل لكل واحد منهم فى تاريخنا « الحوادث » .

ثم فى يوم الخميس ثامن شوال استقر الأمير قانَم المؤيَّدى أمير مجلس عوضاً عن قَرْقَماس الأشرفى ، بحكم انتقاله إلى إمرة سلاح قبل تاريخه ، واستقرَّ الأمير بيبرس

خال العزيز رأس نوبة عوضاً عن قانم، واستقرّ يلَباى الإينالى المؤيَّدى حاجب الحجاب عوضاً عن بِيبَرْس المذكور، ولبس الأمير جانبك الدوادار خلْعَةَ الأنظار المتعلقة بوظيفته، ونزل فى موكب هائل .

ثم فى يوم الأحد حادى عشره وصل الأمير تَمُرْبُغَا الظاهرى الدَّوَادار الكبير — كان — من مكة المشرفة بطلب إلى القاهرة، وأظنه كان خرج من مكة قبل أن يأتيه الطلب، وطلع إلى القلعة، وقبّل الأرض، وخلع السلطان عليه كامِليَّة بمَقْلَب سَمُّور، ونزل إلى داره التى بناها وجدَّدها المعروفة قديما بدار مَنْجَك، وكان الأمير جانِبَك الدَّوَادار قبل مجىء الأمير تَمُرْبُغَا عظيم المماليك الظاهرية، فلما حضر تَمُرْبُغَا هذا وجاس فوق الأمير جانِبَك، لكونه كان أغَاتَه بطبقة المستجدة أيام أستاذه، ولعظمته فى النفوس وسبقه للرئاسة، صار هو عظيم المماليك الظاهرية، وركضت ريح جانِبَك قليلا، واستمر على ذلك .

وفى يوم الأربعاء رابع عشره تسحَّب الأمير زين الدين عبد الرحمن بن الكُوَيْز ناظر الخاص الشريف بعد أن قام[1] بالكُلَف السلطانية أتمَّ قيام، أعنى بذلك عن الخلع التى خلعها السلطان فى أول سلطنته، وكانت خارجة عن الحد كثرة، ثم عقيب ذلك خِلَع عيد الفطر بتمامها وكمالها، وبينهما مسافة يسيرة من الأيام، ولم يظهر العجز فى ذلك جميعه يوماً واحداً إلى أن طلب منه السلطان من ثمن البهار مائة ألف دينار لأجل النفقة السلطانية، فعجز حينئذ وهرب .

واستقرّ عوضه فى نظر الخاص القاضى شرف الدين الأنصارى، وباشر هو أيضاً أحسن مباشرة، وقام بالنفقة السلطانية هو والأمير جانِبَك الدَّوَادار، وتَنَم رصاص أتمَّ قيام، أعنى أنهم اجتهدوا فى تحصيل المال من وجوه كثيرة .

هذا ما وقع للملك الظاهر خُشْقَدَم من يوم تسلطن إلى يوم تاريخه محرراً .

---

(١) فى ص « أقام » والمثبت عن ط كاليفورنيا .

ومن الآن نشرع فى ذكر نوادر الحوادث إلى أن تنتهى ترجمته خوفا من الإطالة والملل فنقول :

ولما كان يوم الاثنين ثالث ذى القعدة استقرّ القاضى نجم الدين يحيى بن حجّى فى نظر الجيش بعد أن صُرِف القاضى زين الدين بن مُزْهِر عنها .

وفى يوم خامس عشر ذى القعدة عيَّن السلطان تجريدة إلى قُبْرُس نجدةً لمن بها من العساكر الإسلامية ، ثم بطل ذلك بعد أيام .

وفى يوم الخميس سابع عشرينه استقرّ الصفوى جوهر التركمانى زماماً وخازنداراً عوضاً عن لؤلؤ الأشرفى الرومى .

وفى يوم الخميس سادس عشرين ذى الحجة أمسك السلطان بالقصر السلطانى بالقلعة جماعةً من أمراء الألوف وغيرهم من الأشرفية ، وهم : بيبَرْس خال العزيز رأس نوبة النوب ، وجانِبَك من أمير الطريف الدَّوَادار الثانى وأحد أمراء الألوف ، وجانِبَك المشد أحد أمراء الألوف أيضاً .

وأمسك من أمراء الطبلخانات والعشرات جماعة أيضاً ، مثل : قانَم طاز الخازندار الكبير ، ونَوْروز الإسحاقى ، وبَرْسْباى الأمير آخور ، وكُرْتباى ، ودُولات باى سَكْسنْ ، وأَبرَك البَجْمَقْدَار ، وكلُّهم عشرات إلا قانَم طاز [فإنه][(1)] أمير طبلخاناه .

فلما سمعت خُجْدَاشيّتهم بذلك ثاروا ، ووافقهم المماليك الأشرفية الإينالية ، وجماعة من الناصرية ، وتوجهوا الجميع إلى الأمير الكبير جَرِباش المحمدى الناصرى ، وهو مقيم يوم ذاك بتربة الملك الظاهر برقوق التى بالصحراء ، وكان فى التربة فى مَأْتم ابنته التى ماتت قبل تاريخه بأيَّام ، واختفى جرباش المذكور منهم اختفاء ليس بذاك ، فظفروا به وأخذوه ، ومضوا به إلى بيت قَوْصُون الذى سُدَّ بابُه الآن من الرُّميلة تجاه باب السلسلة ، ومروا به من باب النصر من شارع القاهرة ، وبين يديه جماعة من أمراء الأشرفية وغيرهم ، وعليهم آلة الحرب ، وقد لقبوه بالملك الناصر على لقب أستاذه الناصر فَرَج بن بَرْقوق ، ولما وصلوا إلى بيت قَوْصُون أجلسوه بمقعد البيت .

---

(١) الإضافة للتوضيح .

وعند ما جلس بالمقعد ظهر على الأشرفية وَغيرهم اختلال أمرهم لاختلاف كلمتهم من سوء آرائهم المفلوكة ، ولعدم تدبيرهم ، فإن الصَّواب كان جلوسه بالتربة المذكورة ، إلى أن يستفحل أمرهم ، وأيضاً إنهم لما أوصلوه إلى بيت قَوْصُون ذهب غالبهم ليتجهز للقتال ، وبقى جَرِبَاش فى أناس قليلة .

وأما الملك الظاهر خُشْقَدَم فإنه لما بلغ الملك الظاهر والظاهرية أمرهم طلعوا بأجمعهم إلى القلعة ، وانضم عليهم أيضاً خلائق ، لعظم شوكة السلطنة من خچداشية السلطان المؤيدية وغيرهم ، وأخذوا السلطان ونزلوا به من القصر إلى مقعد الإسطبل السلطانى أعلى باب السلسلة ، وعليهم السلاح ، ودقت الكئوسات بالقلعة ، وشرعوا فى القتال . وبينماهم فى تناوش قتال جَرِباش ، وقد رأى جَرِباش أن أَمْرَه لا ينتج منه شيء ، تَدَارك فرطه ، وقام من وقتـه ، وركب وطلع إلى القلعة طائعاً إلى السلطان ، وقبَّل الأرض واعتذر بالإكراه ، فقبل السلطان منه عذره [1] ، وفى النفس من ذلك شيء ، وانهزمت الأشرفية الكبار .

وهذا ذنب ثانٍ للأشرفية عند السلطان — والذنب الأول قصة خُچْدَاشِيهم جانَم والثانى هذا — وانهزم جميع من كان انضم على جَرِباش المذكور ، وتوجّه كلٌّ منهم إلى حال سبيله ، فتجاهل السلطان عليهم ، وزعم أنه قبل أعذارهم إلى أن تمّ أمرُه ، فمدّ يده يمسك وينفى ، ويكتب إلى التجاريد والسُّخَر ، إلى أن أبادهم .

ثم فى يوم الجمعة سابع عشرين ذى الحجة المذكور أخذوا الأمراء الممسوكين ، ونزلوا بهم إلى حبس الإسكندرية .

وفى يوم الاثنين سلخ ذى الحجة خلع السلطان على جميع أمراء الألوف ، كل واحد كاملية بمقلب سَمُّور ، وأنعم على الأمير تَمُرْبُغَا الظاهرى القادم من مكَّة بإمرة مائة وتقدمة

(١) فى هامش ص « لم يطلع جرباش من لقاء نفسه القلعة إلى السلطان وإنما السلطان أنزل إليه جماعة من مماليك الظاهرية والسلطانية وعليهم الأمير يلباى طاز المجنون فهجموا على جرباش وهو فى بيت قوصون فانهزمت جماعته وجموعه فأخذوه من وقته إلى السلطان وهو راكب حصان بوز عليه جنبين وطبل باز حربى » .

ألف بالديار المصرية ، عوضاً عن جَانِبَك المشد ، بحكم حبسه ، وخلع عليه باستقراره رأس نوبة النوب ، عوضاً عن بِيبرس خال العزيز ، وأنعم بإقطاع بيبرس على يَلَباى المؤيَّدى الحاجب لكونه أكثر متحصلا من إقطاعه ، وأنعم بإقطاع يَلَباى على خُجْدَاشِه قانى بك المحمودى المؤيدى ، أحد أمراء دمشق الألوف كان .

وفيه أيضا استقرّ الأمير جانِبك الإسماعيلى المؤيدى المعروف بكُوهيّة دوادارا ثانيا ، عوَضاً عن جانِبك الظريف على إمرة عشرة ، وكان جانِبك الظريف وليها على تقدمة ألف .

ثم استهلت سنة ست وستين وثمانمائة

فنى يوم الأربعاء ثانى المحرم وصل الخبرُ بأن الأمير إياسا المحمدى الناصرى نائب طرابُلُس وصل من جزيرة قُبْرُس إلى ثغر دمياط بغير إذن السلطان .

وفيه نفى السلطان خير بك البهلوان ، وقانَم الصغير الأشرفيين إلى البلاد الشامية ، وكلاهما أمير عشرة .

وفى يوم الخميس ثالث المحرم عيَّن السلطان مع سليمان بن عمر الهوّارى تجريدة من المماليك السلطانية ، وعليهم ثلاثة أمراء أشرفية : جَكم خال العزيز ، وأيْدَكى ، ومُغُلْباى ، فتأمل حال الأشرفية من الآن .

ثم فى يوم الاثنين سابع المحرم استقرّ الأمير طوخ الأبو بكرى المؤيدى زَردكاشاً عوضاً عن سُنقُر قرَق شَبَق الأشرفى بحكم القبض عليه ، واستقرّ سُودون الظاهرى الأفرم خازنداراً كبيراً ، عوضاً عن قانم طَاز ، بحكم القَبض عليه أيضاً ، وأنعم السلطان فى هذا اليوم على جماعة كثيرة بأمريات وإقطاعات ووظائف باستحقاق وغير استحقاق ، كما هى عوائد أوائل الدول .

ثم فى ليلة الثلاثاء ثامن المحرم سافر الأمير قانى باى المحمودى الظاهرى المشد إلى ثغر دمياط للقبض عَلَى الأمير إياس الناصرى نائب طرابُلس وإيداعه السجن ، لكونه حضر من قبرُس ، وترك مَنْ بها من عساكر المسلمين .

ثم عين السلطان جماعةً من الأشرفية الكبار والأشرفية الصغار إلى سفر قُبرس ، وأميرهم مُغلباى البجَاسى أتابك طرابُلس ، وكان مُغلبَاى حضر مع إياس .

وفى يوم الاثنين رابع عشَر المحرم استقرّ قرَاجا العمرى ثانى رأس نوبة وأمير مائة ومقدم ألف بدمشق على إقطاع هين ، وقرَاجا هذا أيضاً ممن كان انضم عَلَى جَرِباش من خُجداَشيته ، واستقرّ تنَم الحسينى الأشرفى عوضه رأس نوبة ثانياً .

وفى يوم الخميس سابع عشر المحرم استقرّ بَرْسْباى البجاسى الأمير آخور الكبير نائب طرابُلس عوضاً عن إياس المقبوض عليه ، واستقرّ عوضه فى الأمير آخورية الكبرى يَدَباى المؤَيدى حاجب الحجاب ، واستقرّ فى حجوبية الحجاب عوضه الأمير بُرْدبك الظاهرى البجمقدار ، وأنعم السلطانُ بإقطاع برسباى البجَاسى على قانى بك المحمودى ، وأنعم بإقطاع قانى بك المحمودى على تمر باى طَطر الناصرى ، وكلاهما تقدمة ألف لكن الزيادة فى المتحصل ، وفرّق السلطان إقطاع تَمُرْباى ططَر عَلَى جماعة .

وفى يوم الاثنين حادى عشرين المحرم استقرّ الخواجَا علاء الدين على بن الصابونى ناظر الإسطبل السلطانى بعد عزل شرف الدين بن البقرى وأضيف إليه نظر الأوقاف .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه وصل مُغُلْبـاى طاز أمير حاج المحمل بالمحمل وأمير الركب الأول تنبك الأشرفى[1] .

وفى يوم الخميس ثانى صفر أعيد القاضى زين الدين بن مُزهر إلى وظيفة نظر الجيش ، بعد عزل القاضى نجم الدين يحيى بن حجى .

وفى يوم الثلاثاء سابع صفر وصل إلى القاهرة رأس نوبة الأمير جانم نائب الشام ، ومعه تقدمة إلى السلطان — تسعة مماليك لاغير — من عند مخدومه ، واعتذر عن مخدومه أنه ليس له علم بتسَحّب الأمير تمراز نائب صَفد ، وأنه باقٍ على طاعة السلطان ، وكان السلطان أرسل قبل تاريخه بمسك تمراز المذكور ، فهرب تمراز من صفَد ، وله قصة حكيناها فى « حوادث الدهور » .

ثم فى يوم الثلاثاء رابع عشره وصل أيضا الزينى عبد القادر بن جانَم نائب الشام ، يستعطف خاطر السلطان على أبيه ، وكان عبد القادر حديث السن ، وقد حضر معه الأمير قَراجا الظاهرى أتابَك دمشق ليتلطف السلطان فى أمر نائب الشام ، ولما وصل

(١) فى هامش ص « الأشقر القصير البواب المعروف بجنيكات » .

قَراجا المذكور إلى منزلة الصالحية رسم السلطان بعوده إلى دِمَشق ، ومنعه من الدخول إلى مصر ، ورسم لعبد القادر المذكور بالمجىء ، فجاء الصبى ورُدَّ قراجا إلى الشام .

وفى هذا اليوم رسم السلطان بإحضار الأمير تَنَم من عبد الرزاق المؤيدى أميرسلاح — كان — من ثغر دِمياط ، وقد رُشِّح لنيابة الشّام عوضا عن جانم المذكور .

ثم فى ليلة الخميس سادس عشر صفر المذكور سافر الأمير تَنَم من نخشايش الظاهرى المعروف برصاص محتسب القاهرة إلى دمشق على النجب والخيل ، ومعه جماعةٌ كثيرة من الخاصكية ، مقدار ثلاثين نفرا ، ليمسك الأمير جانَم نائب الشام ، قلت : [الطويل]

أيا دارها بالخَيْف إن مزارَها قريبٌ ، ولكن دون ذلك أهوالُ[1]

ثم فى يوم الأربعاء عشرينه وصل الأمير تَنَم من ثغر دِمياط ، وقبّل الأرض وأجلسه السلطانُ فوق الأمير قَرْقَماس أمير سلاح ، وخَلَع عليه .

ثم فى يوم الاثنين سابع عشرينه ، خلع عليه بنيابة الشّام ، واستقرّ مسفِّره الأمير برْدبَك هجين الظاهرى الأمير آخور الثانى ، وخلع السلطان على الأمير قانصوه اليحياوى الظاهرى بتوجهه إلى الأمير جانِبَك الناصرى المعزول قبل تاريخه عن حجوبيّة دمشق ، وعلى يده تقليده وتشريفه بنيابة صَفَد عوضا عن تِمْراز الأشرفى .

وفى يوم الأربعاء سادس شهر ربيع الأول وصل إلى القاهرة الأمير أُزْدَمُر الإبراهيمى وخُجْداشه قَرْقَماس ، وقد كان مسافرا مع الأمير تَنَم رصاص المحتسب إلى دمشق ، وأخبر أُزْدَمُر المذكور أن الأمير جانم نائب الشام خرج منها بمماليكه وحشمه بعد دخول تَنَم رصاص إلى دمشق ومراسلته ، ولم يقدر تَنَم على مسكه ، بل ولا على قتاله ، وكان خروج جانم من دمشق قُبَيل العصر من يوم الأحد

(١) البيت رقم ١٦ من القصيدة رقم ٥٩ من شروح سقط الزند للمعرى . والخيف هو خيف بنى كنانة وهو المحصب ببطحاء مكة وقيل بمنى — والخيف ما كان مجنبا عن طريق الماء يمينا وشمالا (ياقوت — معجم البلدان) .

سادس عشرين صفر ، ولم يكترث بأحد من الناس ، وتوجّه إلى جهة حسن بك ابن قَرَايلُك .

ثم فى يوم الجمعة ثانى عشرين ربيع الأول ركب السلطان من قلعة الجبل ببعض أمرائه وخاصته ، ونزل إلى بيت الأمير تَنَم المستقر فى نيابة الشّامَ وسلَّم عليه ، وهذا أوّل نزوله من قلعة الجبل من يوم تسلطن ، ثم نزل السلطان بعد ذلك بتماش الموكب فى يوم الاثنين تاسع شهر ربيع الآخر ، وسار إلى تربته التى أنشأها بالصحراء بالقرب من قبة النصر ، وخلع على البدرى حسن بن الطولونى معلِّم السلطان وغيره ، ثم توجه إلى مطعم الطير ، وجلس به واصطادَ أميرُ شكار بين يديه ، ثم ركب وعاد إلى القلعة بعد أن شقَّ القاهرة ، ودخل فى عوده إلى بيت إنيّه الأمير تنبك الأشرفى المعلم .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره استقرَّ شرفُ الدين يحيى بن الصنيعة[1] أحد الكتاب وزيرا بالديار المصرية ، بعد عزل على بن الأهناسى .

وفى يوم الاثنين أول جمادى الأولى أنعم السلطان على الأمير بُرْدبك هجين الظاهرى أميرآخور ثان بإمرة مائة وتقدمة ألف بعد موت تَمُرْباى طَطر ، وأنعم بإقطاع بُرْدبَك المذكور على مُغُلْباى طاز المؤيدى ، وأنعم بإقطاع مُغُلْباى على سودون الأفرَم الظاهرى الخازندار ، وأنعم بإقطاع سودون الأفرم على سودون البُرْدبَكى المؤيَّدى الفقيه .

وفى يوم السبت سادس جمادى الأولى وصل تنَم رصاص .

ثم فى يوم السبت[2] استقر إينال الأشقر الظاهرى والى القاهرة فى نيابة مَلَطْية بعد موت قانِى بَاى الجَكَمى .

وفى يوم الخميس ثامن عشره استقرَّ الصارمى إبراهيم بن بَيْغوت نائب قلعة دمشق بعد موت سودون قَنْدُورَه التركمانى اليَشْبُكى بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف بدمشق .

(١) كذا فى ص — وفى ط كاليفورنيا « صنيعة » . (٢) لعله يريد السبت ثالث جمادى الأولى .

وفى يوم الاثنين ثانى عشرين جمادى الأولى المذكورة خرج الأمير تنَم نائب الشّام إلى محل كفالته .

وفى آخر هذا الشهر وصل قاصد حسن بك بن على بك بن قرايُلُك [صاحب آمد](١) وأخبر السلطان أن الأمير جانَم نائب الشام جاء إليه واستشفع عند السلطان له .

وفى هذا الشهر ترادفت الأخبار بأن جانَم نائب الشام أرسل يدعو تركان الطاعة(٢) إلى موافقته ، وأن حسن بك المقدم ذكره دعا لجانَم على منابر ديار بكر .

ثم فى يوم الأربعاء سابع شهر رجب نُودى بشوارع القاهرة بالزينة لدوران المحمل ، ونُودى أيضا بأن أحدا من المماليك ولا غيرهم لا يحمل سلاحا ولا عصاة فى الليل ، فدامت الزينة إلى أن انتهى دوران المحمل فى يوم الاثنين ثانى عشره ، ولم يحدث إلا الخير والسلامة ، وكان معلِّم الرماحة فى هذه السنة الأمير قايِتْبَاى المحمودى الظاهرى المشد ، والباشات الأربعة أمراء عشرات : بَرْقُوق الناصرى ، ثم طُومَان باى الظاهرى ، ثم جانِبَك الأَبْلَق الظاهرى ، ثم بَرْسْبَاى قَرَا الظاهرى .

ثم فى يوم الخميس خامس عشره عَيَّن السلطان تجريدة إلى الوجه القبلى — أربعمائة مملوك من المماليك السلطانية — ومقدم العسكر الأمير جانِبَك الدّوادار ، وصحبته من أمراء الألوف جانِبَك قلقسيز الأشرفى ، ومن أمراء الطبلخات والعشرات نحو عشرين أميرا ، وخرجوا بسرعة فى ليلة السبت سابع عشر رجب .

وفى يوم الجمعة سادس عشره — الموافق لحادى عشرين برمودة — لبس السلطان القماش الأبيض البعلبكى المعد لبسه لأيام الصيف ، وابتدأ فى يوم السبت سابع عشره يلعب الكرة على العادة فى كل سنة .

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه عاد الأمير جانبك الدّوادار بمن كان معه من بلاد

(١) إضافة عن هامش و پوپر ٧ : ٧٠٦ عن كتاب الحوادث .

(٢) المقصود بذلك قبائل التركمان الداخلة أصلا فى طاعة السلطنة المملوكية ، تمييزا لهذه القبائل من أخواتها التى لا تتبع السلطنة .

الصعيد إلى الجيزة ، وطلع إلى السلطان من الغد بغير طائل ولا حرب ، وخلع السلطان عليه .

وفى ليلة الثلاثاء ثامن عشر شعبان سافرت خَوَنْد الأحمدية زوجة السلطان فى محفة إلى ناحية طَنْدِتَا(١) بالغربية(٢ لزيارة سيدى أحمد البدوى .

وفى يوم الجمعة ثامن عشرينه٢) ، سافرت الغزاة المعينون قبل تاريخه إلى قبْرُس — انتهى .

وفى يوم الأحد ثامن شهر رمضان ورد الخبر بموت الحاج(٣) إينال اليَشْبكى نائب حَلَب ، فخلع السلطان فى يوم الخميس ثانى عشره على الأمير قَايتباى شاد الشراب خاناه بتوجهه إلى حماة ، وعلى يده تقليد جَانبك التاجى المؤيدى نائب حماة وتشريفه بنيابة حلب ، عِوضاً عن الحاج إينال .

واستقرّ مُغُلْباى طاز مُسَفِّرُ الأمير جانبك النَّاصرى نائب صفد باستقراره فى نيابة حماة .

واستقرّ فى نيابة صفد خيرَبك القصروى نائب غزّة ، وتوجّه بتقليده الأمير تَمُرْباى الظاهرى السلاحدار .

واستقر فى نيابة غزّة أتابك حلب شاد بَك الصّارمى ومُسَفِّره طومان باى الظاهرى .

واستقرّ يشْبك البجاسى حاجبُ حجّاب حلب أتابكا بها عوضاً عن شادبَك الصّارمى .

(١) هى مدينة طنطا عاصمة محافظة الغربية .

(٢–٢) مابين الرقمين ساقط من ص ، والإثبات عن ط كاليفورنيا .

(٣) كذا فى ص ، وفى ط كاليفورنيا « حاج » .

واستقرّ تغرى بَرْدى بن يونُس نائب قلعة َحلب فى حجوبية حلبَ عوضاً عن يَشْبُك البجاسى .

واستقرّ كُمَشْبُغَا السيفى تخشباى أحد المماليك السلطانية بمصر فى نيابة قلعة حلب دفعة واحدة ، مِنْ قبل أن تسبق له رئاسَة ، مع عدم أهلية أيضاً ، وكانت ولايته بالمال — ولا قوة إلا بالله .

وفى يوم الأربعاء تاسع شوال خرجت تجريدة إلى البحيرة وعليها ثلاثة أمراء من أمراء الألوف : قَرْقماس أمير سلاح ، ويَشبك الفقيه ، وبرْدبك هجين الظاهرى ، ومن أمراء الطبلخانات : خُشكلدى القوامى الناصرى ، وتنَم الحسينى الأشرفى ثانى رأس نوبة ، ومن أمراء العشرات : قانى باى السيفى يَشبك بن أزْدَمُر ، وقلمطاى الإسْحاق ، وقَنبك الصغير الأشرفيان ، وَسنطباى قرا الظاهرى .

وفيه ورد الخبرُ بأن جانَم نائب الشام كان عدّى الفرات فى جمع كثير من المماليك وتركمان حسن باك بن قرايُلك ، وسار بعساكره حتى وصل إلى تل باشر من أعمال حلب ، وتجهّز جانبك نائب حلب لقتاله ، فنى الحال عيّن السلطان تجريدةً إلى حلب لقتال جانم : أربعمائة مملوك .

ثم أضاف إليهم مائتين ، وعليهم أربعة أمراء من مقدمى الألوف ، وهم : جانبك الظاهرى الدَّوادار الكبير ، وبلباى المؤيدى الأمير آخور الكبير ، وأزبك الظاهرى ، وجانبك قَلقسيز الأشرفى ، وثلاثة عشر أميراً من أمراء الطبلخانات والعشرات .

ثم نُودِى فى يوم الثلاثاء خامس عشر شوال بالنفقة فيمن عُيِّن إلى التجريدة المذكورة .

ثم أصبح من الغد فى يوم الأربعاء رسم بإبطال التجريدة ، وسبب ذلك ورود الخبر من نائب حلب بعود جانم على أقبح وجه ، وأن جماعة كثيرة من مماليكه فارقوه ، وقدموا إلى مدينة حلب .

وأمر رجوع جانَم أنه كان لما وصل إلى تَلّ باشر وقع بينه وبين تركمان حسن بك الذين كانوا معه كلامٌ طويل ، ذكرناه فى « الحوادث » ، فتركوه وعادوا ، فتلاشى أمر جانَم لذلك وعاد .

وفى يوم الخميس سابع عشر شوال خرج الأمير بُرْدبَك الظاهرى أمير حاج المحمل بالمحمل إلى بركة الحاج دفعة واحدة ، وكانت العادة قديماً أن ينزل بالرّيدَانية ، ثم يرحل إلى بركة الحاج ، وكان أمير الركب الأول فى هذه السنة الناصرى محمد ابن الأتابَك جَرِباش المحمدى .

وفى يوم الاثنين حادى عشرينه استقرّ القاضى محب الدين بن الشِّحْنَة قاضى قضاةِ الحنفية بالديار المصرية بعد استعفاء شيخ الإسلام سعد الدين سعد بن الدّيْرى ، لضعف بدنه وكبر سنه ، واستقرّ أخوه القاضى برهان الدين إبراهيم بن الدَّيْرى كاتبَ السِّرِّ الشريف عوضاً عن قاضى القضاة محب الدين بن الشِّحْنَة المقدم ذكره .

وفى يوم الخميس رابع عشرينه استقرّ القاضى نور الدين بن الإنبابى عينُ موقعى الدست الشريف فى نيابة كتابة السِّرِّ ، بعد عزل لسان الدين حفيد القاضى محب الدين ابن الشِّحْنَة ، فحينئذ أعطى القوس لراميه ، والقلم لباريه ، فإنه حق لهذه الوظيفة وأهل لها .

ثم فى رابع ذى القعدة تُوفيت بنت خَونْد الأحمدية زوجة السّلطان ، وهى بنت أيْرَك الجَكَمى ، أحد أمراء دمشق ، وقد تزوجها الزينى عبد الرحيم ابن قاضى القضاة بدر الدين العَيْنى ، فولدت منه الشهابى أحمد بن العَيْنى الآتى ذكره فى محله[1] .

وفى يوم الاثنين سادس ذى القعدة عزل السلطان القاضى برهان الدين إبراهيم بن الديْرى عن وظيفة كتابة السِّر بعد أن باشرها خمسة عشر يوماً ، وكان سبب عزله أنه

---

(١) أضاف و . پوپرفی هامش ٧ : ٧١٠ عن كتاب الحوادث« فتولى السلطان تربيته بعد وفاة والدة المذكور، وحضر السلطان الصلاة عليها بالقلعة ، ودفنت بتربته التي أنشأها بالصحراء ةندقبة النصر » .

لما ماتت بنت خَوَنْد المقدم ذكرها فى يوم السبت قال ابن الديرى : ورد فى الأخبار المنقولة عن الأفاضل أنه ما خرج من بيت ميّتٌ فى يوم السبت إلا وتبعه اثنان من أكابر ذلك البيت (١) ، وشغرت كتابة السِّرّ بعده مُدّةً ، وباشر الوظيفة القاضى نُور الدين الإنبابى نائب كاتب السِّرّ .

وفى يوم الخميس سادس عشره ورد الخبر من البحيرة بأن العسكر واقَعَ عرب لَبِيد وقُتِل من عسكر السلطان أميران : تَنِبَك الصغير الأشرفى ، وسَنْطَباى قَرَا الظاهرى ، وجماعة من المماليك ، وسبب قتالهم أمرٌ ذكرناه فى « الحوادث » ، إذ هو محل إطناب فى الواقع ، وحاصل الخبر أن الذين قتلوا هؤلاء هم عرب الطاعة فى الفوغاء لا عرب لَبِيد .

ثم فى يوم الاثنين عشرين من ذى القعدة خلع السلطان على القاضى زين الدين أبى بكر بن مُزهِر ناظر الجيش باستقراره فى وظيفة كتابة السِّرّ مسئولا فى ذلك ، مرغوباً فى ولايته ، واستقرّ القاضى تاج الدين عبد الله بن المَقسى فى وظيفة نظر الجيش عوضا عنه .

وفى يوم الخميس ثانى عشرين ذى الحجة توعّك السلطان فى بدنه من إسهال حصل له ، ولم ينقطع عن صلاة الجمعة بجامع القلعة الناصرى مع الأمراء على العادة ، واستمرّ به الإسهال إلى يوم سادس عشرينه خرج من الدهيشة إلى الحوش ، وجلس على الدكة . وحضرت أكابرُ الأمراء الخدمةَ بالحوش المذكور ، وعلى وجه السلطان أثر الضعف ، كل ذلك وهو ملازم للفراش غير أنه يتجلّد ، ويجلس على الفرش بقاعة البَيْسَرِيّة ، والناس تدخل إليه بها للخدمة على العادة .

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٧١١ عن كتاب الحوادث « فبلغ السلطان مقالته ، فعلم مقصوده بها ، وعزله عن الوظيفة وأبغضه » .

وفى هذا اليوم حضر إلى القاهرة مبشر الحاج ، وهو غير تركى ، رجل من العرب وهذا غير العادة ، وما ذاك إلا لمخافة السبل ، وعدم الأمن بالطريق ، فأعاب الناسُ ذلك على أرباب المملكة .

وفى هذه السنة أخذ حسن بك بن على بك بن قرَايُلُك مدينة حصن كيفا[1] ، ثم أخذ قلعتها فى ذى القعدة بعد ما حاصرها سبعة أشهر ، وانقطع من الحصن مُلك الأكراد الأيوبية ، بعد ما ملكوها أكثر من مائتى سنة ، وذلك بعد قتل صاحبها الملك خلف بيد بعض أقاربه ، فاختلف الأكراد فيما بينهم ، فوجد حسن بك بذلك فرصة فى أخذها ، فحاصرها حتى أخذها ، وقوى أمر حسن بأخذها ، فإنه أخذ بعد ذلك عدة قلاع ومدن من أعمال ديار بكر من تعلقات الحصن وغيره .

(١) حصن كيفا : انظر التعريف به حـ ١٢ : ١٦٢ من هذا الكتاب ط دار الكتب .

واستهلت سنة سبع وستين وثمانمائة

وجميع نواب البلاد الشامية مقيمون بحَلَب مخافة هجوم جانم عليها ، والسلطان ملازم الفراش ، فلما كان أوّل المحرم دقّت البشائر لعافية السلطان ثلاثة أيام .

وفى يوم الخميس سادس المحرم خلع السلطان على الأطباء وعلى السُّقاة وعلى من له عادة .

ثم فى يوم الأربعاء تاسع عشره[1] وصل أمير الركب الأول الناصرى محمد ابن الأتابك جَرِباش ، ودخل أميرُ حاج المحمل الأمير بُرْدبَك من الغد ، ومن غريب الاتفاق أنى سألتُ الناصريَّ محمدَ ابن الأتابَك جَرِباش : « متى بلغكم مرضُ السلطان ؟ » فقال : « فى المدينة الشَّريفة » ، فحسبنا الأيام ، فكان يوم سمعوا فيه خبر مرضه قبل أن يمرض بيوم أو يومين .

وفى يوم الخميس حادى عشر صفر استقرّ علىُّ بن الأهْناسى فى وظيفتى الوَزَر والخاص ، ولبس فى هذا اليوم وظيفة الخاص عِوَضاً عن القاضى شرف الدين موسى الأنصارى ، والوَزَر عوضاً عن شرف الدين يحيى بن صَنيعة .

وفى يوم الثلاثاء أوّل شهر ربيع الأوّل استقرّ القاضى عَلَمُ الدين بن جلود كاتبَ المماليك السلطانية .

وفى يوم الأحد ثالث عشره عمل السلطان المولد النبوى بالحوش من قلعة الجبل ، على العادة من كل سنة ، وأصبح من الغد عمل مولداً آخر لزوجته خَوَنْد الأحمدية .

ثم فى يوم السبت سادس عشرينه[2]، استقرّ الزينى قاسم الكاشف أستادارا ، بعد أن اختفى الأمير زين الدين الأستادار .

ثم فى يوم الثلاثاء ثالث عشر[3] شهر ربيع الآخر ورد الخبر من جانِبك التّاجى

---

(١) لفظ « عشره » ساقط من ص . والإثبات من ط كاليفورنيا .

(٢) فى ص « عشرين » والمثبت من ط . كاليفورنيا .

(٣) فى ص « عشرين » والمثبت من ط كاليفورنيا .

نائب حلب أن جانم نائب الشام قُتِل بمدينة الرُّها (١) ، وقد اختلف فى قتله على أقاويل ذكرناها فى « الحوادث » .

وفى يوم الاثنين ثالث جمادى الأولى استقرّ بلاط دوادارُ الحاج إينال فى نيابة صَفَد دفعةً واحدة من غير تدريج — ببذل المال — عوضاً عن خير بَك القَصْرَوى ، وتوجه خير بَك على إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق عوضاً عن يَشْبُك آس قَلَق المؤيّدى ، بحكم استقرار يَشْبُك المذكور فى نيابة غزّة بعد موت شاد بك الصارمى ، ثم تغيَّر ذلك بعد أيام ؛ لامتناع يَشْبُك من نيابة غزّة ، واستمرّ يَشْبُك على إمرته بدمشق ، فصار خير بَك بطّالا بالشام ، ثم رسم السلطان أن يستقر شاد بك الجُلُبّانى فى نيابة غزّة بعشرة آلاف دينار ، وإن امتنع شاد بك من نيابة غزّة حُمل إلى قلعة دمشق ، ويؤخذ منه العشرة آلاف دينار .

وفيه استقرّ أزْدَمُر الإبراهيمى مُسَفِّر بلاط نائب صَفَد ، واستقرّ سودون البُرْدبَكّى الفقيه المؤيّدى مُسَفِّراً لمن يستقر فى نيابة غزّة .

ثم فى يوم الاثنين ثانى جمادى الآخرة استقرّ الصاحب شمس الدين منصور أستادارا عوضاً عن قاسم الكاشف .

وفى يوم السبت رابع عشره رسم السلطان بعزل إينال الأشقر عن نيابة مَلَطْيَة بالأمير يَشْبُك البَجَاسى أتابك حلب ، واستقرّ إينالُ الأشقرُ أتابك حلب عوضه .

وفى سلخ هذا الشهر سافرت خَوَنْد الأحمدية زوجة السلطان إلى زيارة الشيخ أحمد البدوى (٢) .

وفى يوم الاثنين أول شهر رجب سافرت الغزاة فى بحر النيل إلى ثغر دِمْياط ، ليتوجهوا من الثغر إلى جزيرة قُبْرُس ، وكان على هذه الغزاة الأمير بُرْدبك الظاهرى

(١) الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، وانظر ج ١٢ : ٤٨ ت ٢ ، ١٧٥ ت ٣ من هذا الكتاب ط دار الكتب .

(٢) راجع سيرة هذا الولى الشهير فى : (إبراهيم أحمد نور الدين : حياة السيد البدوى ، المطبعة اليوسفية بطنطا ، ١٣٦٩ هـ) و(محمود أبو رية : السيد البدوى ، القاهرة بدون تاريخ) .

حاجب الحجاب ، والأميرجانبك قَلْقَسيز الأشرفى ، واثنا عشر أميراً آخر ، هم : بردبك التاجى ، وقانْصُوَه المحمدى ، وقانصوه الساقى ، ويَشْبُك الأشقر ، ثم خير بك من حديد ، وقَلْطَبَاى ، وكلهم أشرفية بَرْسْبائية ، ثم تَنَم الفقيه المؤيدى ، ثم يَشْبُك القرْمى وتَمُرْباى السلاح دار ، وقانْصوه ، وهؤلاء الثلاثة ظاهرية جَقْمَقيَّة ، ثم من السّيفيّة مُغُلْباى الجقمق ، وتَنِبك السَّيفى جانبك النور ، ونحو خمسمائة مملوك من المماليك السلطانية وهذا خلاف المطوعة والخدم ، وأرباب الصنائع وغيرهم .

وفيه ظهر الأميرُ زين الدين ، وطلع إلى السلطان ، ولبس كامليّة ، واستقرّ أستادارا على عادته ، بعد عزل منصور والتّرْسيم عليه .

وفى يوم الاثنين خامس عشره أدير المحمل (١) على العادة .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره استقرّ الأمير جَـكَمَ الأشرفى خال الملك العزيز فى نيابة غزّة ، بعد ما شغرت مدة طويلة .

وفى يوم الاثنين تاسع عشرين رجب استقرَّ بدر الدين حسين بن الصواف قاضى الحنفية بالديار المصرية ، عوضاً عن قاضى القضاة محب الدين بن الشحنة بحكم عزله .

وفيه جهّز السلطان تجريدة إلى البحيرة عليها أميران من أمراء الألوف ، وهما جانِبك الناصِرى المرتد ، وقانى بك المحمودى المؤيّدى ، وجماعة أخر من أمراء الطبلخانات والعشرات .

وفيه ثارت مماليك السلطان الأجْلاب عليه ، ومنعوا أرباب الدّولة والأمراء وغيرهم من الطلوع إلى القلعة للخدمة السلطانية ، وضربوا الأمير جوهرا مقدّم المماليك ، وهجموا على سودون القَصْرَوى نائب القلعة ، ثم بطلت الفتنة ، لأمر حكيناه فى « الحوادث » .

---

(١) انظر المقريزى (الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك ، نشر د . الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٥) ، وكذلك (J. jomier : Le Mahmal et la Caravane Egyptienne des Pèlerins de la Mecque. Le Caire 1953) . لشرح أيام دورة المحمل السنوى بالقاهرة .

وفى يوم الخميس خامس عشر شهر رمضان استقرّ الزَّيْنى مِثْقال الظاهرى المعروف بمِثْقال الحبشى ، نائب مقدم المماليك ، بعد عزل صندل الظاهرى بحكم عزله .

وفى ليلة السبت ثامن شوال تسحَّب عَلى بن الأَهْناسى ، وشغرت عنه وظيفتا الخاص والوَزَر ، فاستقرّ عوضه فى الوَزَر الصاحب مجد الدين بن البقرى ، وفى الخاص القاضى تاج الدين بن المَقسى ، مضافاً للجيش .

وفى يوم الاثنين سابع عشره خرج الأمير بُرْدبك هجين الظاهرى أمير حاج المحمل بالمحمل إلى بِرْكَة الحاج ، وأمير الركب الأول الشهابى أحمد بن الأتابك تَنبِك .

وفى يوم الخميس العشرين من ذى القعدة أعيد قاضى القضاة علم الدين صالح البُلْقينى لمنصب القضاء ، بعد عزل قاضى القضاة شرف الدين المناوى .

وفى ليلة الجمعة سادس عشرين ذى القعدة عمل عظيم الدولة الأمير جانِبَك الظاهرى الدّوادار وليمةً عظيمة بالقُبَّة التى بناها تجاه جزيرة الروضة ، وقد احتفل لهذه الوليمة احتفالا عظيماً وحضرها جميع أعيان الدولة بأسرهم ، ما خلا بعض أمراء الألوف ، لعدم طلبهم ، وقد حكينا أمر هذه الوليمة فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » ومن عظم هذه الوليمة لهج الناسُ بأنها تَمامُ سَعْدِه ، فلما كان يوم الثلاثاء أول ذى الحجة قُتل الأمير جانِبَك المذكور بقلعة الجبل ، داخل باب القُلَّة ، تجاه باب الجامع الناصرى الشرقى فى الغلس قبل تباين الوجوه ، وقُتل معه خُجداشُه الأمير تَنَم رصاص الظاهرى محتسب القاهرة وأحدُ أمراء الطبلخانات ، وكان قتلهما بيد المماليك الأجلاب الذين أنشأهم الملك الظاهر خُشْقَدَم .

ولما أن طلع النهارُ المذكور قَبَضَ السلطانُ فى الحال على ستة أمراء من الظاهرية ، وهم : سودون الشمسى [المعروف بالبرق] (١) الأمير آخور الثانى ، وقانصوه اليَحْياوى ، وأزْدَمُر ، وطُومان باى ، ودَمُرداش ، وتَغرى بَرْدى طَطَر ، والجميع رءوس نُوَب ،

(١) إضافة للتوضيح وانظر أخبار هذا الأمير فيما يأتى ص ٢٨٢ .

لحمل سودون البَرْقى من الغد إلى سجن الإسكندرية ، وأُطلق طومان باى وأزْدَمُر ودَمُرْداش ، وأُخرج قانصوه وتَغْرى بَرْدى إلى البلاد الشامية ، واضطرب لهذه الواقعة أمور المملكة ، وتخوَّف كلُّ أحدٍ على نفسه ، ويأبى الله إلا ما أراد .

وفى يوم الاثنين سابع ذى الحجة استقرّ يَشْبُك من سلمان شاه [1] المؤيّدى الفقيه دواداراً كبيراً ، بعد قتل الأمير جانِبك ، فولى يَشْبُك وظيفته ، ولم يلِ مجده ولا ثناءه ولاهمته ولاحرمته ولا شهامته ولاعظمته ، ولقد كان به تجمل فى الزمان ، ولا قوة إلا بالله .

واستقرّ سودون البُرد بَكى المؤيَّدى فى حِسْبة القاهرة ، عوضاً عن تَنَم رصاص بعد قتله أيضاً ، واستقرّ نانق الظاهرى أمير آخور ثانياً عوضاً عن سودون الشمسى ، بحكم حبسه .

وفى يوم السبت ثالث عشره استقرّ المعلم محمد البِباوى — أحد معاملى اللحم — ناظر الدولة دفعة واحدة ، وترك زىَّ الزّفورية [2] السوقة ، ولبس زىَّ المباشرين الكتاب ، ولبس خُفًّا ومهمازا ، وركب فرسا ، وهو أمىٌّ لايحسن القراءة ولا الكتابة ، فكانت ولايته لهذه الوظيفة من أقبح ما وقع فى الدولة التركية بالديار المصرية ، وقد استوعبنا من حال البِباوى هذا نبذة كبيرة فى تاريخنا « الحوادث » ، لا سيما لما وَلِىَ الوزارة ، فكان ذلك أدهى وأمرّ ، وبالجملة إن ولاية البِباوى للوَزَر كان فيها عارٌ على مملكة مصر إلى يوم القيامة .

وفى صبيحة يوم الاثنين ثامن عشرين ذى الحجة أمسك السلطان أربعة أمراء من أكابر أمراء الظاهرية بالقصر السلطانى ، وكان الذى تولى قبضهم جماعة أيضاً من المماليك الأجْلاب [3] ، وحبسوا بالبرج من قلعة الجبل ، وقيدوا إلى الرابعة من النهار المذكور ،

---

(١) فى ص « سليمان مله » واللفظ الأخير غير منقوط ، والمثبت عن ط كاليفورنيا وله ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٢٧٠ — ٢٧٢) ولد سنة ٨٠٠ ومات سنة ٨٧٨هـ .

(٢) أى الزى الخاص بالقصابين ، وسماه و. پوپر فى هامش ٧ : ٧١٨ عن كتاب الحوادث قماش الزفر » وسيأتى فى وفيات سنة ٨٦٩ هـ (أنه القميص الأزرق والركوب على البغل بنصف رحل بسلخة خروف) .

(٣) فى ص « الكلاب » والمثبت عن ط كاليفورنيا .

وحملوا على البغال على العادة إلى سجن الإسكندرية ، والأمراء المذكورون أعظمهم تمُرْبغا الظاهرى رأس نوبة النوب ، وأزْبك من طَطَخ الظاهرى أحد مقدَّمى الألوف ، وبَرْقوق الناصرى ثم الظاهرى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، وقانى باى الساق الظاهرى أيضاً أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، ولما انفضّ الموكب منع السلطانُ الأمراء من النزول إلى دورهم ، ورسم بإقامتهم بالحوش السلطانى مخافة أن يحدث منهم أمر لاسيما ممن بقى من أمراء الظاهرية ، ولهج الناس بزوال الظاهرية ، وتهيأ من بقى منهم وأوصى ، وكثرت المقالة بمصر ، وأرجف بالركوب والفتنة ، واستمرّ الأمراء بالحوش جلوساً يومهم كله ، إلى أن دخلت ليلة الثلاثاء تاسع عشرين ذى الحجة ولم يتحرك أحد بحركة ، وقد عمّ الخوفُ الناسَ جميعاً ؛ لأن السلطان صار يخاف من وثوب الظاهرية عليه ، والظاهرية تخاف من قبض السلطان عليهم ، والناس خائفون من الفتنة ، هذا والهرج موجود بين الناس .

فلما كان بعد صلاة عشاء الآخرة بلغ السلطان أن مماليكه الأجْلاب الذين ملكهم من مماليك الملك الأشرف إينال ، وأجرى عليهم العتقَ وقرّبهم وجعلهم خاصكية ، وهم الذين قتلوا جانِبَك الدّوادار وتَنَم رصاص ، وهم أيضاً الذين تولوا قبض الأمراء الأربعة ، قد اتفقوا مع بقية خُجداشيتهم على قتل السلطان فى هذه الليلة ، ثم على قتل جميع الأمراء بالحوش السلطانى ، ماخلا واحداً منهم ، يبقوه ليسلطنوه عوضاً عن أستاذهم الملك الظاهر خُشْقَدَم ، ثم يصير بعد ذلك أمر المملكة بيدهم ، فلم يكذب السلطان هذا الخبر ، وحار فى نفسه كيف يفعل ، وضاق عليه فضاءُ الأرض ؛ لكون الذى طرقه إنما هو من مماليكه ، وهم الذين يستعِزُّ بهم على غيرهم من جنده ، فلم يجد بُدًّا من الاعتذار مع الظاهرية ، وأن يصطلح معهم ، ويعتذر إليهم فى الليل ، ويُطَيِّب خاطرهم ، فأرسل مَنْ طلبَ الأمير قايتْباى الظاهرى شاد الشراب خاناه فى الليلة المذكورة ، فحضر هو وجماعة كثيرة من خجداشيته وأصحابه ، وطلع من باب السلسلة إلى الحوش السلطانى راكباً ، هو وجميع من حضر معه ، وكانوا خلائق ، ودخل قايتْبَاى إلى السلطان بقاعة الدهيشة ،

فقام إليه السلطان وعانقه واعتذر إليه ؛ وأمر فى الحال بإحضار خُجْداشيته الذين أرسلهم إلى سجن الإسكندرية ، وطلع النهار فخرج السلطان من القاعة إلى مقعد البَحْرَة بالحوش السلطانى ، وفعل ما أرضى به الظاهرية .

قلت : كان فى تدبير الملك الظاهر فى إحضار الظاهرية على الوجه المحكى وهم بالسلاح والرجال ، زوال ملكه لو قدر لغيره ، فإنه لما أرسل إلى الأمير قايِتْبَاى ، وجاء الأمير قايِتْباى ومعه تلك الخلائق وعليهم السلاح ، وليس عند السلطان سوى الأمراء الذين كانوا بالحوش ، وليس عند الأمراء أحد من مماليكهم ولا عليهم آلة الحرب ، ولا عند السلطان أيضا بالقاعة من مماليكه إلا جماعة قليلة جداً ، وجميع من كان عند السلطان بأسرهم لا يقدرون على دفع بعض من كان مع الأمير قايِتبَاى ، بل لو أراد قايِتباى المذكور الوثوب على الأمر والفَتْك بالسلطان لأمكنه ذلك ، ولم أدر ما طرق السلطان من الأمر العظيم حتى فعل ذلك ، وكان يمكنه أن يفعل ما شاء ولو كان ما طرقه أهم من ذلك وأعظم ، وما عسى أن تصل يدهم من الفعل به من شهامة السلطنة وعز الملك وعنده أمراؤه وأعيان مملكته ، ولم يملك أحد منه الزَرَدْخاناه ولا باباً من أبواب القلعة ، وبابُ السلسلة والإسطبل السلطانى بيده ، والمماليك السلطانية ملء الديار المصرية من سائر الطوائف ، ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا .

ثم أرسل السلطان فى الحال بالإفراج عن الأمير تَمُرْبغا الظاهرى ، وَعن خُجْداشيته الذين أمسكوا معه ، وَمجيئهم إلى الديار المصرية بعزٍّ وَإكرام ، فأفرج عنهم وَحضروا إلى الديار المصرية فى يوم الاثنين خامس المحرم من سنه ثمان وَستين وَثمانمائة ، وَباتوا تلك الليلة فى بيت يَشْبُك الدّوَادار ، وَطلعوا إلى القلعة من الغد وَقبّلوا الأرض ، فخلع السلطان على كل من تَمُرْ بغا وَأزْبك كاملية بمَقْلب سَمُّور [1] ، وَرسم لهم باستقرارهم على إقطاعاتهم وَوَظائفهم ؛ لأن السلطان ما كان أخرج عن أحد منهم إقطاعه وَلا وظيفته فإن غضبه عليهم كان يوما واحداً ، وكذلك كان سجنهم بالإسكندرية .

---

(١) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٢٧٠ عن كتاب الحوادث "ولم يخلع على برقوق ولا قانى باى شيئا ، وكان لمجيئهم وطلوعهم إلى القلعة يوما مشهودا" .

وَفى هذا اليوم استقرَّ يونس بن عمر بن جرْبغا العمرى دوَادار الطواشى فَيْروز النَّوْروزى وَزيراً ، وَكانت خلعته أطلسين بخلاف خِلْعة الوَزَر ؛ لـكونه يتزيا بزى الجندى .

وفى يوم الخميس ثامن المحرم سنة ثمان وستين أعيد قاضى القضاة محب الدين بن الشِّحْنة إلى قضاء الحنفية بالديار المصرية ، بعد موت بدر الدين حسن بن الصواف .

وفى يوم الاثنين ثانى عشره نودى بشوارع القاهرة : أن أحدا من الأعيان لايستخدم ذِمِّيا فى ديوانه — أعنى من الـكتبة وغيرهم — قلتُ : ما أحسن هذا لَوْ دَامَ أو اسْتَمَرَّ ، فمنعت هذه المناداة أهل الذِمَّة قاطبةمن التصرّفِ والمباشرة بقلم الديونة بوجه من الوجوه بأعمال مصر ، وكُتب بذلك إلى سائر الأقطار ، ثم عَقَدَ السلطان بالصالحية [ببين القصرين][1] عَقْدَ مَجْلِسٍ بالقضاة الأربعة ، وحضره الدوادار الـكبير ، وجماعة من الأعيان بسبب هذا المعنى ، وقرئت العهود المـكتتبة قديما على أهل الذِّمة ، فوجدوا فى بعضها أن أحدا من أهل الذمة لا يباشر بقلم الديونة عند أحد من الأعيان ، ولا فى عمل من الأعمال ، وأشياء من هذه المقولة ، إلى أن قال فيها : ولا يلف على رأسه أكثر من عشرة أذرع ، وأن نساءهم يتميزن من نساء المسلمين بالأزرق والأصفر على رءوسهن فى مشيهن بالأسواق ، وكذلك بشىء فى الحمامات ، فحـكم قاضى القضاة عَلَم الدين صالح البُلْقينى الشافعى بإلزام أهل الذمة بذلك جميعه ، ما عدا الصرف والطبّ بشروطه ، وصمم السلطان على هذا الأمر ، وفرح المسلمون بذلك قاطبة ، فأسلم بسبب ذلك جماعة من أهل الذمة من المباشرين ، وعظم ذلك على أقباط مصر ، ودام ذلك نحو السنة ، وعاد كلُّ شىء على حاله أوّلا ، وبلغ السلطان ذلك فلم يتكلم بكلمة واحدة ، ولا حول ولا قُوّة إلا بالله العلى العظيم ، وأين هذا من همّةِ الملك المظفر بِيْبَرس الجاشنكير — رحمه الله — لما قام فى بطلان عيد شَبْرَا ، ولبس النصارى

(١) إضافة عن هامش و . پوپر ٧ : ٧٢٠ عن كتاب الحوادث ، وكذا جاءت بقية العبارة بالأصول .

الأزرقَ واليهودُ الأصفرَ ، فلله درُّه ما كان أعلى همته ، وأغزر دينه — رحمه الله تعالى ورضى عنه .

وفى يوم السبت رابع عشرين المحرم نفى السلطان مملوكه أُزْبُك ، الذى كان من جملة مُسَفِّرى الأمراء المتوجهين إلى الإسكندرية ، وكان نَفْيُه لأمر يعلمه السلطان .

وفيه طلب السلطانُ جماعةً من أمراء الألوف إلى داخل قاعة الدهيشة ، وحلَّفهم على طاعته بأيمان مغلظة .

وفى يوم السبت ثانى صفر استقرّ أبو بكر بن صالح نائب ألبيرة فى حجوبية حجّاب حلب ، بعد استقرار تَغْرى بَرْدى بن يُونس فى نيابة قلعة حلب ، واستقرّ كَمَشْبُغا السيفى تَخْشَباى نائب قلعة حلب فى نيابة ألبيرة .

وفى يوم الاثنين رابع صفر رسم السلطان أن يفرج عن الأمير سودون الشمسى المعروف بالبَرْقى من سجن الإسكندرية ، وحضوره إلى القاهرة ، بعد أن أنعم السلطان عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق .

ثم فى يوم السبت أمسك السلطان بَرْسْباى الخاصكى أحد المماليك الذين أخذهم من تركة الملك الأشرف إينال ، وهو أحد من تولّى قتل جَانِبَك الدَّوادار ، ثم ممن أراد قتل السلطان بعد ذلك فى تلك الليلة المقدم ذكرها ، وضربه بين يديه ضربا مبرحا ، ثم أمر بتوسيطه ، فوُسِّط بين يديه بالحوش ، وكان السلطان وَسَّط قبله آخَرَ من مماليكه يسمى قَانَم .

ثم فى يوم الاثنين حادى عشره أعيد الصاحبُ مجد الدين بن البقرى إلى الوَزَر بعد تسحُّبِ يونس بن جَرْبُغا .

وفى يوم الخميس استقرَّ شرامُرْد العثمانى المؤيَّدى أحد أمراء العشرات بالديار المصرية دوادار السلطان بدمشق ، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه عوضا عن أَزْدَمُر الإبراهيمى بحكم القبض عليه .

وفى يوم الثلاثاء ثالث شهر ربيع الأول أشيع بمجىء الغزاة من قُبْرُس إلى سواحل

البلاد الشامية وغيرها بغير إذن السلطان ، فغضب السلطان من ذلك غضبا شديدا ، ولم يسعه إلا السكات .

وفى يوم الأحد ثامنه عمل السلطان المولد النبوى على العادة ، وعمل من الغد مولدا آخر لزوجته .

وفى يوم الاثنين سادس عشره خلع السلطان على الشهابى أحمد بن عبد الرحيم ابن العينى ابن بنت زوجة السلطان باستقراره أمير حاج المحمل ، بسفارة حج جدته زوجة السلطان فى هذه السنة .

وفيه استقر الصاحب مجد الدين بن البَقَرى أستادارا بعد اختفاء الأمير زين الدين ، وطلب السلطان المعلم محمدا البِباوى اللحَّام[1] الذى كان استقرَّ ناظر الدولة ، وقرَّره وزيرا بالدّيار المصرية ، ولبس خلعة الوَزَر فى يوم الثلاثاء سابع عشره .

* فيا نفس جِدِّى إنَّ دَهْرَك هازِلُ[2] *

وقد ذكرنا أصل هذا البباوى ، وسبب استقراره فى « الحوادث » .

ثم فى يوم الجمعة سابع عشرينه وصلت الغزاة من سواحل متعددة ، وخلع السلطان على الأمير بُرْدبَك ، وعلى الأمير جَانِبَك قَلَقْسيز ، وأنعم على كل واحد منهما بفرس بسرج ذهب ، وكُنبوش زَرْكَش ، وخلع على جميع من كان معهما من الأمراء ، فأقام الأمير بُرْدبَك إلى يوم الاثنين سادس جمادى الأولى ، وخلع عليه باستقراره فى نيابة حلب ، بعد عزل جَانِبَك التاجى المؤيَّدى ، ومجيئه إلى القاهرة على إقطاع بُرْدبَك .

وفى يوم الخميس تاسعه استقرَّ الأمير أَزْبُك من طَطَخ الظاهرى حاجب الحجاب عوضا عن بُرْدبَك المذكور .

---

(١) اللحام بائع اللحم . المعجم الوسيط ، وكذلك (Dozy : Supp. Dict - Ar.) .

(٢) هذا شطر بيت صدره

فياموت زر إن الحياة ذميمة .·. ويا الخ

وهو لأبى العلاء المعرى — (شروح سقط الزند ٢ : ٥٣٨) .

وفى يوم سلخه ورد الخبرُ بموت الأمير تَنَم نائب الشام ، وأحضر سيفَه قانصوه الجُلُبّانى الحاجب الثانى بدمشق ، فرسم السلطان للأمير جَانِبَك التاجى المعزول عن نيابة حلب باستقراره فى نيابة دمشق ، عوضا عن تَنَم ، وتعيَّن قانى باى الحسنى المؤيَّدى مُسَفِّره ، وأنعم السلطان بإقطاع بُرْدبَك — الذى كان عُيِّن[١] لجانبك التاجى[٢] — على الأمير يَشْبُك الدَّوادار ، وأنعم بإقطاع يَشْبُك على مُغُلْباى طاز المؤيدى ، وكلاهما تقدمة ألف ، لكن التفاوت فى كثرة المتحصل ، وأنعم بإقطاع مُغُلْباى طاز على الأمير قايِتْبَاى شاد الشرابخاناه زيادة على إقطاعه ، ليكون قايِتْبَاى أيضا من جملة مقدمى الألوف ، فزيدت المقدمون تقدمة أخرى ، واستقرّ نَانِق الظاهرى الأمير آخور الثانى شاد الشرابخاناه عوضا عن قَايِتْبَاى ، واستقرَّ جَانِبَك من طَطَخ الفقيه أمير آخور ثانيا عوضا عن نَانِق[٣].

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة عيَّن السلطان إلى البحيرة تجريدةً عليها الأمير أُزْبُك حاجب الحجَّاب ، وصحبته من أمراء الطبلخانات جَانِبَك الإسماعيلى كوهية الدوادار الثانى ، وكَسْباى الشِّشْمانى الناصرى ثم المؤيدى ، ومن العشرات أَرْغون شاه أُستادار الصحبة ، وقانَم نَعْجَة ، وجانَم أَمِير شكار ، وتَنِبك الأشقر ، والجيع أشرفية ، وتَغْرِى بَرْدى الطَّيَّارى ، وقانْصوه ، وقانى باى الساق ، وهما ظاهريان ، وأربعمائة مملوك من المماليك السلطانية .

وفى يوم الأحد ثامن عشره ركب السلطان ونزل إلى بيت الأمير بُرْدبك نائب حلب ، ثم[٤] خرج من عند بُردبك[٤] ودخل إلى بَرْقُوق الناصرى فلم يجده .

(١) فى ص « الذى كان أبقى » والمثبت عبارة ط كاليفورنيا .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٧٢٦ عن كتاب الحوادث «عند قدومه الديار المصرية بعد عزله عن نيابة حلب ، فلما مات تنم واستقر جانبك عوضه فى نيابة دمشق وشغر إقطاعه أنعم به السلطان فى هذا اليوم على » .

(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٧٢٦ عن كتاب الحوادث « على إمرة عشرة ، ونانق وجانبك كلاهما من أصاغر المماليك الظاهرية قدرا لم تسبق لأحدهما رئاسة فى زمن أستاذه ولا بعده ، فتحرك سعدهما فى هذه الدولة » .

(٤-٤) ما بين الرقمين ساقط من ص والإثبات من ط كاليفورنيا .

وفي يوم الاثنين تاسع عشره وصل سيف الأمير جَانِبك التاجى المعزول عن نيابة حلب والمتولى نيابة الشام بحلب قبل أن يخرج منها ، فلما كان يوم الثلاثاء العشرون من جمادى الآخرة المذكورة رسم السلطان لبَرْسْباى البَجَاسى نائب طرابُلُس بنيابة دمشق عوضا عن جانِبك التاجى ، وصار قانى باى الحسنى مُسَفِّره أيضا ، فإنه وافى قانى باى الحسنى موت جانِبك وهو بقَطْيا متوجها إليه بتقليد نيابة الشام وتشريفه ، فقرره السلطان مُسَفِّر بَرْسْباى هذا ، كما كان مُسَفِّر جانِبك ، ثم رسم السلطان بانتقال جانِبك الناصرى نائب حماة إلى نيابة طرابُلُس عوضا عن بَرْسْباى البَجَاسى ، واستقرّ مسفِّره الأمير لاجين الظاهرى ، واستقرّ بلاط نائب صَفَد فى نيابة حماة ومسفِّره الأمير طوخ الأبوبكرى المؤيَّدى الزَّرَدْكَاش ، واستقر يشْبُك أُوش(١) قَلَق المؤيَّدى أحد أمراء الألوف بدمشق عوضا عن بلاط فى نيابة صَفَد ، واستقر الأمير خُشْكَلْدى البَيْسَقى مُسَفِّر يشْبُك هذا ، وأنعم بإقطاع هذا على خُجْدَاشِه شرا مُرد العثمانى المؤيَّدى دوادار السلطان بدمشق .

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه وصل قاصد صاحب قُبْرُس جاكُم ، وأخبر أنه أخذ مدينة الماغوصة(٢) وقلعتها من يد الفرنج ، وأنه سلمها للأمير جانِبَك الأبْلَق المقيم بجزيرة قُبرس بمن بقى معه من المماليك السلطانية ، فأساء جانِبَك المذكور السيرة فى أهل الماغوصة ، ومدّ يده لأخذ الصبيان الحسان من آبائهم أعيان أهل الماغوصة فشقّ ذلك عليهم ، وقالوا : نحن سلمنا كم البلد بالأمان ، وقد حلفتم لنا أنكم لا تفعلوا معنا بعد أخذكم المدينة إلا كل خير ، وأنتم مسلمون ، فما هذا الحال ؟ فلم يلتفت جانِبك الأبْلَق إلى كلامهم ، واستمرّ على ما هو عليه ، فأرسل أهل الماغوصة إلى جاكُم عرفوه الخبر ، فأرسل جاكُم إلى جانِبك ينهاه عن هذه الفعلة ، فضرب جانِبك القاصد المذكور ، بعد أن أوسعه سبًّا ،

(١) اضطرب رسم هذا العلم فهو فى ص ٧٠٣ آس قلق المؤيدى . وهنا أوش قلق المؤيدى وتعذر التحقق من الصواب فى ذلك .

(٢) الماغوصة : ويقال الماغوص وتسمى المرمَش مدينة بقبرس (ج ١٢ : ٣٤ ت ٣ من هذا الكتاب ط دار الكتب) وهي فا ما جوستا حاليا (دائرة المعارف لفريد وجدى ٧ : ٦٠٨) .

فأرسل إليه قاصداً آخر ، فضربه جانِبك بالنشّاب ، فركب جاكُمُ إليه من الأفقسية (١) مدينة قُبْرُس ، وجاء إليه وكلّمه ، فلم يلتفت إليه ، وخشّن عليه الكلام ، فكلمه جاكم ثانيا ، فضربه بشيء كان في يده ، فسقط جاكُمُ مغشيا عليه ، فلما رأت الفرنج ذلك مدت أيديها إلى جانِبك ومن معه من المسلمين بالسيوف ، فَقُتِل جَانِبك وقُتِلَ معه خمسةٌ وعشرون مملوكا من المماليك السلطانية ، وهذا معنى ما حكاه يعقوب الفرنجي قاصد جاكُمُ الذي حضر إلى القاهرة رسولا من عند جاكُمُ — والله أعلم — هذا مع اختلاف الروايات في قتل جانِبك ورفقته ، واستولى جَاكُمُ على الماغوصة على أنه نائبٌ بها عن السلطان ، وعلى كل حال صارت الماغوصة بيد جاكُمُ صاحب قُبْرُس .

ثم عيّن السلطان سودون المنصوري الساقي إلى رواح (٢) قبرس مع يعقوب المذكور ، فسافر سودون المذكور ، ووقع له أمور ذكرناها في موضعها من تاريخنا « الحوادث »

ثم في يوم السبت ثامن شهر رجب أُعيد قاضي القضاة شرف الدين يحيى المناوى إلى منصب قضاء الشافعية (٣) بعد موت قاضي القضاة علم الدين صالح البُلْقيني .

ثم في يوم الاثنين عاشر رجب أُدير المحمل ، فلعبت الرمّاحة على العادة .

وفي يوم السبت ثاني عشرينه عيّن السلطان تجريدة إلى البحيرة يردف بها الأمير قَرْقَاس لأمر وقع له مع العرب ، قتل فيه جماعة من المماليك السلطانية .

ثم في يوم الأحد سابع شعبان وصل الأمير قَرْقَاس بمن معه من البحيرة .

وفي هذا الشهر ورد الخبر بأخذ قلعة كَرْكَر (٤) ، وقتل نائبها جَكَم بحيلة من الأكراد .

---

(١) كذا في الأصول ، ولعلها « الأنقسية » بالنون بدل الفاء وهي « نيقوسية » .

(٢) كذا في ص «إلى رواح » وفي ط كاليفورنيا « لتوجه قبرس » .

(٣) في ص « إلى منصب القضاء » . والمثبت عن ط كاليفورنيا .

(٤) كركر : حصن قرب ملطية بينها وبين آمد . وأيضا حصن بين سميساط وحصن زياد (ياقوت — معجم البلدان) .

وفى يوم الاثنين سادس شوال استقرّ الأمير بُرْدبك هجين أمير جانْدَار[١] ، وكان لهذه الوظيفة مدة طويلة لا يليها إلا الأجناد ، وكانت فى القديم أجل الوظائف .

ثم فى يوم الجمعة تاسع عشرين ذى القعدة الموافق لعاشر مسرى أوفى النيل ، ونزل السلطان بنفسه ، وخلّقَ المقياس وفتح خليج السد ، ثم ركب وعاد إلى القلعة وبين يديه أربعة من أمراء الألوف ، وعليهم الخلع التى خلعها السلطان عليهم ، وقيد لكل واحد فرسا بسرج ذهب وكُنبوش زَرْكش ، وهم : الأتابَك جَرِباش ، وقَرْقَماس أمير سلاح ، وقانَم أمير مجلس ، وتَمُرْبغا رأس نَوْبَة النُّوَب ، وباقى الأمراء عليهم الخلع لاغير ، وتعجب الناس لنزول السلطان لكسر البحر ، لبعد عهد الناس من نزول السلاطين إلى هذا المعنى ، لأنه من سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ما نزل سلطان ، وكان الذى نزل فى سنة ثلاث وثلاثين الملك الأشرف بَرْسْبای — رحمه الله .

وفرغت هذه السنة .

(١) أمير جاندار : هو من يتسلم باب السلطان ويتكلم على البرددارية والركابية والجرامانية والجندارية ويشارك فى عرض البريد ، ويدور بالزفة حول السلطان ، وعلى يده يكون تقرير الأمراء على وظائفهم وأرزاقهم أو إيقاع العقوبات بهم . (المقريزى – الخطط – ٢ : ٢٢١ ط بولاق) .

واستهلت سنة تسع وستين وثمانمائة

فنى يوم السبت العشرين من المحرم أنعم السلطان على الأمير قانصوه المحمدى الساقى الأشرفى أحد أمراء العشرات بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق ، وأنعم ببعض إقطاع قانصوه هذا على الأمير قانْصوه اليَحْياوى الظاهرى .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه وصل الشرفى يحيى بن يَشْبُك الفقيه الدّوادار ، وهو أمير الركب الأول إلى القاهرة ، وأصبح من الغد وصل الشهابى أحمد بن العينى أمير حاج المحمل بالمحمل ، وصحبته جدته خَوَنْد زوجة السلطان .

وفى يوم الاثنين تاسع عشرينه استقرّ شرامُرْد العثمانى حاجب حجاب دمشق .

وفى يوم الاثنين سابع عشرين صفر استقرّ الأمير منصور أستادارا عوضا عن الأمير زين الدين .

وفى يوم الاثنين رابع عشرين شهر ربيع الآخر استقر ألماس الأشرفى دوادار السلطان بحلب فى نيابة ألبيرة ، بعد موت قانى باى طاز البَكْتَمُرى ، واستقرّ على بن الشيبانى عوضه فى دوادارية حلب .

وفى ثامن جمادى الأولى ورد الخبر بتسليم كَرْكَر إلى أعوان حسن بك ابن قرايلُك .

وفى يوم الاثنين ثالث عشر شهر رجب أدير المحمل على العادة ، وقاست الناس من الأجلاب شدائد .

ثم فى يوم الخميس سلخ رجب قدم الخبر بموت الأمير جانِبَك الناصرى نائب طرابُلُس .

وفى يوم الخميس سابع شعبان استقر سودون الأفرم الخازندار مُسَفِّر الناصرى محمد ابن المبارك من نيابة حماة إلى نيابة طرابُلُس ، واستقرّ الأمير كَسْباى الشِّشْمانى

المؤيَّدى مُسَفِّر يَشْبُك البَجَاسى أحد أمراء حلب باستقراره فى نيابة حماة ، وكلاهما صولح ولم يسافر .

وفى يوم السبت ثالث عشرينه نفى السلطان يَشْبُك الساقى أحد مماليكه الأجلاب إلى الشام .

ثم فى يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان رسم السلطان بنفى الأمير الكبير جَرِباش المحمدى الناصرى المعروف بكُرْد إلى ثغر دِمْياط بطَّالاً ، فخرج من الغد .

وفى يوم الخميس العشرين من رمضان استقرّ الأمير قانَم من صَفَر خَجا المؤيَّدى المعروف بالتاجر أمير مجلس أتابَكَ العساكر عوضا عن جَرِباش المذكور .

ثم فى يوم الاثنين رابع عشرينه استقر الأمير تَمُرْبُغا رأس نوبة النُّوَب أمير مجلس بعد الأتابَك قانَم ، واستقرّ الأمير أُزْبُك حاجب الحجاب عوضه رأس نوبة النُّوَب ، واستقرّ الأمير جانِبَك قَلَقْسيز الأشرفى حاجب الحجاب عوضا عن أُزْبُك ، وأنعم السلطان بإقطاع الأتابَك قانم على الشهابى أحمد بن العينى .

قلتُ : هنا نكتة طريفة ، وهى أن يوم رابع عشرين من الأيام السبعة المكروهة[1] عند الناس ، وهؤلاء الأربعة الذين تولوا فيه لم يلقوا إلا كل خير ، فإن الأمير تَمُرْبُغا لا يزال أمره ينمو ويزداد فى هـــذه الوظيفة إلى أن صار سلطانا ، وأُزْبُك إلى أن صار أتابك العساكر ، وجانبك قَلَقْسيز إلى أن صار أيضا أتابَك العساكر ، وابن العينى إلى إمْرَة مجلس ، والعجب أنهم من يوم تاريخه صاروا فى خير وسلامة إلى أن كان من أمْرِهم ما كان ، فأى شؤم حصل بولايتهم فى هذا اليوم ؟ ! والحق هو ما أقوله : إن كل شىء لم يأت به كتاب الله ولا سنة رسول الله فهو مردود على قائله ، والسلام .

ودام جَرِباش كُرْد هذا بدِمْياط نحو سبع سنين .

ثم فى يوم الثلاثاء ثالث عشر ذى الحجة أوفى النيل[2] ، ونزل السلطان خلَّق المقياس ، وفتح السدّ كما السنة الخالية .

(١) فى ص «المكروه» والمثبت عن ط كاليفورنيا .

(٢) فى ص «البحر» وما هنا من ط كاليفورنيا .

واستهلت سنة سبعين وثمانمائة

فنى أولها رسم السلطان الظاهر خُشْقَدَم بتحويل السنة الخراجية على العادة[١].

وفى يوم السبت أول المحرم وصل نجَّاب، وهـــو مبشر الحاج، وأخبر بالأمن والسلامة.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره وصلت الأمراء الخمسة بمن معهم من أمراء الطبلخانات والعشرات والمماليك السلطانية من البحيرة.

وفيه استقرّ القاضى علاء الدين بن الصابونى قاضى قضاة دمشق الشافعية، بعد عزل القاضى جمال الدين الباعونى، وأضيف إليه نظر جيش دمشق، عوضا عن البدرى حسن ابن المزلق، وباشر علاء الدين المذكور قضاء دمشق سنين كثيرة، وهو مقيم بديار مصر، ونوّابُهُ تحكم بدمشق، وهذا شىء لم يقع لغيره فى دولة من الدول.

وفى يوم السبت ثانى عشرينه وصل الأمير خُشْكَلْدِى القوامى أمير الركب الأول، ووصل من الغد أمير حاج المحمل جانِبَك قَلَقْسِيز بالمحمل، وكان وصل قبلهما الأمير قانِى بَك المحمودى المؤيَّدى أحد مقدّمى الألوف بالديار وكان حج فى هذه السنة.

وفى هذه الأيام زاد فساد المماليك الأَجْلاب، وعظم شرهم وظلمهم.

فلما كان يوم السبت ثالث عشر صفر نودى بالقاهرة بأن أعيان التجار والسوقة تطلع من الغد إلى القلعة، وطلعوا وقد ظن كل أحد منهم أن السلطان ينظر فى أمرهم مع المماليك الأجلاب، فعند طلوعهم ركب السلطان ونزل إلى جهة القرافة وغيرها، ثم طلع إلى القلعة، وجلس على الدكة، وحضر التجار المطلوبون وغيرهم، فلما تمثلوا بين يديه كلمهم السلطان بكلام معناه: أنهم لايشترون شيئا من القماش بالجريدة، وأن يخبروا

---

(١) ذكر و. پوپر فى هامش ٧ : ٧٣٤ أن عبارة كتاب الحوادث« فيها حولت السنة القبطية من سنة ثمان وستين إلى سنة سبعين، واسقط لفظ تسع وستين الخراجية وصارا معاسنة سبعين » وانظر تحويل السنة الخراجية فى (د. إبراهيم على طرخان — النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصر المملوكى ص ١٠٦).

المشترى بالحق ، وأشياء من هذه المقولة ، ولم يُبْدِ فى أمر الأجلاب بشىء ، فراحوا مثل ما جاءوا .

وفى يوم الخميس ثالث ربيع الأول استقر الأمير خير بك الخازندار الظاهرى أمير حاج المحمل ، واستقر الأمير كَسْباى الشِّشْمانى المؤيَّدى أمير الركب الأوّل .

وفى يوم الاثنين سابع شهر ربيع الأول استقر الأمير خُشكَلْدى البَيْسَقى محتسبَ القاهرة بعد عزل سودون البُرْدبَكى المؤيَّدى الفقيه .

وفى هذه الأيام عزل يَشْبُك آس قَلَق المؤيَّدى عن نيابة صَفَد بحكَم الأشرفى خال الملك العزيز يوسف نقلا من نيابة غزّة ، وتوجه يَشْبُك المذكور على إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق ، واستقرَّ فى نيابة غزّة الأمير إينال الأشقر الظاهرى أتابَك حلب ، واستقر فى أتابَكية حلب بعده ألْماس الأشرفى نائب ألبيرة ، واستقر فى نيابة ألبيرة شاد بك الصغير الجُلُبّانى ، وهو رجل من الأحداث قدّمه المال .

وفى يوم الجمعة حادى عشره ثارت المماليك الجُلْبان على السلطان ، وأفحشوا فى طلب تتريات[1] صوف المعدة للأسفار والصيد ، ولهم حكاية طويلة ذكرناها فى « الحوادث » ، وكان السلطان عزم على التوجّه إلى الصيد ، فما وسعه إلا أنه أبطل الرّواح إلى الصيد .

وفى يوم الأحد ثالث عشره عمل السلطان المولد النبوى بالحوش على العادة .

وفى يوم الخميس سابع عشره استقر الأمير بَرسْباى قَرا الظاهرى مُسَفِّر جَكَم نائب صَفَد ، واستقرّ كَسْباى الظاهرى خُشْقَدَم أحد الدوادارية الصغار مُسَفِّر نائب غزّة .

وفى يوم الاثنين ثامن عشرينه أمسك السلطان منصورا الأستادار وحبسه بقلعة الجبل ، وأُمْسِكَ عن سدادٍ لا عن عجز ، وأعيد الأمير زين الدين إلى الأستادارية ،

---

(١) تتريات ، وططريات ، جمع تترية ، وهى كالقفطان ، وانظر (ج ١٣ : ١٣٤ ت ٥ من هذا الكتاب ط الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر) .

ودام منصـــــور فى الحبس والعقوبة إلى أن آل أمرُه إلى ضرب الرقبة بالشّرع على مازعموا .

وفى يوم السبت وصل سيفُ ملك أصْلان بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دُلْغَادِر نائب أبُلُسْتين ، وذكروا أنه قتله فداوِىٌّ ، ولا يلزمنى ذكر اسم من أرسل إليه الفِدَاوِى .

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه عزل السلطان الأمير جوهرا النَّوْرُوزىّ مقدّم المماليك السلطانيّة بنائبه الأمير مِثقال الظاهرى الحبشى ، واستقرّ عوضه فى نيابة المقدم خادِمٌ أسودُ دَكرورى من أصاغر الخُدّام لا أعرفه قبل ذلك ، يسمى خالصا .

وفى يوم السبت ثامن جمادى الآخرة عقد السلطان عقده على جاريته سوارباى الچاركسية أم ابنته ، وجعلها خَوَنْد الكبرى صاحبة القاعة ، وذلك بعد موت زوجته خَوَنْد شُكْرْباى الأحمدية الناصرية فرج بن برقوق ، وكان العاقد القاضى الحنفى محب الدين ابن الشِّحْنَة .

وفى يوم الخميس ثالث عشره ولى القاضى صلاح الدين المكينى قضاء الشافعية بالديار المصرية بعد عزل قاضى القضاة شرف الدين يحيى المناوى .

وفيه أيضا استقرّ القاضى برهان الدين إبراهيم بن الدّيرى قاضى قضاة الحنفية أيضا بالديار المصرية بعد عزل قاضى القضاة محب الدين بن الشِّحْنَة الحنفى .

وفيه استقر الأمير أرْغون شاه الأشرفى أستادارُ الصحبة أميرَ حاج الرّكب الأوّل بعد موت الأمير كَسْباى المؤيّدى — رحمه الله تعالى .

وفى يوم الخميس ثالث عشره استقرّ قاسم صيرفى اللحم المعروف بجُغَيْتة وزيراً بالدّيار المصريّة ، وقلع لبس العوام والسّوقة ، وتزيّا بزى الكتاب ، وركب فرسا .

واستقرّ فى نظر الدّولة شخص آخر من مقولة قاسم جُغَيْتة ، اسمُه عبد القادر ، لم أعرفهما قبل تاريخه ، وكان لبسهما لهاتين الوظيفتين عارا كبيرا على ملوك مصر إلى يوم القيامة ، وَلِى عَلَى مَنْ وَلَّاهُمَا حُجَجٌ لايقومُ أحدٌ بجوابها ، وليس لأحد فى ولايتهما عُذْرٌ مقبول ، وآفةُ هذا كلّه عدمُ المعرفة وقلّة التدبير ، وإلا ما ضيّق الله على مَلك

مصر حتى يكون له وزير مثل هذا، ومثل أستاذه محمد البباوى المقدّم ذكره، وقد تكلمنا فى ولاية البباوى للوزر كلاما طويلا فيه كفاية عن الإعادة هنا، وذلك فى تاريخنا « حوادث الدهور »، وقد أنشدنى بعض رؤساء ديار مصر فى يوم ولاية قاسم للوَزَر أبيات الطُّغرائى من قصيدته لامية العجم — رحمه الله تعالى : [البسيط].

ما كنتُ أُوثِرُ أنْ يَمْتَدَّ بى زَمَنِى حَتَى أرَى دَوْلَةَ الأَوْغادِ والسِّفَلِ
هَذَا جَزَاءُ آمْرِئٍ أَقْرَانه دَرَجُوا مِنْ قَبْلِهِ، فتَمَنى فُسْحةَ الأَجَلِ

وفى هذه الأيّام عيّن السلطان تجريدةً إلى البلاد الحلبية نجدةً لشاه بضع بن دُلْغَادِر نائب أَبُلُسْتين، ليُعِينُوه على قتال أخيه شاه سوار بن دُلْغَادِر، وفى التجريدة سبعة[1] أمراء من أمراء الألوف، وهم : الأتابك قانَم، وتَمُرْبغا أمير مجلس، ويَلَباى الأمير آخور الكبير، وقانى بك المحمودى المؤيّدى، وبُرْدَبك هجين أمير جاندار، وقايتباى المحمودى الظاهرى، وجماعة كبيرة أخر من أمراء الطبلخانات والعشرات يأتى ذكر[2] أسمائهم عند سفرهم إن تم ذلك، ثم بطلت التجريدة بعد أيام.

وفى يوم الثلاثاء أول شعبان استقرّ الكاتب شرف الدين بن كاتب غريب أستادارا عوضاً عن الأمير زين الدين يحيى الأستادار.

وفى يوم الجمعة أول شوال خُطب فيه خطبتان بالقاهرة وغيرها، وتشاءم الناس بذلك على الملك فلم يقع إلا خير.

وفى يوم السبت سادس عشر شوال استقرّ الأمير جانِبَك الإسماعيلى المعروف بكوهيَّة الدوادار الثانى أمير مائة ومقدّم ألف، عوضاً عن الأمير جانِبَك الناصرى المعروف بالمرتد، بحكم كبر سنه وعجزه عن الحركة، وخلع السلطان على مملوكه الأمير خير بك الخازندار باستقراره دوَاداراً ثانياً، عوضاً عن جانِبك كوهيَّة، وخير بك هذا هو أمير حاج المحمل فى هذه السنة، وسافر خير بك المذكور بالمحمل فى يوم الاثنين ثامن عشره.

(١) كذا فى الأصول مع أن عدد الأمراء ستة فقط.
(٢) فى ص « يأتى ذكرهم وأسماؤهم » والمثبت من ط كاليفورنيا.

وفى يوم الأربعاء العشرين منه ضُربت رقبةُ الأمير منصور الأستادار بسيف الشرع ، وكانت هذه الفعلة من غلطات الملك الظاهر خُشْقَدَم ؛ فإنّه كان فى بقائه له خاصة منفعة كبيرة من وجوه عديدة ، ولعله نَدم على قتله بعد ذلك .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشرينه استقر الأمير رُسْتُم بن ناصر الدين بك بن دُلْغادِر فى نيابة الأَبُلُسْتَين ، عوضاً عن ابن أخيه شاه بضع ، بحكم ضعف شاه بضع عن دفع أخيه سوار ، وأظن أن رُسْتُم هذا أضعف من شاه بضع فى دفع شاه سوار .

وفى يوم الخميس العشرين من ذى القعدة استقرّ الأمير قانى بَاى الحسنى المؤيدى أحد أمراء الطبلخانات فى نيابة طرابُلُس دفعة واحدة ، بعد عزل الناصرى محمد بن المبارك ، وكانت ولاية قانى باى هذا لطرابُلُس أيضاً من الأمور المنكرة الخارجة عن العادة ، لأننا لا نعلم أن أحداً ولى نيابة طرابلس غير مقدّم ألف بالديار المصرية ، بل غالب من يلى نيابة طرابُلُس ينتقل إليها من وظيفة عظيمة جليلة ، إما أمير مجلس ، أو أمير آخور كبير أو رأس نوبة النُّوَب ، أو ينتقل إليها من نيابة حماة ، بل إن الأتابَك طَرَبَاى الظاهرى وليها بعد الأتابكية ، ومع هذا كله ليته أهل لذلك ، بل هو من كبار المهملين — انتهى .

واستهلت سنة إحدى وسبعين وثمانمائة

بيوم الأربعاء ويوافقه عشرون مسرى .

فيه أوفى النيل[1] ، وفتح الخليج ، وخلّق المقياس الأتابك قانَم بإذن السلطان .

وفى يوم الاثنين سادسه أعيد قاضى القضاة محب الدين بن الشِّحْنَة إلى قضاء الحنفية بعد عزل قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن الدَّيْرى .

وفى يوم السبت حادى عشره استقرّ القاضى أبو السعادات البُلْقينى قاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية ، بعد عزل صهره صلاح الدين المكينى .

وفى يوم الخميس سابع صفر استقرّ القاضى كمال الدين محمد ابن الصاحب جمال الدين يوسف بن كاتب جَكَمَ ناظر الجيوش المنصورة ، عوضاً عن القاضى تاج الدين عبد الله ابن المَقْسى ، وأبقى على ابن المَقْسى وظيفة نظر الخاص .

وفيه استقرّ الأمير زين الدين يحيى أستادارا على عادته .

وفى يوم الاثنين ثامن عشر صفر استقر الأمير يَلَباى الإينالى المؤيَّدى الأمير آخور الكبير أتابك العساكر بالديار المصرية ، بعد موت الأتابك قانَم المؤيدى الآتى ذكره فى الوفيات — إن شاء الله تعالى ، وأنعم السلطان بإقطاع يَلَباى على الأمير بُرْدبك هجين أمير جاندار ، وأنعم بإقطاع بُرْدبك هجين على الأمير نانق شاد الشراب خاناه .

وفى يوم الخميس حادى عشرين صفر استقر الشهابى أحمد بن العَيْنى أمير آخور كبيراً بعد الأتابك يَلَباى .

وفيه استقر الأمير خُشْكَلْدى البَيْسَقى أحد أمراء العشرات شاد الشراب خاناه بعد نَانِق المحمدى المقدّم ذكره ، قلتُ : وعلى كل حال خُشْكَلْدى أليق لهذه الوظيفة من نانِق .

---

(١) اضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٧٤٢ عن كتاب الحودث « ستة عشر ذراعا وزاد ثلاثة أصابع من الذراع السابع عشر » .

وفى يوم الأحد رابع عشرينه ورد الخبر بموت الأمير بَرْسْباى البَجَاسى نائب الشام الآتى ذكره فى الوفيات .

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه رسم السلطان بانتقال الأمير بُرْدبك الظاهرى نائب حلب من نيابة حلب إلى نيابة الشّام ، عوضاً عن بَرْسْباى البَجَاسى ، واستقرّ نانِق الظاهرى أحد المقدمين مُسَفِّره .

واستقرّ فى نيابة حلب عوضاً عن بُرْدبَك يَشْبُك البَجَاسى نائب حماة ، واستقرّ مُسَفِّره الشرفى يحيى بن يَشْبُك الفقيه الدّوادار الكبير .

واستقرّ تَنَم الحسينى الأشرفى ثانى رأس نوبة فى نيابة حماة ، عوضا عن يَشْبُك البَجَاسى ، واستقرّ مُسَفِّرهُ تَمُر من محمود شاه الظاهرى والى القاهرة .

واستقر الأمير تَنبَك المُعَلِّم الأشرفى عوضه رأس نوبة ثانيا .

واستقرّ الأمير مُغُلْباى مملوك السلطان قديما فى حسبة القاهرة ، عوضا عن خُشْكَلْدى .

وفى يوم الأحد ثامن شهر ربيع الأول عمل السلطان المولد النبوى على العادة ، وقاسى من حضر المولد من الأجْلاب شدائد .

وفى يوم الاثنين سادس عشر [(١)] ربيع الأول استقر نانِق المحمدى المقدّم ذكره أمير حاج المحمل ، واستقر الأمير سيباى الظاهرى الأمير آخور الثالث أمير الركب الأوّل ، واستقرّ الأمير دَمُرْداش السّيفى تَغْرِى بَرْدى البَكْلَمُشى نائب قلعة حلب بعد عزل الشَّيْبانى .

وفى يوم السبت ثالث عشرينه ابتدأ السلطان بالحكم بين الناس بالإسطبل السلطانى فى يومى السبت والثلاثاء ، على قاعدة ملوك السلف ، ولم يقع له ذلك من يوم تسلطن ، لأن سلاطين زماننا هذا صاروا يجلسون بالدّكة من الحوش السلطانى بقلعة الجبل ، ويتعاطون الأحكام بين الناس ، فلم يحتج الملك مع جلوسه بالحوش إلى النزول بالإسطبل

(١) فى ص « سابع عشر » وما هنا عن ط كاليفورنيا .

للحكم ، وكانت قاعدة ملوك السلف ممن أدركنا وسمعنا الاحتجاب عن الناس بالكلية ، ولم يقدر أحد من المماليك السلطانية أن يدخل الحوش — بحاجة أو غير حاجة — إلا بقماش الموكب ، ولا يجتمع أحد بالسلطان بالدهيشة والحوش إلا الخصيصين بهلاغير ، ومن كان له مع السلطان حاجة يجتمع به فى القصر السلطانى ليالى المواكب وأيام المواكب، فبهذا المقتضى كان يحتاج السلطان إلى النزول إلى الإسطبل السلطانى للحكم بين الناس ، وإنصاف المظلوم من الظالم ، ويكون ذلك فى الغالب أيّام الشتاء ، وتكون مدة الحكم فى يومى السبت والثلاثاء نحو شهرين ، وقد فهمتَ الآن معنى قولنا : « ولم يحكم السلطان بين الناس من يوم تسلطن » ، أعنى بذلك نزوله إلى الإسطبل — انتهى .

ثم فى يوم الاثنين خامس عشر شهر ربيع الآخر نزل السلطان إلى رماية البركة[1] لصيد الكَرَاكى وغيرها على العادة ، وهذا أيضا أول نزوله إلى الصيد من يوم تسلطن وعاد من يومه ، وشَقّ القاهرة ، ثم تكرر من السلطان نزوله إلى الصيد فى هذه السنة غير مرة .

وفى هذه الأيام كانت واقعة أصْباى[2] البواب مع القتيلين اللذين قتلهما ، وقد حكينا واقعته فى « الحوادث » .

وفى يوم الأربعاء خامس عشر[3] جمادى الأولى ثارت المماليك الأجلاب بالقلعة فى الأطباق ، ومنعوا الناس من الطلوع إلى الخدمة السلطانية ، وطلبوا زيادة جوامك وكسوة وعليق ، ووقع أمور ، ثم وقع الأمر على شيء حكيناه بعد وَهَنٍ فى المملكة .

وفى يوم الخميس سادس عشره استقرّ القاضى ولى الدين الأسيوطى أحد نواب الحكم قاضى قضاة الشافعية بالديار المصرية ، بعد شغور القضاء عن أبى السعادات البُلْقينى أياما كثيرة .

---

(١) أى بركة الحاج (هامش و. پوپر ٧ : ٧٤٥ عن T) .

(٢) الرسم فى هامش پوپر ٧ : ٧٤٥ عن (كتاب الحوادث « آص باى ») .

(٣) فى ص « عشره » والمثبت من ط كاليفورنيا . لأن الضمير على رواية ص يعود حينئذ على ربيع الآخر ، وقد مرت أحداث خامس عشره .

وفى يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة استقر جانِبَك الظاهرى أحد الدوادارية الصغار فى نيابة قلعة دمشق ، بعد عزل الصارمى إبراهيم بن بَيْغُوت .

وفى يوم الخميس تاسع عشرين جمادى الآخرة خرج الحاج الرجبى من القاهرة وأميره علّان الأشرفى ، والعمدة فى الركب المذكور على القاضى زين الدين بن مُزْهر كاتب السر الشريف [1] ، لعظمةٍ سار فيها ، وتجمل زائد إلى الغاية ، وفعل فى هذه السفرة أفعالا جميلة ، حُكيت عنه وشُكرت .

وفى يوم الاثنين حادى عشر [2] رجب أُدير المحمل ، ولعبت الرمّاحة على العادة .

واستهلّ شعبان ، نذكر فيه نادرة ، وهى أن أرباب التقويم كانوا اجتمعوا على أن آخر مدّة الملك الظاهر خُشْقَدَم فى السلطنة تكون إلى ثامن عشر شهر رجب من هذه السنة ، فمضى رجب ولم يحصل للسلطان تكدير ولا نكد مؤلم ، ولا ضعفٌ لزم منه الفراش ، ولا نوعٌ من الأنواع المشوشة ، واستهل شعبان هذا وهو فى أحسن حال ، وأخزى الله هؤلاء الكذبة الفسقة المدعين علم الغيب [3] ، تعالى الله أن يظهر على غيبه إلا من أراد من أصفيائه وأوليائه .

ثم استهلّ شوال يوم الثلاثاء ، ففيه أيضا نكتة نذكرها ، وهى أنه كان فى العام الماضى أول شوال يوم الجمعة ، فتشاءم الناس بذلك على الملك من وقوع خطبتيْن فى نهار واحد ، ولم يقع إلا الخير والسلامة ، فاعتمد على أن هذا الكلام من الهذيان ، وما أعلم الذى قال ذلك ، أوّلاً ما دليله ؟ مع أن الخطبة من أعظم السنن ، ويحصل بها التذكير والخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والخشوع ورقة القلب ، فعلى هذا كلما

(١) ذكرو. پوپر فى هامش ٧ : ٧٤٦ أن عبارة كتاب الحوادث (ناظر ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصرية) ومن هذا يتضح أن مسمى الوظيفتين واحد . كما ذكر « أنه صحب معه صحابة — خيمة — تظلل الفقراء ولهم بها المآكل والمشارب » .

(٢) فى ص « عشره » وهو خطأ لأن الضمير يرجع حينئذ على جمادى الآخرة والمثبت عن ط كاليفورنيا .

(٣) فى ص « المغيبات » والمثبت عن ط كاليفورنيا .

تـكررت فى اليوم تـكرّر الخـير والبركة والأجر ، وما أظن قائل هذا — أولا — إلا رجلا منافقا يكره السنّة والاقتداء بها — انتهى .

وفى يوم الاثنين سابع شوال استقرّ الأمير شرف الدين موسى بن كاتب غريب أستادارا عوضا عن الأمير زين الدين يحيى .

وفى يوم السبت تاسع عشره خرج أمير حاج المحمل بالمحمل ، وهو نانِق الظاهرى وسيباى أمير الركب الأول .

واستهلت سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة

بيوم الأحد ويوافقه تاسع مسرى .

ففى يوم السبت سابعه — الموافق لخامس عشر مسرى — أوفى النيل[1] ، ونزل السلطان الملك الظاهر خُشْقَدَم ، وعدّى النيل ، وخلّق المقياس ، وعاد وفتح خليج السدّ على العادة .

وفى يوم الخميس ثانى عشره ورد الخبر من نائب حلب يَشْبُك البَجَاسى أن شاه سُوار نائب أُبُلُسْتَين خرج عن طاعة السلطان ، ويريد المشى على البلاد الحلبية ، فرسم السلطان فى الحال بخروج نائب طرابُلُس ونائب حماة إلى جهة البلاد الحلبية لمعاونة نائب حلب إن حصل أمر ، ثم عيَّن السلطان تجريدةً من مصر إلى جهات البلاد الحلبية إن ألجأت الضرورة إلى سفرهم ، والذين عينهم فى هذه التجريدة من أمراء الألوف : الأتابَك يَلَباى ، وأمير سلاح قَرْقَماس ، وأمير مجلس تَمُرْبُغا ، وقانِى بَك المحمودى ، ومُغُلْباى طاز المؤيَّدى ، وذكر أنه تعيَّن عدة كبيرة من أمراء الطبلخانات والعشرات ، وألف مملوك من المماليك السلطانية ، هذا والسلطان قد بدأ فيه التوعّك من يوم عاشوراء ، وهذا المرض الذى مات فيه ، ثم لهج السلطان بعزل يَشْبُك البجَاسى نائب حلب وتولية الأمير مُغُلْباى طاز المؤيَّدى المقدَّم ذكره عوضه فى نيابة حلب[2] .

ثم فى يوم الخميس تاسع عشره ورد الخبر بأن إقامة الحاج التى جُهِّزَت من القاهرة أُخذَت عن آخرها ، أخذها مبارك شيخ بنى عُقْبَة بمن كان معه من العرب ، وأنه قَتَلَ جماعة ممن كان مع الإقامة المذكورة ، منهم جارقُطْلُو السّيفى دُولَات باى أحد أمراء آخورية السلطان ، فعظم ذلك على السلطان — وزاد توعّكه — وعلى الناس قاطبة ، وضر أخذ إقامة الحاج غاية الضرر ، وأشرف غالبهم على الموت .

---

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٧٤٧ عن كتاب الحوادث « ستة عشر ذراعا ومن السابع عشر سبعة أصابع » .

(٢) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٧٤٨ عن كتاب الحوادث « ولم يستصوب هذا الرأى أحد لكونه خرج إلى هذا المهم السلطانى ثم يأتيه العزل بغتة فكيف يكون حال العسكر » .

فلما كان يوم الجمعة العشرين من المحرم وصل الحاج الرجبي ، وعظيمُ من كان فيه زينُ الدين بن مُزْهِر كاتب السِّرِّ المقدم ذكره ، وأمير حاج الركب الأول الأمير سَيْباى إلى بركة الحاج معا ، بعد أنْ قاست الحجاجُ أهوالا وشدائد من عدم المِيرَة والعلوفة وقِلَّة الظهر ، ودخل نانِق أمير الحاج من الغد .

فلما كان يوم الاثنين ثالث عشرين المحرم عيَّن السلطان الأمير أُزْبُك رأس نوبة النُّوَب الظاهرى ، والأمير جانِبَك حاجب الحجَّاب الأشرفى المعروف بِقَلْقَسِيز ، وصحبتهما أربعة من أمراء العشرات ، وهم دُولاَت باى الأبو بكرى المؤيَّدى ، وقُطْلُباى الأشرفى ، وتَنبَك الأشرفى ، وتَغْرِى بَرْدِى الطَّيَّارى ، وعِدَّة مماليك من المماليك السلطانية ، لقتال مبارك شيخ عرب بنى عُقْبَة ومَنْ معه من الأعراب ، وكتبَ السلطان أيضا لنائب الكَرَك الأمير بَلاَط ، ونائب غزَّة الأمير إينال الأشقر ، بالمسير إلى جهة الأمير أُزْبُك بعَقَبَة أَيْلَة ، ومساعدته على قتال مبارك المذكور ، وخرج الأمير أُزْبُك بمن عُيِّن معه من القاهرة فى يوم الاثنين سابع صفر .

كل ذلك والسلطان متوعك بالإسهال ، وهو لاينقطع عن الخروج إلى الحوش ، بل يتجلَّد غاية التجلد ، حتى إنه عمل الموكب فى هذا اليوم بالقصر لأجل خروج الأمير أُزْبُك ، وهذا آخر موكب عمله الملك الظاهر خُشْقَدَم بالقصر السلطانى .

فلما كان يوم الخميس عاشر صفر أُرجف بموته ، وأُشيع ذلك إشاعة خفيفة فى أَلْسِنَةِ العوام .

فلما كان يوم الجمعة حادى عشره خرج السلطان الملك الظاهر خُشْقَدَم إلى صلاة الجمعة من باب الحريم ماشيا على قدميه من غير مساعدة ، وعليه قماش الموكب الفوقانى ، والسيف والكَلَفْتاة على العادة ، وصلى الجمعة وسُنَّتَها قائما على قدميه ، هذا وقد أخذ منه المرض الحدّ المؤلم ، وهو يستعمل التجلُّد وإظهار القوة ، إلى أن فرغت الصلاة ، وعاد إلى الحريم ماشيا أيضا ، ولكن القاضى الشافعى أسرع فى الخطبة والصلاة إلى الغاية حسبما كان أشار إليه السلطان بذلك ، بحيث إن الخطبة والصلاة كانتا على نحو ثلاث درج رمل وبعض دقائق .

فلما عاد السلطان من الصلاة إلى الحريم سقط مغشيا عليه لشدة ماناله من التعب وعظم التجلد ، وهذه أيضا آخر جمعة صلاها ، ولم يخرج بعدها من باب الحريم لا لصلاة ولا إلى غيرها ، وصارت الخدمة بعد ذلك فى الحريم بقاعة البَيْسَرِية[1]

ثم أصبح السلطان فى يوم السبت ثانى عشره رسم بالمناداة بشوارع القاهرة بأن أحداً لايخرج بعد صلاة المغرب من بيته ولا يفتح سُوقِىٌّ دكانه ، وهدّد من خالف ذلك، فلم يلتفت أحد إلى هذه المناداة ، وعُلِم أن المقصود من هذه المناداة عدم خروج المماليك فى الليل ، وتوجه بعضهم لبعض لإثارة فتنة .

وفى هذه الأيام ورد الخبر من دمشق بأن الأمير بُرْدبَك نائب الشام خرج من دمشق بعساكرها فى آخر المحرم إلى جهة حلب لمعاونة نائب حلب على قتال شاه سُوار .

ثم فى يوم الاثنين رابع عشر صفر عمل السلطان الخدمة بقاعة البَيْسَرِيّة من الحريم السلطانى ، لضعفه عن الخروج إلى قاعة الدهيشة ، وحضرت الأمراء المقدمون وغيرهم الخدمة السلطانية بالبَيْسَرية ، ولكن بغير قماش ، وعلَّم السلطان على عدة مناشير ومراسيم دون العشرين علامة ، ولكن ظهر عليه المرض ، لكنه يتجلد ويقوم لمن دخل إليه من القضاة والعلماء .

فلما كان يوم الجمعة ثامن عشره لم يشهد[2] فيه صلاة الجمعة وصلَّتْ الأمراء بجامع القلعة على العادة ، وبعد أن فرغت الصلاة دخلوا عليه وسلَّمُوا عليه ، واستوحشوا منه ، وجلسوا عنده إلى أن أسقاهم مشروب السّكر ، وانصرفوا .

ثم فى آخر يوم الاثنين حادى عشرينه وجَدَ السلطانُ فى نفسه نشاطا ، فقام وتمشّى

(١) القاعة البيسرية : أنشأها الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون خلال عام ٧٦٩ هـ . وعمل لها من الفرش والبسط مالا تدخل قيمته تحت حصر ، وعمل بها تسعا وأربعين ثريا من الفضة الخالصة، كلها مطلية بالذهب ، وعمل بها برجا من العاج والأبنوس يبيت فيه . وانظر وصفها فى (المقريزى الخطط ٢ : ٢١٩-٢٢١)

(٢) فى ص « لم يخرج فيه لصلاة » والمثبت عن ط كاليفورنيا.

خطوات فتباشر الناسُ بعافيته ، كل هذا وهو مستمرٌ فى أول النهار وفى آخره يعلّم على المناشير والمراسيم ، لكن بحسب الحال ، تارة كثيرا ، وتارة قليلا .

فلما كان يوم الجمعة خامس عشرينه لم يحضر السلطان فيه الصلاة أيضا لثقله فى المرض ، ودخلوا إليه الأمراء بعض صلاة الجمعة ، وجلسوا عنده ، وفعل معهم كفعله فى الجمعة الماضية .

واستهل شهر ربيع الأوّل يوم الخميس والسلطان ملازم للفراش ، والناس فى أمر مريج من توقف الأحوال ، لاسيما أرباب الحوائج الواردون من الأقطار ، هذا وجميع نُوّاب البلاد الشامية قد خرجوا من أعمالهم إلى البـــلاد الحلبية ، لقتال شاه سُوار ابن دُلْغَادِر ، ماخلا جَكَم نائب صَفَد ، ونائب غزّة قد خرج أيضا إلى جهة العَقَبَة لقتال مبارك شيخ عرب بنى عُقْبَة ، فبهذا المقتضى خلا الجو للمفسدين وقُطّاع الطريق وغيرهم بالدرب الشامى والمصرى ، ومع هذا فالفتنُ لم تزل قائمةً بأسفل مصر الشرقية والغربية ، وأيضا بأعلى مصر ، الصعيد الأدنى والأعلى ، وتزايد ذلك بطول مرض السلطان .

وبينما الناس فى ذلك ورد الخبر من يَشْبُك من مهدى الظاهرى الـكاشف بالصعيد أن يونس بن عمر الهوّارى خرج عن طاعة السلطان ، وقاتل يَشْبُك المذكور ، وقتل من عسكره عِدّة كبيرةً وانـكسر يَشْبُك منه بعد أن جُرِح فى بدنه ، ثم أنهى يَشْبُك أنه يريد ولاية سليمان بن الهوّارى عوضا عن ابن عمه يونس ، وأنه يريد نجدةً كبيرة من الديار المصرية ، فرسم السلطان فى الحال بولاية سليمان بن عمر ، وتوجّه إليه بالخلعة قَجْماسُ الظاهرى ، ورسم السلطان بتعيين تجريدة إلى بلاد الصعيد .

فلما كان يوم السبت ثالثه عيّن السلطانُ التجريدة المذكورة إلى بلاد الصعيد ، وعليها الأمير قَرْقَماس الجَلَب الأشرفى أمير سلاح ، ويَشْبُك من سلمان شاه الفقيه الدّوادار الـكبير ، ومن أمراء العشرات خمسة نفر : قَلَمْطاى الإسحاقى ، وأَرْغون شاه أستادار الصحبة ، ويَشْبُـك الإسحاقى ، وأيدكى ، ويَشْبُـك الأشقر ، والخمسة أشرفية ،

وجماعة كبيرة من المماليك السلطانية أشرفية كبار وأشرفية صغار ، ونزل الأمير نقيب الجيش إلى المعينين ، وأمرهم على لسان السلطان بالسفر من يومهم إلى الصعيد ، فاعتذروا بعدم فراغ حوائجهم ؛ لـكون الوقت يوما واحدا .

فلما كان آخر هذا النهار أُرجف بموت السلطان فماجت الناس ، وكثر الهرج بشوارع القاهرة ، ولبس بعضُ المماليك آلة الحرب ، فاستمرت الحركة موجودة فى الناس إلى قريب الصباح .

وأصبح فى يوم الأحد رابع ربيع الأوّل والسلطان فى قيد الحياة ، غير أنه انحطّ فى المرض انحطاطا يشعر العارف بموته ، ونودى فى الحال بالأمان والبيع والشراء ، ودقّت البشائر بعافية السلطان فى باكر النهار وفى آخره أياما كثيرة ، وصار السلطان أمره إلى التلف وهم على ذلك .

فلما كان عصر نهار الأحد المذكور نزل الأمير تَنِبَك المعلم الأشرفى الرأس نوبة الثانى إلى الأمير قَرْقَماس أمير سلاح على لسان السلطان وأمره بالخروج إلى السّفر من وقته بعد أن ذكر له كلاما حسنا من السلطان ، فخرج قَرْقَماس من وقته ، وكذلك يَشْبُك الفقيه الدّوادار ، وتبعهما من بقى ممن عُيِّن إلى السفر ، ونزلوا إلى المراكب ، ووقفوا بساحل النيل ينتظرون من عُيِّن معهم من المماليك السلطانية فلم يأتهم أحد ، كل ذلك والسلطان صحيح الذهن والعقل ، يفهم الـكلام ويحسن الرد ، وينفذ غالب الأمور ، ويولى ويعزل ، والناس لا تصدّق ذلك ، وأنا أشاهده بالعين ، هذا والسلطان يستحثّ من نُدب إلى الصعيد بالسّفر فى كل يوم .

وأصبح السلطان فى يوم الاثنين على حاله ، وحضر عنده بعض أمراء ، وعلّم على دون عشرة مناشير ومراسيم ، وهو فى غاية من شدة المرض ، فلما نجزت العلامة استلقى على قفاه ، فرأيتُ وجهه كوجه الأموات ، وانفضّ الناسُ وخرجوا ، فلما كان بعد الظهر طَلَع إلى السلطان بعضُ أمراء الألوف والأعيان ، وسلّم عليه ، فشكا إليه السلطان ما أشيع عنه من الموت ، ثم قال : أنا ما أموت حتى أموِّت خلائق ، وأنا أعرف مَنْ

أشاع هذا عنى ، يعنى بذلك الأشرفية الكبار والأشرفية الصغار ، قلتُ : قد عرَّفتُ الأشرفية الكبار والأشرفية الصغار وأمرها وما وقع فى مرض السلطان من أوّله إلى آخره فى تاريخنا « الحوادث » ، وليس ما نذكر هنا إلا علم خبر لا غير — انتهى .

ثم طلع القاضى كاتبُ السِّرِّ بعد ظهر يوم الأحد المذكور وأحضر آلة العلامة ، فلم يطق السلطانُ أن يعلِّم شيئاً ، وقيل : إنه علَّم على أربعة مناشير ، وقيل غير ذلك ، وقيل إنه لم يطق الجلوس إلا بشدّة ، هذا مع التجلد الذى لا مزيد عليه ، وكان هذا دأبه من أوّل مرضه إلى أن مات — التجلد وعدم إظهار العجز — ولله دره ما كان أجلده .

وبات السلطانُ فى تلك الليلة على حاله ، والناس فى أمره على أقوال كثيرة ، هذا وهو يستحث على سَفَرِ الأمراء المعينين إلى الصعيد ، والقصاد منه ترد إليهم ، وهم يعتذرون عن السفر بعدم حضور من عُيِّن معهم من المماليك السلطانية ، فيأمر بالمناداة بسفرهم ، فلم يخرج أحد .

فلما كان صبيحة يوم الثلاثاء سادسة طلع الأميرُ الكبير يَلَباى إلى السلطان ومعه خُجْدَاشُه قانى بك المحمودى ، وجانِبَك كوهيّة ، والثلاثة أمراء ألوف مؤيديّة ، فلما دخلوا على السلطان لم ينهض إليهم للجلوس ، بل استمر على جنبه ؛ لشدة مرضه ، وشكا إليهم ما به ، فتألموا لذلك ودعوا له ، ثم أمر السلطان وهو على تلك الحالة أن ينادى بسفر العسكر إلى الصعيد ، ثم خلع على يوسف بن قُطَيْس أُستادار السلطان بدمشق بمشيخة نابُلُس ، وخرج الناس من عند السلطان ، ولم يعلِّم شيئا ، وهذا أوّل يوم منع السلطان فيه العَلاَمة من يوم مرض إلى هذا اليوم .

وأصبح يوم الخميس ثامنه وقد اشتدّ به المرض ، ويئس الناس منه ، وكذلك يوم الجمعة ، ولكن عقله واعٍ ، ولسانه طلق ، وكلامه كلام الأصحاء .

وأصبح يوم السبت عاشر شهر ربيع الأول وهو فى السياق ، فلما كان ضحوة النهار المذكور حدثت أمور ذكرناها فى تاريخنا « الحوادث » ، واجتمع الأمراء الأكابر بمقعد الإسطبل السلطانى عند الأمير آخور الكبير ، والأمير آخور المذكور حسٌ بلا

معنى ، ليس له فى المجلس إلا الحضور بالجثة ، وجلس الأتابك يَلَباى فى صدر المجلس وبإزائه الأمير تمرْبُغَا أمير مجلس ، وهو متكلِّمُ القوم ، ولم يحضر قَرْقَماس أمير سلاح لإقامته بساحل النيل كما تقدَّم ، وحضر جماعةٌ من أمراء الألوف وكبير الظاهرية الخُشْقَدَمِيَّة يوم ذاك خير بك الدَّوادار الثانى ، وأخذوا فى الكلام إلى أن وقع الاتفاق بينهم على سلطنة الأتابك يَلَباى ، ورضى به عظيم الأمراء الظاهرية الكبار الأمير تَمُرْبُغَا أمير مجلس ، وكبير الظاهرية الصغار الخُشْقَدَمِيَّة خير بك الدَّوادار ، وجميع من حضر ، وكان رضاء الظاهرية الكبار بسلطنة يَلَباى بخلاف الظَّن ، وكذلك الظاهريّة الصغار .

ثم تكلَّم بعضهم بأن القوم يريدون من الأمير الكبير أن يحلف لهم بما يطمئن به قلوبهم وخواطرهم ، فتناول المصحف الشريف بيده ، وحلف لهم يمينا بما أرادوه ، ثم حلف الأمير تَمُرْبُغَا أمير مجلس ، وشَرْحُ اليمين وكيفيتهُ معروفة ، فإنه يمين لتمشية الحال ، وأرادوا خير بك أن يحلف ، فقال ما معناه : « نحن نخشاكم خلّفناكم ، فنحن نحلف على ماذا ؟ » .

ثم انفضَّ المجلس ونزل الأتابك يَلَباى إلى داره وبين يديه وجوه الأمراء ، ولم يحضر الأمير قَايتباى الظاهرى معهم عند الاتفاق واكتفى عن الحضور بكبيرهم الأمير تَمُرْبُغَا الظاهرى ، كل ذلك قبل الظهر بيسير ، فلم يكن بعد أذان الظهر إلا بنحو ساعة رمل لاغير ومات السلطان بقاعة البَيْسَرِية ، بعد أذان الظهر بدرجات ، وفى حال وفاته طلعت جميع الأمراء إلى القلعة ، وأخذوا فى تجهيز السلطان الملك الظاهر خُشْقَدَم رحمه الله تعالى ، وغسلوه وكفنوه ، وصلوا عليه بباب القُلَّة من قلعة الجبل ، كل ذلك قبل أن تبايع العساكر يَلَباى المذكور بالسلطنة كما سنذكره فى سلطنة الأتابك يَلَباى ، وهذا الذى وقع من تجهيز السلطان وإخراجه قبل أن يتسلطن سلطان بخلاف العادة ، فإن (١ العادة جرت أنه ١) لا يجهّز سلطان إلا بعد أن يتسلطن سلطانٌ غيره ، ثم يأخذون بعد ذلك فى تجهيزه — انتهى

(١–١) فى ص « ولأن العادة جرت أن لا يجهز » والمثبت عن ط كاليفورنيا .

ولما صُلِّى عليه بباب القُلّة ، وحُمِل نَعْشُه ، وعلى نعشه مُرَقَّعَة الفقراء ، ساروا به إلى أن أنزلوه من باب المدرج ، ولم يكن معه كثير خلق ، بل جميع من كان معه أمام نعشه ، وحوله وخلفه من الأمراء والخاصكية دون العشرين نفرا ، والأكثر منهم أجناد ؛ فإنه لم ينزل معه أحد من أمراء الألوف كما هى العادة ، ولا أحد من المباشرين غير الأمير شرف الدين بن كاتب غريب الأستادار وجماعة من أمراء الطبلخانات والعشرات ، وساروا به وقد ازدحمت الناس والعوام حول نعشه ، إلى أن وصلوه إلى تربته ومدرسته التى أنشأها بالصحراء بالقرب من قبة النَّصر ، ودُفِنَ بالقبة التى بالمدرسة المذكورة ، وحضرتُ أنا دفنه — رحمه الله تعالى — ولم تتأسف الناس عليه يوم موته ذالك التأسُّف العظيم ، لكن تأسّفوا عليه بعد ذلك تأسّفا عظيما لما تسلطن بعده الأتابك يلبَاى ، بل عظم فقده عند سلطنة يَلَباى على الناس قاطبة .

ومات الملك الظاهر خُشْقَدَم — رحمه الله تعالى — وسنه نحو خمس وستين سنة تخمينا ، هكذا أملى علىّ من لفظه بعد سلطنته .

وكان الملك الظاهر خُشْقَدَم — رحمه الله تعالى — سلطانا جليلا عظيما ، عاقلا مهابا ، عارفا صبورا ، مدبرا سيوسا ، حشما متجملا فى ملبسه ومركبه وشأنه إلى الغاية ، بحيث إنه كان لا يعجبه من البعلبكى الأبيض إلا ما تزيد قيمته على ثلاثين دينارا ، فما بالك بالصوف والسمُّور وغير ذلك ، وكان يقتنى من كل شىء أحسنه ، وكان مع هذا التأنق لائقا فى شكله وملبسه ومركبه ، نشأ على ذلك عمره كله ، أعرفه جنديا إلى أن صار سلطانا ، وهو متجمل فى ملبسه على ما حكيناه .

وكان مليح الشكل للطول أقرب ، أعنى معتدل القامة ، نحيف البَدَن ، أبيض اللون ، تعلوه صفرة ذهبية حسنة ، كبير اللحية ، تضرب إلى شُقْرة ، قد شاب أكثرُها ، حسن فيها ، وكان رشيق الحركات ، خليقا للمُلْك ، عارفا بأنواع الملاعيب ، كالرمح والكُرة ، وسَوْق المحمل ، له عمل كبير فى ذلك أيام شبوبيّته ، وله مشاركة فى غير ذلك من أنواع الملاعيب جيدة .

وكان له إلمام ببعض القراءات ، ويبحث مع الفقهاء ، وله فهم وذوق بحسب الحال ، وكان كثير الأدب ، ويجلُّ العلماء ويقومُ لغالبهم إن قدم أحد منهم عليه ، مع حشمة كانت فيه وأدب فى كلامه ولفظه ، وكان يتكلم باللغة العربية كلاما يقارب الفصاحة على عُجْمَةٍ كانت فى لسانه قليلة ، وذلك بالنسبة إلى أبناء جنسه .

وكان يميل إلى جمع المال ويشره فى ذلك من أى وجه كان جمعه ، وله فى ذلك أعذار كثيرة مقبولة وغير مقبولة ، وعظم فى أواخر عمره من سلطنته ، وضخم وكبرت هيئته فى قلوب عساكره ورعيته لبَطْنٍ صار فيه ، وإقدام على المهولات مع دربة ومعرفة فيما يفعله ، فإن كان المسىء ممن يتلافى أمره زجره ولقنه حجته بدربة ولباقة ، وإن كان ممن لا يخاف عاقبته قاصصه بما يردع به أمثاله ، من الضرب المبرح والنفى ، وعُدَّ ذلك من معايبه ، بقول من قال : « القوة على الضعيف ضعف فى القوة » .

ومن ذلك أيضا أنه كان فى الغالب يقدم على مايفعله من غير مشورة ولا تَأَنٍ ، ولهذا كانت أموره تنتقض فى بعض الأحيان ، بل فى كثير من الأحيان ، ومما كان يعاب به عليه إمْسَاكُه ، وتشويشُ المماليك الذين كان اشتراهم فى أيام سلطنته الأجلاب ، مع أنه — رحمه الله تعالى — كان كثيرا ما ينهاهم عن أفعالهم القبيحة ، ويردع بعضهم بالحبس والضرب والنفى وأنواع النَّكَال ، وهذا بخلاف من كان قبله من الملوك ، وكان له عذر مقبول فى إنشائه هذه المماليك الأجلاب ، لا ينبغى لى ذكره ؛ يعرفه الحاذق ، ومن كل وجه فالمالُ محبوبٌ على كل حال ، وبالجملة إنه كانت[1] محاسنه أضعاف مساوئه ، وأيامه غرر أيام ، لولا ما شَانَ سؤْدُدَه وممالكه[2] ، ولله در القائل :

[الطويل]

ومن ذا الذى تُرْضى سجاياهُ كلُّها   كَفَى المرء نخراً أن تُعَدَّ معايبُه[3]

وعلى كل وجه هو من عظماء الملوك وأجلَّائهم وأخفهم وطأة ، مع شدة كانت فيه

---

(١) فى الأصول (كان) .

(٢) فى ص (ومماليكه) وما هنا من ط كاليفورنيا وبه يستقيم المعنى .

(٣) وهو فى جامع الشواهد ∴ كفى المرء نبلا أن تعد معايبه . ولم يسم قائله .

ولين ، وتكبر واتضاع ، وبخل وكرم ، فمن أصابه شرُّه يلجأ لله ، ويجعل أجره على الله تعالى ، ومن أمطره خيرُه ورِفْدُه فليترحّم عليه ، وأنا ممن هو بين النوعين ، لم يطرقني شرّه ولا أمطرني خيرُه ، غير أنه كان معظما لي ، وكلامي عنده مقبول ، وحوائجي عنده مقضية ، وما قلتُه فيه فهو على الإنصاف — إن شاء الله تعالى — وبعد كل شيء ، فرحمه الله تعالى ، وعفا عنه .

وكانت مدة سلطنته على مصر ستّ سنين وخمسةَ أشهر واثنين وعشرين يوماً بيوم سلطنته — انتهى .

السنة الأولى(١)

من سلطنة الملك الظاهر خشقدم

على مصر

وهى سنة خمس وستين وثمانمائة :

على أن السنة المذكورة حكم فيها ثلاثة ملوك .

حَكَمَ الأشرفُ إينال من أوّلها إلى أن خلع نفسه ، وولى ولده الملك المؤيَّد أحمد فى يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة ، ومات من الغد فى يوم الخميس ، وحكم ولدُه الملكُ المؤيّدُ أحمد من رابع عشر جمادى الآخرة إلى يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان .

ثم حكم فى باقى السنة الملك الظاهر خُشْقَدَم إلى آخرها .

فيها تُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين سُودُون بن عبد الله الإينالى المؤيَّدى المعروف بقَرَاقاش حاجب الحجاب بجزيرة قُبْرُس فى الغزاة من غير جراح ، بل مرض نحو عشرة أيام ، ومات فى أول المحرم ، وقد عرفنا أحواله فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » ، وأيضاً فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » بما فيه كفاية عن ذكره ثانيا هنا ، ومات وقد زاد سنُّه على الستين ، وكان مخلّطا فى أموره ، يقبل المدح والذم .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين جانِبَك بنُ عبد الله النَّوْرُوزى ، أحـــد أمراء الطبلخانات ، ونائب الإسكندرية بها فى يوم السبت مستّهل صفر وقد ناهز الثمانين من العمر ، وكان من مماليك الأمير نَوْرُوز الحافظى المتغلب على دمشق ، وولى أيام أستاذه

---

(١) فى ص (ذكر السنة) والمثبت عن ط كاليفورنيا ويتفق مع ما سار عليه الكتاب فى العناوين .

نيابة بعلبك ، ولهذا كان يعرف بنائب بعلبك ، وكان من خيار أبناء جنسه ، كان شجاعا مقْداما كريما متواضعا ، ديِّنًا خيِّراً ، قلّ أن ترى العيونُ مثله .

وتُوُفِّيَ الشيخ الصالح الزاهد العابد المعتقد عمر اليمنى[1] نزيل مكة فى سَحَر ليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع الأوّل بمكة ، ودُفن بمقابر باب شبيكة ، وكان فرداً فى كثرة العبادة والزهد ، وقد سألت عنه بمكة من صاحبنا القدوة أحمد القوّى ، أعاد الله علينا من بركاته فقال : « هذا يُشَبَّهُ بعُبَّاد بنى إسرائيل » .

وتُوُفِّيَ الشيخُ الإمامُ العالم العلّامة أبو الفضل محمد بن أبى القاسم المشدَّالِى البِجائى[2] المغربى المالكى غريبا ببعض أعمال حلب ، وهو فى الكهولية ، وكان إماما فى المعقول والمنقول ، وشهرته القوية بالأول ، كان إماما فى النحو والمنطق وعلم المعانى والبيان والأصلين والطب والحكمة وعلوم الأوائل ، وكان إذا حقق مسألة فقهية كان إلى كلامه المنتهى ، وبالجملة إنه كان نادِرَةً من النَّوَادر — رحمه الله .

وتُوُفِّيَ الشيخُ الإمامُ العالم الفقيه عزُّ الدين محمد بن محمد بن عبد السلام[3] أحد نواب الشافعية ، فى ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الآخر ، وكان آخر من حضر دروس الشيخ سراج الدين عمر البُلْقينى — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيَ السلطانُ الملك الأشرفُ سيف الدين أبو النصر إينال العلائى ثم الظاهرى سلطان الديار المصرية فى يوم الخميس خامس عشر جمادى الأولى وقد تقدّم ذكره .

وتُوُفِّيَ جمالُ الدين جميلُ بن أحمد بن عميرة بن يوسف المعروف بابن يوسف ، شيخ العرب ببعض إقليم الغربية والسخاوية بالوجه البحرى ، فى جمادى الأولى وقد جاوز الستين .

(١) هو عمر بن أبى بكر بن أحمد العدنى اليمانى ويعرف بالمسلى (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ١٤٦) .

(٢) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ١٨٠ — ١٨٨) وولد سنة إحدى أو اثنتين وعشرين وثمانمائة .

(٣) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ١٠٦ — ١٠٨) وولد سنة ٧٧٥ ﻫ .

وتُوُفِّىَ الزينى مَرْجانُ بن عبد الله الحصنى الحبشى الطواشى ، مقدَّم المماليك السلطانية ، فى آخر يوم الأحد ثانى جمادى الآخرة ، ودُفن من الغد ، وقد ناهز الستين من العمر ، كان وضيعا فى مبدأ أمره ، وقاسى خطوب الدهر ألوانًا وتغرّب واحتاج فى غربته إلى التكدِّى والسؤال ، ثم حسنت حاله ، وخدم عند خلائق من الأمراء ، إلى أن تحرّك له بُعَيْضُ سعد ، وترَقَّى إلى أن وَلِىَ نيابةَ المقدم ، ثم التَّقْدمة ، فلما ولى لم يراعِ النعمة ، بل أخذ فى الإسراف على نفسه فما عفّ ولا كفّ ، ودام على ذلك إلى أن مات ، وعلى كل حال فمستراح منه ، وهو ممن يقال فى حقه : « يأكل ما كان ويضيق بمكان » .

وتُوُفِّى الوزيرُ الصاحبُ سعدُ الدين فرج ابن مجد الدين ماجد بن النحّال القبطى المصرى بطّالا بالقاهرة ، فى ليلة الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة ، وقد جاوز الستين من العمر ، بعد أن ولى كتابة المماليك والوَزَر والأستادارية غير مرة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين كُزُل بن عبد الله السُّودونى المعلِّم ، أحد أمراء العشرات فى يوم السبت ثانى عشرين جمادى الآخرة ، ودفن من الغد بتربته التى أنشأها بالصحراء ، وسنه نحو التسعين سنة تخمينا ، وقد انتهت إليه رئاسة الرُّمْح وتعليمه فى زمانه ، وكان أصله من مماليك سيّدى سودُون نائب الشام قريب الملك الظاهر بَرْقُوق ، وقد ذكرنا من أمره نبذة فى ترجمة الملك الظاهر فى « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأميرُ زينُ الدين فَيْرُوز بن عبد الله الطواشى الرومى النَّوْرُوزِى الزّمام والخازندار ، فى يوم الخميس رابع عشرين شعبان ، وقد شاخ وجاوز الثمانين من العمر ، وكان من عتقاء الأمير نَوْرُوز الحافظى نائب الشام ، ثم وقع له بعد موت أستاذه مِحَنٌ وخطوب ذكرناها فى غير موضع من مصنفاتنا ، وليس هذا المحل محل إطناب فى التراجم ، وإنما هو إخبار بما وقع وحدث على سبيل الاختصار فى هذه الترجمة وغيرها ، ومات فَيْرُوز هذا بعد مرض طويل ، ودُفن بتربته التى أنشأها بالصحراء ، وخلَّف مالا

كثيرا لم يظفر السلطان إلا ببعضه ، وهو نحو المائة ألف دينار أوأزيد ، وكان رأسا فى البخل والشُّح ، يمشى من طبقته بقلعة الجبل إلى السلطان بالدهيشة ، وإذا صلى الفريضة صلى جالسا إن صلى .

وتُوُفِّى الأميرُ شرفُ الدين يونس الأَقْبائى الدّوادار الكبير بعد مرض طويل فى يوم الأربعاء ثانى عشرين شهر رمضان ، ودُفِن من يومه بتُرْبَتِهِ التى أنشأها بالصَّحراء ، وقد جاوز الستين من العُمْر ، ولم يخلف بعده مثله سؤددا وكرما ، وحشمة وشجاعة ورئاسة ، وبالجملة إنه كان به تجمل فى الزَّمان — رحمه الله تعالى — وكان أصله من عتقاء الأمير آقباى المؤيَّدى نائب الشام ، حسبما ذكرنا محاسنه فى غير موضع من تواريخنا .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين سودون بن عبد الله الأبو بكرى المؤيدى أتابَك حلب بها فى أواخر شهر رمضان ، وهو مناهز الستين من العُمْر ، وأصله من عُتقاء الملك المؤيَّد شَيْخ ، وقد ولى أتابَكية حلب غير مرّة ، وولى فى بعض الأحيان نيابة حماة ، ثم نقل إلى تقدمة ألف بدمشق ، ثم إلى أتابَكية حلب ، وكان عاقلا حشما ، حسنة من حسنات الدنيا .

وتُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدين خُشْكَلْدى بن عبد الله الكوجكى ، أحد أمراء طرابُلُس ، فى أواخر شهر رمضان ، وكان له شهرة ، وولى نيابة حمص فى وقت من الأوقات .

وتُوُفِّى الوزيرُ تاجُ الدين بن عبد الوهاب ابن الشمس نصر الله ابن الوجيه توما القبطى الأَسْلَمى ، الشهير بالشيخ الخطير — وهو لَقَبٌ لوالده نصر الله — بعدما شاخ ، فى يوم الأربعاء خامس ذى القعدة ، وكان معدودا من الكتبة ، وباشر الوَزَر بعجز ، لكنه كفَّ عن المظالم ، فهو أحسن الوزراء سيرة — والسّداد مُيَسَّر .

وتُوُفِّى قاضى القضاة ولِىُّ الدين أحمدُ ابن القاضى تقى الدين ابن العلاَّمة بدر الدين محمد ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البُلْقينى[1] الشافعى ، قاضى قضاة دمشق مَعزولاً

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٢ : ١٨٨ — ١٩٠) .

بها ، بعد مرض طويل ، فى ذى القعدة ، ومولده بالقاهرة فى سنة أربع عشرة وثمانمائة ، وكان — رحمه الله تعالى — عالما فاضلا ذكيا ، فصيح العبارة ، مستقيم الذهن ، طلق اللسان جهورى الصوت ، مليح الشكل ، خطيبا بليغا مفوها ، كثير الاستحضار للشعر وأنواعه ، نادرة فى أقاربه وأبناء جنسه ، إلا أنه كان قليل الحظ عند الملوك والأكابر ، كما هى عادات الدّهر من تقديم الجهلاء وتأخير الفضلاء .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين خيربك بنُ عبد الله النَّوْرُوزِى بعد عزله عن نيابة صَفَد وتوجهه إلى دمشق أميرا بها ، وكان يلى المناصب الجليلة بالبذل لعدم أهليته ، فإنه كان لا للسيف ولا للضيف .

وتُوُفِّىَ الشيخُ المعتقدُ الصالحُ المجذوبُ أحمد السطوحى ، المعروف بالشيخ خروف[1]، فى يوم السبت سابع ذى الحجة ، ودفن بزاويته عند جامع مَلِكْتَمُر الشَّيْخونى ، المعروف بالجامع الأخضر بطريق بولاق ، وكان للناس فيه اعتقاد ، وكان يعجبنى حاله فى المجاذيب — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ القاضى أفضلُ الدين محمود بن عمر[2] القرْمى الأصل ، الحنفى الفقيه المشهور ، أحد نُوَّاب الحُكْم الحنفية بالديار المصريّة ، وهو عائد من مجاورته بمكة بالقاع الكبير ، فى ليلة الثلاثاء سابع عشر ذى الحجة ، وحمل إلى منزلة بَدْر فدُفن بها ، وهو فى عشر السبعين ، وكان معدودًا من فقهاء السّادة الحنفية ، وله اشتغال قديم ، وفضل ومشاركة ، وناب فى الحكم زيادةً على ثلاثين سنة ، مع أدب وحشمة .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديمُ ستة أذرع ونصف ، مبلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وواحد وعشرون إصبعا ، وثبت إلى أيام من توت ، ومع هذا الثبات شرق بلاد كثيرة من عدم إتقان الجسور — ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

---

(١) هو أحمد بن خضر المقسى السطوحى ويعرف بخروف (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ٢٩٢) .

(٢) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ١٤٢ — ١٤٣) .

السنة الثانية

من سلطنة الملك الظاهر خشقدم

على مصر

وهى سنة ست وستين وثمانمائة :

فيها تُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين بِيبرس بن أحمد بن بقر ، شيخ العُرْبان بالشَّرْقية من أعمال القاهرة بالوجه البحرى ، وقد ناهز السبعين من العُمْر ، فى يوم الأربعاء مستهل صفر بالقاهرة ، وكان مشكور السّيرة نادرة فى أبناء جنسه — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الشيخُ الرَّبانىُّ الصُّوفىُّ المعتقد أبو عبد الله محمد الفوىّ [1] الشافعى ، نزيل القاهرة بها ، فى ليلة السبت سلخ شهر ربيع الأول ، وهو فى الثمانين تخمينا ، ودفن من الغد بالصحراء ، وكان من تلامذة الشيخ المسلك إبراهيم الإدكاوى ، وخدم غيره أيضا من الصالحين ، وكان رحمه الله تعالى أحد من أدركنا من أرباب الصلاح والخير — عفا الله تعالى عنه .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين قانى بَاى بن عبد الله الچاركسى الأمير آخور الكبير — كان — بثغر دِمياط بَطّالا فى يوم السبت رابع عشر شهر ربيع الآخر ، وحُمل ميتا من دِمياط إلى القاهرة ، فغُسّل بها وكُفن وصلى عليه بمصلاة المؤمنى ، وحضر السلطان الملك الظاهر خُشْقَدَم الصلاة عليه ، ودُفن بتربته التى جددها وبناها بالقرب من دار الضيافة [2] ، وكان أستاذه الأمير چاركس القاسمى المصارع مدفونا بها ، ومات قانى بَاى هذا وقد ناهز الثمانين من العمر ، وكان أصله من مماليك الأتابك يَشْبُك الشعبانى ، وأنعم به على الأمير چاركس القاسمى المصارع ، فأعتقه چاركس ، واستمر بخدمته إلى أن قتل فى سنة عشر وثمانمائة ، وصار من جملة المماليك السلطانية ، ثم صار

(١) هو محمد بن أحمد بن أبى بكر الفوى ، ولد قبل التسعين وسبعمائة (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ٣٠٠) .
(٢) انظر التعريف بها فى ج ١١ : ٢٠١ ت ٢ من هذا الكتاب طبعة دار الكتب .

خاصكيا بعد موت الملك المؤيد شَيْخ ، وعاش على ذلك دهراً طويلا ، إلى أن صار أمرُ المُلك إلى الملك الظاهر جَقْمَق فى دولة الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف بَرْسْبَاى وأنعم عليه بإمرة عشرة ؛ لكونه من مماليك أخيه جاركس القاسمى ، وكان جاركس أكبر فى السن من أخيه الملك الظاهر جَقْمَق ، فلم يكن إلا مُدّة يسيرة وتسلطن الملك الظاهر جَقْمَق ، وقرّب قانى باى هذا ورقّاه ، وجعله شاد الشراب خاناه ، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف ، ودام على وظيفته وهو من جملة المقدمين ، ثم جعله دواداراً كبيراً ، ثم أمير آخور كبيراً ، ونالته السعادةُ ، وعظم فى الدولة الظاهرية حسبما ذكرنا أموره مفصلة فى تاريخنا « الحوادث » ، ودام على ذلك إلى أن مات الملك الظاهر جقمق وتسلطن ولده الملك المنصور عثمان ، وخرج عليه الأتابَك إينَال العلائى وتسلطن عوضه ، فأمسك قانى بَاى هذا وحبسه بالإسكندرية سنين كثيرة إلى أن أخرجه الملك الظاهر خُشْقَدَم فى أول سلطنته وسيَّره إلى دِمياط بطّالاً ، فدام بها إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وكان خيِّراً ديِّناً سليم الباطن مع طيش وخفة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الأميرُ سيفُ الدين تَمُرْبَاى بن عبد الله من حمزة الناصرى المعروف بتَمُرْبَاى طَطَر ، أحد مقدمى الألوف ، فى ليلة السبت ثامن عشرين جمادى الآخرة وقد ناهز الثمانين ، وكان تركى الجنس من مماليك الملك الناصر فرج ، ونزل به الدهر ، ثم عاد إلى بيت السلطان وترقى ثانيا إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف فى دولة الملك الظاهر خُشْقَدَم ، وكان من المهملين المساكين .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين جانبك بنُ عبد الله الجَكَمِى نائب مَلَطْيَة بها فى شهر ربيع الآخر وقد أسنّ ؛ لأنه من مماليك الأمير جَكَم من عوض نائب حلب — كان .

وتُوُفِّىَ غَيْثُ بن نَدَى بن نصير الدِّين ، شيخ العربان بأحد جهات إقليم مصر [1] ، ودُفِنَ خارج القاهرة فى يوم الاثنين خامس شهر رجب ، وكان موته بعد قتل ابنه

(١) فى هامش و. پوپر ٧ : ٧٧٢ عن T « جهة الغربية » .

حمزة وسلخه باثنين وعشرين يوما ، ومُستَرَاح منه ومن ابنه حمزة — ولله الحمد على موتهما .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين حاج إينال اليَشْبُكى نائب حلب بها فى ليلة الخميس سابع عشرين شعبان بحلب ، ودفن فى يوم الخميس ، وقد قارب الستين من العمر أو جاوزها ، وكان أصله من مماليك الأمير يَشْبُك الجَكَمى أمير آخور ، وولى حلب عوضه الأمير جانِبَك التاجى المؤيَّدى ، وكان إينال هذا وَلِى عدّة أعمال بالبلاد الشَّامية : حماة ، وطرابُلُس، وحلب ، غير أنه لم تسبق له رئاسة بمصر قط ، وكان لا بأس به ، لكنه لم يحمده الحلبيون فى ولايته عليهم .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين تَنبَك بنُ عبد الله الأشرفى المعروف بالصغير ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، قتيلا بيد العربان بالبُحَيرة ، وقد ذكرنا واقعته وكيفية قتله فى « الحوادث » ، وكذلك الأميرُ سَنْطَباى قَرا الظاهرى — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ المقامُ الناصرى محمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال العلائى بثغر الإسكندرية فى يوم الخميس مستهل ذى الحجة ، وعمره نحو سبع عشرة[1] سنة ، وهو شقيق الملك المؤيد أحمد ، أمهما خَوَنْد زينب بنت بدر الدين بن خاص بك .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع وعشرة أصابع ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع ، وثبت إلى أواخر توت على نحو ثمانية عشر ذراعا .

(١) فى الأصول « سبعة عشر » .

السنة الثالثة

من سلطنة الملك الظاهر خشقدم

على مصر

وهى سنة سبع وستين وثمانمائة :

فيها تُوُفِّىَ الأمير الطواشى عنبر الطنبذى الحبشى نائب مقدم المماليك السلطانية بطالا فى يوم السبت ثامن المحرم ، وكان من أصاغر أبناء طائفته ، كان من عُتَقاء التاجر نورالدين على الطَّنْبذى(١) ، وبنى مدرسة بخط سوق الغنم قبل موته بمدة يسيرة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين جانَم بنُ عبد الله الأشرفى نائب الشام قتيلا بيد بعض مماليكه بمدينة الرُّها ، فى ليلة الثلاثاء تاسع عشرين شهر ربيع الأوّل ، وهو نزيل حسن بك صاحب ديار بكر ، وقد تقدّم من ذكره فى أول سلطنة الملك الظاهر هذا ما يُغْنى عن التعريف بأموره ثانياً هنا ، وكان جانَم رجلا للقصر أقرب ، وفيه حِدّة مزاج ، وسرعة حركة ، مع تديّن وجودة ، ومحبة للفقهاء والفقراء وأرباب الصلاح ، مع كرم وأدب وحشمة ورئاسة وعفة عن القاذورات والفواحش — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ قاضى القضاة شيخُ الإسلام سعدُ الدين سعد ابن قاضى القضاة شيخ الإسلام شمس الدين محمد بن عبد الله بن سعد بن أبى بكر بن مُصْلح بن أبى بكر بن سعد العبسى الدّيرى(٢) المَقْدِسى الحنفى ، قاضى قضاة الديار المصرية وعالمها ، معزولاً عن القضاء بداره بمصر القديمة ، فى ليلة الجمعة تاسع شهر ربيع الآخر ، وحضر السلطانُ الصلاة

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ٣٠) وقد انتهت إليه رياسة التجار فى البلاد المصرية وتوفى سنة ٨٣٦ هـ وقد جاوز السبعين .

(٢) له ترجمة وافية فى (السخاوى — الذيل على رفع الإصر ص ٢٧) .

عليه بمصلاة المؤمنى ، ودُفن بتربة السلطان الملك الظاهر خُشْقَدَم بالصحراء ، ومولده ببيت المقدِس فى شهر رجب سنة ثمانٍ وستين وسبعمائة ، وبها نشأ وسمع الحديث على جماعة ذكرناهم فى ترجمته فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » ، وحفظ القرآن العزيز وعدّة متون فى الفقه، وتفقّه بأبيه وغيره إلى أن برَع فى الفقه وأصوله ، وأما فروع مذهبه والتّفسير فكان فيهما آية من آيات الله ، ومات وقد انتهت إليه رئاسةُ الفقه فى مذهبه شرقا وغربا ، مع أنه كان رأسا أيضا فى حفظ التفسير ، وله مشاركة فى عدة فنون ، وبالجملة فإنه مات ولم يخلف بعده مثله — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيَ الأميرُ سيفُ الدين شادبك بن عبد الله الصارمى نائب غزّة بها فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الأوّل ، وقد قارب الستين ، وكان من عتقاء المقام الصارمى إبراهيم ابن الملك المؤيَّد شَيْخ المحمودى ، وكان ولى غزّة بالبذل ، ومات قبل أن يستوفى ما بذله فى ولايتها ، وخلف عليه ديونا — عفا الله تعالى عنه .

وتُوُفِّيَت خَوَنْد بنت السلطان الملك الظاهر جَقْمَق ، زوجة الأمير أُزْبك من طَطخ الظاهرى ، أحد مقدّمى الألوف بالديار المصرية ، فى عصر يوم الاثنين عاشر جمادى الأولى ، وحضرَ السلطانُ الصلاةَ عليها بمصلاة المؤمنى ، ودُفنت عند أبيها بتربة الأمير قانِى بَاى الجاركسى ، وكان موتها فى غياب زوجها ، كان مسافرا فى السّرحة ، وماتت وسنها دون ثلاثين سنة ، وأمها خَوَنْد مُغُل أخت القاضى كمال الدين بن البارزى ، وهى فى قيد الحياة .

وتُوُفِّيَ الأميرُ سيفُ الدين جانبَك بنُ عبد الله القوامى المؤيدى ، أحد أمراء العشرات بالقاهرة ، فى يوم الجمعة ثامن عشرين جمادى الأولى ، وحضر السلطان الملك الظاهر خُشْقَدَم الصلاةَ عليه بمصلاة المؤمنى وقت العصر ، وكان من عتقاء الملك المؤيَّد شَيخ ، وكان من الخيرين الساكنين .

وتُوُفِّيَ الإمامُ علاء الدين على المغربى الحنفى ، إمام الملك الأشرف إينال ، فى يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة ، وهو فى عشر الستين من العمر ، وكانت لديه

فضيلة مع وسوسة وطَيْش وخفة ، وإسراف فى الحال ، وبالجملة إنه كان من المُخَلِّطِين — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ عظيمُ الدَّولة ومدبِّرُ المملكة الأميرُ سيفُ الدين جانِبَك بن عبد الله الظاهرى الدّوادار الكبير ، المعروف بنائب جدَّة قتيلا بيد المماليك الأجْلاب بباب القُلَّة داخل قلعة الجبل ، وقت صلاة الصبح من يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة ، وقد ذكرنا قصة قتلته فى « الحوادث » مستوفاة ، لكن نذكرها هنا جُمْلة[1] ، وهى أنه ركب من بيته سَحَر يوم الثلاثاء المذكور بِغَلَس بعد صلاة الصبح بغير قماش الموكب ، ومعه نحو خمسة نفر ، وطلع إلى القلعة ، ومشى بمن كان معه إلى أن وصل إلى باب القُلَّة ، فسلَّم على مقدم المماليك ثم مشى إلى أن جاوز العتبة الثانية من باب القُلَّة ، والتفت عن يمينه إلى الجهة الموصلة إلى القصر السلطانى ، فوجد هناك جماعةً من المماليك السلطانية الأجلاب ، فظن أن وقوفهم هناك لأجل أخذ الأُضحية السلطانية على العادة فى كل سنة ، فسلَّم عليهم فردّوا عليه السلام بأعلى أصواتهم ، كما يفعلون ذلك مع أعيان الأمراء بطريق التجمل ، ثم مشى إلى أن التفت إلى نحو العتبة التى تكون على شماله تجاه باب الجامع الناصرى ، فرأى على درجات الباب المذكور جماعةً من المماليك الأجلاب من أوّل الدَّرج إلى آخرها ، فسلَّم عليهم كما فعل مع من صدفه منهم قبلهم ، فلم يَرُدَّ أحدٌ منهم السلام ، وحال أن وقع بصرهم عليه نزلوا إليه دفعة واحدة ، وأحاطوا به ، ونزلوا عليه من جهاته الأربع بالسيوف وغيرها ، وهرب من كان معه إلى جهة الحوش السلطانى والدهيشة ، ولما ضُرب على رأسه سقط فى الحال من وقته ، وضربه آخر فى خاصرته بالسيف ، ثم نهض وارتكن بحائط الجامع ، ثم سقط من وقته ، فسحبه بعضهم برجله إلى طريق المطبخ ، فوجد به رَمَقا ، فألقى على رأسه حجراً هائلا رضخ رأسه ، فمات من وقته ، وكان مقدار قتلته كلها من أول الإحاطة به إلى أن خرجت روحه دون نصف درجة رمل ، ولما تحققوا قتله أخذوا ما كان عليه من

(١) فى الأصول (جملية) .

القماش وغطّوه بحصير ورجعوا إلى جهة باب القُلّة ، ليلقوا من ندبوا إلى قَتْلِه أيضا من خچداشيته ، فوافوا الأمير تَنَم رصاص الظاهرى المحتسب ، وأحد أمراء الطبلخانات ، قد أقبل فى أثر الأمير جانِبك المذكور فقصدوه ، فاستجار بمقدّم المماليك أو بجماعة من إنِّياته ، فلم يغنوا عنه شيئا ، وتناولته الأيدى بالضرب ، فهجّ فيهم ، وخرج من بينهم ، وهو بغير سلاح ، ومضى إلى جهة القصر ، وهم فى أثره فى الظلام ، ثم عَادَ وَهُم فى أثره إلى جهة الجامع حيث قُتل الأمير جانِبَك ، وقد ظفر منهم بعصاة ، فضربهم بها ، ودفع عن نفسه مع كثرة عددهم ، وكاد أن ينجو منهم ، فبادره بعضُهم ، وضربه بسيف ضربة طارت يده منها ، ثم تكاثروا عليه بالضرب حتى ظنوا أنه مات ، فحماته إنِّياتُه إلى طبقته وبه رَمَق ، وأخذوا فى مداواة جِرَاحه ، فمات بعد قليل ، ذلك والنجوم ظاهرة بالسماء .

ولما وقع هذا أغلقت أبواب القلعة ، وماجت الناسُ ، وذهب كلٌّ واحدٍ من الأمراء والخاصكية إلى جهة من جهات القَلْعَة ، وأما السلطان فإنه كان جالسا بقاعة الدّهيشة والشمعةُ تَقِدُ بين يَدَيْهْ بعد أن صلّى الصبح ، فدخل إليه جانَم دوادار الأمير جَانِبَك المذكور ، ولم يعلم جانَم بقتل أستاذه ، وعرّف السلطان أن المماليك الأجلاب منعت أستاذه من الدخول إلى السلطان ، فسكت السلطان ، لعلمه بباطن الأمر ، ثم قال بعد ساعة : « أيش الخبر ؟ » فقال له بعض من حضر من الأمراء : « خير » فقال غيره: « وأى خير » والقائل الأول جانِبَك كوهيّة ، والثانى مُغُلْباى طاز وكلاهما مؤيّدى ، ثم سكتوا فقال الأميرُ يَلَباى المؤيّدى الأمير آخور الكبير: « مابقىاليوم خدمة ؟ » فقال السلطان : بلى نخرج إلى الحوش ، وخرج إلى الحوش ، وجلس على الدّكة ، وذلك بعد طلوع الشمس ، وجميع أبواب الحوش والقلعة مغلقة ، فجلس السلطان ساعة وليس عنده الصحيح من خبر جَانِبَك ، إلى أن جاءه نائبُ المقدم وغيره ، وأعلموا السلطان سِرًّا بواقعة الأمير جانِبَك وقتله ، فقال السلطان إلى الخازندار: « أخرج ثوبين بعلبكيا لتكفين الأمير جانِبك وتنَم رصاص » .

ثم أمر السلطان الأمير جانِبَك كوهيَّة الدوادار الثانى أن يخرج ويتولّى أمرهما وتجهيزهما والصلاة عليهما، فخرج وفعل ذلك وصلى عليهما بباب القُلّة ووجّههما على نعوشهما إلى محل دفنهما، وليس معهما كثير ناس بل جميع من كان معهما دون عشرة نفر، فدفن الأمير جانِبك بتربته التى أنشأها خارج باب القرافة، ودفن الأمير تَنَم عند ليث ابن سعد[1].

وكثر أسف الناس على الأمير جانِبَك إلى الغاية، وعظمت مصيبته على أصحابه وخُچْداشيته، وانطلقت الألسن بالوقيعة فى السلطان، ورثاه بعضُهم، وقالت المذاكرة فى أمره قِطَعاً فى كيفية قتلته[2]، وفى عدم وفاء السلطان على ما كان قام بأمره حتى سلطنه وثَبَّتَ قواعدملكه، واضطرب مُلْك الملك الظاهر خُشْقَدَم بقتله، وخاف كل أحد من خُچداشيته وغيرهم على نفسه، وماجت المملكة وكثر الكلام فى الدولة، ووقع أمور بعد ذلك ذكرناها فى وقتها، ليس لذكرها هنا محل — انتهى.

ومات الأمير جانِبَك — رحمه الله تعالى — وهو فى أوائل الكهولية، غير أنه كان بادَرَهُ الشيبُ ببعض لحيته، وكان — رحمه الله تعالى — أصله چاركسى الجنس وجُلب إلى الديار المصرية، وتنقّل من مالك واحد إلى آخر — ذكرنا أسماءهم فى ترجمته فى غير موضع من مصنفاتنا — إلى أن ملكه الملك الظاهر جقمق فى أيام إمرته وأعتقه، فلما تسلطن جعله خاصكيا وقرّبه، ولا زال يرقيه حتى أمَّره وولاه بندر جدّة، ونالته السعادة فى أيام أستاذه، وعظم و ضخم و نهض فى إمْرَة جدّة، بحيث إنه صار فى وقته حاكم الحجاز جميعه حتى مات — فى دولة أستاذه وفى دولة غيره — وقد حررنا ذلك جميعه فى « الحوادث » وغيره، وعظم بآخرِهِ عظمةً زائدة، لا سيما لما وَلِىَ الدّوادارية الكبرى فى دولة الملك الظاهر خُشْقَدَم، وصار هو مدبِّر المملكة، وشاع ذكره، وبَعُدَ صيتهُ، حتى كاتبه ملوكُ الأقطار من كل جهة وقطر.

---

(١) هو الإمام العالم الليث بن سعد بن عبد الرحمن. أبو الحارث المصرى — مفتى أهل مصر. وقبره بالقرافة قريبا من قبر الإمام الشافعى يزار ويتبرك به (المقريزى — الخطط ٢ : ٤٦٢ ط بولاق).

(٢) فى ص (كيفيته وقتلته) والمثبت عن ط. كاليفورنيا.

وأما ملوك اليمن والحجاز والهند فإنه أوقفني مرّةً على عِدَّة كثيرة من مكاتبات ملوك الهند ، وبعضها مشتمل على نظم ونثر وفصاحة وبلاغة ، وأما ما كان يأتيه من ملوك الهند من الهدايا والتحف فشيء لا يُحْصَرُ كثرةً ، وتضاعفت الهدايا له في هذه الدولة أضعاف ما كان يهدى إليه أوّلا ، وقال له الدهر : خذ ، فأخذ وأعطى حتى أسرف وبذّر ، بحيث إنه لم يكن أحدٌ من خچداشيته وغيرهم مع كثرتهم [له مالٌ][1] إلا من إنعامه عليه ، أوهو ساكن في بيت أنعمه عليه ، والذي أعرف أنا : أنه وهب تسعة دور من بيوت مقدمي الألوف بالدّيار المصريّة على تسعة نفر من خُچْدَاشِيته الأكابر الأمراء وغيرهم ، وقس على هذا من الخيول والقماش ، وكان في مجاورتي بمكة في سنة ثلاث وستين يُلَازِمُني وألازمه في الحرم كثيرا ، ولم أنظره تصدّق على أحد فيما تصدّق به أقل من عشرة أشرفية ، هذا مع اقتنائه من كل شيء أحسنه وأجمله وأكثره ، لاسيما بَرَكه[2] وخِيمه ، فكان إليها المنتهى في الحسن ، يضرب بها المثل .

ويكفيك من علو همته أنه أنشأ بداره بستانا أزيد من مائة فدان ، بابه الواحد[3] من داره قريب من خط قناطر السباع[4] ، وبابه الآخر تجاه الروضة ، ثم أنشأ به تلك القبة العظيمة والرصيف الهائل تجاه الروضة ، وبالجملة والتفصيل إن بابه كان محط[5] الرحال ، وملجأ الطالبين الملهوفين ، ونصرة المظلومين ، وكثرة المحتاجين ، فإنه كان يعطي الألفين دينارا دفعة واحدة إلى مادونها ، وكان يعطي من المُغَلّ ألف أردب دفعة واحدة أيضا في يوم واحـــد إلى ما دونها إلى عشرة أرادب ، وأعطى في يوم واحد لبعض أعيان خُچْدَاشِيته مائة ناقة بأتباعها ، يعرف هذا كلُّ أحد ، فَقِسْ على كرمه أيها المتأمل

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

(٢) البرك : المتاع الخاص بالأمير أو السلطان من ثياب وقماش (ج ١١ : ٥٤ ت ٢ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

(٣) كذا في الأصول ، ولعله يقصد « الأول » .

(٤) خط قناطر السباع : وينسب الى قناطر السباع التي بناها الملك الظاهر بيبرس ونصب عليها رنكه وهو سباع من الحجارة . وانظر هامش (ج ٧ : ١٩٦ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

(٥) في ص « محل » والمثبت هنا عن ط . كاليفورنيا .

ما شئت أن تقيس ، ثم أعلم أنه لم يخلف بعده مثله ، وإن أشكل عليك هذا القولُ ، فسَلْ من أحدٍ من أمرائك المصريِّين عشرةً من الإبل ، فإن أعطاك فاشكر مولاك ، واعلم أنّ الناس فيهم بقيةُ كَرَمٍ ، وإن لم يُعْطِك فاشهد بصدْقِ مقالتى .

وعلى كل حال إنه كان ملكا كريما جليلا ، مهابا شهما ، عارفا حاذقا فطنا ، فصيح العبارة فى اللغة العربية والتركية بالنسبة لأبناء جنسه ، وكان قصير القامة مع كَيْس فى قَدّه ، وظَرْف فى تناسب أعضائه بعضها لبعض ، وكان سيوسا حسن التدبير ، ومن حسن سياسته أنه لم ينحطّ قَدْرُه بعد زوال دولة أستاذه الملك الظاهر جَقْمَق ، بل زادت حُرْمته أضعاف ما كانت فى أيّام أستاذه ، مع كثرة حكّام الدولة الأشرفية الإينالية وتفرّق كلمتهم ، فَسَاسَ كل واحد بحسب حاله ، وأقام فى دولتهم عظيما مُبَجَّلا ، وبوجوده كان أكبر الأسباب فى إعادة دولة خُجْدَاشِيته بعد موت الملك الأشرف إينال ، وبالجملة إنه كان نادرةً من نوادر دهره — رحمه الله تعالى — وقد استوعبتُ أحواله فى غير هذا المصنف بأطول من هذا بحسب الباعثة والقريحة ، ورثيته بقصيدة نونية فى غاية الحسن — عفا الله عنه وصالح عنه أخصامه بمنّه وكرمه .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين تَنَم رصاص من خَشْداش الظاهرى المحتسب ، أحد أمراء الطبلخانات ، قتيلا بيد المماليك الأجلاب مع الأمير جانِبَك الدّوادار ، وقد تقدّم ذكر قتله فيما تقدم .

وكان تَنَم هذا من عتقاء الملك الظاهر جَقْمَق وخاصكيته ، وترقّى بعد موته إلى أن وَلِىَ حسبةَ القاهرة فى أواخر دولة الملك الأشرف إينال ، ثم صار أمير عشرة فى أوائل دولة الملك الظاهر خُشْقَدَم ، ثم نقل إلى إمرة طبلخاناه ، ودام على ذلك إلى أن قُتل فى التاريخ المذكور فى قصة الأمير جانِبَك ، وهو يوم الثلاثاء أول ذى الحجة ، وكان شابا مليح الشكل ، شجاعا عارفا ، كريما لسنا ، متحركا حاضر الجواب ، وكان أحد أعوان الأمير جانِبَك الدّوادار فى مقاصده — رحمهما الله تعالى ، وعفا عنهما أجمعين .

وتُوُفِّى القاضى شمس الدين محمد بن أحمد القَرافى[١] المالكى أحد نواب الحكم المالكية وأعيان الفقهاء بالديار المصرية ، فى ليلة الاثنين رابع عشر ذى الحجة ، ودفن صبيحة يومه بالقرافة وقد جاوز السبعين من العمر ، وكان له اشتغال كثير فى ابتداء أمره ، وعمل جيد مع ذكاء وحسن تصوّر ، لاسيما فى باب التوريق[٢] وصناعة القضاء والشروط — رحمه الله تعالى وعفا عنه .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم — سبعة أذرع وعشرون إصبعا ، مبلغ الزيادة تسعة [عشر][٣] ذراعا وسبعة أصابع .

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٧ : ٢٧—٢٨) وقد ولد سنة ٨٠١ هـ .

(٢) كذا فى الأصول . ولعلها تصحيف كلمة « توثيق » أو لعلها من اعداد اوراق الحجج والاحكام ونسخها .

(٣) إضافة عن هامش و پوپر ٧ : ٧٨٢ عن T .

السنة الرابعة

من سلطنة الملك الظاهر خشقدم

على مصر

وهى سنة ثمان وستين وثمانمائة .

فيها تُوُفِّىَ قاضى القضاة بدر الدين حسن بن محمد بن أحمد بن الصَّوَّاف الحنفى (١) الحموى قاضى قضاة حماة ، ثم الديار المصرية ، إلى أن مات فى يوم الأحد رابع المحرم ودفن من الغد فى يوم الاثنين ، وسنه نحو الستين سنة تخميناً ، وكان أصله من حماة من أولاد التجار ، واشتغل بالعلم فى مبدأ أمره يسيراً ، ثم مال إلى المتجر وتحصيل المال إلى أن حصل على جانب كبير منه ، وولى قضاء حماة بالبذل سنين كثيرة ، وطال تكراره إلى القاهرة غير مرّة ، وأُخِذ منه — بوسائط — جملٌ مستكثرة من المال غصباً ورضاً ، ثم قدم القاهرة فى سنة ست وستين لأمر من الأمور ، وحصل بينه وبين قاضى القضاة محب الدين بن الشِّحْنَة الحنفى شنآن بواسطة صهارةٍ ، فسعى عليه وعزله ، وولى عوضه فى ثانى عشرين شهر رجب من سنة سبع وستين إلى أن مات فى المحرم من هذه السنة ، بعد أن مرض نحو الشهر ، فكانت مدته كلها فى القضاء خمسة أشهر وأياما بما فيها أيام مرضه ، ولقد تعب بولايته وأتعب ، واستراح بموته وأراح .

وتُوُفِّىَ السلطان الملك العزيز أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن السلطان الملك الأشرف أبى النصر بَرْسْباى الدّقْماقى الظاهرى ، بعد خلعه من السلطنة بسنين كثيرة ، بثغر الإسكندرية فى يوم الاثنين تاسع عشر المحرم ، وهو فى أوائل الكهولية ؛ لأن مولده بقلعة الجبل فى سلطنة أبيه فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة ، وأمه خَوَنْد جُلُبّان أم ولد لأبيه جاركسية ، تزوّجها أستاذُها الملك الأشرف بعد أن ولدت الملك العزيز هذا ،

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الذيل على رفع الإصر ١٢٣ ، ١٢٤) وقد ولد سنة ٨٠٣ هـ بحصن الأكراد

ومات أيام والده الأشرف ، ونشأ الملك العزيز تحت كنف والده بالدُّور السلطانية ، إلى أن عَهِدَ له أبوه الأشرف بالسلطنة فى مرض موته ، ومات بعد أيّام .

وتسلطن العزيزُ هذا بعد عصر نهار السبت ثالث عشر ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة ، وهو السلطان الثالث والثلاثون من ملوك الترك بالديار المصرية وأولادهم ، والتاسع من الجراكسة وأولادهم ، وتم أمره فى الملك ، وصار الأتابك جَقْمَق مُدَبِّرَ مملكته وفرّق النفقة على المماليك السلطانية كل واحد مائة دينار ، لايتنفَّل أحدٌ على أحد كائناً من كان ، على قاعدة الملوك العظام ، بخلاف من جاء بعده من الملوك ، ودام فى الملك إلى أن وقع بين الأتابَك جَقْمَق وبين مماليك أبيه الأشرفية أمور آلت إلى خلعه من السلطنة ، وسلطنة الأتابَك جَقْمَق عوضه فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، فكانت مدة ملكه نحواً من خمسة وتسعين يوما ، ليس له فيها إلا مجرّد الاسم فقط .

وبعد خلعه من الملك رسم له بالسكن فى قاعة من الحريم السلطانى بقلعة الجبل ، فسكن بها إلى أن حسّن له بعض حواشيه التَّسَحُّبَ منها والنزول من القلعة إلى القاهرة لتثور مماليك أبيه به على الملك الظاهر جَقْمَق ، ففعل ذلك ، وتزيَّا فى نزوله فى زى بعض صبيان الطَّبَّاخين ، ونزل بعد الفطر وقت صلاة المغرب إلى القاهرة من باب المدرج [(١)] وكانت أيام شهر رمضان ، فنزل ولم يفطن به أحد ، لاشتغال الخدام وغيرهم بالفطر ، فلما نزل إلى تحت القلعة لم ير شيئا مما قيل له ، فندم على نزوله ، وبقى لا يمكنه العَوْدُ إلى مكانه ، فاختفى من وقته هو ومملوكه أَزْدَمُر وطواشيه صَنْدل ، وطباخه إبراهيم ، ووقع له وللناس فى اختفائه أمور ومحن ، ونُكِبَت جماعةٌ كثيرةٌ من الناس بسببه وضُرِب جماعةٌ من مماليك أبيه بسببه بالمقارع والكسَّارَات ، ووُسِّط بعضهم ، وقلق الملك الظاهر جَقْمَق بسببه قلقا زائداً .

وضاقت الدنيا على الملك العزيز يوسف ، وتفرقت عنه أصحابُه إلى أن ظَفِر به

(١) باب المدرج : انظر فى التعريف به هوامش (ج ١٣ : ٤٦ ط الهيئة العامة للتأليف والنشر) .

الملك الظاهر جَقْمَق فى أواخر شوال ، وكان الذى أمْسَكهُ الملك الظاهر يلَباى ، وكان يوم ذاك أميرَ عشرة ، فأنعم عليه الملك الظاهر جَقْمَق بقرية سِرْيَاقُوس ، زيادةً على مابيده لكونه قبض على الملك العزيز فى الليل ، وطلع به إلى السلطان ، ولما ظَفِر به الملك الظاهرُ جَقْمَق حبسه بالدُّور السلطانية ، ثم بعثه إلى سجن الإسكندرية ، فحُبس بها إلى أن أطلقه الملك الظاهر خُشْقَدَم فى أوائل سلطنته ، هو والملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جَقْمَق ، وسكن العزيز بدارٍ فى الإسكندرية إلى أن مات بها فى التاريخ المقدّم ذكره ، بعد أن قضى من عمره أياما عجيبة من حبس وقهرٍ وتنغُّصِ عيش — عوَّضَهُ اللهُ الجنة بمنه وكرمه .

وتُوُفِّىَ الشيخ الصالح المعتقد المجذوب عمر الببانى[1] الكردى بسكنه بجامع قَيْدان[2] على الخليج بالقرب من قناطر الأوز[3] خارج القاهرة ، فى ليلة الجمعة سلخ محرم هذه السنة ، وصلى علية ثلاث مِرَارٍ ، مرّة بجامع قَيْدان حيث كان سكنه ووفاته ، ومرّة فى الطريق ، ومرّة حيث دُفن بتربة الملك الظاهر خُشْقَدَم فى الصحراء ، وكانت جنازته مشهودة إلى الغاية ، بحيث إن نعشة رفع على الأصابع من كثرة الناس مع هذا المدى البعيد ، ومات وقد جاوز الستين ، وكان أصله ببانيًا — طائفة من الأكراد — وُلد هناك وقدم القاهرة ، ونزل صوفيا بخانقاه سعيد السعداء ، ودام على ذلك دهرا إلى أن ظُنّ منه نوع من الجنون الذى يسميه الفقراء جَذْبَة ، فنقله أهلُ الخانقاه عنهم ، فسكن بدار ، ثم انتقل إلى جامع قَيْدان ، فدام به سنين كثيرة ، وبه اشتهر بالصَّلاح ، وقَصَدَته الناس للزيارة والتَّبَرّكِ بدعائِه ، مع أنه كان لا يقبل من أحد شيئا إلا نوع الأكل ، وكانت جَذْبَتهُ غير مطبقة ،

(١) هو عمر بن إبراهيم بن أبى بكر البانياسى الببانى الكردى (السخاوى – الضوء اللامع ٦ : ٦٤)

(٢) هذا الجامع كان يقع على الجانب الشرقى للخليج خارج باب الفتوح مما يلى قناطر الأوز . جدده الطواشى قراقوش سنة ٥٩٧ . وعمل فيه الأمير مظفر الدين قيدان الرومى منبرا لإقامة الخطبة يوم الجمعة فنسب إليه . (المقريزى – الخطط ٢ : ٣١١، ٣١٢ ط بولاق) .

(٣) قناطر الأوز : من إنشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥ هـ على الخليج الكبير ، يتوصل إليها من الحسينية إلى أراضى البعل ، وكانت من أحسن متنزهات أهل القاهرة فى أيام فتح الخليج (المقريزى الخطط ٢ : ١٤٧ ط بولاق) .

لأنه كان لا يخل بالمكتوبة بل يغتسل فى الغالب لكل صلاة صيفاً وشتاء ، وكان له فى مبدأ أمره اشتغال ببلاده ، ولم يبلغنى من كراماته شئ ، وبَبَان ببائين ثانى[1] الحروف مفتوحين وبعدهما ألف ونون ساكنة — أظنها قبيلة فى الأكراد — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ المقام الشهابى أحمد ابن الملك الأشرف بَرْسْباى الدقْماقى الظاهرى بدار عَمّه زوج أمه الأمير قرقماس الأشرفى أمير سلاح ، بخط التبَّانة خارج القاهرة ، فى يوم السبت سابع شهر ربيع الأول ، حضر السلطان الصلاةَ عليه بمصلاة المؤمنى ، ودفن بتربة والده الملك الأشرف بَرسْباى بالصحراء فى فَسْقِيَّة واحدة ، وَبِمَوْتِ أحمد هذا انقرضت[2] ذرية الملك الأشرف بَرْسْباى لصلبه ، لأن أحمد المذكور خلَّف بنات صغاراً .

وكان سيدى أحمد هذا أصغر أولاد الملك الأشرف ، تركه حملا ، وأمه أم ولد جاركسية ، تزوجها الأمير قَرْقَماس الأشرفى الجَلَب ، وهو الذى تولّى تربيته إلى أن كبر ، وماتت أمه ، فلم يتركه قَرْقَماس ، واستمر عنده ، وبهذا المقتضى لم يقدر أحد من السلاطين أن يأخذه منه ويرسله إلى ثغر الإسكندرية ، ولما كبر أراد غيرُ واحدٍ من الملوك أن يرسله إلى الإسكندرية عند أخيه الملك العزيز يوسف المقدم ذكر وفاته فى هذه السنة ، فقال قَرْقَماس : « إذا خرج أحمد هذا إلى جهة من الجهات أخرج أنا أيضاً معه » فسكت القائل .

ولا زال الشهابى مقيما بالقاهرة إلى أن صار فى حدود الرجال غير أنه لم ينظره أحد قط ، ولم يخرج من بيته قط لأمر من الأمور حتى ولا إلى صلاة الجمعة ولا إلى العيدين ، بل يسمع الناسُ به ولا يَرَوْنَه إلى أن مات ، ومع هذا كله كانت الملوك مطمئنة بإقامته بالقاهرة لحسن طاعة قَرْقَماس للسلاطين ، وكان على ماقيل شابا طوالا جميلا فاضلا عارفا ، وله محبة فى الفضيلة ومطالعة الكتب ، ويكتب المنسوب ، وكان موته بعد أخيه العزيز من النوادر ، فإنه عاش بعد موت أخيه العزيز شهرا وثمانية عشر يوما ، والعجيب

(١) فى ص « ثانيتين الحروف » والمثبت هنا عن ط كاليفورنيا .

(٢) فى الأصول « انقرض » .

أنهما شابان كاملان مَاتَا فى هذه المُدَّةِ اليسيرة من غير طاعون ، وإنما هى آجال متقاربة ، ومحل الظن بالملك ، وأظنه برئ من ذلك ، اللهم إن كان وقع شىء من غير الملك من جهة النسوة أو غيرها فيمكن — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّى الشيخُ جمالُ الدين عبد الله ابن الشيخ الإمام القدوة المسلك الرّبانى نور الدين أبى الحسن على بن أيّوب[1] الدمشقى الأصل والمولد والمنشأ ، المصرى الدار والوفاة ، خادم خانقاه سعيد السعداء ، فى ليلة الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الآخر ، وصُلِّى عليه بعد أذان العصر من يوم الأربعاء المذكور بمصلاة باب النصر ، ودفن بمقابر الصوفية .

وكان رحمه الله تعالى له اشتغال وفضيلة مع فصاحة وطلاقة لسان ، ومحاضرة حسنة ، وكرم نفس ، مع العزْلَة والقناعة ، مع التجمل فى ملبسه وشأنه ، وكان الناسُ فى أمْنٍ من يده ولسانه — عفا الله عنه .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين تَنَم بن عبد الله من عبد الرزاق المؤيدى نائب الشام بها فى يوم الأربعاء ثانى عشرين جمادى الأولى ، ودفن بدمشق بعد يومين لأمر اقتضى ذلك ، لتعلق كان عليه ، ومات وهو فى عشر السبعين ، وكان جاركسى الجنس ، من عتقاء الملك المؤيد شيخ وخاصكيته الصغار ، ثم جعله خازندارا صغيرا ، ومات الملكُ المؤيّدُ وهو على ذلك ، ثم صار فى دولة الملك الأشرف بَرْسْباى رأس نوبة الجمدارية ، ثم أمير عشرة ، ثم ولى حسبة القاهرة فى أوائل دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، ثم نقل إلى نيابة إسكندرية ، ثم عُزل وقَدِمَ القاهرة ، وبعد عزله بمدّة يسيرة ولى نيابة حماة ، فلم تَطُل مُدّته بحماة ، ونُقل إلى نيابة حلب ، فلم ينتج أمرُه فى نيابة حلب ، ورُجم من أهلها ، فعزله الملكُ الظاهرُ جَقْمَق ، واستقدمه إلى مصر أمير مائة ومقدّم ألف بها ، ثم صار أمير مجلس ، ثم صار فى دولة الملك المنصور عثمان أمير سلاح بعد جَرِباش الكريمى قاشق ، بحكم عزله وعجزه ، ودام على ذلك إلى أن كانت الفتنة

(١) له ترجمة (فى السخاوى — الضوء اللامع ٥ : ٣٦ ، ٣٧) ومولده بعد سنة ٨٠٢ هـ .

بين الملك المنصور عثمان وبين أتابكه إينال العلائى، فكان تَنَم هذا من حزب الملك المنصور بالقلعة، فلما تسلطن الأتابك إينال حبس تنَم المذكور بثغر الإسكندرية، إلى أن أطلقهُ الملك الظاهر خُشْقَدَم، وأطلق معه الأمير قانِى بَاى الجاركسى، وسيَّرهما إلى ثغر دِمْياط بطَّالَين، ثم بعد مدة يسيرة أحضره الظاهر خُشْقَدَم إلى القاهرة، وولاه نيابة دمشق بعد عزل الأمير جَانَم الأشرفى، فتوجّه تَنَم إلى دمشق وحكمها، فلم تُحْمَد سِيرَتُه وتُشْكَر طريقَتُه، إلى أن مات فى التاريخ المذكور.

وكان — رحمه الله تعالى — له مساوئ ومحاسن، وأظن الأولَ أكثر، ومن غريب ما اتفق فى أمره أنه لما كان محبوسا كان رجلٌ من أصحابه مُلْتَفِتاً إلى أمْرِهِ ولِماَ يصِيرُ من شأنه، فقصد الرجلُ بعضَ المشهورين بعلم النّجوم وأرباب التّقويم، فعمل الرجل لتنَم المذكور زايرجاة، وأتقن عملها، فخرج له أبيات تشعر بسلطنة تَنَم المذكور، فجاءنى الرجل وهو مسرور، وحكى لىَ ذلك، فأجبته بكلام معناه: إن هؤلاء كَذَبَة، ليس لهم معرفةٌ بهذه الأمور، وكل ما يقولونه كذب وبهتان واختلاق، نَصَبَة على أخذ الأموال، فعظم ذلك عليه، فقلت له: « لى معك شرط، أكتبُ الأبيات، فإن تسلطن فهو كما تقول، وإن كانت الأخرى فأكتبها فى ترجمة وفاته ليكون ذلك عبرة لمن يصدِّق كذب هؤلاء الفسقة » فقال: نعم، الأبيات هى[(1)]

[الطويل]

وإنَّ الذى فى السجنِ لابدَّ أنه — يكون مليكاً للأنام عزيزا
فأوله تاء وآخر اسمه — على القطع ميمٌ، كن عليه حريزا
وذلك كهلٌ يا أُخَىَّ وإنه — لضخمُ القفا والصدرِ فاصغ مميزا
ولابد أن يأتى الزمان بقوةٍ — ويعلو رقاباً للعداة محيزا
فزَايرْجَةٌ فى نظمها نطقتْ بذا — فكُنْ لى بهذا العلم منك مجيزا

وهذا الذى عمل هذه الزّايرْجة الناسُ مجمعون على معرفته، فما العجب من كذب

(1) هذا اللفظ ساقط من ص، والإثبات عن ط، كاليفورنيا.

هؤلاء الكذبة الجهلة الأوقاح ، وإنما العجب من تصديق الناس لكلامهم ، وقد رأيتُ جماعة من ذوى العقول تقول : « صدق فلان فى قوله كذا وكذا » فأقول له : « ما صدق بل حزر مَرَّة وثانية وثالثة ورابعة فأخطأ ، ثم أصاب فى الخامسة ، وكل أحد يقدر على أن يقول مثل ذلك ، لان الخير والشر والولاية والعزل [1] واقع فى كل أوان وزمان ، وكل منتصب لابُدَّ له من العزل أو الموت ، فالفرق فى هذا المعنى بين العارف والجاهل بباب الحزر واضح لايحتاج إلى بيان » .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين جانِبَك بن عبد الله التاجى المؤيدى المعزول عن نيابة حلب ، والمرشح لنيابة الشام بعد موت تَنَم المقدم ذكره ، قبل أن يخرج من حلب بدار سعادتها ، فى يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة بعد أن مرض أياما يسيرة ، وهو فى عشر السبعين ، وكان چاركسى الجنس ، من صغار مماليك الملك المؤيَّد شَيْخ ، وصار خاصكيا بعد موته إلى أن صار نائب بيروت فى أوائل دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، ثم نقل إلى نيابة غزة ، ثم ولى نيابة صَفَد ، ثم حماة ، كل ذلك ببذل المال لاتِّضَاعِ قَدْرِه ، ثم ولى نيابة حلب بعد موت الحاج إينال اليَشْبُكى ، فباشر ذلك إلى هذه السنة ، فرُسِم له أن يقدم إلى القاهرة [2] أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية ، فتهيأ للخروج من حلب فمات الأمير تَنَم نائب الشام ، فأقره الملك الظاهر خُشْقَدَم عوضه فى نيابة الشام ، فمات جَانِبَك هذا قبل أن يصل إليه الخبر بولاية دمشق ، وقيل بعد وصول الخبر بيوم ، وكان متوسط السِّيرة فى ولايته ، ولم تسبق له رئاسة بالديار المصرية غير الخاصكية ، وكان غالب ولاياته ببذل المال ، والذى يبذل المال لا بد له من الظلم ، وقد بلغنا عنه أنه كان يستعمل لُقَيْمَة الفقراء [3] الخضراء ، والله أعلم بصحة ذلك .

---

(١) فى ص « والعزلة » والمثبت هنا عن ط كاليفورنيا .

(٢) كذا فى ص ، وفى ط كاليفورنيا « الديار المصرية » .

(٣) يريد بذلك حشيشة الفقراء نسبة إلى الفقراء أتباع الشيخ حيدر ، وانظر (البستانى – دائرة المعارف مادة – حشيشة) وقد أضاف و . بوپر فى هامش ٧ : ٧٩٢ عن كتاب الحوادث « من صوفية الأعاجم يتنزه بها عن الخمر » .

وتُوُفِّيَ الأمير سيفُ الدين جانِبَك بن عبد الله الأَبَاق أحد أمراء العشرات قتيلا بيد الفرنج فى الماغوصة بجزيرة قُبْرُس فى إحدى الجمادين، وقد ذكرنا سبب قتله فى « الحوادث » وحاصل الأمر : أنه لما ملك الماغوصة، مدَّ يَدَهُ لأولاد أهل الماغوصة من الفرنج، فعزَّ على الفرنج ذلك، لأنه كان أخذها بالأمان : فشكوا ذلك إلى صاحب قبرس جاكُمُ الفرنجى، فنهاه عن ذلك فلم ينته، فوقع بينهم تشاجر أدّى ذلك إلى قتله، ولم ينتطح فى ذلك شاتان، وبالجملة إن جانِبَك المذكور كان غير مشكور السيرة فى مدّة إقامته بقُبْرُس — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيَ شيخ الإسلام قاضى القضاة عَلَمَ الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البُلْقِينى الكنانى (١) الشافعى، قاضى قضاة الديار المصرية وعالمها، فى يوم الأربعاء وقت الزوال خامس شهر رجب، بعد أن مرض نحو عشرة أيام، ودفن من الغد بمدرسة والده تجاه داره بحارة بهاء الدين، بعد أن صُلى عليه بالجامع الحاكى، وتوجهوا بجنازته من طريق الجلون العتيق، ودخلوا بها من باب الجامع الذى بالشارع عند باب النصر، وعادوا بنعشه من الباب الذى بالقرب من باب الفتوح، وأعيد إلى مدفنه، وكانت جنازته مشهودة إلى الغاية .

ومات وسنه سبع وسبعون سنة، لأن مولده بعد عشاء ليلة الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وهو من جملة الفقهاء الذين قرأتُ عليهم القرآن فى صغرى، لأن أختى كانت تحت أخيه قاضى القضاة جلال الدين البُلْقِينى، فكُنَّا بهذا المقتضى كشىء واحد، وكان إماماً عالماً فقيهاً، درّس وأفتى سنين كثيرة، وناب فى الحكم عن أخيه جلال الدين المذكور، ثم ولى القضاء بعد ذلك غير مرّة، وطالت أيّامُه فى المنصب، وانتهت إليه رئاسة مذهبه فى زمانه، وقد استوعبنا حاله فى عدة مواضع من مصنفاتنا، ليس لذكرها فى هذا المختصر محل، وفى شهرته مايغنى عن الإطناب فى ذكره هنا — رحمه الله تعالى ورضى عنه .

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ٣١٢) .

وتُوُفِّىَ الأمير سيف الدين كَمَشْبُغَا بن عبد الله السيفى تَخْشْبَاى نائب ألبيرة بها فى أواخر شوال، وكان من عتقاء الأمير تَخْشْبَاى الذى ضرب الملكُ الظاهرُ جقْمق رقبته، ثم خدم كَمَشْبُغا هذا فى بيت السلطان، ثم صار خاصكيا، ودام على ذلك دهراً إلى أن سعى فى نيابة قلعة حلب فوليها دفعة واحدة بالبذل، فلم تُشْكَر سيرتُه وعزل، ونقل إلى ألبيرة، فلم تطُل مدته بها، ومات فى التاريخ المذكور، وكان لا ذات ولا أدوات، ولولا أنه ولى هاتين الولايتين ما ذكرناه هنا.

وتُوُفِّىَ الشيخُ أبو الفضل محمد ابن الشيخ الإمام الفقيه الصالح القدوة المسلك شمس الدين محمد بن حسن المعروف والده بالشيخ الحنفى، فى ليلة السبت ثامن ذى الحجة بجزيرة أرْوَى المعروفة بالوسطانية، بعد مجيئه من الوجه البحرى، وحمل من الجزيرة فى باكر نهار [1] السبت المذكور، وصُلِّىَ عليه ودُفِنَ بزاوية أبيه خارج قنطرة طُقُزْدَمُر [2]، وهو فى عشر الستين من العمر، وكانت لديه فضيلة، وله اشتغال بحسب الحال، ولكنه لم يكن أميناً على الأوقاف — عفا الله تعالى عنه بمنه وكرمه.

وتُوُفِّىَ الوزير علاءُ الدين على ابن الحاج محمد الأهْنَاسِى [3] بمكة المشرفة بطالا فى حياة أبيه، فى ثانى عشرين ذى القعدة، ومات وهو فى أوائل الكهولية، وقد ولى على هذا الوزر والأستادارية والخاص غير مرّة، وعلىٌّ هذا وأبوه محمد هما من أطراف الناس الأوباش المدودة رئاستهم من غَلطات الدّهر، وقد ذكرنا من أحوال على هذا وولاياته نبذةً كبيرة فى تاريخنا «الحوادث» تغنى عن العيادة هنا — انتهى — رحمه الله تعالى.

وتُوُفِّىَ السلطان صارمُ الدين إبراهيمُ بنُ محمد بن على بن قَرَمان صاحب بلاد الرّوم — قونية، ولارِنْدَهْ وقَيْسارية وغيرها — فى أواخر ذى القعدة أو أوائل ذى الحجة

(١) فى ص « فى باكر النهار من يوم السبت » والمثبت عن ط كاليفورنيا .

(٢) قنطرة طقزدمر: وتقع على الخليج الكبير بخط المسجد المعلق (المقريزى – الخطط ٢ : ١٤٦) وانظر هوامش (ج ٩ : ١٩٥ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

(٣) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٥ : ٢٩٦) .

وقد ناهز الستين من العمر ، بعد أن ولى بلاد قَرَمان أكثر من خمس وأربعين سنة ، وتولى بعده ابنه إسحق ، وفى لغتهم إسحق أيسق ، ووقع الخلف بسبب ولاية إسحق بين أولاده .

وبنو قَرَمان هؤلاء من أُصَلاء الملوك كابِراً عن كابر ، أباً عن جد فصاعدا إلى السلطان علاء الدين السَّلْجوقى ، وقيل إن بنى قَرَمان هؤلاء من ذرية بايَنْدر أحد أكابر أمراء جانكزْخان ملك التُّرْك الأعظم .

وتُوُفِّىَ القاضى شمسُ الدين محمدُ ابنُ الشيخ بدر الدين محمد بن السَّحْماوى[1] الشافعى أحد أعيان موقعى الدست الشريف بالديار المصرية ، فى ليلة السبت خامس عشر ذى الحجة ، ودُفن صبيحة يوم السبت المذكور عن اثنتين وثمانين سنة ، وكانت لديه فضيلة وعنده حشمة وأدب وتواضع ، وباشر التوقيع أزيد من خمسين سنة ، وخدم بالتوقيع عند جماعة من أعيان الأمراء ، آخرهم الملك الظاهر خُشْقَدَم إلى أن تسلطن — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين طوخ بن عبد الله الجَكَمِى الرأس نوبة الثانى — كان — وأحد أمراء الطبلخانات بطالا بعد ما كُفَّ بصره ، فى ليلة الأربعاء تاسع عشر ذى الحجة ، ودُفن من الغد بالصحراء ، وقد زاد سنه على الثمانين ولم يحج حجة الإسلام ، وكان أصله من مماليك جَكَم المتغلب على حلب ، وكان من مساوئ الدهر لا يصلح لدين ولا لدنيا ، وكان مُسْرِفاً على نفسه ، ما أظنه ترك الشرب إلا فى مرض موته ، ولم يحج حجة الإسلام مع طول عمره وسعة ماله — ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، اللهم وفقنا لما تحب وترضى يارب العالمين .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيف الدين بُرْدبَك بن عبد الله الأشرفى الدَّوادار الثانى — كان — ، قتيلا بيد العُرْبان بالقرب من منزلة خُلَيْص[2] فى عَوْدِه من الحج فى يوم

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٣٧) .

(٢) انظر فى التعريف بها هوامش (ج ٩ : ٦٠ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

الاثنين سادس عشر ذى الحجة ، وقد ناهز الخمسين أو جاوزها ، وكان أصله من سبى قُبْرُس قبيل سنة ثلاثين وثمانمائة مراهقا ، وملكه الملك الأشرف إينال أيّام إمرته ، وربّاه وأعتقه وجعله خازنداره ، وزوّجه بابنته الكُبْرَى ، ثم جعله دَوَادَاره ، ولما تسلطن أمّره وجعله دَوَادارا ثالثا ثم جعله دوادارا ثانيا ، ونالته السعادةُ ، وعظم فى الدولة وقصدَهُ الناسُ لقضاء حوائجهم ، وشاع ذكرُه وبَعُدَ صِيتُه ، وحمدت سيرته ، وعمّر الجوامع فى عدّة بلاد ، وله مآثر وذكر فى الصدقات والإعطاء ، ودامَ على الدَّوَادارية إلى أن نُكِبَ ابنُ أستاذه السلطان الملك المؤيَّد أحمد ابن الملك الأشرف إينال ، وخُلع من السلطنة ، وأمسك يُرْدبَك هذا وصُودِرَ ، وأُخذ منه نحو من مائتى ألف دينار ، ووقع له أمور .

وبالجملة إنه كان لا بأس به لولا محبته لجمع المال من أى وجه كان — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الشيخ الفقيهُ العالمُ المقرئ تاج الدين محمد بن أحمد الفطويسى[1] الإسكندرى المالكى إمام السلطان ، ومدرس الحديث بالظاهرية العتيقة ، مات فى نصف ذى القعدة ، ومولده سنة خمس عشرة وثمانمائة ، واشتغل كثيرا فى عِدّة علوم ، لكنه لم يكن ماهِراً فى غير القراءات ، وحصلت له وجاهة آخر عمره .

وتُوُفِّىَ الأمير سيفُ الدين سودون بن عبد الله اليَشْبُكى التركمانى المعروف بسودون قَنْدورة ، أحد مقدمى الألوف بدمشق وأمير حاج المحمل الشامى ، بعد خروجه من المدينة الشريفة إلى جهة الشام ، فى أواخر ذى الحجة ، أو فى أوائل المحرم ، وقد زاد سنه على الستين ، وكان من مماليك الأمير يَشْبُك الجَكَمى الأمير آخور ، وبقى بعد أستاذه من جملة مماليك السلطان ، ودام على ذلك دهرا طويلا لا يلتفت إليه ، إلى أن تحرك له بعيض سعد ، وانتمى للصاحب جمال الدين ناظر الخاص ابن كاتب جَكَم بواسطة خُجْداشِه جانِبَك اليَشْبُكى والى القاهرة ، فولى بعض قلاع البلاد الشامية :

(١) كذا فى ، ص وفى ط كالفورنيا « الفطيسى » .

قلعة صَفَد ، وقلعة الشام ، ثم تنقل فى البلاد بالبذل إلى أن صار من أُمَرَه ما كان ، ولم يكن سودون هذا من أعيان الأمراء لتشكر أفعاله أو تذم .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع وخمسة عشر إصبعا ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وثلاثة عشر إصبعا .

السنة الخامسة

من سلطنة الملك الظاهر خشقدم

على مصر

وهى سنة تسع وستين وثمانمائة :

فيها تُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين قانِى باى طاز بن عبد الله البكْتَمُرى نائب ألبيرة بها ، فى أواخر شهر ربيع الأول أو أوائل شهر ربيع الآخر ، وهو فى الثمانين تخمينا ، وكان أصله من مماليك بَكْتَمُر جِلّق الظاهرى نائب الشام ، وصار بعد موت أستاذه من مماليك السلطان ، ثم نقل فى أواخر عمره إلى نيابة قلعة صَفَد ، ثم إلى نيابة ألبيرة ، إلى أن مات ، وهو من مقولة سودون تُرْكُمَان المقدم ذكره فى السنة الخالية .

وتُوُفِّى الأميرُ موسى [بن محمد بن موسى[1]] صاحب حَلْى ابن يعقوب[2] من بلاد اليمن فى شهر ربيع الآخر بمدينة حَلْى ابن يعقوب ، وكان معدودا من أعيان الأمراء ومن ذوى البيوت فى الممالك ، ولجده موسى مع الشريف حسن بن عَجْلان صاحب مكّة وقائع ذكرناها فى ترجمة حسن المذكور فى تاريخنا « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » .

وتُوُفِّىَ الشهاب بُدَيْد بن شُكْر[3] وزير الشريف محمد بن بركات صاحب مكّة ، فى ليلة السبت السابع من جمادى الأولى بوادى الآبار من عمل مكة ، وحمل بقية ليلته على الرقاب إلى بطن مكة ، فغُسِّل بالبيت الذى أنشأه الشريف محمد بن بركات بمكة ، وصلى عليه صلاة الصبح بالحرم ، ودفن بالمعلاة على والده ، وكانت جنازته مشهودة ،

---

(١) ما بين الحاصرتين من ط كاليفورنيا ، وهو موسى بن محمد بن موسى الدهمى ، وله ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ١٠ : ١٩١) .

(٢) حلى ابن يعقوب : مدينة باليمن على ساحل البحر بينها وبين السرمين يوم واحد وبينها وبين مكة ثمانية أيام . ويقال هى حصن من حصون تعز (ياقوت – معجم البلدان) .

(٣) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٣ : ٤) وقد ولد سنة سبع أو تسع وثمانمائة بمكة .

وأسف الناس عليه ؛ لأنه كان مقصوداً للخير ، ومن بقية الشيوخ والأكابر المشار إليهم ، وبُدَيْد بباء موحدة ثانية الحروف مضمومة وبعدها دال مهملة مفتوحة ، ثم ياء آخر الحروف ثم دال ساكنتين .

وتُوُفِّيَ القاضي بدر الدين محمد ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد ابن علي بن حجر[1] العسقلاني الشافعي في يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة وقد جاوز الخمسين من العمر ، ولم يخلف قاضي القضاة وَلداً ذكراً غيره ولا أنثى ، وبموته انقطع نسل ابن حجر من الذكور[2] .

وتُوُفِّيَ الأميرُ سيفُ الدين جانِبَك بن عبد الله الناصري نائب طرابُلُس بها في يوم الأربعاء حادي عشر بن شهر رجب ، وقد جاوز السبعين من العمر ، وكان من صغار مماليك الملك الناصر فرج وعتقائه ، ثم خدم بعد موت أستاذه عند خچداشه الأمير بَرْسْباي حاجب حجاب دمشق ، وبخدمته عرف بين الناس ، ودام بخدمته إلى أن خرج الأمير إينال الجَكَمِي نائب الشام على الملك الظاهر جقمق وانهزم ، فقبض جانِبَك عليه ، وقد ذكرنا كيفية القبض عليه في غير موضع من مصنفاتنا ، ليس لذكرها في هذا المختصر محل ، فأنعم عليه الملك الظاهر جَقْمَق بإمرة طبلخاناه بدمشق ، ثم تنقل بعد ذلك بعدّة وظائف وأعمال غالبها بالبذل ، إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وتوفي الأمير عِجْل بن نُعَيْر أمير عرب آل فضل[3] بالبلاد الشامية ، وهو بطَّال بالقرب من أعمال حلب .

وتوفي السلطان خليل بن إبراهيم[4] صاحب مملكة شماخي وما والاها في السنة

---

(١) له ترجمة في (السخاوي – الضوء اللامع ٧ : ٢٠) وقد ولد سنة ٨١٤ هـ أو ٨١٥هـ .

(٢) أثبت و . پوپر في هامش ٧ : ٨٠ عن كتاب الحوادث « أنه خلف ، ونسله لم ينقطع في النسب وانقطع في العلم من يوم مات » .

(٣) له ترجمة في (السخاوي – الضوء اللامع ٥ : ١٤٦) .

(٤) له ترجمة في (السخاوي : الضوء اللامع ٣ : ١٨٩) .

الخالية ، فيما أظن بمدينة شَماخى[١] ولم تحرَّر وفاتُه إلا فى هذه السنة لبعد المسافة ، ومات بعد أن ملك نحو أربعين سنة ، وكان من أجلّ ملوك الشرق قدراً وأحسنهم سيرة ، وأجودهم بضاعة وأكثرهم سياسة ، وأحزمهم رأياً ، وهو آخر من كان بقىَ من أكابر الملوك ، وهو أحد من أوصاه السلطان مُرَاد بك بن محمد بن عثمان ملك الرُّوم على ولده محمد صاحب الروم فى زماننا هذا ، وقد ذكرنا أمره محرراً فى « الحوادث » — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الوزير شمسُ الدين محمد البِباوى ، غريقاً ببحر النيل بساحل بولاق بالقرب من فم الخور ، وقت المغرب من يوم الأربعاء ثامن عشرين ذى الحجة ، وهو فى الكهولية ؛ وكان سبب موته أنه توجه فى مركب عقيبة[٢] إلى ناحية طناش بالجيزية أو غيرها ، وعاد فغرق من شَرْد ريح وافى مركبه قلبتها ، ولله الحمد .

وكان البباوى هذا أصله من بيا الكبرى بالوجه القبلى ، كان بها خفيراً ، وقيل راعياً ، وقيل غير ذلك ، وقدم القاهرة ، وصار بخدمة بعض الطباخين مَرَقْدَاراً ، ثم صار صبياً عند بعض معاملى اللحم ، ولا زال ينتقل فى هذه الصناعات إلى ان صار معاملا ، وحسنت حاله ، وركب حماراً ، ولا زال أمرُه ينمو فى صناعته إلى أن أثرى ، وحصّل مالاً كثيراً ، وصار مُعَوَّلُ الوزراء عليه فى حمل اللحم المرتب للمماليك السلطانية ، وبقى يركب بغلا بنصف رحل بساخ جلد خروف[٣] ، ويلبس قميصاً أزرق كأكابر المعاملين . وسمع الملك الظاهر خُشْقَدم بسعة ماله — وكان من الخِسَّة والطمع فى محل كبير — فاحتالَ على أخذِ ماله بأن ولّاه نظر الدّولة فى أوائل ذى الحجة من سنة سبع وستين ، ولبس البباوى العمامة والفَرَجيَّة والُخفَّ والمهماز ، وتزيّا بزى الكتاب ، وترك زىّ المعاملين[٤] ، فشقّ ذلك على الناس قاطبة ، وعَدُّوا ذلك من قبائح الملك الظاهر خُشْقَدم ،

(١) شماخى : مدينة عامرة هى قصبة بلاد شروان فى طرف أران . وتعد من أعمال باب الأبواب (ياقوت . معجم البلدان) .

(٢) لعلها الجافية أو المستديرة العمقة . وانظر (محيط المحيط) .

(٣) المواد برذعة عليها فرو خروف .

(٤) فى ص (المعلمين) والمثبت عن ط كاليفورنيا . وتحتوى هذه العبارات على إشارات هامة فى وصف عادات الركوب والملابس بين طبقات المجتمع المملوكى .

لأن البباوى هذا مع انحطاط قَدْرِه وجهله ووضاعته وسفالة أصله ، مع عدم معرفته بالكتابة والقراءة ، فإنه كان أُمِّيًّا لا ينطق بحرف من حروف الهجاء ، إلا إن كان تلقيناً ، ومع هذا كله كان غير لائق فى زِيِّه ، فباشر نظر الدّولة مُدَّة يسيرة ، واختفى الأميرُ زين الدين الأستادار وولى الأستادارية من بعده المجدُ بنُ البقرى ، وشغر الوَزَرُ عنه ، وطلب السلطان البباوىّ هذا وولّاه الوَزَرَ فى يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الأول من سنة ثمان وستين وثمانمائة ، وصار وزيرَ الديار المصرية ، فلم نعلم بأقبح حادثة وقعت فى الديار المصرية قديما وحديثا من ولاية البباوى هذا للوزر ؛ لأنه كان أحد الأعوام الأوباش الأطراف السّوقة ، ووثب على هذه الوظيفة العظيمة التى هى أجلّ وظائف الدنيا بعد الخلافة شَرْقًا وغَرْبًا ، وقد وليها قديما جماعة كثيرة بالديار المصرية وغيرها من سادات الناس من زمن عبد الملك بن مروان إلى أيام الملك الظاهر بِيْبَرْس البُنْدُقْدَارى ، وهى إلى الآن أرفع الوظائف قَدْراً فى سائر بلاد الله ، وفى كل قطر من الأقطار إلا الديار المصرية فإنه انحطّ بها قدرها ، ووليها من الأوباش وصفار الكتبة جماعةٌ من أوائل القَرْن التاسع إلى يومنا هذا ، فالذى وليها فى عصرنا هذا ممن لا يصلح لولايتها ابن النجّار ، وعلى بن الأهْنَاسى البُرْددار ، وأبوه الحاج محمد المقدّم [ذكره][1] ، ويونس بن جَرْبُغَا دوادار فيروز النَّوْرُوزى ، وغيرهم من هذه المقولة ، ومع هذا كله بلاءٌ أعظمُ من بلاء ، وأعظمُ الكل ولايةُ البباوى هذه ، فإن كل واحد ممن ذكرنا من الذين وُلُّوا الوزرَ كان لكل واحدٍ ميزة فى نفسه ، وقد تقدّم له نوع من أنواع الخِدَم والمباشرات ، إلا البباوى هذا فإنه لم يتقدّم له نوعٌ من أنواع الرئاسة ، ومع هذه المساوئ باشر بظلم وعَسف وعدم حشمة وقلة أدب مع الأكابر والأعيان ، وساءت سيرته ، وكثر الدعاءُ عليه ، إلى أن أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ، وأراح الله المسلمين منه ؛ وقد هجاه الشعراء بأهاجٍ كثيرة ، ذكرنا بعضها فى تاريخنا « الحوادث » ، وأنا أستغفر الله من لفظة وقعت منى فى ترجمته ، فإنى قلت فى آخر ترجمته : ماولى الوزر فى الدنيا أحد أخسّ

---

(١) إضافة يقتضيها السياق .

من البباوى هذا ، ولا يليها أيضا أحد قبحُ منه إلى يوم القيامة ، فوليها بعد مدة شخصٌ من غلمانه يقال له قاسم جُغَيْتَة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم سبعة أذرع سواء ، مبلغُ الزيادة لم يتحرّر ، نذكره فى السنة الآتية عند انتهاء النيل .

السنة السادسة
من سلطنة الملك الظاهر خشقدم
على مصر

وهى سنة سبعين وثمانمائة .

فيها تُوُفِّىَ الأميرُ زين الدين[1] قراجا بن عبد الله العمرى الناصرى أحد أمراء الألوف بدمشق بها فى المحرم ، وقد ناهز الثمانين من العُمر ، وهو من مماليك الناصر فَرَج بن بَرْقُوق ، وطالت أيامه فى الجندية إلى أن استقرّ به الملكُ الظاهر جَقْمَق والى القاهرة ، ثم تنقّل بعد ذلك فى عدّة ولايات إلى أن صار أحد أمراء الألوف بدمشق ، إلى أن مات فى هذه السنة ، وكان من المهملين المسرفين على أنفسهم مع شهرة بالشجاعة .

وتُوُفِّىَ الأميرُ إسحاق بن إبراهيم بن قَرَمان ملك الروم ، غريبا عن بلاده بديار بكر عند حسن بك بن قَرايُلُك فى أوائل المحرم ، بعد أن وقع له أمور وحروب لما ملك الروم وخالفه إخوتُه ، وقد ذكرنا أمره فى تاريخنا « الحوادث » مفصلا .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين جانَم بن عبد الله المؤيَّدى ، المعروف بحرامى شَكَل ، أحد أمراء العشرات ورأس نوبة ، بعد مرض طويل وعُمْرٍ طَوِيلٍ أيضا ، وكان من أوباش مماليك الملك المؤيَّد شَيْخ ، وطالت أيامه فى الخمول والفقر إلى أن جعله الملكُ الظاهرُ جَقْمَق بوّابا ، وأنعم عليه بإقطاع كبير ، فحسن حاله ، وامتنع عن الشحاتة من الأكابر ، ودام على ذلك إلى أن تسلطن الملكُ الأشرفُ إينالُ ، فطلب منه إمْرَةً ، فلم يُعطه شيئا ، فقام بين يَدَيْهِ فى الملأ وقال : « إما توسطنى أو تعطينى إمْرَة » ، فضحِكَ الناسُ وشفعوا له حتى أعطاه إمْرَة عشرة ، ثم صار من جُمْلَةِ رءوس النوب ،

(١) كذا فى ص . وفى ط كاليفورنيا (سيف الدين) .

ودام على ذلك إلى أن مات ، وكان له حكايات فى البُخْل والجنون والنذالة نستحى من ذكرها ، وبالجملة إنه كان بوجوده عارا على جنس بنى آدم .

وتُوُفِّىَ القاضى بَدْرُ الدين حسن الرهونى المالكى[1] أحد نُوّاب الحكم المالكية بالقاهرة ، فى يوم الثلاثاء أوّل شهر ربيع الأوّل ، وقد قارب الستين من العمر ، وكانت لديه فضيلة ، إلا أنه كان متهوِّرًا فى أحكامه .

وتوفى القاضى نور الدين على الشيشينى الحنبلى[2]، أحدُ نوّاب الحكم الحنابلة فى صفر ، وقد جاوَزَ الكهولية ، وكان فاضلا معدودا من فقهاء الحنابلة .

وتوفى القاضى بدرُ الدين محمد ابن القاضى ناصر الدين محمد ، المعروفُ بابن المخلِّطة[3]، المالكى السكندرى الأصل ، المصرى المولد والمنشأ والوفاة ، فى ليلة السبت تاسع عشر ربيع الأول ، ودفن من الغد بالصحراء ، وهو فى عنفوان الشبيبة ، وكان ولى نيابة الحكم بالقاهرة ، ثم ولى قضاء الإسكندرية ، وحسنت سيرته ، إلى أن مرض وقَدِمَ القاهرة مريضا ، ولازَمَ الفراش إلى أن مات ، وكان فاضلا عالما فقيها أديبا ، حسنة من حسنات الدهر — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الشيخ المعتقد إبراهيم الغنام[4] بداره بالحسينية خارج القاهرة ، فى يوم الخميس مستهل ربيع الآخر ، وصلى عليه برحبةٍ بالقرب من داره ، ودُفن بها ، وكان من المعمرين ، وللناس فيه اعتقادٌ حسن ، وكان يبيع لبن المعز ، يسوقها أمامه بالطرقات على عادة باعة[5] اللبن ، وكان مشهوراً بالصلاح .

وتُوُفى الأميرُ سيفُ الدين جانِبَك بن عبد الله من أمير الأشرفى المعروفُ

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى : الضوء اللامع ٨ : ٢٢٦ — ٢٢٧) . واسمه هناك (محمد بن على البدر ابن القاضى نور الدين الرهونى) وليس كما هنا .

(٢) له ترجمة فى (السخاوى— الضوء اللامع ٥ : ١٨٧) ويعرف بابن قطب وبابن الشيشينى ، ولد سنة ٨١٧ هـ .

(٣) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ٨) وقد ولد سنة ٨٢٤ هـ .

(٤) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ١٨٨، ١٨٩) .

(٥) فى الأصول (بيعة) .

بالظريف[١]، محبوسا بقلعة صَفَد فى هذه السّنة ، وقد جاوزَ الكهولية ، وكان من صغار مماليك الملك الأشرف بَرْسْباى ، وصار خاصكيا فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق ، ثم خازنداراً صغيراً[٢] ثم دواداراً صغيراً[٢] ثم تأمّر عشرة ، ثم صار خازنداراً كبيراً فى دولة الملك الأشرف إينال ، ثم صار فى دولة الملك الظاهر خُشْقَدَم دواداراً ثانياً بإمرة مائة وتقدمة ألف ، فلم تَطُل أيامُه فيها ، وقُبِضَ عليه مع من قُبض عليه من خُجْداشِيته الأشرفية ، وحُبس سنين إلى أن مات فى السجن ، وكان شاباً خفيفاً ، وفيه طيش مع تكبّر وتعاظم وبخل زائد ، لكنه كان عارفا بأنواع الملاعيب كالرّمح والبِرْجاس وغير ذلك ، وعلى كل حال كانت مساوئه أكثر من محاسنه .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين ملك أَصْلان بن سليمان بن ناصر الدين بك بن دُلْغَادِر نائب أَبُلُسْتين قتيلا بها بيد فداوى فى صلاة الجمعة بالجامع ، وثب عليه الفداوى وضربه بسكين كان فى يده إلى أن قتله ، وقُتل الفداوى فى الوقت ، وقيل إن الفداوى كان أرسله الملك الظاهرُ خُشْقَدَم ، وحضر سيفه إلى الديار المصرية فى عاشر ربيع الآخر ، وولى بعده شاه بضع أخوه ، ووقع بعد ذلك أمور وفتن قائمة إلى يومنا هذا .

وتُوُفِّىَ الشيخ الإمام الخطيب البليغُ الأديبُ المفنن برهانُ الدين إبراهيمُ ابن قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج بن عبد الله بن عبد الرحمن[٣] البَاعُونِى الأصل ، الدِّمشقى المولد والمنشأ والوفاة ، فى يوم الخميس ربع عشرين شهر ربيع الأوّل ، ودُفن من يومه ، وقد عمّر ، ومولده فى سابع عشرين شهر رمضان سنة سبع وسبعين وسبعمائة ، ونشأ بدمشق ، وطلب العلم ، وقرأ على علماء عصره إلى أن برَع فى عِدّة فنون من فقه وعربية وأدب ، وغلب عليه الأدبيات والشعر ، وله نظمٌ رائق ونثرٌ فائق ، وقفتُ على عِدَّة كُتب من مكاتباته تدلّ على فضلٍ كبير .

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٤ : ٥٣) ونسبته إلى الأشرف برسباى .

(٢ : ٢) مابين الرقمين ساقط فى ص . والإثبات عن ط كاليفورنيا .

(٣) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ٢٦ — ٢٨) وينسب إلى باعون قرية من قرى حوران بالقرب من عجلون . ومولده سنة ٧٧٧ هـ .

وعلمٍ غزير ، واتساعِ باعٍ فى الأدب وأنواعه ، وله رسالة عاطلة من النقط ، أبدع فيها وأتى بغرائب ، مع عدم التكلّف ، وخمّس ألفية ابن مالك فى النحو ، وله غير ذلك من المصنفات ، وولى خطابة دمشق ، ومشيخة الباسطية ، وسئل بقضاء دمشق فامتنع ، ووليها أخوه القاضى جمال الدين يوسف الباعونى ، ولم يزل الشيخ برهان الدين على أحسن طريقة إلى أن مات — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيَت خَوَنْد شُكرْباى الناصرية الأحمدية زوجة السلطان الملك الظاهر خشقدم فى يوم الأربعاء سادس جمادى الأولى ، وصُلى عليها تحت طبقة الزّمام تجاه باب الستارة ، ودفنت بتربة زوجها السلطان الملك الظاهر خشقدم التى أنشأها بالصحراء ، وأُنْزِلَت من القلعة ، ولم يُغَطَّ نَعْشُها بِبَشْخَاناه [1] على عادة الخَوَنْدات ، بل جُعل على نعشها خرقة مرقعة للفقراء ، وجعل أمام نعشها أعلام أحمدية [2] ، وكان ذلك بوصية منها ، وكان أصلها جاركسية الجنس ، من عتقاء الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ، وتزوجت بعد موت أستاذها بالأمير أَبْرَك الجَكَمى ، واستولدها أَبْرَك أولاداً ، منهم : خاتون أم الشهابى أحمد ابن العينى ، وماتت خاتون المذكورة فى سلطنة الملك الظاهر خُشْقَدَم ، ولم يتزوّج السلطان الملك الظاهر غيرها إلا بعدها .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين كَسْباى بن عبد الله الششمانى الناصرى ثم المؤيدى ، أحد أمراء الطبلخانات فى ليلة الاثنين ثالث [3] جمادى الآخرة ، ودُفن بتربته التى أنشأها خارج القاهرة ، وكان أصله من مماليك الملك الناصر فَرَج ، ثم ملكه الملك المؤيّد شَيخ وأعتقه ، وصار خاصكيا بعد موته ودام على ذلك إلى أن جعله الملك الظاهر جَقْمَق دَوَاداراً صغيراً ، ووقع له معه أمور ومحن ، إلى أن صار أميراً فى دولة الملك

---

(١) البشخاناه وتجمع على بشاخين . وهى ما يطلق عليها اليوم الناموسية المزركشة أو داير السرير أى الحية التى توضع عليه . وقد تكون حول الغرفة كلها — الدكتور سعيد عاشور — العصر المماليكى فى مصر والشام ٣٩٦ عن قاموس دوزى) ولعل المراد المفرش المزركش الذى يستعمل فى تغطية النعوش .

(٢) نسبة إلى ولى الله سيدى أحمد البدوى (عن هامش و . پوپر ٧ : ٨٠٩ عن كتاب الحوادث) .

(٣) فى ص «ثانى» والمثبت عن ط كاليفورنيا . وهو ما يتفق حسابا مع التواريخ التالية له .

الأشرف إينال ، ثم صار من أمراء الطبلخانات فى دولة خُجْداشِه الملك الظاهر خُشْقَدَم إلى أن مات فى التاريخ المذكور ، وكان رأسا فى فنون الفروسية ، عارفا بأنواع الملاعيب ، كالرمح والنشاب والبِرْجاس وغير ذلك ، لكنه كان عنده خفّة وطيش ، مع سلامة باطن — رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وتُوُفّى القاضى فخرُ الدين محمد الأسيوطى الشافعى[1] أحد نواب الحكم الشافعية ، فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الآخرة ، وسنه أزيد من سبعين سنة ، وقد ناب فى الحكم أزيد من أربعين سنة ، على أنه كان قليل العلم والعمل — عفا الله عنه .

وتُوُفّىَ الشيخُ الواعظُ المُذَكِّرُ أبو العباس أحمد بن عبد الله المَقْدِسِى[2] الشافعى الواعظ ، بعد مرض طويل ، بالقاهرة فى ليلة الأربعاء سادس عشرين جمادى الآخرة ، ودُفِنَ من الغد بالقرافة الصُّغرى ، ومولده فى سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، هكذا ذكر لى عندما استجارنى ، وكان له اشتغال قديم ، وغلب عليه الوعظُ والتّذكيرُ ، وعملُ المواعيد[3] ، وكان لتذكيره تأثير فى القلوب ، وعليه أنسٌ ، وله باع واسع فى الحفظ للأحاديث والتفسير وكرامات الصالحين ، وكان له فى التذكير القَبُول الزائد من كل أحد ، وأثرى من ذلك وجَمَعَ المالَ الكثير ، والناس فيه على قسمين ، ما بين معتقد ومنتقد ، والظن الثانى أكثر ، وكنت أنا من القسم الأول ، لولا ما وقع له مع الحافظ العلّامة بُرهان الدين البِقاعى ما وقع ، وحكايته معه مشهورة أضربت عن ذكرها لقرب عهد الناس منها .

وتُوُفّىَ الخادمُ الرئيسُ صَفِىّ الدين جَوْهَر بن عبد الله الأرْغون شاوى[4]

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ٩ : ٣٧ – ٣٨) ومولده فى سنة اثنتين أو ثلاث وتسعين وسبعمائة .

(٢) له ترجمة فى (السخاوى – الضوء اللامع ١ : ٣٦٣ – ٣٦٦) ولد سنة ٨٠٩ ھ .

(٣) المواعيد : دروس الوعظ الدورية المتفق على مواعيدها . وهذا هو المفهوم من ورود هذا التعبير فى تراجم أخرى . وانظر (الحوادث والدهور لوحة ١٧ نسخة استنبول ٢٣٩٧ دار الكتب) فى ترجمة الواعظ جمال الدين السنباطى (وكان يعمل المواعيد فى المساجد والربط ، وكان على وعظه أنس ولكلامه موقع فى النفوس الخ) .

(٤) فى الأصول «الأرغونى» والتصويب عن هامش و / پوپر ٧ : ٨١١ عن كتاب الحوادث .

الظاهرى ، الساقى الحبشى الجنس ، رأس نوبة الجَمدَارية ، فى ليلة الخميس عاشر شعبان ، ودُفن من الغد بتربة الأمير قانى بَاى الچاركسى ، وحضر السلطانُ الصلاة عليه بمصلّاة المؤمنى ، ومات وهو فى عشر الستين ، ولم يخلف بعده مثله دينا وأدبا وحِشمَةً ورئاسة وتواضعا وعقلا ، وبالجملة إنه كان من حسنات الدَّهْر — رحمه الله تعالى .

وتَوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين سودون بن عبد الله المؤيَّدى الفقيه الأشقر ، أحد أمراء العشرات ، بعد مرض طويل ، فى يوم الخميس سابع شهر رمضان ، وكان من عتقاء الملك المؤيَّد شَيْخ ، وتأمَّر فى دولة الملك المؤيَّد أحمد ابن الملك الأشرف إينال — فيما أظن — ودام على ذلك إلى أن مات ، وكان فقيهاً ديِّناً خيراً فاضلا — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأديبُ الفاضل أبو العباس أحمد بن أبى السعود إسماعيل بن إبراهيم بن موسى بن سعيد بن على المنوفى[1] الشافعى ، المعروف بابن أبى السعود الشاعر المشهور بالمدينة الشريفة فى خامس عشرين شهر رمضان ، ومولده فى شوال سنة أربع عشرة وثمانمائة بمنوف العليا ، ومن شعره فى مليح منجم : [الوافر]

لمحبوبى المنجِّمِ قلتُ يـــوماً فَدَتْكَ النفسُ يابدْر الـكمالِ
برانى الهجُر ، فا كشف عن ضميرى فهل يوماً أرى بَدْرى وَفَى لى

وقد ذكرنا من شعره قطعةً جيدة فى « الحوادث » وغيرها .

وتُوُفِّىَ القاضى جلالُ الدين عبدُ الرحمن ابن الشيخ نور الدين على ابن العلّامة سراج الدين عمر بن المُلَقِّن[2] الشافعى ، فى صبيحة يوم الجمعة ثامن شوال ، وقد جاوز الثمانين بأيام قليلة ، ومات فجأة ، وكان من بيت علم وفضل ، وناب فى الحكم سنين ، وولى

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١ : ٢٣١ — ٢٣٤) وقد ولد سنة ٨١٤ ﻫ بمدينة منوف العليا فنسب إليها .

(٢) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٤ : ١٠١ — ١٠٢) وقد ولد سنة ٧٩٠ ﻫ .

عِدَّةَ وظائف دينية ، ودرّس بعدّة مدارس ، وكان مشكور السّيرة ديّنا عاقلا ، مليح الوجه حسن السَّمْت — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيَ الشيخُ زينُ الدين خالد بن أيوب بن خالد[١]، شيخ خانقاه سعيد السعداء ، في يوم الأربعاء ثالث عشر شوال ، بعد مرض طويل ، وولى المسجد بعده الشيخُ تقى الدين عبد الرحمن القَلْقَشَنْدى — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيَ الأميرُ الوزيرُ الصاحبُ شمس الدين منصورُ بن الصفى [٢] قتيلا ، ضُرِبَت رقبتُه تجاه الصالحية بحكم قاضى القضاة حسام الدين بن حُريز المالكى ، فى يوم الأربعاء العشرين من شوال ، وسِنُّه دُون الأربعين سنة ، بعد أن قاسى شدائد من الضرب والعصر والمصادرات والسجن[٣]، لِتَحَامُلِ أهلِ الدولة عليه ، وقد سقنا حكايته بتطويل فى تاريخنا « الحوادث » — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيَ الشيخُ شمسُ الدين محمدُ بن على بن محمد المعروف بابن الفألاتى[٤] الفقيه الشافعى ، فى يوم الجمعة رابع عشر ذى القعدة ، وهو فى أوائل الكهولية ، والفألاتى[٥] كانت صناعة أبيه ، وكان أبوه وأعمامه ثلاثة إخوة ، كان عمه الواحد أديباً حكما لأدباء العوام ، عاميا ، يجلس على الطرقات فى وسط حلقة ، وعمه الآخر فى قيد الحياة يتكسب بالتنجيم بالرّمل ، وكان والد شمس الدين حَكَوِيًّا يجلس على الطرقات ، وعليه حلقة كعادة العوام ، وكان مع هذا حكما للصارعين ، ونشأ شمس الدين هذا على هيئة العوام ، إلا أنه حفظ القرآنَ العزيز ، فلما كبر حُبِّبَ إليه الاشتغالُ بالعلم ، فاشتغل على جماعة من العلماء فى فنون كثيرة ، وعُدَّ من أعيان الفقهاء — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّيَ الأميرُ سيفُ الدين تَغْرى بَرْمُش السيفى قَرَا خَجا الحسنى ، أحد أمراء

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٣ : ١٧٠ — ١٧١) وقد ولد بعد بداية القرن بيسير .
(٢) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ١٠ : ١٧٠ — ١٧١) .
(٣) هذا اللفظ ساقط من ص ، والإثبات عن ط كاليفورنيا .
(٤) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٨ : ١٦٧) ومولده سنة ٨٤٢ هـ .
(٥) الفألاتى هو الذى يقرأ الفأل والطالع . (Dozy Supp. dict. Ar.) .

العشرات ورأس نوبة ، فى ليلة الخميس ثامن عشر ذى الحجة ، وقد ناهز الستين أو جاوزها بقليل ، ودُفن من الغد ، وحضر السلطانُ الصلاة عليه بمصلاة المؤمنى — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ بير بُضَع بن جِهان شاه بن قَرا يُوسُف بن قَرا محمد ، التركمانى الأصل ، صاحب بغداد والعراق ، قتيلا بسيف والده جِهان شاه ، بعد أن حصره ببغداد نحو ثلاث سنين ، وكان كآبائه وأجداده سيىء الاعتقاد ، محلول العقيدة ، راحت رُوحُه إلى سقر ، ويُلْحِقُ الله به من بقى من أقاربه .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم سبعة أذرع ونصف ، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع .

السنة السابعة

من سلطنة الملك الظاهر خشقدم

على مصر

وهى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة :

فيها تُوُفِّىَ أتابكُ العساكر بالديار المصرية الأميرُ قانَم من صَفَر خَجا المؤيَّدى، المعروف بالتاجر، فُجاءة فى ليلة الاثنين حادى عشر صفر، وسنه نحو السبعين، وكان أصله من مماليك الملك المؤيَّد شَيْخ وأعتقه، وصار خاصّكيًّا فى دولة ولده المظفر أحمد ابن شَيْخ، ولازال على ذلك إلى أن تأمَّر عشرة فى دولة الملك العزيز يوسف ابن السلطان الملك الأشرف بَرْسْباى. واستمرَّ فى دولة الملك الظاهر جَقْمَق كلها على ذلك، وحجَّ أمير الركب الأوّل غير مرّة، وتوجَّه فى الرّسْلية إلى جِهان شاه ابن قَرايوسف ملك الشرق، ثم إلى خَوَنْدكار بن عثمان متملك بلاد الرُّوم، ثم عاد ودام بمصر إلى أن صار فى دولة الملك الأشرف إينال من جملة أمراء الطبلخانات، ثم صار أمير مائة ومقدَّم ألف بعد موت خير بَك النَّوْرُوزى المؤيَّدى الأجرود، ثم صار فى دولة الملك المؤيَّد أحمد بن إينال رأس نوبة النُّوَب، بعد الأمير قَرْقَماس الأشرفى، بحكم انتقاله إلى إمرة مجلس، واستمرَّ على ذلك إلى أن نقله خچداشُه الملك الظاهر خُشْقَدَم إلى إمرة مجلس، بعد انتقال قَرْقَماس أيضا إلى إمرة سلاح، بعد انتقال الأمير جَرِباش إلى الأتابكية، عوضاً عن الملك الظاهر خُشْقَدَم، وعظم قانم فى دولة خچداشه خُشْقَدَم المذكور، ونالته السعادةُ زيادة على ما كان أولا، ودام على ذلك إلى أن نقله إلى الأتابكية بعد إخراج الأتابك جَرِباش المحمدى إلى ثغر دمياط بطَّالا، فدام على الأتابكية إلى أن مات فجاءة فى التاريخ المقدم ذكره، وكان من أجلِّ الملوك وأعظمهم، لولا تكبُّرٌ كان فيه — رحمه الله تعالى وعفا عنه.

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين بَرْسْباى بن عبد الله البَجَاسى نائب الشام بها فى يوم الاثنين ثامن عشر صفر ، وقد زاد سنه على الستين ، بعد مرض طويل ، وكان من عتقاء الأمير تَنْبك البَجَاسى نائب دمشق ، الذى كان خرج على الملك الأشرف بَرْسْباى وَقُتل فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة ، فكان بين وفاة بَرْسباى هذا ووفاة أستاذه تَنْبَك نحو من أربع وأربعين سنة ، ولما قُتل أستاذ بَرْسْباى هذا تنقَّل فى الخِدَم حتى صار من جملة المماليك السلطانية ، وترقى إلى أن صار أمير عشرة فى دولة الملك الظاهر جَقْمق ، ثم جعله نائب الإسكندرية ، ثم صار فى دولة الأشرف إينال أمير مائة ومقدَّم ألف .

ثم لما مات حاجب الحجاب جانِبَك القَرَمانى الظاهرى فى شوال سنة إحدى وستين جعل هذا موضعه حاجب الحجاب ، ثم نُقل إلى الأمير آخورية الكُبْرَى فى سنة أربع وستين بعد موت يُونُس العَلَائى ، وذلك بعد أن صاهرَ السلطان وتزوج ببنت الأمير بُرْدبك الدوادار الثانى ، وهى بنت بنت السلطان ، فلم يكن مكافأة بَرْسْباى هذا للأشرف إينال على ما خوَّله من النعم إلا أنه لمَّا خرج القومُ على وَلَدِه الملك المؤيَّد أحمد بن إينال غَدَرَهُ ومال إلى الملك الظاهر خُشْقَدم ، فعابه كلُّ أحدٍ على ذلك ، وليت الملك الظاهر خشقدم عرف له ذلك ، بل أخرجه بعد قليل إلى نيابة طرابُلُس ، ثم تنقَّل بعد نيابة طرابُلُس إلى نيابة الشام ببذل المال ، ولم يتهنأ بدمشق بل مَرِض وطالَ مرضُه إلى أن مات ، وكان رجلا عاقلا عفيفا عن المنكرات والفروج ، ولم يَعِفَّ عن الأموال ، وكان بخيلا جداً — عفا الله عنه .

وتوفى شيخُ مكة ومحدِّثها ومسندها تقىُّ الدين أبو الفضل محمد بن نجم الدين محمد ابن أبى الخير محمد بن عبد الله بن فَهْد الهاشمى(١) المكى الشافعى ، بمكة فى يوم السبت سابع شهر ربيع الأول ، ومولده بأصْفَون الجبلين (٢) من صعيد مصر ، فى يوم الثلاثاء

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن فهد الهاشمى العلوى الأصفونى ثم المكى ، ولد سنة ٧٨٧ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٩ : ٢٨١ — ٢٨٤) .

(٢) أصفون ، أو أسفون . من قرى المطاعنة بمركز إسنا بحريها (على مبارك : الخطط: ٨: ٥٧) .

خامس شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وسبعمائة ، وقد استوعبنا ترجمته فى تاريخنا « الحوادث » .

وتوفى الأمير سيف الدين قانَم بن عبد الله الأشرفى ؛ المعروف بقانَم نَعْجَة ، أحد أمراء العشرات ورأس نَوبة ، شبه الفجاءة ، فى ليلة الأحد سادس عشر جمادى الأولى ، وقد جاوز الستين ، وكان من مماليك الملك الأشرف بَرْسْباى وتأمّر فى دولة الملك الأشرف إينال إلى أن مات ، وكان مسرفًا على نفسه منهمكا فى اللذات ، وعنده بطش وظلم .

وتُوُفِّىَ الأميرُ سيفُ الدين تِمْرَاز بن عبد الله الإينالى الأشرفى الدَّوادار الثانى — كان — مقتولا بسيف الشرع بقلعة المَرْقب ، فى يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى ، ومات وقد زاد سنُّه على الستين ، وحكاية تِمْراز هذا طويلة ، وما وقع له من الحبس والنفى والمحن يطول الشرح فى ذكره ، استوعبنا غالب أموره فى وقتها فى تاريخنا « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » وبالجملة إن تِمْراز هذا كان من مساوئ الدهر لفظًا ومعنى — عفا الله تعالى عنه .

وتُوُفِّىَ الخواجا التاجر بدرُ الدين حسن الطَّاهر اليمنى الأصْل والمولد والمنشأ ، المكى الدار والوفاة ، شاه بَنْدَر جدَّة ، بمكة فى جمادى الأولى ، وقد عمّر وشاخَ ، وانتهت إليه رئاسة التجار بمكة فى كثرة المال والبخل ، وقيل إنه كان زَيْدِيَّ المذهب مع جهل مفرط ، وبُعْدٍ عن كل علم وفن .

وتُوُفِّىَ قاضى القضاة شرف الدين يَحْيى ابن سعد الدين محمد بن محمد المُنَاوِى (١) الشافعى ، قاضى قضاة الديار المصرية وعالمها — معز ولا — فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر جمادى الآخرة ، ودُفن من الغد بالقرافة الصغرى ، وقد زاد سنه على السبعين ، وحضر السلطانُ الصلاةَ عليه بمصلّاة المؤمنى ، وكانت جنازته مشهودة ، وكثر

(١) له ترجمة في (السخاوى – الضوء اللامع ١٠ : ٢٥٤ – ٢٥٧) وقد ولد سنة ٧٩٨ هـ .

أسف الناس عليه ، لغزير فضله ودينه وحسن سيرته ، ومات ولم يخلف بعده مثله — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ القاضى زين الدين عبد الغفار بن مخلوف السمديسى المالكى (١) ، أحد نواب الحكم بالديار المصرية ، وهو فى أواخر الكهولية ، وكان معدوداً من فضلاء المالكية .

وتُوُفِّىَ الإمامُ نورُ الدين على السُّوَيْفى (٢) المالكى إمام السلطان ، فى يوم الخميس رابع عشر شهر رجب ، وهو فى عشر المائة من العمر ، بعد أن خدم عِدَّة ملوك ، وولى حِسْبَةَ القاهرة — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الحافظُ تقى الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن قطب الدين أحمد القَلْقَشَنْدِى (٣) الشافعى ، شيخ خانقاه سعيد السعداء الصلاحية فى ليلة الثلاثاء ثالث شعبان ، ومولده فى شهر رجب سنة سبع عشرة وثمانمائة ، وكان من الفضلاء ، وصحبنى سنين كثيرة ، وسمعت أشياء عالية من الحديث بقراءته ، ذكرنا ذلك كله فى ترجمته فى « الحوادث » — رحمه الله تعالى .

وتُوُفِّىَ الأميرُ شهاب الدين أحمد ابن ناصر الدين محمد ، المعروف بابن قُلَيْب ، حاجب حُجّاب طرابُلُس وأستادار السلطان بها ، فى يوم الخميس خامس شعبان .

وتُوُفِّىَ أميرزة ابن شاه أحمد بن قرا يوسف فى يوم السبت رابع ذى القعدة ، بالقاهرة بسكنه بباب الوزير خارج القاهرة ، وسنه زيادة على ثلاثين سنة ، وأظنه حفيد شاه أحمد بن قرا يوسف لا ولده (٤) — رحمه الله تعالى .

---

(١) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٤ : ٢٤٣—٢٤٤) ومولده بسمديسة ، قرية من قرى البحيرة قرب دمنهور .

(٢) وهو على بن أحمد بن على . النور السويفى ثم القاهرى . ولد فى سنة ٧٨٦ هـ (السخاوى — الضوء اللامع ٥ : ١٧٦ — ١٧٧) .

(٣) له ترجمة فى (السخاوى — الضوء اللامع ٤ : ٤٦ — ٤٨) وقد ولد سنة ٨١٧ هـ .

(٤) أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٨٢٠ عن كتاب الحوادث « وحضر السلطان الصلاة عليه ، وكان أحضره حواشى والده إلى الديار المصرية من العراق وهو صغير فى دولة الظاهر جقمق مخافة عليه من عمه أصفهان بن قرا يوسف متملك بغداد ، فنشأ بالديار المصرية كأحد أولاد الأمراء الى أن مات فى التاريخ المذكور » .

وتُوُفِّىَ الأمير سيفُ الدين جانِبَك بن عبد الله الناصرى المعروف بالمُرْتَدّ أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية — بطالا — بعد ما شاخ وكبر سنه ، وكان من المهملين فى أيام عمله وبطالته — رحمه الله تعالى .

أمر النيل فى هذه السنة : الماء القديم ستة أذرع وعشرون إصبعاً ، مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً سواء .

ذكر

سلطنة الملك الظاهر أبى نصر يلباى الإينالى المؤيدى

على مصر

وهو السلطان التاسع والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم ، والرابع عشر من الجراكسة وأولادهم .

تسلطن فى آخر نهار السبت عاشر شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ، قبل الغروب بنحو ثلاث درج رمل ، وسبب تأخيره إلى هذا الوقت أنه لما مات الملك الظاهر خُشْقَدَم بعد أذان ظهر يوم السبت المقدّم ذكرُه طلع الأتابَك يَلَباى المذكور وجميع الأمراء إلى القلعة ، وقبل أن يتكلموا فى ولاية سلطان أخذوا فى تجهيز الملك الظاهر خُشْقَدَم والصلاة عليه ، فغسّلوه وأخرجوه وصلوا عليه عند باب القُلَّة ، ونزلوا به إلى حيث دُفن بمدرسته التى أنشأها بالصحراء بالقرب من قبة النصر ، وحضرتُ أنا دفنه ، ولم يحضره من أعيان الأمراء إلا جماعة يسيرة حسبما تقدّم ذكرُه فى وفاته ، وهذا كله بخلاف العادة ، فإن العادة سلطنة سلطان ثم يؤخذ فى تجهيز السلطان الذى مات .

ولما أُنزل نعشُ الملك الظاهر خُشْقَدَم من القلعة شرعوا عند ذلك فى سلطنة الأتابَك يَلَباى ، وكان قد انبَرَمَ أمرُه فى ضَحْوة نهار السبت هذا مع الأمراء ومماليك الملك الظاهر خُشْقَدَم ، وكبيرهم يوم ذاك خير بك الدّوادار الثانى ، وخُشْكَلْدِى البَيْسَقى أحد مقدّمى الألوف ، ولما أذعن مماليك الظاهر الأجْلَاب بسلطنة يَلَباى لم يختلف عليه يومئذ أحد ؛ لأن الشوكة كانت للأجْلاب ، وهم أرادوه ، والظاهرية الكبار تبعٌ لهم ، وأما المؤيّدية نُخچداشيته ، فتمّ أمرُه .

وكيفية سلطنته أنه لما عادوا من الصلاة على الملك الظاهر خُشْقَدَم جلسوا عند باب

الستارة وقتا هيِّنا ، وإذا بالأمير خير بك خرج من باب الحريم ومعه جماعةٌ من خُجداشيته وأخذوا الأتابك يَلَباى وأدخلوه من باب الحريم ، ومضوا به إلى القصر السلطانى ، وخاطبوه بالسلطنة ، فامتنع امتناعا هينا ، فلم يلتفتوا إلى كلامه ، وأرسلوا إلى الأمراء أحضَروهم إلى القصر من خارج ، فوجدوا القصر قد سقط بابه ، فدخلوا من الإيوان إلى القصر ، فتفاءل الناس زواله بسرعة ؛ لغلق باب القصر ، فدخلت الأمراء قبل أن يحضر الخليفةُ والقضاةُ ، وطال جلوسهم عنده ، وقبّلت الأمراء الأرض قبل المبايعة وهم فى هرج لإحضار الخليفة والقضاة إلى أن حضروا بعد مشقة كبيرة ؛ لعسر طريق القصر ، إذ المصير إليه من الإيوان السلطانى ، وأيضا حتى لبست الأمراء قماش الموكب وتكاملوا بعد أن فرغ النهار ، وقد أخذوا فى بيعته وسلطنته وَلَبّسُوه خلعة السلطنة بالقصر ، وجلس على تَخْت الملك من غير أن يركب فرسا بأبهة الملك على العادة ، وقبلوا (١ الأمراء الأرض بين يديه وتمّ أمره ١) ، فكان جلوسه على كرسى السلطنة قبل الغروب بثلاث درج حسبما تقدم ذكرُه .

وَخلع على الأمير تمُرْبُغا أمير مجلس بالأتابكية ، ثم خلع على الخليفة ، فدقّت البَشائر ، ونودى بسلطنته ، وتلقب بالملك الظاهر يَلَباى .

والآن نشرع فى التعريف به قبل أن نأخذ فيما وقع له فى سلطنته من الحوادث فنقول :

أصله چاركسى الجنس ، جلبه الأميرُ إينالُ ضضع من بلاد الچاركس إلى الديار المصرية فى عدة مماليك ، فاشتراه الملك المؤيد شَيخ قبل سنة عشرين وثمانمائة ، وأعتقه وجعله من جملة المماليك السلطانية ، وأسكنه بالقلعة بطبقة الرَفْرَف(٢) ثم صار خاصكيا

(١–١) ما بين الرقمين ساقط من ص ، والإثبات عن ط كاليفورنيا .

(٢) طبقة الرفرف : أصل الرفرف من عمارة الملك الأشرف خليل بن قلاوون بقلعة الجبل ، وقد جعله عاليا يشرف على الجيزة ، وبيضه وصور فيه أمراء الدولة وخواصها ، وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها ، وكان يجلس فيه . ثم هدمه أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢ هـ وعمل به برجا بجوار الاسطبل ونقل إليه بعض المماليك فصار طبقة لهم (المقريزى – الخطط ٢ : ٢١٢ ط بولاق) .

بعد موت أستاذه ، وَدام على ذلك إلى أن صار من أعيان الخاصكية ، وأنعم الأشرف بَرْسباى عليه بثُلث قرية طُحُورية[(١)] ، ثم نقله الملك العزيز يوسف ابن السلطان الملك الأشرف بَرْسباى إلى نصف بنها العسل بعد أيْتَمُش المؤيدى ، ثم صار ساقيا فى أوائل دولة الملك الظاهر جقمق ، فلم تطل أيامه فى السقاية ، وأمَّره عشرة وَجعله من جملة رءوس النوب ، فدام على ذلك إلى أن تَسَحَّب الملك العزيز يوسف ابن الملك الأشرف بَرْسباى من قاعة الجبل واختفى إلى أن ظفر به يَلَباى هذا فى بعض الأماكن ، وطلع به إلى الملك الظاهر جقمق ، فأنعم عليه الملك الظاهر جقمق بقرية سرياقوس زيادةً على ما بيدة ، وَصار أمير طبلخاناه ، ودام على ذلك إلى أن تسلطن الملك المنصور عثمان ابن السلطان الملك الظاهر جقْمَق ، فقبض على يَلَباى هذا وعلى اثنين من خچداشيته : دُولات باى الدَّوَادار الكبير وبَرْسْباى الأمير آخور الثانى ؛ وذلك فى سنة سبع وخمسين ، وحُبس بثغر الإسكندرية إلى أن أطلقه الملك الأشرف إينال من سجن الإسكندرية ، وأطلق خُچداشيته المذْكُورَيْن ، ووجَّهه إلى دِمْياط — بَطَّالا — ثم أحضره إلى القاهرة بعد أيام قليلة ، فاستمر بطالا مدة يسيرة .

وقتل الأمير سَوِنْجبُغا اليونسى[(٢)] الناصرى ببلاد الصعيد ، وكان سَوِنْجبُغا هو الذى أخذ إقطاع يَلَباى هذا بعد مسكه ، فأعاده الملك الأشرف إينال إليه ، وصار على عادته أولا أمير طبلخاناه إلى أن مات الأميرُ خير بك المؤيّدى الأشقر الأمير آخور الثانى ، فنقل يَلَباى هذا إلى الأمير آخورية الثانية من بعده ، فدام على ذلك إلى أن أنعم عليه الملكُ الأشرفُ إينال بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، فدام على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر خُشْقَدَم إلى حجوبية الحجاب بالديار المصرية ، عوضاً عن بيبرس خال العزيز ، بحكم انتقاله إلى وظيفة رأس نَوبة النُّوَب ، بعد انتقال الأمير قانَم إلى

---

(١) تتبع هذه القرية مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية . (محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ١ : ٣٧) .

(٢) فى ص « اليوسفى » وما هنا عن ط كاليفورنيا .

إمرة مجلس بعد انتقال قَرْقَماس إلى إمرة سلاح ؛ بحكم انتقال جَرِباش إلى الأتابكية ، عوضاً عن الملك الظاهر خُشْقَدَم ، وذلك فى يوم الأربعاء سابع شوال .

فاستمرّ يَلَباى هذا على الحجوبية إلى أن نقله الملك الظاهر خُشْقَدَم إلى الأمير آخورية الكبرى ، بعد توجه بَرْسْباى البَجَاسى إلى نيابة طرابُلُس ، بعد القبض على الأمير إياس المحمدى الناصرى ، وذلك فى يوم الخميس سابع عشر المحرم سنة ست وستين .

فدام يَلَباى هذا فى هذه الوظيفة إلى أن نُقِل إلى أتابكية العساكر بالديار المصرية بعد موت الأتابك قانَم دفعة واحدة ، بعد أن كان يجلس فى مجلس السلطان خامس رجل ، وذلك فى يوم الاثنين ثامن عشر صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة ، واستمرّ على ذلك إلى أن مرض الملك الظاهر خُشْقَدَم ، وثقل فى مرضه ، وتكلّم الناسُ فيمن يتسلطن فيما بينهم ، فرُشح جماعة ، فاختارت الأجلابُ يَلَباى هذا ، كَوْنه أتابك العساكر وأيضاً خُجداش أستاذهم ، فتسلطن ، وتمّ أمره حسبما تقدّم ذكره — انتهى .

قلتُ : ولما استمر جلوسه بالقصر السلطانى رسم فى الحال بسفر الأمير قَرْقَماس أمير سلاح بمن كان عُيِّن معه من الأمراء والمماليك السلطانية إلى الصعيد ، وكان له أيام مقيما بالمركب ، وكذلك جميع من كان عُيِّن معه ، وسافروا من يومهم أرسالا .

ثم خلع الملكُ الظاهرُ يَلَباى على الأتابك تَمُرْبُغا فى يوم الاثنين ثانى عشره خِلْعَة نظر البيمارستان المنصورى .

وخلع على خُجداشه الأمير قانى بَك المحمودى المؤيدى بإمرة مجلس عوضاً عن الأتابَك تَمُرْبُغا ، وأنعم عليه بإقطاع تَمُرْبُغا أيضاً .

وخلع على تَمُر المحمودى والى القاهرة خلعة الاستمرار ، وكذلك على القاضى علم الدين كاتب المماليك .

وفيه ورد كتاب يَشْبُك من مهدى كاشف الوجه القبلى يتضمن أنّه ولّى سليمان

ابن عمر الهوارى عوضاً عن ابن عمه، وأنه لا حاجة له بتجريدة، فلم يلتفت السلطانُ إلى مقالته فى عدم إرسال تجريدة إلى بلاد الصعيد لغرض يأتى بيانه .

ثم فى يوم الخميس خامس عشره خلع السلطان على جميع مباشرى الدولة باستمرارهم على وظائفهم .

وفيه نُودِىَ بأن نفقة المماليك تكون من أول الشهر، يعنى أول ربيع الآخر .

وَفيه عُمل المولد النبوى بالحوش على العادة، وقبل أن يفرغ المولد ندب السلطانُ الأمير بَرْسْباى قرا الظاهرى، والأمير جكم الظاهرى، وطَرَباى الظاهرى البواب، أن يتجهزوا إلى الصعيد لمسك الأمير قَرْقَماس أمير سلاح والأمير قَـلَمْطَاى رأس نوبة، والأمير أرْغُون شاه، ويتوجهوا بهم إلى حبس الإسكندرية، ولم يعلم أحدٌ ما الموجب لذلك .

وفى يوم السبت سابع عشره [1] أعاد السلطانُ القاضى قطبَ الدين الخَيْضَرى إلى كتابة السِّرِّ بدمشق، بعد عزل الشريف إبراهيم بن السيد محمد .

وفيه أيضا استقرّ الصارمى إبراهيم بن بَيْغُوت الأعرج حاجب الحجّاب بدمشق عوضا عن شَرَامُرْد العثمانى المؤيدى .

وفيه وصل الخبر بقدوم الأمير أُزْبك رأس نَوبَة النُّوَب من تجريدة العقبة، بعد أن أمسك مباركا شيخ بنى عُقْبَة، الذى قطع الطريق على إقامة الحجاج .

ثم وصل الأمير أُزْبك فى يوم الاثنين تاسع عشره، وخلع السلطان عليه وعلى رفيقه الأمير جانِبَك قَلَقْسيز حاجب الحجاب، ورسم بتسمير مبارك شيخ بنى عُقْبة المقدّم ذكره ورفقته، وكانوا أزيد من أربعين نفراً، فسُمِّروا الجميع، وطيف بهم الشوارع، ثم وُسِّطوا فى آخر النهار عن آخرهم .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه ورد الخبرُ على الملك الظاهر يَلَباى بعصيان الأمير

(١) فى ص (السبت عاشره) والمثبت عن ط كاليفورنيا .

بُرْدبك نائب الشام ، وأنه قتل جميع النوّاب المجردين معه لقتال شاه سُوار بن دُلْغادِر ، وكان الأمر غير ذلك ، ووقع أمور حكيناها منفصلة في تاريخنا « حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور » محصولها أن بُرْدبك المذكور كان تهاون في قتال شاه سُوار المذكور ، وخذل العسكر الشامي لِمَا كان في قلبه من الملك الظاهر خُشْقَدَم رحمه الله ، فكان ذلك سببا لكسر العسكر الشامي والحلبي وغيرهم ونهبهم ، وقُتل في هذه الواقعة نائب طَرَابُلُس قاني باي الحسني المؤيدي ، ونائب حماة تَنَم خوبي الحسيني الأشرفي ، وأتابك دمشق قَراجا الخازندار الظاهري ، وأتابك حلب قانْصوه المحمدي الأشرفي ، وغيرهم من أمراء البلاد الشامية ، وغيرهم حسبما يأتي ذكرهم في الوفيات على عادة هذا الكتاب — انتهى .

قلتُ: وجاء هذا الخبر والديار المصرية غير مستقيمة الأحوال لعدم المدبر ، والطرق[1] مخيفة ، والسبل غير آمنة ، وما ذاك إلا أن الملك الظاهر يَلَباى لما تسلطن وتمّ أمرُه غَطَّاهُ المنصبُ ، وصار كالمذهول ، ولزم السُّكَات وعدم الكلام ، وضعف عن بَتّ الأمور ، وردْع الأجْلاب ، بل صارت الأجْلابُ في أيامه كما كانت أولا وأعظم ، فلم يحسن ذلك ببال أحد ، وصار الأمير خير بك الدّوادار الثاني هو صاحب الحل والعقد في مملكته ، وإليه جميع أمور المملكة ، وشاع ذلك في الناس والأقطار ، وسَمَّته العوام : « أيش كنت أنا ؟ قل له » يعنون أن السلطان لما يُسأل[2] في شيء يقول : « أيش كنت أنا ، قل لخير بك » فبهذا وأشباهه اضطربت أحوالُ الديار المصرية .

هذا مع ما ورد من البلاد الحلبية من أمر شاه سُوار ، وقتل أكابر أمراء البلاد الشامية ، ونهبه للبلاد الحلبية ، وأخذه قِلاَع أعمالها وأن نائب الشام بُرْدبَك في أسره ، وأن يَشْبُك البَجَاسي نائب حلب دخل إلى حلب على أقبح وجه ، فصار الناس بهذا المقتضى كالغنم بلاراعٍ .

(١) في ص « والطريق » وما أثبته عن ط كاليفورنيا .

(٢) في الأصول « لما سئل » والتصويب عن هامش و / پوپر ٧ : ٨٢٨ عن T .

فلما كان يوم الاثنين سادس عشرين ربيع الأول المذكور خلع الملك الظاهر يَلَباى على الأمير أزْبُك من طَطَخ الظاهرى رأس نوبة النوب باستقراره فى نيابة الشام عوضا عن بُرْدبَك الظاهرى ، بحكم انضمامه على شاه سُوار .

وفيه استقرَّ الأمير قانى بَك المحمودى المؤيَّدى أميرُ مجلس أميرَ سلاح عوضاً عن قَرْقَماس الأشرفى بحكم القبض عليه وحبسه بالإسكندرية ، واستقرَّ قانِى بَك المذكور مقدم العساكر لقتال شاه سُوار بن دُلْغَادِر .

وعيَّن السلطانُ فى هذا اليوم عدة أمراء تجريدة لقتال شاه سُوار ، فعيَّن من أمراء الألوف قانِى بَك المقدم ذكره ، وجانِبَك الإينالى الأشرفى المعروف بقَلَقْسيز حاجب الحجاب ، وبُرْدبَك هجين أمير جاندار ، وهؤلاء من أمراء الألوف ، وعيَّن أيضا عدة كثيرة من أمراء الطبلخانات والعشرات يأتى ذكر أسمائهم يوم سفرهم من القاهرة ، ثم عيَّن صحبتهم ستمائة مملوك من المماليك السلطانية .

وفيه استقرَّ الأميرُ إينال الأشقر الظاهرى نائب غَزَّة فى نيابة حماة ، عوضا عن ابن المبارك ، وكان الناصرى محمد بن المبارك قد استقرَّ فى نيابة حماة قبل تاريخه عوضاً عن الأمير تَنَم الحسينى الأشرفى ، بحكم مرضه وعوده من تجريدة شاه سُوار إلى حلب ، وكان الناصرى محمد بن المبارك إلى الآن لم يخرج من الديار المصرية ، فعُزل عنها قبل أن يحكمها أو يتوجّه إليها ، وكان إينال الأشقر قدم إلى القاهرة مع الأمير أزْبك من تجريدة العقَبة ، ثم رشح ابن المبارك إلى نيابة غزّة ، فامتنع عن ولايتها .

ثم فى يوم الخميس تاسع عشرين شهر ربيع الأول لبس إينال الأشقر خِلعَة السفر .

ثم فى يوم السبت ثانى شهر ربيع الآخر ابتدأ السلطان بالنفقة على المماليك السلطانية لكل واحد مائة دينار ، ففُرِّقت هذه النفقة على أقبح وجه ، وهو أن القوى يُعطى ، والغائب يُقطع ، والمسِنُّ يعطى نصف نفقة أو ربع نفقة ، ومُنع أولاد الناس والطواشية من الأخذ ، وعاداتهم أخذ النفقة ، فأحدث الظاهر يَلَباى هذا الحادث ، وكثر الدعاءُ عليه بسبب ذلك ، وتفاءل الناس بزوال ملكه لقطعه أرزاق الناس ، فكان كذلك .

ومنع السلطان أيضا أمراء الألوف وغيرهم من النفقة ، ولم يُعطِ إلا من كُتب منهم إلى السَّفَر لا غير ، فبهذا المقتضى وأمثاله نفرت القلوبُ من الظاهر يَلَباى ، وعظمت الوقيعة فى حقه ، وكثرت المقالة فى بخله ، وعُدَّت مساوئه ، ونُسِيَت محاسنه — إن كان له محاسن — وصارت النفقة تُفرَّق فى كل يوم سبت وثلاثاء طبقةً واحدة أو أقل من طبقة ؛ حتى تطول الأيام فى التفرقة .

وبالجملة فكانت أيام الملك الظاهر يَلَباى نكدة ، قليلة الخير ، كثيرة الشر ، وعظم الغلاء فى أيامه ، وتزايدت الأسعار ، وهو مع ذلك لا يأتى بشىء ، ووجوده فى الملك وعدمه سواء ؛ فإنه كان سَالِبَةً كُلِّية ، لا يعرف القراءة ولا الهجاء ، ولا يحسن العلامة على المناشير والمراسيم إلا بالنُّقَط[1] ، مع عسر فى الكتابة ، وكان الناس قد أهمَّهم أمر الجُلْبان أيام أستاذهم الملك الظاهر خُشْقَدَم ، فزادوا بسلطنة الملك الظاهر يَلَباى هذا هَمًّا على همهم .

ثم فى يوم الاثنين حادى عشر ربيع الآخر استقرَّ الأمير جَانِبَك قَلَقْسِيز أمير مجلس عوضا عن قانى باى[2] المحمودى المنتقل إلى إمرة سلاح ، واستقر الأمير بُرْدبك هجين عوضه حاجبَ الحجاب .

وفيه أنعم السلطان على الأمير قايتباى المحمودى الظاهرى بإقطاع الأمير أُزْبُك نائب الشام واستقرَّ عوضه أيضا رأس نَوْبة النُّوَب ، وأنعم بإقطاع الأمير قايِتْبَاى على الأمير سودُون القَصْرَوى نائب القلعة ، والإقطاع تقدمة ألف .

وفيه أيضا استقرَّ الأميرُ خُشْكَلْدى البَيْسَقى فى تقدمة الألوف عوضا[3] عن قانى باى المحمودى المؤيَّدى[3] .

(١) يقصد المؤلف أن السلطان كان يمر بقلمه على نقط مرسومة ليملأها . وأن ذلك كان مدى معرفته بالكتابة والقراءة .

(٢) الرسم فى ص قانبك .

(٣-٣) ما بين الرقمين ساقط من ص ، والإثبات عن ط . كاليفورنيا .

ثم فى يوم الثلاثاء ثانى عشر ربيع الآخر[(١] استقر الأمير سودون البُرْدبكى الفقيه المؤيَّدى نائب قلعة الجبل بعد سودون القَصْروى . وفى يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الآخر[١)] رسم السلطان أن ينتقل الأمير إينال الأشقر المقدَّم ذكرُه من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس بعد فَقْدِ نائبها الأمير قانى باى المؤيدى الحسنى فى واقعة شاه سُوار ، وذلك بسعىٍ من إينال المذكور ، وذلك قبل أن يصل إينال المذكور إلى حماة .

ثم فى يوم الخميس رابع عشره استقرّ الناصرى محمد بن المبارك فى نيابة حماة كما كان وليها أولا .

وفيه استقرّ مُغُلْباى الظاهرى المحتسب شاد الشراب خاناه بعد الأمير خُشْكَلْدى البَيْسقى ، واستقر طَرَباى البواب محتسب القاهرة عوضا عن مُغلباى المذكور ، واستقرّ سودون السيفى أحمد بن إينال أمير عشرة وأستادار الصُّحبة ، وسودون هذا من الأوباش الأطراف .

وفيه أنعم السلطان على جماعة من الأجلاب وغيرهم كل واحد بإمرة عشرة ، والذين أعطوا أزيد من خمسة عشر نفراً ، فالذى أخذ من الأجلاب أركماس البواب ، وقايت البواب ، وطرباى البواب الذى وَلى الحسبة ، وأصباى البواب الذى كان قتل قتيلين أيام أستاذه ولم ينتطح فى ذلك عنزان ، وأُصْطُمُر البواب ، وجانم الدوادار ، ومُغُلْباى الساقى ابن أخت الأمير قايتباى ، والذى أخذ الإمرة منهم من الظاهرية الكبار : أزبك الساقى ، وَجانم قشير ، وَقانم أمير شكار ، وجَكَمَ قَرَا أمير آخور الجمال ، وسودون الصغير الخازندار ، وقَرْقَماس أمير آخور . والذى أخذ من السيفية : تمُرْباى التمرازى المِهْمَنْدار ، وبَرْسباى خازندار يُونُس الدّوادار .

وفيه ورد الخبر بأن الأمير بُرْدبَك نائب الشام فارق شاه سُوار ، وقدم إلى مَرْعَش[(٢)] طائعاً ثم سار إلى منزلة قَارَا[(٣)] فى يوم الخميس سابع عشر ربيع الآخر .

(١-١) ما بين الرقمين ساقط من ص ، والإثبات عن ط كاليفورنيا .

(٢) انظر فى التعريف بها هوامش (ج ٧ : ١٥٦ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

(٣) انظر هوامش (ج ٩ : ١٥٨ من هذا الكتاب ط دار الكتب) .

ثم فى يوم السبت سادس عشره تواترت الأخبارُ أن الأمير بُرْدبَك جاوز مدينة غزَّة ، فندب السلطان الأمير تَمُرباى المِهْمَندار ، والأمير جَكَم الظاهرى أن يخرجا إليه ويأخذاه ، ويتوجها به إلى القُدْس الشريف بَطالا .

ثم فى يوم الأحد سابع عشر ربيع الآخر أضاف السلطان الأمير أُزْبك نائب الشام ، وخلع عليه كاملية بفرو سَمُّور بمقلب سَمُّور ، وهى خلعة السَّفر ، فسافر فى بكرة يوم الاثنين ثامن عشره .

وفى يوم الاثنين هذا قُرِئ تقليد السلطان الملك الظاهر يَلَباى بالسلطنة ، وخلع السلطانُ على الخليفة وكاتب السِّرِّ والقضاة ، وعلى من له عادة بلبس الخلعة فى مثل هذا اليوم .

وأما أمر بُرْدبك نائب الشام ، فإن السلطان لما أرسل تَمُرباى وجَكَم إلى ملاقاته وأخذه إلى القدس ، وسارا إلى جهته ، فبينماهم فى أثناء الطريق بلغهم أنه توجه إلى جهة الديار المصرية من على البدوية [1] ، ولم يجتز بمدينة قَطْيا ، وقيل إنه مَرّ بقَطْيا لكنه فاتهم وأنه قد وصل إلى القاهرة ، فعادا من وقتهما ؛ فلما وصل بُرْدبَك إلى ظاهر القاهرة أرسل إلى خُچداشه الأمير تَمُر والى القاهرة يعرفه بمكانه ، فعرّف تَمُر السلطان بذلك ، فرسم السلطان فى الحال للأمير أُزْدَمُر تمساح الظاهرى أن يتوجه إليه ويأخذه إلى القُدْس بطالا ، ففعل أُزْدَمُر ذلك ، وقيل فى مجىء بُرْدبك غير هذا القول ، واللفظ مختلف والمعنى واحد .

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره استقر الأمير جانبَك الإسماعيلى المؤيّدى المعروف بكوهية أحد مقدمى الألوف أمير حاج المحمل ، واستقرّ تَنبَك المُعَلّم الأشرفى ثانى رأس نوبة النوب أمير الركب الأول .

ثم استهلّ جمادى الأولى ، أوله الأحد ، والقالة موجودة بين الناس بركوب المماليك الأجلاب ، ولم يدر أحدٌ صحة الخبر ، غير أن الأمراء المؤيدية خُچداشية السلطان امتنعوا

(١) كذا فى ص ، وفى ط كاليفورنيا « البدرية » ولعل المراد أنه سلك طريقا فى البادية .

فى [١] هذه الأيام من طلوع الخدمة ، مخافة من الأمير خير بك [٢] الدّوادار الثانى وخچداشيته الأجلاب أن يقبضوا عليهم بالقصر السلطانى ، واتفقت المؤيدية فى الباطن مع الأشرفية الكبار والأشرفية الصغار ، كل ذلك والأمر خفى على الناس إلا السلطان فإنه يعلم بأمره بل هو المدبر لهم فيما يفعلونه فى الباطن حسبما يأتى ذكره من الوقعة وهى الواقعة التى خُلع فيها الملك الظاهر يَلباى من السلطنة .

---

(١) فى الأصول « من » .

(٢) الرسم فى ص « خايربك » وما أثبته عن ط . كاليفورنيا .

ذكر

خلع الملك الظاهر يلباى

من سلطنة مصر

ولما كان عصر يوم الأربعاء رابع جمادى الأولى المقدم ذكره وطلعت أمراء الألوف إلى القلعة ليبيتوا بالقصر على العادة امتنعت المؤيدية عن الطلوع بمن وافقهم ماخلا الأمير جانبك الإينالى الأشرفى المعروف بقَلَقْسيز أمير مجلس ، وهو كبير الأشرفية الكبار يومئذ ، فإنه طلع إلى القلعة ووافق الظاهرية الكبار والظاهرية الصغار الأجلاب ، فلما تكامل طلوعُ من طلع من الأمراء فى عصر يوم الأربعاء المذكور امتنع الأمير يَشْبُك الفقيه المؤيدى الدّوادار الكبير وخُچداشيته ، وهم : الأمير قانى بك المحمودى المؤيدى أمير سلاح ، ومُغُلْباى طاز الأبوبكرى المؤيدى ، وجانبك الإسماعيلى المؤيدى المعروف بكوهية ، وهؤلاء الأربعة مقدمو ألوف ، وجماعة أُخَر من خُچْداشيتهم من أمراء الطبلخانات والعشرات ، أجلُّهم الأمير طوخ الزَّرَدْكاش ، وهو الذى حوَّل غالب ما كان بزَرَدْخانات السلطان من آلات الحرب والنُّفُوط وغير ذلك إلى بيت الأمير يَشْبُك الدّوادار ، وانضم عليهم جماعةٌ كثيرةٌ من أمراء العشرات من الأشرفية الكبار وخُچْداشيتهم أعيان الخاصكية ، وغيرهم ، بل غالب المماليك الأشرفية الكبار والأشرفية الصغار وجماعة كثيرة أيضاً من أمراء السيفية وأعيان خاصكيتهم ، فصاروا فى عسكر كبير وجمع هائل إلى الغاية ، لكن صارَ أمْرُهم لاينتج فى القتال لعدم من يقوم بأمرهم ، لأن يَشْبُك الدّوادار كان الملك الظاهر يَلَباى قد وَعَدَه عند ما أملاه ما يفعله من شأن هذه الوقعة أنه ينزل إليه ومعه الظاهرية الكبار ، وفاته الحزمُ فإنه لم يحسب أنه يصير هو كالأسير فى أيدى الأجلاب إذا تحققوا وُثوبَ الأمير يَشْبُك وقتاله ، فصار يَشْبُك بسبب ذلك كالمقيّد عن القتال لمّا وقع القتالُ الآتى ذكره .

وكان الملك الظاهر يَلَباى لما وافق يَشْبُك الدوادار على مافعله قد ضاقت حصيرته ، وتُغُلِّبَ مع خير بك والأجلاب ، وخاف إن شرع فى القبض عليهم لايتم له ذلك ، فرمَّ هذه المرمة ليأخذ الثأر بيد غيره ، وأنهم إذا استفحل أمرُهم يسألهم الملك الظاهر يلباى ما الغرض من ركوبهم ؟ فيقولون : غرضُنا نزولُ الأجلاب من الأطباق وإبعادُ خير بك وغيره من خُچداشيته ، ويكون هذا القول عند ما تَنغَلِبُ الأجلابُ فإذا أذعنوا بالنزول من الأطباق ، وخلت القلعةُ منهم فعل فيهم الملك الظاهر يلباى عند ذلك ما أراد .

وكان هذا التدبير لا بأس به لو أنه[1] نزل إليهم فى أوائل الأمر واجتمع بهم ، أو طلعوا عنده وصاروا يداً واحدة ، ففاته ذلك ، وأقام هو بالقلعة ، وفهم خير بك والأجلابُ أنّ ذلك كله مكيدة منه لأخذهم ، فاحتاطوا به ، واحتاجوا إلى الإذعان للظاهرية الكبار ومطاوعتهم على أنهم يخلعون يَلَباى من السلطنة ، ويولون أحدا من كبار أمراء الظاهرية ، فوافقتهم الظاهرية على ذلك ، ومالوا إليهم ، واستمالت الظاهريةُ أيضا الأمير جانِبَك قَلَقْسيز الأشرفى أمير مجلس ، فمال إليهم ، ووعدهم بممالأة خچداشيته الأشرفية إليهم ، وخذلان يَشْبُك الدّوادار ، فعند ذلك صار الملك الظاهر يَلَباى وحده أسيراً فى أيدى القلعيِّين .

فلما أصبحوا يوم الخميس خامس جمادى الأولى أعلن الأمير يَشْبُك الفقيه ، ولبسوا آلة الحرب ، وركب بمن معه من المؤيدية والأشرفية الكبار والأشرفية الصغار ، والسيفية ، ولبسوا آلة الحرب ، واجتمع عليهم خلائق من كل طائفة ، ومالت زُعْر الديار المصرية إليهم ، وبلغ مَنْ بالقلعة أمرُهُم ، فخافوهم خوفا شديدا ، ولبسواهم أيضا آلة الحرب ، ونزلوا بالسلطان الملك الظاهر يلَباى إلى مقعد الإسطبل السلطانى المطل على الرّميلة ، وشرعوا فى قتال الأمير يَشْبُك[2] بمن معه فى الأزقّة والشوارع بالصليبة ، وهم لايعلمون حقيقة أمر يَشْبُك[2]، ولم يقع بين الأجلاب والظاهرية الاتفاق المذكور إلى

(١) أى السلطان يلباى .

(٢–٢) ما بين الرقمين ساقط من ص ، والإثبات عن ط كاليفورنيا .

الآن ، فإن الاتفاق بما ذكرناه لم يقع بين الأجلاب والظاهرية بالقلعة إلا فى آخر يوم الخميس ، وكذلك الاحتراز على السلطان لم يقع إلا فى آخر يوم الخميس .

وأما أول نهار الخميس ما كانت القلعيّون إلا كالحيارى ، ولما وقع القتالُ بين أصحاب يَشْبُك وبين القلعيِّين تقاعد يَشْبُك عن القتال ، ولم يركب بنفسه البتة ، بل صار يترقّب نزول السلطان إليه ، هذا والقتالُ واقع بين الفريقين بشوارع الصّليبة من أول النهار إلى آخره ، وقُتل بين الفريقين جماعة كثيرة ، فلما رأى الناس تقاعد يَشْبُك بنفسه عن القتال ظنوا أن ذلك عجز منه عن مقاومة القلعيّين فنفر لذلك عنه خلائق ، ووافق ذلك اتفاق الظاهريّة الكبار مع الأجلاب بالقلعة .

وأصبح يوم الجمعة سادس جمادى الأولى والقتال عمّال بين الفريقيْن بشارع الصّليبة من أول النهار إلى آخره ، فلما مالت الأشرفية الكبار إلى القلعيّين وفارقت يَشْبُك خارت طباعُ الأشرفية الصغار ومالوا أيضا للقلعيّين ، وكانت القلعيّون استمالتهم أيضا ، فما أمسى الليل إلا ويَشْبُك الدّوادار بقى وحده مع خُچْداشِيته المؤيَّديّة لاغير ، فلما رأى أمره آل إلى ذلك قام من وقته واختفى ، وكذلك فعل غالب خُچْداشِيته المؤيدية لاغير ، وأما الملك الظاهر يَلَباى فإنه لما نزل إلى المقعد بالإسطبل السلطانى فى باكر يوم الخميس وشرع القتال بين القلعيِّين وبين يَشْبُك وأصحابه كان حينئذ إلى ذلك الوقت فى عز السلطان ، ولم يظهر إلى ذلك الوقت أن الذى فعله يَشْبُك كان صادرا عنه وبتدبيره ، فلما فهموا ذلك وأبرموا أمرهم مع الظاهرية الكبار حسبما ذكرناه فى أول الكلام أخذوا فى مقته والازدراء به والتلويح له بما يكره ، بل ربما صرَّح له ذلك بعضُهُم فى الوجه .

وطال هذا الأمر والحصرُ عليه يومى الخميس والجمعة وليس له فيها إلا الجلوس على المدوَّرَة ، والأتَابَك تَمُرْبُغا جالس بين يديه وقد رشح للسلطنة عوضه ، وهو يعرف هذا بالقرائن ، لأن الذى بقى يطلع إلى القلعة من الطوائف طائعا يَبُوسُ له الأرضَ ثم يُقَبِّلُ يَدَ الأتابَك تَمُرْبُغا ، هذا والأميرُ قايتْباى المحمودى رأسُ نوبة النوب ، والأميرُ جانبَك

قَلْقَسيز أميرُ مجلس بمن معهم من خُجْداشِيّتهم الظاهرية والأشرفية ركّاب على خيولهم ، لإرسال الأمداد لقتال يَشْبُك الدوادار .

فلما جاء الليل ليلة السبت أدخل يَلَباى إلى مبيت الحرّاقة ، وباتَ به على هيئة عجيبة ، إلى أن أصبح النهار وأخذوه وطلعوا به إلى القصر الأَبْلَق ، وحبسوه فى المخبأة التى تحت الخرجة ، بعد أن طلعوا به ماشيا على هيئة الخلْع من السلطنة ، وأخذوا الناس فى سلطنة الملك الظاهر تَمُرْبُغا ، وزال ملك يَلَباى هذا كأنه لم يكن ، فسبحان من لا يزول ملكه .

وكانت مدة ملكه شهرين إلا أربعة أيام ، ليس له فيها إلا مجرد الاسم فقط ، ولم نعلم أحداً من أكابر ملوك الترك فى السن ، خاصة مَن مَسَّه الرق ، خُلع من السلطنة فى أقل من مدة يلباى هذا ، وبعده الملك المظفر بيبرس الجاشنكير ، فإن مدة بيْبَرْس أيضا كانت سنة تنقص ثلاثة وعشرين يوما ، ثم الملك العادل كَتْبُغا المنصورى كانت مدة سلطنته سنتين وسبعة عشر يوما ، وأما الملك الظاهر بَرْقُوق فإنه خُلع بعد سلطنته بنحو سبع سنين ، ثم أعيد .

ومع هذه المدة اليسيرة كانت أيّامه : أعنى الملك الظاهر يَلَباى ، أشرَّ الأيام وأقبحها ، فى أيامه زادت الأجلابُ فى الفساد ، وضيقت السبل ، وعظم قطع الطرقات على المسافرين مصرا وشاما ، وما برحت الفتنةُ فى أيّامه قائمةً فى الأرياف قِبْلِيِّها وبحريِّها ، وتوقفت أحوال الناس لا سيما الواردين من الأقطار ، وزادت الأسعارُ فى جميع المأكولات ، وضاعت الحقوقُ ، وظلم الناسُ بعضُهم بعضا ، وصار فى أيامه كل مفعول جائزا ، وما ذلك إلا لعدم معرفته ، وسوء سيرته ، وضعفه عن تدبير الأمور ، وبت القضايا وتنفيذ أحوال الدولة ، وقلة عقله ، فإنه كان فى القديم لا يُعرف إلا بيَلَباى تلى ، أى يلباى المجنون ، فهذه كانت شهرتُه قديما وحديثا فى أيام شبيبته ، فما بالك به وقد شاخ وكبر سنه ، وذهل عقله ، وقلَّ نظره وسمعه .

وقد حكى الأمير بَرْسباى قَرَا الخازندار الظاهرى أنه لما أخذه من مخبأة القصر

الأَبْلَق وتوجَّه به إلى البَحْرَة لِيُحْبَس بها فاجتاز به من طريق الحريم السلطانى ، أنه عَيِيَ فى الطريق وجلس ليستريح ، ثم سأل الأمير بَرْسباى المذكور : « إلى أين أروح[1] ؟ » فقال له : « إلى البَحْرَة يا مولانا السلطان معزوزاً[2] مُكَرَّماً » ، فقال : « والله ما أنا سلطان ، أنا أمير ، وما كنت أفعل بالسلطنة ، وقد كبر سنى وذهل عقلى ، وقلَّ نظرى وسمعى ؟ ! بالله سلِّم على السلطان وقل له إنى لست بسلطان ، وسله أن يرسلنى إلى ثغر دِمْياط أو موضع آخر غير حبس ، فأكون فيه إلى أن أموت وأنا مأمون العاقبة ، لأنى ما عرفتُ أُدَبِّرُ المملكة وأنا مولَّى سلطانا ، فكيف يقع منى ما يكرهه السلطان ؟ ! » . ثم بكى أولى وثانية . قال بَرْسباى : « فشرعت أزيد فى تعظيمه ، وأسليه ، وأعده بكل خير » .

والمقصود من هذه الحكاية اعترافه بالعجز عن القيام بأمور المملكة . وبالجملة كانت سلطنته غلطة من غلطات الدهر .

ودام الملكُ الظاهر يَلَباى بالبَحْرَة إلى ليلة الثلاثاء عاشر جمادى الأولى من سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ، فحُمِلَ إلى سجن الإسكندرية فى بحر النيل ، ومُسَفِّرُه الأمير قانصوه اليَحْيَاوى الظاهرى المستقر فى نيابة الإسكندرية بعد عزل كَسْباى المؤيَّدى ، وتوجّه إلى دِمْياط بطالا ، فحُبِس الملكُ الظاهرُ يَلَباىُ ببعض أبراج الإسكندرية إلى أن تُوُفِّيَ بحبسه من البَرج بإسكندرية فى ليلة الاثنين مستهلّ شهر ربيع الأوّل من سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ، وقد جاوز السبعين من العمر .

وكان ملكا ضخما ، سليم الباطن مع قِلَّة معرفته بأمور المملكة ، بل بغالب الأمور ، أُمِّيًّا لا يحسن الكتابة ولا القراءة ولا الكلام العُرْفِيّ إلا بمشقة ، وكان فى

(١) فى ص « يروح » والمثبت من ط كاليفورنيا .
(٢) كذا فى ص ، وفى ط كاليفورنيا « معزولا مكرما » .

ابتداء أمْرِه يُعرف بيَلَباى تلّى أى مجنون ، وكان عديم التجمّل فى ملبسه ومَرْكَبه ومماليكه وسماطه ، مشهورا بالبخل والشُّحّ ، نالتْهُ السعادةُ فى ابتداء أمره إلى يوم تسلطن ، تنقّل فى أوائل أمْرِهِ من منزلة سَنِيّة إلى منزلة أخرى إلى يوم تسلطن ، فلما تسلطن كان ذلك نهاية سعده ، وأخذ أمْرُه من يوم جَلَسَ على تَخْت المُلْك فى إدبار ، واعتراهُ الصمتُ والسُّكاتُ ، وعجز عن تنفيذ الأمور ، وظهر عليه ذلك ؛ بحيث إنه علمه منه كلُّ أحد ، وصارت أمور المملكة جميعها معذوقة[1] بالأمير خير بك الدوادار ، وصار هو فى السلطنة حِسًّا والمعنى خير بك ، وكل أمر لا يَبُتُّهُ خير بَك المذكورُ فهو موقوف لا يُقْضَى ، وعلم منه ذلك كل أحد ، ولهجت العوامُّ عنه بقولهم « أيش كنتُ أنا ؟ قُلْ له » ، يعنون بذلك أنه إذا قدمت له مظلمةٌ أو قصةٌ بأمرٍ من الأمور يقول لهم : « قُولوا لخير بك » وأشياء من هذا النمط يطول شرحها ، ذكرنا غالبها فى تاريخنا « الحوادث » مفصلة ، كل واقعة فى وقتها .

وبالجملة إنه كان رجلا ساكنا غير أهل للسلطنة — رحمه الله تعالى ، وعفا عنه .

---

(١) عذق به الأمور أوكلها إليه ورماه بها كلها . (محيط المحيط) .

ذكر
سلطنة الملك الظاهر أبي سعيد تمربغا الظاهري
على مصر

وهو السلطانُ الذى تَكَمَّل به عِدَّة أربعين ملكا من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، والثانى من الأرْوَام إذا لم يكن الملك المعز أيبك التركمانى من الروم ، والملك المنصور لاجين المنصورى ، فإن كانا من الأروام ، فيكون الملك الظاهر تمُرْبُغا هذا الرابع منهم .

وكان وقتُ سلطنته باكر نهار السبت سابع جمادى الأولى من سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة — الموافق لثامن كيهك — بعد أن اتَّفق جميعُ أكابر الأمراء من سائر الطوائف على سلطنته ، وقد جلس بصدر المقعد بالإسطبل السلطانى المعروف بالحَرَّاقة ، وحضر الخليفة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف ، والقاضى الشافعى والقاضى الحنفى ، وتخلَّف المالكى لتوعكه ، والحنبلى لإبطائه ، وحضر غالبُ أرباب الدَّوْلة والأعيان وبايعوه بالسلطنة ، فقام من وقته ودخل مبيت الحَرَّاقة ، ولبس خِلعةَ السلطنة — السواد الخليفتى — ثم خرج من المبيت المذكور وركب فرس النوبة من سلم الحَرَّاقة بأبهة الملك ، وركب الخليفةُ أمامه ، ومشت أكابرُ الأمراء بين يديه ، وجميع العسكر ، وحمل السَنْجق السلطانى على رأسه الأميرُ قايتباى المحمودى رأس نَوبَة النُّوَب ، ولم تُحمل القُبَّة والطَّير على رأسه ؛ فإنهم لم يجدوها فى الزَّرَدْخاناه ، وكانت أُخِذَت فيما أُخذ يوم الوقعة لما نقَل طوخُ الزَّرَدْكاش ما فى الزَّرَدْخَاناه ، فجعلوا السَنْجَق عوضا عن القُبَّة والطير ، وسار الملك الظاهر تَمُرْبُغا فى مَوْكب السلطنة[1] إلى أن طلع من باب سِرِّ القصر السلطانى ، وجلس على تَخت الملك ، وقبَّلت الأمراء الأَرضَ بين يديه ، وخلع على

(١) فى ص ف « موكب عظيم » والمثبت عن ط كاليفورنيا .

قايتبَاى رأس نوبة النُّوَب باستقراره أتابَك العساكر عوضا عن نفسه ، ولُقِّب بالملك الظاهر أبى سعيد تَمُرْبُغا ، وهذا ثالث سلطان لُقِّبَ بالملك الظاهر واحداً بعد واحد لم يكن بينهم أحد ، ولم يقع ذلك فى دولة من الدُّول بسائر الأقطار .

ودقَّت البشائر ونُودِى باسمه بشوارع القاهرة ومصر ، وكان حين سلطنته الثانية من النهار والساعة للمشترى ، والطالع الجَدْى وزُحَل .

وتمّ أمْرُ الملك الظاهر فى الملك ، وزالت دولةُ الملك الظاهر يَلَباى كأنها لم تكن ، وطلع الأعيانُ لتهنئته أفواجا ، وسُرَّ الناس بسلطنته سرورا زائدا ، تشارك فيه الخاص والعام قاطبة ؛ لكونه أهلا للسلطنة بلا مدافعة ، فإننا لا نعلم فى ملوك مصر فى الدولة التركية أفضل منه ولا أجمع للفنون والفضائل ؛ مع علمى بمن ولى مصر قديما وحديثا كما مرَّ ذكره فى هذا الكتاب ، من يوم افتتحها عمرو بن العاص — رضى الله عنه — إلى يوم تاريخه ، ولو شئتُ لقلتُ : ولا من بنى أيوب ؛ مع علمى محاسن السلطان صلاح الدين السعيد الشهيد ، وماله من اليد البيضاء فى الإسلام ، والمواقف العظيمة والفتوحات الجليلة ، والهمم العالية — أسكنه الله الجنة بمنه وكرمه[1].

غير أن الملك الظاهر تَمُرْبُغا هذا فى نوع تحصيل الفنون والفضائل أجمع من الكل ؛ فإنه يصنع القوس بيده وكذلك النشاب ، ثم يرمى بهما رميا لا يكاد يشاركه فيه أحد شرقا ولا غربا ، انتهت إليه رئاسة الرمى فى زمانه ، وله مع هذا اليد الطولى فى فنِّ الرمح وتعليمه ، وكذلك البرجاس ، وسَوْق المحمل ، وتعبئة العساكر ، وأما فن اللجام ومعرفته ، والمهماز وأنواع الضرب به فلا يجارى فيهما ، ويعرف فنّ الضرب بالسيف ، وأما فن الدَّبُّوس فهو فيه أيضا أستاذ مفنّن ، بل تلامذته فيه أعيانُ الدنيا ، هذا مع معرفة الفقه على مذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان — رضى الله عنه — معرفة جيدة ، كثير الاستحضار لفروع المذهب وغيرها ، ثم مشاركة كبيرة فى التاريخ والشعر

(١) هذا رأى شخصى للمؤلف وتبدو فيه المبالغة .

والأدب والمحاضرة الحسنة والمذاكرة الحلوة ، مع عقل تام وتؤدة فى كلامه ولفظه ، غير فحّاش ولا سبَّاب .

وكان فيه أولا فى مبدأ أمره بُعَيْضُ شمم وتعاظم ، فلما نقل إلى المناصب الجليلة تغيَّر عن ذلك كله ، لاسيما لما تسلطن صار كالماء الزلال ، وأظهر من الحشمة والأدب والاتِّضَاع مالا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ، وبقى يقوم لغالب من يأتيه من أصاغر طلبة العلم ذهابا وإيابا ، ويُجِلّ العلماء والفقراء ، وسلك مع الناس مسالك استجاب بها قلوبَ الخاص والعام .

ولما دام جلوسه يومه كله بالقصر السلطانى جلوسا عاما لتهنئة الناس ، وهنّأه الناسُ على قدر منازلهم ، فصار يلقى كلَّ من دخل إليه بالبشاشة والإكرام وحسن الردّ بلسان فصيح مع تؤدة ورئاسة وإنصاف ، فتزايد سرورُ الناس به أضعاف مسرّتهم أولا ، وبالله أُقسم إنى لم أر فيما رأيتُ أطلقَ وَجها ولا أحسن عبارة ولا أحشم مجاسا فى ملوك مصر منه .

ولما كان عصر نهار السبت المذكور أُخذ الأمير قانِى بَك المحمودى المؤيّدى أميرُ سلاح من اختفائه ببيت الشيخ سيف الدين الحنفى ، فَقُيِّد وحُبس بعد أن نَهَبَت العامة بيته ، وأُخذت أمواله من غير إذن السلطان ولا إذن أحد من أرباب الدولة ، بل بأمر الغوغاء والسواد الأعظم يوم الوقعة عند انهزام يَشْبُك الفقيه الدَّوادار واختفائه ، وكان هذا المسكين جميع ماله من المال والسكر والقنود والأعسال والقماش فى داره ، فنُهب ذلك جميعه ، وما ذاك إلا لصدق [1] الخبر : « بشِّر مالَ البخيل بحادثٍ أو وارث » ، وكذلك فعلته العامة والغوغاء فى بيت الأمير يشبك الفقيه الدَّوادار ، ولكن ما أُخذ من بيت قانِى بَك من المتاع والمال أكثر .

وفيه شفع الأمير قايِتْباى المحمودى فى الأمير مُغُلْباى طاز المؤيَّدى ، فقَبِل السلطان شفاعته ورسم له بالتوجه إلى دِمْياط بطَّالا .

(١) فى ص « إلا صدق » والمثبت من ط كاليفورنيا .

وفيه رسم السلطان بإطلاق الملك المؤيّد أحمد ابن السلطان الملك الأشرف إينال من حبس الإسكندرية ، ورسم أن يسكن فى الإسكندرية فى أى بيت شاء ، وأنه يحضر صلاة الجمعة راكبًا ، وأرسل إليه فرسًا بقماش ذهب .

ثم رسم السلطان أيضًا للملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جَقْمَق بفرس بقماش ذهب وخلعة عظيمة ، ورسم له أن يركب ويخرج من أى باب شاء من أبواب الإسكندرية وأنه يتوجه حيث أراد من غير مانع يمنعه من ذلك ، قلتُ : وفعلُ الملك الظاهر تَمُرْبُغا هذا مع الملك المنصور عثمان كان من أعظم المعروف ، فإنه ابن أستاذه وغرس نعمة والده .

وفيه أيضًا رسم السلطان بإطلاق الأمير قَرْقَماس أميرسلاح ، ورفيقيه قَلَمْطاى ، وأَرْغُون شاه [الأشرفيين] [1] من سجن الإسكندرية ، وكتب أيضًا بإحضار دُولات باى النجمى وتِمْراز الأشرفيَيْن من ثغر دِمْياط .

وكتب أيضًا عدّة مراسيم إلى البلاد الشامية والأقطار الحجازية بإطلاق مَنْ بها من المحابيس [2] ، ومجىء البطالين .

وفيه رسم السلطان بأن كل من كانت له جامكية فى بيت السلطان من المماليك الإينالية الأشرفية وقُطعت قبل تاريخه ، تُعاد إليه من غير مشورة ، فعمّ الناسَ السرورُ بهذه الأشياء من وجوه كثيرة ، وتباشرت الناس بيمن سلطنته .

قلتُ : وقبل أن نشرع فى ذكر حوادث السلطان نذكر قبل ذلك التعريف به ثم نشرع فى ذكر حوادثه ، فنقول :

أصل الملك الظاهر تَمُرْبُغا هذا رومى الجنس من قبيلة أَرْنَوْط [3] ، وجَلَبَه بعض

---

(١) إضافة عن هامش و: پوپر ٧ : ٨٤٦ عن كتاب الحوادث .

(٢) أضاف و پوپر فى هامش ٧ : ٨٤٦ عن كتاب الحوادث « الأشرفية وغيرهم » .

(٣) أرنؤوط ، أوالأرناؤط : من الجنس الآرى الذى يعرف عند الأوربيين باسم الألبان — وانظر (دائرة المعارف الإسلامية م ٣ : ١٠٩ ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرين) .

التجار فى صغره إلى البلاد الشامية فى حدود سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، فاشتراه الأمير شاهين الزَّرَدْ كاش نائب طَرَابُلس كان ، ثم نقل إلى ملك غيره إلى أن ملكه الملك الظاهر جَقْمَق وهو يوم ذاك الأمير آخور الكبير ، فربّاه الملك الظاهر وأدّبه وأعتقه وجعله من جملة مماليكه الخواص به ، ودام على ذلك إلى أن تسلطن فقرّبه وأدناه ، وجعله خاصكياً سلاحدارا مدة ، ثم جعله خازندارا ، ثم أمّره فى أواخر سنة ست وأربعين وثمانمائة إمرة عشرة عوضا عن آقبَرْدى الأمير آخور الأشرفى ، واستمر على ذلك مدة طويلة ، وهو معدود يوم ذاك من خواص الملك ، إلى أن نقله إلى الدوادارية الثانية عوضا عن دُولات باى المحمودى المؤيدى ، بحكم انتقاله إلى تقدمة ألف ، فباشر تَمُرْبُغا هذا الدوادارية الثانية بحرمة وعظمة زائدة ، ونالته السعادة ، وعظم فى الدولة ، وشاع اسمه فى الأقطار ، وبعد صيته ، وقصدته أرباب الحوائج من البلاد والأقطار ، وصار أمر المملكة معذوقا به ، والدوادار الكبير بالنسبة إليه فى الحرمة ونفوذ الكلمة كآحاد الدوادارية الصغار الأجناد .

واستمرّ على ذلك إلى أن مات الملك الظاهر جَقْمَق رحمه الله تعالى ، وتسلطن بعده ولده الملك المنصور عثمان ، فصار تَمُرْبُغا عند ذلك هو مدبر المملكة وصاحب عقدها وحلها ، والملك المنصور معه حِسٌّ فى الملك والمعنى هو ، لا سيما لما أمسك الملك المنصور الأمير دُولات باى الدّوادار والأمير يَلَباى المؤيّدى هذا الذى تسلطن ، والأمير يَرْشْباى المؤيدى الأمير آخور الثانى ، واستقر تَمُربغا هذا دواداراً كبيراً عوضا عن دولات باى المذكور وبقى ملك مصر وأموره معذوقا به ، والناس تحت أوامره ، فلم تطل أيامه بعد ذلك ، ووقعت الفتنة بين الملك المنصور عثمان وبين أتابكه الأشرف إينال ، وهى الواقعة التى خُلع فيها الملك المنصور عثمان وتسلطن من بعده الأشرف إينال .

ودام القتال بين الطائفتين من يوم الاثنين إلى يوم الأحد ، أعنى سبعة أيام والقتال عمال بين الطائفتين ، وكان القائم بحرب إينال بالقلعة هو الملك الظاهر تَمُربغا مع خُجداشيته الظاهرية ، والمعول عليه فيها ، مع علمى بمن كان عند الملك المنصور غير

تَمُر بغا من أكابر الأمراء ، مثل تَنَم من عبد الرزاق أمير سلاح ، والأمير قانِى بَاى الجاركسى الأمير آخور الكبير ، ومع هذا كله كان أمر القتال وتحصين القلعة والقيام بقتال الأتابك إينال متعلقا بالملك الظاهر تَمُر بغا هذا ، فلما تسلطن إينال وانتصر أمسك الملك الظاهر تَمُر بغا هذا وسجنه بالإسكندرية أشهراً ، ثم نقله إلى حبس الصُّبَيْبَة بالبلاد الشامية ، فحُبس بالصُّبَيْبَة أكثر من خمس سنين .

وكانت مدة سجنه بالإسكندرية والصُّبيْبة نحو ست ستين ، إلى أن أطلقه الملك الأشرف إينال فى أواخر سنة اثنتين وستين ، وأمره أن يتوجّه إلى دمشق ليتجهز بها ، ويتوجه مع موسم الحاج الشامى إلى مكة ويقيم بها ، فسار إلى مكة وجاور بها سنة ثلاث وستين ، وكنتُ أنا أيضا مجاورا بمكة فى تلك السنة ، فتأكدت الصحبةُ بينى وبينه بها ، ووقعت لنا محاضرات ومجالسات ، ودام هو بمكّة إلى أن تسلطن الملك الظاهر خُشْقَدَم فى سنة خمس وستين وثمانمائة ، فقدم القاهرة ، فأجلّه الملك الظاهر ، وزاد فى تعظيمه وأجلسه فوق جماعة كثيرة من أمراء الألوف الأعيان ، ثم أنعم عليه فى يوم الاثنين سلخ ذى الحجة من سنة خمس وستين وثمانمائة المذكورة بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضا عن جانِبَك الأشرفى المشد بحكم القبض عليه ، وخلع عليه فى اليوم المذكور باستقراره رأس نوبة النوب ، عوضا عن بِيْبَرس الأشرفى خال الملك العزيز يوسف ، بحكم القبض عليه أيضا ، فدام على ذلك إلى أن أخرج الملك الظاهر خُشْقَدَم[(١] الأتابك جَرِباش إلى ثغر دِمْياط بطالا ، واستقرّ عوضه فى الأتابكية الأمير قانم أمير مجلس ، فنقل الملك الظاهر تَمُرْبُغا إلى إمرة مجلس عوضا عن قانم المذكور ، وذلك فى شهر رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة ، فدام على إمرة مجلس إلى أن مات الملك الظاهر خُشْقَدَم[١)] فى عاشر شهر ربيع الأول .

وتسلطن الملك الظاهر يَلَباى ، فصار الملك الظاهر تَمُرْبُغا هذا أتابَك العساكر عوضاً[(٢)] عن الملك الظاهر يَلَباى المذكور ، فعند ذلك تحقق كل أحد أن الأمر

(١–١) مابين الرقمين ساقط من ص والإثبات عن ط . كاليفورنيا .

(٢) هذا اللفظ ساقط من ص والإثبات عن ط كاليفورنيا .

يؤول إليه ، فكان كذلك حسبما تقدم ذكره ، ولنعد الآن إلى ما وعدنا بذكره من الحوادث :

ولما كان يوم الاثنين تاسع جمادى الأولى أنعم السلطان الملك الظاهر تمُرْبغا على جماعة من الأمراء بعدة وظائف :

فاستقرّ الأمير جانِبك قَلَقْسيز أميرُ مجاس أميرَ سلاح عوضا عن قانى بك المحمودى المؤيَّدى بحكم القبض عليه .

واستقرّ الشهابى أحمد بن العيْنى الأمير آخور الكبير أمير مجلس عوضا عن جانِبَك قَلَقْسيز .

واستقرّ الأميرُ بُردبَك هجين الظاهرى حاجبُ الحجاب أميرَ آخورا كبيرا عوضا عن ابن العيْنى .

واستقرّ الأمير خير بك الظاهرى الدوادارُ الثانى دواداراً كبيرا عوضا عن يَشْبُك الفقيه بحكم القبض عليه وإخراجه إلى القُدْس الشريف بطالا .

واستقرّ الأمير كَسْباى الظاهرى أحد أمراء العشرات دوادارا ثانيا ، عوضا عن خير بك .

واستقرّ الأمير خُشْكَلْدى البَيْسَقى(١) رأس نوبة النوب ، عوضا عن الأتابك قايتباى .

واستقر الأمير قانصوه اليحياوى الظاهرى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة فى نيابة الإسكندرية عوضا عن كَسْباى المؤيدى السمين بحكم عزله وتوجهه إلى دمياط بطالا ، بعد أن أنعم الملك الظاهر على قانصوه المذكور بإمرة طبلخاناه عوضا عن طوخ الزَرَدْكاش ، بحكم توجهه إلى دِمْياط بطالا .

وفى ليلة الثلاثاء عاشره حُمل الملك الظاهر يَلَباى فى النيل إلى إسكندرية

---

(١) أنظر ترجمة هذا الأمير (فى السخاوى — الضوء اللامع ، ج ٣ ، ١٧٧) .

ليسجن بها ، ومُسَفِّره قانصوه اليحياوى ، وقد تقدم ذكر ذلك كله فى ترجمة الظاهر يَلَباى .

وفى يوم الثلاء عاشره فُرقت نفقة المماليك السلطانية ، وهى تمام تفرقة يَلَباى التى كان أنفق غالبها ولم يتم ، ولم يفرق الملك الظاهر تمر بغا نفقة على المماليك السلطانية لقلة الموجود بالخزانة الشريفة .

ورسم الملك الظاهر تَمُربغا فى هذا اليوم بإعطاء أولاد الناس النفقة ، الذين هم من جملة المماليك السلطانية ، وكان الملك الظاهر يَلَباى منعهم ، فكثر الدعاء عليه بسبب ذلك حتى خُلع ، وأحوجه الله إلى عُشْر من أعشارها ، فلما أمر الملك الظاهر تَمُربغا بالنفقة عليهم كثر الدعاء له بذلك ، فلم يسلم من وَاسطة سوء — وكلمة الشح مطاعة — فتغير بعد ذلك ، فقرأ بعض أولاد الناس هذه الآية الشريفة : « إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ[1] » بذل وخشوع وكسر خاطر ، فلم يفلح بعدها ، ولم يقع للظاهر تَمُرْبُغا فى سلطنته ما يعاب عليه إلا هذه القضية ، فما شاء الله كان ، قلتُ : « واعجباه من رجل يملك تَخْتَ ملك مصر ، ثم تضعف همته عن إعطاء مثل هذا النزر اليسير الذى يعوضه الملك العارف المدبر من أى جهة شاء من الجهات الخفية عن العارى الضعيف التدبير ، وتطلق عليه بعدم الإعطاء ألسنة الخاص والعام ، وتكثر الشناعة والقالة فى حقه بسبب ذلك ولكن العقول تتفاوت » .

وفيه أيضاً قدم الأمير أَزْدَمُر تمساح إلى القاهرة بعد ما أوصل الأمير بُرْدْبَك الظاهرى نائب الشام إلى القدس ليقيم به بطالا .

وفى يوم الخميس ثانى[2] عشره خلع السلطان على الأتابك قَايِتْبَاى خلعة نظر

(١) آية ١١ من سورة الرعد .

(٢) فى ص « ثامن » والمثبت هنا عن ط كاليفورنيا . ويتفق حسابا مع التاريخ السابق له .

البيمارستان المنصوري [١] ، وكذلك خلع على خير بَك الدوادار الكبير ، وعلى كَسْباى الدوادار الثانى ، كليهما خلعة الأنظار [٢] المتعلقة بوظائفهما .

وفيه أنعم السلطانُ على ستة نفر بتقادم ألوف بالدّيار المصريّة ، فرّق عليهم من الإقطاعات الشاغرة ، وأضاف إليها بلاداً أخر من الذخيرة السلطانية وغيرها ، وهم : الأمير لاجين الظاهرى ، وسودون الأفرم الظاهرى الخازندار ، وجانِبَك من طَطَخ الظاهرى الفقيه الأمير آخور الثانى ، وتَمُر من محمود شاه الظاهرى والى القاهرة .

واستقرّ تَمُر المذكور حاجب الحجاب بالدّيار المصرية دفعة واحدة عوضاً عن الأمير بُرْدبك هجين المنتقل إلى الأمير آخورية الكبرى ، وهؤلاء الأربعة مماليك الملك الظاهر جَقْمَق .

ثم أنعم على الأمير تَنِبك المعلم الأشرفى رأس نوبة ثان أيضاً بتقدمة ألف ، ثم مُغُلْباى الظاهرى شاد الشراب خاناه .

فهؤلاء الستة المقدم ذكرهم ، منهم تَنِبك مملوك الأشرف بَرْسْباى ، ومُغُلْباى مملوك الظاهر خُشْقَدَم .

ثم استقرّ بَرْقُوق الناصرى [٣] الظاهرى شاد الشراب خاناه عوضا عن مغلباى .

واستقرّ تَغَرى بَرْدى طَطَر الظاهرى نائب قلعة الجبل بعد عزل سودون البُرْدبَكى الفقيه المؤيدى ونفيه .

واستقر آقْباى الظاهرى — أحد أمراء الأجلاب — الذى كان قتل قتيلين أيام أستاذه الملك الظاهر خُشْقَدَم ، ولم ينتطح فى ذلك شاتان — والى القاهرة عوضاً عن تَمُر الظاهرى .

---

(١) هذا اللفظ ساقط من ص ، والاثبات عن ط كاليفورنيا .

(٢) أى أنه عين للوظيفة ولم يشغلها بعد فيخلع عليه خلعة الانتظار لتولى الوظيفة المعينة وكل ماورد فيه الإنعام بخلعة الانظار يدل على ذلك .

(٣) هذا اللفظ ساقط من ص ، والإثبات . عن ط كاليفورنيا .

وفى يوم السبت رابع عشر جمادى الأولى المقدم ذكره استقر الأمير تَنِبك المعلّم أحد المقدمين أمير حاج المحمل، عوضا عن جانبَك كوهيّة، وكان تَنِبك هذا قد ولى قبل تاريخه إمْرَة الركب الأول، فلما صار أحد مقدّمى الألوف استقرّ أمير الحاج، وولى بعده بمُدّة تَنِبك الأشقر الأشرفى أمير الركب الأوّل.

وفيه كان تمام نفقة المماليك السلطانية بعد أن فرقت على أقبح وجه وأظهر عجز، لأنهم لم يُنْفِقُوا على أحد من الأمراء إلا من نُدب إلى السفر، ولا على أولاد الناس، ولا على الُخدّام الطواشية، ولا على أحد من المتعممين، ومع هذا كله فرقت النفقة فى مدة طويلة كإعطاء المديون المماطل لغريمه، ولما فُرقت النفقة خلع السلطان على القاضى عَلَم الدين كاتب المماليك، وعلى ولده بالتحدث عن خوَنْد زوجة السلطانُ فى تعلقاتهما.

وفيه استقرّ الأَميرُ جَكَم الظاهرى أحد الأمراء الأجلاب حاجباً ثانياً عوضاً عن الأمير قانِى بك السيفى يَشْبُك بن أَزْدَمُر بحكم استعفائه عن الإمرة والوظيفة معا.

وفى يوم الاثنين سادس عشره استقرّ الأمير دُولات بَاى حمام الأشرفى أحدُ أمراء العشرات رأسَ نوبة ثانيا عوضا عن تنبك المعلّم على إمرة عشرة كما كان أولا.

وفيه استقر الأمير بَرْسْبَاى قَرا الظاهرى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة خازنداراً عوضاً عن سودون الأفْرَم المنتقل إلى تقدمة ألف.

واستقرّ فارس السيفى دُولات بَاى أحد أمراء العشرات زَرَدْ كاشا عوضاً عن طوخ الأبو بكرى المؤيدى على إمرة عشرة.

وفى آخر هذا النهار وصل الأمير قَرْقَمَاس أمير سلاح ورفيقاه [1] قَلَمْطاى وأرْغُون شاه من سجن الإسكندرية، وباتوا بالميدان الناصرى، وطلعوا من الغد إلى القلعة، فقام السلطان إلى قرقماس المذكور واعتنقه وأجلسه فوق أمير سلاح على ميسرته ثم خلع عليه كاملية بمقلب سَمُّور، ونزل هو ورفيقاه [1] إلى دورهم.

(١، ١) فى ص «ورفقته» والمثبت هنا عن ط كاليفورنيا.

وفيه فرّق الملك الظاهر تَمُرْبُغا نحو سبعين مثالا ، أعنى سبعين إقطاعاً على جماعة من المماليك السلطانية ، الكثير والقليل .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره نفى السلطان خمسة أمراء من أمراء المؤيَّدية إلى البلاد الشامية ، وأخرج إقطاع بردبك الشمسى أحد أمراء العشرات وأبقى بالقاهرة بطالا ، والذين أخرجوا هم : سودون البُردبَكى الفقيه نائب القلعة ، وجَقْمَق ، وجانم كسا ، وقانى باى مِيق ، وجانبك البوّاب ، ومعهم جندى من المؤيدية غير أمير يسمى خُشْكَلْدى قَرا الحسنى ، وما على خُشْكَلْدِى المذكور فى نفيه أضر من كثرة متحصل إقطاعه لاغير ، وشُفِعَ فى [1] جانبك الزينى وتَنَم الفقيه وطوغان مِيق [العمرى] [2] ودولات باى الأبو بكرى فهؤلاء الذين بقوا بمصر من أمراء المؤيدية ، ثم بُعَيْض أجناد لم يُلتفت إليهم ، وهم نحو من عشرين نفراً أو أقل [3] .

وفى يوم الخميس تاسع عشره أنعم السلطان الملكُ الظاهر تَمُربغا على نحو عشرين نفراً بإمريات عشرة : من الأشرفية الكبار [4] ، ومن الظاهرية الكبار [5] ، ومن الأشرفية الصغار [6] ، ومن الظاهرية الصغار [7] الأجلاب ثم على بعض سيفية .

وفيه وصل دُولات باى النجمى وتِمراز [الساقى الأشرفيان] [8] من ثغر دِمياط ، وطلعا إلى السلطان [9] فى يوم السبت .

وفى يوم السبت حادى عشرينه [10] أشيع بالقاهرة بإثارة فتنة وركوب الأمراء على السلطان ، ولم يعين أحد .

(١) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٨٥٤ عن كتاب الحوادث «فى جماعة من المؤيدة دم» .
(٢) إضافة عن هامش و پوپر ٧ : ٨٥٤ عن كتاب الحوادث .
(٣) أضاف و. پوپر فى هامش ٧ : ٨٥٤ عن كتاب الحوادث «كلهم من المؤيدية» .
(٤) هم مماليك الأشرف برسباى (هامش و پوپر ٧ : ٨٥٤) .
(٥) هم مماليك الظاهر جقمق (المرجع السابق) .
(٦) هم مماليك الأشرف إينال (المرجع السابق).
(٧) هم مماليك الظاهر خشقدم (هامش و پوپر ٧ : ٨٥٤ عن كتاب الحوادث) .
(٨) إضافة عن هامش و پوپز ٧ . ٨٥٤ عن كتاب الحوادث .
(٩) هذا اللفظ ساقط من ص والاثبات عن ط كاليفورنيا .
(١٠) فى ص« رابع عشرينه » وهو خطأ والمثبت عن ط كاليفورنيا .

وفيه أشيع بموت جهان شاه بن قَرا يوسف ملك الشرق والعراقَـيْن .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرين جمادى الأولى المذكور استقرّ الأمير أُرغُون شاه الأشرفى فى نيابة غزّة عوضاً عن دَمُرداش العثمانى قبل أن يصل دَمُرداش المذكور إليها أو يحكمها .

ثم استهل جمادى الآخرة — أوله الاثنين ، ويوافقه أول طوبة .

فى يوم الثلاثاء ثانيه نودى من قبل السلطان بأن السلطان ينزل إلى الإسطبل السلطانى فى يومى السبت والثلاثاء للحكم بين الناس وإزالة المظالم .

وفى يوم الخميس رابعه استقر الأمير خير بك الدوادار ناظر خانقاه سِرياقوس وناظر خانقاه سعيد السعداء وناظر قُبَّة الصالح ، وذلك عوضا عن الشهابى أحمد بن العينى أمير مجلس لأمر قصده السلطان فى الوقوع بينهما[1] .

وفيه وصل رأس جِهان شاه بن قَرا يوسف ملك العراقين والشرق على ما زعم حسن بك بن على بك بن قَرَايُلُك متملكُ ديار بكر ، وعُلِّقت الرأس على باب الملك الأفضل بن شاهنشاه[2] المدعو الآن بباب زويلة أيّاما ، وفى قتل حسن بك لجهان شاه المذكور روايات كثيرة مختلفة يناقض بعضها بعضا .

وفى ليلة السبت سادسه سافر الأمير قَرقَماس أمير سلاح كان ، إلى ثغر دِمياط بَطّالًا برغبته لذلك .

وفى يوم الاثنين ثامنه خلع الظاهر تَمُربُغا على الأمير أزْدَمُر تمساح بتوجهه إلى القُدس الشريف وعلى يده تقليد الأمير بُردبك وتشريفه وعوده لنيابة حلب ، عوضا عن يَشْبُك البَجَاسى بحكم عزله وحبسه بقلعة دمشق .

وفى يوم الخميس حادى عشره خلع السلطان على الأمير أزدَمُر الطويل الإبراهيمى القادم قبل تاريخه من دمشق بتوجهه إلى حلب ، وعلى يده مرسوم شريف بتوجه

(١) فى طبعة كاليفورنيا عوضا عن الشهابى أحمد بن العينى أمير مجلس بحكم انحطاط قدره .

(٢) فى الاصل : شاهين شاه ، والافضل شاهنشاه هو ابن بدر الجمالى ، وكلاهما كان وزيرا فى العصر الفاطمى .

الأمير يَشْبُك البَجَاسى نائب حلب إلى القُدْس بطالا ، ثم آل أمره إلى حبس دمشق ، وأزْدَمُر هذا خلاف أزْدَمُر تمساح المقدّم ذكرُه .

وفى يوم السبت ثالث عشره وصل الأمير سودون الشمسى البَرْقى أحد أمراء الألوف بدمشق إلى خانقاه سِرْياقوس ، فمنعه السلطان من الدخول إلى الديار المصرية ، وأرسل إليه بفرس بسرج ذهب وكُنْبُوش زركش وكاملية بمقلب سَمُّور ، وطيَّب خاطره .

وفى يوم السبت العشرين من جمادى الآخرة ضرب السلطان القاضى تقى الدين بن الطيورى الحلبى الحنفى المعروف بخروف بالإسطبل السلطانى فى الملأ ضرباً مبرحاً ؛ لسوء سيرته وقبح سريرته ، وأرسله فى الجنزير إلى بيت القاضى المالكى ليدّعى عليه بأمور ، فاستمر فى الجنزير إلى يوم الأحد ثامن عشرينه ، فأحضروه إلى بيت القاضى كاتب السرّ الشريف ، فادعى عليه بأمر ذكرناه فى « الحوادث »[1] ، فحكم القاضى بدرُ الدين محمد ابن القطَّان الشافعى فيه ، وضربه ثلاثين عصاة ، وكشف رأسه ، وأشهره وهو مكشوف الرأس مقطع الأكمام إلى الحبس ، ثم نفى بعد ذلك إلى جهة البلاد الشامية .

وفى هذه الأيام قويت الإشاعة بأن الأمير خير بك يريد القبض على السلطان وعلى الأتابك قايتباى المحمودى إذا طلع إلى القلعة فى ليالى الموكب ، وأنه قد اتفق مع خُچْدَاشِيته الأجلاب على ذلك ، الذين هم من جنسه جنس أَبَزَة ، وأن خُچْدَاشِيته الچراكسة تخالفه وتميل إلى الأمير كَسْباى الدَّوادار الثانى ، وكَسْباى المذكور هو صهر الملك الظاهر تَمُرْبُغا أخو زوجة السلطان ، وأما الأتابَك قايتباى فإنه أخذ حِذْرَه من هذه الإشاعة ، واحترز على نفسه ، وامتنع فى الغالب من الطلوع إلى القلعة فى ليالى الموكب وصلاة الجمعة مع السلطان ، وصار يعتذر عن طلوع القلعة بأمور مقبولة وغير مقبولة ، لكن كان يطلع أيام الموكب فى باكر النهار بقماش الموكب وينزل

(١) – أضاف و . پوپر فى هامش ٧ : ٨٥٦ عن كتاب الحوادث « وقد كتب عليه محضر بعظائم فلم يدعى عليه بشىء مما ذكر فى المحضر غير أنه يصلى بغير وضوء ، وأنه يقع فى حق العلماء والأعيان » .

فى الحال ، وكانت أعذاره عن الطلوع إلى القلعة بأنه تارةً يتوجه إلى الربيع وتارة بغير ذلك .

والسلطان يسمع هذه الإشاعة ويعلم من الأتابك قايتْباى ما يفعله ولا ينكر عليه عدم طلوعه ، ولا يجبره على الطلوع ، بل يتخوّف هو أيضا على نفسه ، ويأخذ فى إصلاح أمره بما هو أخف ، فلا يسلم ممن يُسَكِّن روعه وينفى عن خير بك المذكور هذه الإشاعة ممن له غرض فى الباطن مع خير بك ، ثم يُقَوِّى جأشَ السلطان الأميرُ كَسْباى الدوادار مع كثرة خُجْداشيته ، فإنه مخالف لخُجْداشه خير بك الدوادار ، ويميل إلى صهره الملك الظاهر تَمُرْبغا ، واستمر هذا الحال جمادى الآخرة كلها ، إلى أن استهل شهر رجب — أوله يوم الأربعاء .

فيه سأل الأتابك قايتباى السلطان أن يتوجّه إلى ناحية مربط جماله على الربيع ببعض قرى القليوبية من أعمال مصر ، فأذِن له السلطان فى ذلك ، فسافر الأتابك إلى تلك الجهة ، وغاب بها إلى يوم الأحد خامس رجب ، فحضر إلى القاهرة فى آخر النهار المذكور ولم يطلع تلك الليلة إلى القلعة كعادة طلوعه قبل تاريخه فى ليالى الموكب ، وامتنع أيضا من الطلوع فى تلك الليلة جماعةٌ أُخر من مقدمى الألوف ، ولم يطلع إلا الأمير جانِبَك قَلَقْسيز أمير سلاح ، والشهابى أحمد بن العيْنى أمير مجلس ، وسودون القَصْرَوى ، وتَنِبَك المعلّم الأشرفى ، والأمير تَمُر حاجب الحجاب ، وخُشْكَلْدى البَيْسَقى رأس نَوبَة النُّوَب ، وهو من أعظم أصحاب خير بك ، وكذلك الأمير مُغُلْباى الظاهرى .

فهؤلاء الستة[1] الذين طلعوا إلى القلعة فى تلك الليلة من مقدمى الألوف ، وأذّن المغربُ وهم بالقلعة ، وصلّوا مع السلطان الملك الظاهر تَمُرْبُغا صلاة المغرب ، ثم دخل الملك الظاهر إلى الخُرْجَة المُطِلّة على الرميلة على العادة ، وجلس بها .

(١) كذا بالأصول ، وواضح أن عددهم سبعة .

ذكر

الوقعة التي خلع فيها السلطان الملك الظاهر

أبو سعيد تمربغا من الملك

ولما دخل الملك الظاهر تَمُرْبغا إلى الخرجة المقدم ذكرها وجلس بها سمع بالقصر بعض هرج بخارج القصر ، فسأل عن الخبر ، فقيل له ما معناه : الأجلاب بينهم كلام ، فراب السلطان ذلك ، فطلب خير بك الدّوادار ، فدخل عليه ، فأخذ السلطان يتكلم معه وهو يتبرّم من وجع رجليه على ما زعم ، ولم يطل جلوسه عند السلطان ، وخرج إلى خارج القصر ، فعظم الهرج بالقصر ، فأزعج السلطان ذلك ، فقام وخرج إلى القصر ، فلم يجلس به إلا يسيراً وأشار عليه بعض أصحابه بالدخول إلى الخرجة ، فعاد إليها ، وطلب الأمير خُشْكَلدى البَيْسَقى رأس نوبة النوب وسأله عن أمر هؤلاء ، فذكر أنه لا يعرف ماهم فيه .

وقام السلطانُ وصلى العشاء داخل الخَرْجة ، وهذا بخلاف العادة ، وصلى خُشْكَلدى معه ، ثم خرج وقد عظم الهرج ، وضرب أصحابُ خير بك الأمير طَرَباى المحتسب أحد أصحاب كَسْباى الدّوادار ضرباً مبرّحاً أشفى منه على الهلاك ، ونالوا من كَسْباى أيضاً ، وضربوه ضرباً ليس بذاك ، كل ذلك لدفع كَسْباى وطَرَباى المَكْرُوهَ عن السلطان .

وكان من الاتفاق الغريب أن الچراكسة أصحاب كَسْباى لم يطلع منهم فى تلك الليلة إلا أناس قليلة ، وطلع من أصحاب خير بك جنس أَبَزَة خلائق باتفاق من خير بك ، فلما وقع ذلك تحقّق الملكُ الظاهر تَمُرْبُغا وقوعَ شيء ، ولم يسعه إلا السكات .

وكان عند السلطان جماعة من خچداشيته الأمراء ، والسلطان ومن عنده كالمأسورين فى يد الأجلاب ، ثم تفرقت الأجلاب إلى الأطباق بقلعة الجبل ، ولبسوا آلة

الحرب وعادوا إلى القصر بقوّة زائدة وأمر كبير ، وتوجه بعضهم لإحضار الخليفة ، وتوجه بعضهم لنَهْب الحريم السلطانى بداخل الدور ، ثم أُغْلِق بابُ الخَرْجة من قِبَل السلطان كأنه مخافة من هجوم بعض الأجلاب عليه .

ثم وقعت[1] أمور سمعناها بالزائد والناقص على قدر الروايات ؛ فإننا لم نحضر شيئا من ذلك ، وآل الأمر إلى الدخول على السلطان وإخراج خُجْداشِيته من عنده ، ثم أرادوا إخراج من بقى عنده من السقاة ، فمنعهم السلطان من ذلك قليلا ، ثم سكت ، فأخرجوهم ، وبقى السلطان فى جماعة يسيرة من مماليكه وغيرهم .

ثم بعد ساعة دخل على السلطان ثلاثة أنفار من الجلبان ملبسة وهم ملثمون ، وأرادوا منه أن يقوم وينزل إلى المخبأة التى تحت الخَرجة ، فامتنع قليلا ، ثم قام معهم مخافة من الإخراق ، وأخذوه وأنزلوه إلى المخبأة من غير إخراق ولا بهدلة ، وأنزلوا فرشا ومقعداً ، ونزل معه بعض مماليكه وبعض الأجلاب أيضا ، وأغلقوا عليه الطابقة ، وأخذوا النّمْجِةَ والدّرقة والفوطة ودفعوهم إلى خيربك ، بعد أن أطلقوا عليه اسم سلطان ، وباس له الأرضَ جماعةٌ من أعيان الأمراء ، وقيل إنهم لقبوه بالملك العادل ، كل ذلك بلا مبايعة ولا إجماع الكلمة على سلطنته ، بل بفعل هذه الأجلاب الأوباش ، غير أن خيربك لما أخذ النّمْجِةَ والدّرَقة حدثته نفسه بالسلطنة ، وقام وأبعد فى تدبير أمره وتحصين القلعة .

وأما الملك الظاهر تَمُرْبُغا لم يتمّ جلوسه بالمخبأة حتى أنزلوا عنده جماعة كبيرة من خُجْدَاشيته الأمراء واحداً بعد واحد حتى تكمل عدتهم ثمانية أو تسعة ، وهم : الأمير تَمُر حاجب الحجاب ، وبَرقوق المشد ، وبَرسْباى قَرا الخازندار ، وأُزبك ناظر الخاص ، وتغرى بردى طَطَرنائب القلعة ، وقانِى باى الساقى ، وقانِى بك ، وقَجْماس ، واثنان آخران[2] وقعد عندهم جماعة من الأجلاب كما تقدم ذكره .

---

(١) فى الأصول « وقع » .
(٢) فى الأصول « أخر » .

وأما الأمير بُردبَك هجين الأمير آخور الكبير فإنه بلغه الخبر فى أوائل الأمر فلم يكذب ما سمع، ونزل من الإسطبل السلطانى من وقته، وأرسل أعلم الأتابك قايتْباى بما وقع، فركب الأتابك فى الحال هو وأصحابه وخُچْداشيته وقد انضم عليه الأشرفية الكبار والأشرفية الصغار بعد أمور وَقعت، فحضر الأتابَك قايتباى إلى بيت قَوصُون الذى سُدَّ بابه من تجاه القلعة، فلم يكد جلوس السلطان الملك الظاهر تَمُربغا بالمخبأة إلا وقد انتشر أصحاب قايتْباى بالرملة (١)، ورآهم السلطان الملك الظاهر تَمُرْبُغا من شباك المخبأة المطل على الرملة فى جمع كثير، وذلك قبل نصف الليل، لأن إنزال الملك الظاهر تَمُرْبُغا إلى المخبأة كان بالتقريب قبل ثلث الليل الأخير(٢)، والخبر الذى ورد على الأمير بُردبك هجين كان بعد عشاء الآخرة.

وأما خيربك الدوادار الكبير فإنه لما أخذ النّمْجَة والدّرَقة شرع فى إصلاح أمره ليتم له ما أراد من ملك مصر، ونزل إلى الإسطبل السلطانى فى جمع كبير من خُچْدَاشِيته الأجلاب، ووقف بداخل باب السلسلة يترقّب من يجىء إليه من الرملة.

والذى بلغنى من غير ثقة أن جماعة من الطوائف المشهورة كانوا وافقوه على أن يفعل ما فعل، وأنهم معه على السراء والضراء وفى كل ما يَرُومُه، فلما طال وقوف خير بك ولم يطلع إليه أحد، علم أنهم خذلوه وغرروا (٣) به، فندم حيث لا ينفعه الندم ولم يسعه إلا إتمام ما فعل، فعاد خيربك إلى القلعة بعد أن أمر الأجلاب أن يصعدوا على سور القلعة ويقاتلوا من بالرّملة من أصحاب قايتبَاى، ففعلوا ذلك، وقاتلوا قتالا جُرِح فيه جماعة من الفريقين، وقُتل جماعة، وطلع خير بك إلى القصر وقد علم أنّ أمْرَهُ تلاشى وأُدبرت سعادته، وبينما هو فى ذلك فَرَّ عنه غالب أصحابه الكبار مثل خُشْكَلَدى ومُغُلْباى وغيرهما، فعند ذلك لم يجد خيربك بُدًّا من الإفراج عن الملك

---

(١) درج المؤلف على أن يسمى الرميلة الرملة فى هذا الجزء من الكتاب، ولعل التسمية كانت استقرت فى وقته على هذا الوضع، فآثرنا تركها دون تصويب فى آخر هذا الجزء.

(٢) كذا بالأصول. « ولفظ الأخير » زائد كما يفهم من السياق.

(٣) فى الأصول « غروا ».

الظاهر تَمُرْبُغا ومن معه من خُجِدَاشيته ومماليكه ، فأخرجوهم ونزل خيربك على رجل الملك الظاهر تَمُرْبُغا يقبلها ، ويبكي ويسأله العفوَ عنه ، وقد أبدى من التضرّع أنواعا كثيرة ، فقبل السلطانُ عُذرَه ، هذا وقد جاس السلطانُ الملك الظاهر تَمُربغا مَوْضِعَ جلوس السلطان على عادته ، وأخذ النمْجة والدّرَقَة وقد انهزم غالب الأجلاب ، ونزلوا من القلعة لايلوى أحد منهم على أحد ، كل ذلك والأتابك قايتباى بمن معه من الأمراء بالرّملة .

فلما تَمَّ جُلوس الملك الظاهر تَمُرْبُغا بالقصر على عادته أمر مَنْ كان عنده من أكابر الأمراء بالنزول إلى الأتابَك قايتْبَاى لمساعدته ، والذين أرسلهم هم : الأمير جانِبَك قَلَقَسيز أمير سلاح ، وسودون القَصْروى ، وتَنبك المعلّم ، فهؤلاء الثلاثة وأمثالهم كانوا عند خيربَك فى وقت مَسْكِ الملك الظاهر تَمُرْبُغا وفى قبضته ، وقد أظهروا له الطاعة إما غصبا على مازعموا ، وإما رضًى على ما زعم بعضهم .

ثم أرسل [السلطان][1] بمن كان عنده ومحبوسا[2] معه مثل الأمير تَمُر حاجب الحجاب وبَرْقُوق شاد الشراب خاناه وغيرهما ، وكان إنزال هؤلاء الأمراء إلى الأتابَك قايِتبَاى هفوة من الملك الظاهر تَمُرْبُغا ، فإنه لو لم يكن نزولهم ما كان ينبرم للأتابَك قَايِتبَاى فى غيبتهم أمْرٌ .

كل ذلك والخلائق تطلع إلى الملك الظاهر تَمُرْبُغا أفواجا أفواجا تهنئه بالنصر وبعوده إلى ملكه ، والعساكر وقوف بين يديه .

وطلع السيفى تَنَم الأجرود الظاهرى الخاصكى إلى السلطان ، فلما رأى خيربَك الدّوادار واقفا بين يدى السلطان أراد قَتْلَه بالسَّيف ، فمنعه الملكُ الظاهرُ من ذلك ، ثم أمَرَ بحبسه داخل خِزَانة الخرجة فَحُبِسَ بها .

ولما تم أمر الأتابَك قايِتْبَاى من قتال الأجلاب وانتصر طلع بمن معه إلى باب

---

(١) إضافة للتوضيح .
(٢) فى ص « ممن كان عنده محبوسا معه » والمثبت فى ط كاليفورنيا .

السّلسلة ، وجلسَ بمقعد الإسطبلْ ؛ وكان لهج بعض الأمراء عند طلوع قايِتْبَاى إلى الإسطبل بأن قال : « الله ينصر الملك الناصر قَايِتْبَاى » ، وسمع بعضُ الناس ذلك .

ولما جَلَس الأتابَكُ قايِتْبَاى بمقعد الحَرَّاقة بتلك العظمة الزائدة كلّمه بعضُ الأمراء فى السَّلطنة ، وحسَّنُوا له ذلك ، فأخذ يمتنع امتناعا ليس بذاك ، إلى أن قامَ بعضهُم وقبَّل الأرضَ له ، وفعل غيرُه كذلك ، فامتنَع بعد ذلك أيضاً ، فقالوا : « ما بقى يفِيدُ الامتناعُ ، وقد قبّلنا لك الأرض فإما تذعن وإما نسلطن غيرَك » . فأجاب عند ذلك .

فقال بعض الظُّرَفَاء : « جلوسه بالمقعد والملك الظاهر تَمُرْبُغا بالقصر كان ذلك إجابة منه ، وإلا لو لم يكن له غرض فى ذلك كان طلع إلى القَصْرِ عند السلطان دفعة واحدة » .

فلما تَمَّ أمرُ الأتابَك قايِتْبَاى فى السلطنة طلع الأمير يَشْبُك من مهدى الظاهرى الكاشف بالوجه القبلى إلى الملك الظاهر تَمُرْبُغا ، وعرّفه بسلطنة قايِتْبَاى ، وأخذه ودخل به إلى خزانة الخَرْجَة الصغيرة ، وقد حُبس بها خير بَك قَبْلَ ذلك كما تقدم .

ولما استقرّ الملكُ الظاهرُ تَمُرْبُغا بالخزانة المذكورة كلَّمه يَشْبُك من مهدى فى أنه يتوجه إلى البَحْرَة أو هو أراد ، فقَبْلَ أن يقوم من مجلسه تناوَلَ يَشْبُك من يده النِّمْجَةَ والدَّرَقة ودفعهما إلى تِمْراز الأشرفى ، فأخذهما تِمْراز وتوجّه إلى الأتابَك قايِتبَاى ، وقام الملك الظاهرُ تَمُرْبُغا وتوجّه فى الحال إلى البَحْرَة مكرما مبجلا ، وبين يديه يَشْبُك من مهدى المذكور وغيره ، وسار إلى البَحْرَة من داخل الحريم السلطانى ، وجلس بالبَحْرَة .

وتمّ أمرُ قايِتْبَاى فى السلطنة حسبما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

واستمرّ جلوسُ الملكِ الظاهر تَمُرْبُغا بالبَحْرَة وأصحابُه وحواشيه تتردَّدُ إليه من غير مانع يمنعهم من ذلك ، والملك الأشرف قايِتْبَاى يُظْهِرُ تَعظيمَهُ وإكرامه بكل ما تصل قدرته إليه .

فلما كان ليلة الأربعاء ثامن شهر رجب المذكور رسم السلطانُ الملكُ الأشرفُ بسفره إلى ثغر دِمْياط برغبة الملك الظاهر تَمُرْبُغا فى ذلك، فلما كان بين العشاءين من ليلة الأربعاء خرجَ الملكُ الظاهر تَمُرْبُغا من قاعة البَحْرَة وفى خدمته الخُدّامُ وغيرهم، وسار من الحوش السلطانى إلى داخل الحريم، وعرف الملك الأشرف قايتْبَاى وقت خروجه من البَحْرَة، فقامَ من خَرْجَة القصر مُسْرِعاً فى مشيه إلى أن وافَى الملكَ الظاهرَ تَمُرْبُغا بدهليز الدُّور السلطانية عند الشيخ البُرْدِينى، فبادره السلطان الملك الأشرف قايتباى بالسّلَام، فاعتنقه وأهوى إلى يده ليقبلها، فمنعه الملك الظاهر تَمُرْبُغا من ذلك، ثم أخذ الأشرفُ فى الاعتذار له مما وقع منه، والملك الظاهر يقبل منه عذره[1]، ويظهر له الفرح التام بسلطنته، لأنه خُجْدَاشُه، وآمِنٌ على نفسه فى دولته، هذا والملكُ الأشرف مُسْتَمِرٌ على إكرامه وتعظيمه إلى غاية ما يكون، ثم تكلَّم معه سِرّاً فى خَلْوَة؛ لأن السلطان كان حضر معه الأتابك جانبَك قَلَقْسِيز، ويَشْبُك من مهدى، وتَمُر حاجب الحجاب، وجماعة أُخر من خواصّ الملكَيْن وخُجْدَاشيتهما، وطال الوقوف بينهما ساعة جيدة، ثم تعانقا وتباكيا، وافترقا على أحسن وجه وأجمل حال.

ثم نزل الملكُ الظاهرُ تَمُرْبُغا وركِبَ فرساً كعادته من خيله الجياد بعد أن ودعه أيضاً الأمراء الذين كانوا جاءوا مع الملك الأشرف، ولما قبّل الأمير يَشبك من مهدى يدَ الملك الظاهر تَمُرْبُغَا دفع له ألفى دينار، وقنطارى سكر مكرر، وغير ذلك.

وسار الملك الظاهر تَمُرْبُغَا من القلعة إلى ساحل النيل وهو فى غاية الحشمة فى مسيره من غير أوجاقى يركب خلفه بالسكين كما هى عادة الأمراء ولا غير ذلك، والذين ساروا معه غالبهم كالمودعين له، فلما وصل إلى المركب نزل إليها بعد أن ودعه من كان وصل معه إلى البحر من أعيان خُجْدَاشيته الأمراء، وسافر من وقته من غير

(١) فى ص «اعتذاره» والمثبت عن ط كاليفورنيا.

أن يتوجه معه مُسَفِّرٌ من الأمراء ولا غيرهم ، بل سار هو بنفسه كما يسافر الشخص إلى جهة تعلقه ، وهذا بعد أن رسم له الملك الأشرفُ بالركوب بثغر دِمْياط إلى حيث أراد من سائر الجهات برًّا وبحراً ، وأشياء كثيرة من هذه المقولة حتى سيَّر معه السلطان فرَسًا فى المواكب .

وسافر الملك الظاهر تَمُرْبُغا حتى وصل إلى ثغر دِمياط ونزلها ، وسكن بأحسن دورها ومعه حَشَمُهُ وَخَدَمُه وبعض حرمه ، ودام بالثغر إلى [1] ..

(١) عقب ذلك بياض فى الأصول ويقدر فى ص بثلثى اللوحة .

ذكر

سلطنة الملك الأشرف قايتباى المحمودى

على مصر

وهو السلطانُ الحادى والأربعون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، والخامس عشر من الچراكسة وأولادهم ، وأمر سلطنته وكيفيتها :

أنه لما خُلِعَ الملك الظاهر تَمُرْبُغا وتمَّ أمر قايِتْبَاى هذا بالإسطبل السلطانى جاس بمبيت الحَرَّاقة من الإسطبل المذكور ، وحضر الخليفةُ والقضاةُ ، وبايعوا الأتابَك قايِتْبَاى بالسلطنة ولبس خلعة السلطنة — السوادا الخليفتى — من مبيت الحرّاقة ، وركب فرسَ النوبة بقماش ذهب بأبهة الملك ، وحمل الأمير جانِبَك الإينالى الأشرفى المعروف بقَلَقْسِيز أميرسلاح السَنْجَقَ على رأسه ، وذلك لفقد القُبّة والطير من الزَرَدْخاناه السلطانية فى واقعة الملك الظاهر يَلَباى ، وسارَ وجميعُ العسكر بين يديه إلى أن طلع من باب سِرِّ القصر ، ودخل إلى القصر الكبير ، وجلس على تَخْت المُلْك ، وقَبَّلَت الأمراء الأرضَ بين يديه على العادة ، وتمَّ أمرُه ، ونودى فى الحال بسلطنته بشوارع القاهرة ، وتلقَّبَ بالملك الأشرف ، ودقّت البشائر ، وخَلَع على الخليفة على العادة ، وعلى جانِبَك قَلَقْسيز أمير سلاح باستقراره أتابَك العساكر عوضا عن نفسه .

وكانت العادة أن الأمير الكبير يلبس اليوم خلعة حمل القبة والطير على رأس السلطان ، ثم بعد ذلك يلبس خلعة الأتابكية فيما بعد ، فالآن اقتصروا على خلعة واحدة ، ووُفِّر غيرها ، ثم دخلت الناس لتهنئته بالسلطنة أرسالا إلى أن انتهى ذلك .

وكان وقتُ بيعته بالسلطنة قبل أُذان الظُّهر من يوم الاثنين سادس رجب من سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة بثمانى عشرة درجة ، والساعة للشمس ، والطالع الثور والزهرة ، وهو أيضا يوم سادس أمشير لأن الشهر العربى والقبطى توافقا فى هذا الشهر والشهر الخارج أيضا .

وفى هذه السنة حَكَم فيها أربعةُ سلاطين ، وقبل أن نشرع فى ذكر حوادثه وأموره نشرع فى التعريف به فنقول :

أصل الملك الأشرف قايتباى هذا أنه چاركسى الجنس ، جُلب من بلاده إلى الديار المصرية فى حدود سنة تسع وثلاثين وثمانمائة ، فاشتراه الملكُ الأشرف بَرْسْباى ، ولم يُجْزِ عليه عِتقا ، وجعله بطبقة الطَّازِية من أطبَاق قلعة الجبل إلى أن ملكه الملك الظاهر جَقْمَق ، وأعتقه وجعله خاصكيا ، ثم دواداراً صغيراً ، ثم امتحن بعد خلع ابن أُستاذه الملك المنصور عثمان ، ثم تراجع أمره عند الملك الأشرف إينال ، وصار دَوَاداراً صغيراً كما كان أولا[1] ، ثم أمَّره إمْرَة عشرة ، فدام على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر خُشْقَدَم بإمرة طبلخاناه ، وجعله شاد الشراب خاناه بعد جانِبَك الأشرفى المشد ، فدام فى المشدية أياما كثيرة ، وتوجه إلى تقليد نائب حلب ، ثم بعد عوده بمدة أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية ، فاستمر على ذلك إلى أن جعله الملك الظاهر يَلبَاى رأس نوبة النوب بعد خروج الأمير أُزْبُك الظاهرى إلى نيابة الشام ، وأنعم عليه بإقطاعه أيضا ، فلم تطل أيام قايتبَاى هذا فيما ذكرناه ، ونقله الملك الظاهر تَمُرْبُغا إلى الأتابكية عوضا عن نفسه لما تسلطن ، فلم تطل أيَّامُه أيضاً فى الأتابكيّة ، وتسلطن حسبما ذكرناه .

---

(١) هذا اللفظ ساقط من ص ، والإثبات عن ط كاليفورنيا .

ولما استقر جلوسه بالقصر ، وخُلِع عليه خِلْعَة السلطنة أمر بحبس الأمير خير بَك الدوادار بالركبخاناه ، وكذلك الأمير أحمد العينى أمير مجلس ، واختفى الأمير خُشْكَلْدى البَيْسَقى رأس نَوْبَة النُّوَب ، ثم ظهر فرُسِم بنفيه[١] .

* * *

تم الجزء السادس عشر ، وبه ينتهى

كتاب النجـــوم الزاهــــرة

فى

ملوك مصر والقاهرة

---

(١) بهذا اللفظ تنتهى آخر صفحة من مخطوطة الأصل فى اللوحة ٣٧٥ ، وفى طبعة كاليفورنيا ، ويوجد بهامش هذه اللوحة بالأصل : « مات مؤلفه فى مستهل سنة خمس وسبعين وثمانمائة » ، ولم يتم المؤلف ترجمة الأشرف قايتباى أو الحديث عن سنوات حكمه ، وإنما توجد بعد الصفحة الأخيرة صفحة أخرى أثبت فيها ما يلى بخط مخالف :

ذكر سلطنة الملك الناصر محمد ابن الملك الأشرف قايتباى على مصر

وهو السلطان الثانى والثلاثون من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وأمر سلطنته وكيفيتها أنه لما ضعف والده الأشرف وقع بين أقبردى الدوادار الكبير والأمير قانصوه خمسمائة الفتنة يوم الجمعة قبل الصلاة خامس عشر ذى القعدة سنة ٩٠١ بعد ظهور قانصوه من خبائه بآلة الحرب ، وانتصر فيها قانصوه خمسمائة .. ويوم السبت سادس عشر القعدة سنة ٩٠١ تولى السلطنة الملك الناصر محمد ابن الملك الأشرف قايتباى فى حياة والده بيوم واحد ، وكنيته أبو السعادات ، وتوفى والده الملك الأشرف أبو النصر يوم الأحد سابع عشر ذى القعدة سنة ٩٠١ ، بعد أذان العصر ، وصلى عليه بالحوش السلطانى ، ودفن يوم الاثنين ثامن عشر ذى القعدة سنة ٩٠١ ، ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء ، وهو آخر الملوك العادلة ، رحمه الله تعالى .

فهرس *

الجزء السادس عشر
من
كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

* قام بعمل جميع فهارس هذا الجزء فهيم محمد شلتوت

فهرس الملوك والسلاطين الذين تولوا حكم مصر

من سنة ٨٥٥ — ٨٧٢ هجرية

فهرس الأعلام

(ش)

(غ)

(ف)

الأعلام التى ترجم لها المؤلف فى الوفيات

(ب)

(ت)

(ج)

(ن)

(هـ)

(ى)

فهرس الأمم والقبائل والبطون والعشائر والأرهاط والطوائف والجماعات

(ا)

(ك)

(م)

فهرس البلاد والأماكن والأنهار والجبال وغير ذلك

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ش)

(ص)

(ن)

(هـ)

فهرس الألفاظ الاصطلاحية وأسماء الوظائف والرتب والألقاب التى كانت مستعملة فى عصر المؤلف

(ا)

(ب)

(ذ)

(ض)

(ط)

(ظ)

فهرس وفاء النيل

من سنة ٨٥٥ — ٨٧١ هـ

فهرس أسماء الكتب الواردة بالمتن والهوامش

فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

إصلاح خطأ

وقع أثناء الطبع بعض أخطاء مطبعية نوضحها هنا

ليستدركها القارئ

ص	س	الخطأ	الصواب
١	١٠	بعدة	بعده
٥	١٨	ابن أخية	ابن أخيه
٧	١٤	حقمق	جقمق
٩	١٣	يصدده	بصدده
١٠	٢٠	القليلميين	القليلين
١٥	٤	كمل الدين	كمال الدين
١٨	٢٢	الأميريين	الأميرين
١٩	٢١	٧ : ٣٧٥	٧ : ٣٧٤
٢١	٩	العريان	العربان
٢٣	٢٥	انقاء	اتقاء
٢٥	١٩	٧ : ٧٨١	٧ : ٣٨١
٢٦	٢٢	٧ : ٧٨	٧ : ٣٨٢
٢٩	٢٢	الأستتادار	الأستادار
٣٠	٢٣	بخشايش	نخشايش
٣٣	١٤	بحكم كبرَ	بحكم كبرِ
٣٩	٥	الملمة	القلمة

(٢) فى ص « ثامن » والمثبت هنا عن ط كاليفورنيا . ويتفق حسابا مع التاريخ السابق له .

ص	س	الخطأ	الصواب
٣٩	٢٤	إلى جالبة	إلى جالبه
٥١	١٩	اللمة	القلمة
٥٥	٢٠	حرافة	حراقة
٥٥	٢١	التلمة	القلمة
٥٨	١١	إيذ ل	إينال
٥٨	١٤	الماليك	المماليك
٦٢	١٨	الباصرى	الناصرى
٦٣	٣	الفرمانى	القرمانى
٦٣	٢٠	٧ : ٤٣٧	٧ : ٤٢٧
٦٩	٣	جيوش	حبوس
٧٠	٥	المدكور	المذكور
٧١	٢٠	القاصى	القاضى
٨١	١٨	العدس	القدس
٨١	١٩	العبيحة	القبيحة
٨٢	١٤	برشباى	برشباى
٨٩	٦	الماالك	المماليك
٨٩	٢٣	بدن	بدون
٩٦	٢٠ ، ٢٢	نقع	تقع
٩٨	٢٠	٧ : ٤١	٧ : ٤٧١
١٠٠	١٧	عاتمنا	عليقنا

ص	س	الخطأ	الصواب
١٠٧	٣	آذان	أذان
١٠٩	١٩	قلقة	قلعة
١١١	١٥	النزول بالمحل	النزول بالمحمل
١١٥	٢	تغرى يردى	تغرى بردى
١١٩	٧	الإحراق	الإخراق
١٢٦	٢٣	التقائى	التتائى
١٣٠	١٠	ضيانة	ضيافة
١٥١	٢١	خلقة	خلعة
١٥٤	٢١	٧ : ٢٥٣	٧ : ٥٥٣
١٥٥	٣	أستقر	استقر
١٥٧	٥	حمادى	جمادى
١٦٢	٢٠	عشيرة	عشرة
١٦٦	١٦	(٢)	(٣)
١٧٨	١٥	القمنى	القِمَنِّى
١٨٤	٧	ثعر	ثغر
١٧٤	١٥	يوم ذلك	يوم ذاك
١٩١	١١ ، ١٢	صبى أقاربه	صبى من أقاربه
١٩٩	١٥	إلى كان	إلى أن كان
٢٠٢	٥	نياية	نيابة
٢٠٢	٦	جُمُبَّان	جُلُبَّان

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٠٦	١٥	الناصر	الناصر
٢١٠	٦	ثانيا	ثانيا
٢١٠	١٨	كبيرة	كبيرة
٢١١	٦	ثالت	ثالث
٢١٢	٥	آواخر	أواخر
٢١٤	١٠، ١١	قانى ياى	قانى باى
٢٣٥	١٨	فإنه	فإنه
٢٤١	٢١	لا ينبئيه	لاينبثه
٢٤٤	١	كان يكون	كان لايكون
٢٤٧	٨	من أنه	من أنه
٢٥٢	١٠	قايتناى	قايتباى
٢٥٤	٦	أبيص	أبيض
٢٥٧	٢	الغابة	الغاية
٢٥٧	٥	وزبادة	وزيادة
٢٥٧	٥	وأدعن	وأذعن
٢٦١	١٣	قائم	قائم
٢٦٧	٢٣	ثالث جمادى	ثالث عشر جمادى
٢٦٨	٢٢	أخوانها	أخواتها
٢٦٩	١٧	أنابكا	أتابكا
٢٧٢	٢	بوم	يوم
٢٧٢	٣	الوضيفة	الوظيفة
٣٠٣	٤	بعض صلاة	بعد صلاة

ص	س	الخطأ	الصواب
٣٢٤	١	ثم أعلم	ثم اعلم
٣٢٧	١	ومانت	وماتت
٣٤٠	١	وفانه	وفاته
٣٤٠	٢٣	العمقة	العميقة
٣٤٠	٢٤	المواد	المراد
٣٤٢	١	أحد قبح	أحد أقبح
٣٤٥	١٦	ربع عشرين	رابع عشرين
٣٤٦	٢١	الحية	الحلية
٣٤٦	٢٣	تغظية	تغطية
٣٦٨	٥	وغيه	وغيره
٣٧٤	٢٠	المعمان	النعمان
٣٧٤	٢١	التاربخ	التاريخ
٣٧٩	٩	أمير آخورا كبيرا	أمير آخور كبيرا
٣٨٠	١١	حتى يُعيِّرُوا	يُغَيِّرُوا
٣٨٠	١٨	إل المدس	إلى القدس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
رقم الايداع بدار الكتب ٦٢٩٨/١٩٧١